

المعصومون الأربعة عشر

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

مركز الجواد للتحقيق والنشر
قم المقدسة

المعصومون الأربعة عشر
عليهم السلام

قال رسول الله ﷺ:
«الأئمة من بعدي اثنا عشر»

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.
كنت منذ فترة - ولا زلت - أدعو الآخرين إلى مطالعة سيرة المعصومين عليهم السلام
والكتابة فيها والتحقيق حولها، وقد استجاب بعضهم بحمد الله تعالى ووفقاً لذلك.
وقد عزمت على كتابة مختصر من سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام يضم بين

طياته بعض أحوالهم وما يتعلق بهم (صلوات الله عليهم أجمعين).
فكان هذا الكتاب: (المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام)، وفيه نبذة مختصرة من
نهجهم عليهم السلام المبارك، وسيرتهم العطرة، وحياتهم الشريفة.
بالطبع سيرة المعصومين عليهم السلام أشمل مما يكتب بكثير، ولا يمكننا أن نحيط بها أبداً،
ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وهي كالمسك كلما كررته يتضوع عطره؛ فإن
التكرار فيها ممدوح تستطيه النفس وتسكن إليه^(١).
أسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبله بقبول حسن، وينفع به يوم لا ينفع مال
ولا بنون.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

(١) كما قال الشاعر:

(أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع)

المعصوم الأول:

النبي الأعظم
صلوات الله
وآله وسلامه

نسبه ﷺ :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأبائه الطاهرين.

في الخبر أنه ﷺ قال: «إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا»^(٢).

والده ﷺ :

عبد الله ﷺ وكان مؤمناً موحداً على ملة إبراهيم ﷺ، أحد الذبيحين وقصته مشهورة، توفي في المدينة مسموماً ودُفن في دار النابغة الجعدي^(٣) وعمره على قول ثمان وعشرون سنة، توفي عبد الله والنبي ﷺ حمل في بطنه أمه ﷺ. ولا يخفى أن آباء النبي ﷺ جميعهم كانوا مؤمنين موحدين، وعليه دلت الآيات والروايات، منها:

قوله ﷺ: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية»^(٤)، مع الالتفات إلى أن الكافرين

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ١٥٥ فصل في نسبه وحليته ﷺ.

(٣) هو أبو ليلي حسان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة، من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، كان سيداً في قومه، قدم على الرسول ﷺ سنة (٥٩هـ) وأنشده شعراً فأعجب به الرسول ﷺ، شهد معركة صفين مع الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وكان في ذلك الحين يسكن الكوفة، وهو شاعر مخضرم مطبوع فصيح يجري في شعره على السليقة، وإنما سمي (النابغة) لأنه أقام مدة لا يقول الشعر، ثم نبغ، فقيل له: (النابغة)، وهو أسنُّ من النابغة الذبياني، وقارب عمره مائة وثمانين سنة.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١١٧ ب ١ ضمن ح ٦٣.

نجس كما في الآية المباركة^(٥).

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٦)، وفي الحديث عن ابن عباس في بيان معنى الآية، قال: «من نبي إلى نبي، ومن نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً»^(٧).

وفي الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «والله ما عبد أبي، ولا جدي عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط».

قيل له: فما كانوا يعبدون؟

قال عليه السلام: «كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به»^(٨).

والدته عليها السلام:

آمنة بنت وهب الكلاية عليها السلام وهي من السيدات الشريفات المؤمنات الموحّدات، ذات مقام عظيم، ويكفي في بيان منزلتها أنها حازت شرافة الولادة بالنبي عليه السلام وأمومته فيشمّلها حديث الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهّرة، فضلاً عن كونها زوجة لعبد الله والد النبي عليه السلام الذي تسابقت النساء للزواج منه.

وقد ترخّم النبي عليه السلام عليها، وزار قبرها، وبكأها، ومن المستحبات الواردة في أعمال المدينة المنورة هي زيارة قبرها والدعاء عنده.

ولادته عليه السلام:

اتفقت الإمامية إلا قليلاً منهم على أنّ ولادة النبي عليه السلام كانت يوم الجمعة السابع

(٥) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، سورة التوبة: ٢٨.

(٦) سورة الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩.

(٧) مجمع البيان: ج ٧ ص ٣٥٨ سورة الشعراء.

(٨) كمال الدين: ص ١٧٤ - ١٧٥ ح ٣٢ باب في خبر عبد المطلب وأبي طالب.

عشر من شهر ربيع الأول، عند طلوع الفجر من عام الفيل، بمكة المكرمة، في شعب أبي طالب ﷺ.

في الدار التي اشتراها بعد ذلك محمد بن يوسف أخو الحجاج من أحد ورثة عقيل بن أبي طالب ﷺ بمائة ألف دينار^(٩)، ثم حولتها الخيزران أم هارون إلى مسجد يصلي فيه الناس ويزورنه ويتبركون به^(١٠) إلى أن هدمها الوهابيون وجعلوها مربطاً للدواب.

وقد رافقت ولادته ﷺ علامات كثيرة وإرهاصات عديدة أشار إليها الشيخ الصدوق ﷺ في حديث له^(١١).

ألقابه ﷺ:

نقل العلامة المجلسي ﷺ في البحار باب أسمائه وألقابه ﷺ: أن الباري تعالى سمّاه في القرآن بأربعمائة اسم - ثم ذكرها منها :-

العالم، الحاكم، الخاتم، العابد، الساجد، الشاهد، المجاهد، الطاهر، الشاكر، الصابر، الذاكر، القاضي، الراضي، الداعي، الهادي، القارئ، التالي، الناهي، الأمر، الصادع، الصادق، القانت، الحافظ، الغالب، العائل، الضال، الكريم.
إلى غيرها من الأسماء القرآنية التي ذكرها مع بيان الآيات الدالة عليها^(١٢).

كناهه ﷺ:

أبو القاسم، وأبو الطاهر، وأبو الطيب، وأبو المساكين، وأبو الدرتين، وأبو الريحانتين، وأبو السبطين.
وفي التوراة: كنيته أبو الأرامل.

(٩) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٥٠ ب ٣.

(١٠) راجع الكافي: ج ١ ص ٤٣٩ باب مولد النبي ﷺ ووفاته.

(١١) أمالي الصدوق: ص ٣٦٠ المجلس الثامن والأربعون ح ٤٤٤.

(١٢) راجع بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٠١ ب ٦ ح ٤٠.

وكنه جبرئيل عليه السلام بأبي إبراهيم لولده إبراهيم.
وكني عليه السلام بأبي القاسم لولده القاسم، وقيل: لأنه عليه السلام يقسم الجنة يوم القيامة.

صفته عليه السلام:

في الحديث عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«هذه صفة جدي محمد عليه السلام: كث اللحية، عريض الصدر، طويل العنق، عريض الجبهة، ألقى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، ققط الشعر، طيب الريح، حسن الكلام، فصيح اللسان»^(١٣).

وفي الخبر أنّ بعضهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي، صف لنا نبينا عليه السلام كأننا نراه، فإننا مشتاقون إليه؟.

فقال عليه السلام: «كان نبي الله عليه السلام أبيض اللون، مشرباً حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كثف اللحية، ذا وفرة، دقيق المسربة، كأنما عنقه إبريق فضة، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبتة^(١٤) إلى سرتة كقضيبي خيط إلى السرة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن^(١٥) الكفين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنما يتقلع من صخر، إذا أقبل كأنما ينحدر من صيب، إذا التفت التفت جميعاً بأجمعه كله، ليس بالقصير المتردد، ولا بالطويل المتمعط، وكان في الوجه تدوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرفه أطيّب من ريح المسك، ليس بالعاجز ولا باللئيم، أكرم الناس عشرةً، وألينهم عريكةً، وأجودهم كفاً، من خالطه بمعرفة أحبه، ومن رآه بديهة هابه، عزه بين عينيه، يقول باغته: لم أر قبله ولا بعده مثله عليه السلام تسليماً»^(١٦).

(١٣) بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٢٣٦.

(١٤) اللبة: المنحر.

(١٥) أي غير خشن.

(١٦) أمالي الطوسي: ص ٣٤٠ - ٣٤١ المجلس الثاني عشر ح ٦٩٥.

بوابه ﷺ:

لم يكن لرسول الله ﷺ بواب كما كان للسلطين ومن أشبهه، بل كان النبي ﷺ يعيش بين الناس كسائر الناس، لا يعرفه من بين أصحابه الغريب إذا دخل عليه فيقول: أيكم محمد ﷺ^(١٧). نعم كان له بعض الخدم الذين يقومون بخدمته، منهم: أنس بن مالك. وهند وأسماء ابنتا خاتمة الأسمية، وأبو الحمراء، وأبو خلف.

وأنس بن مالك هو الذي كتم حديث الغدير حينما ناشد أمير المؤمنين ﷺ كل من سمع رسول الله ﷺ يوم الغدير أن يقوم ويشهد له، فلم يبق أنس مدعيًا أنه كبر ونسى، فدعا عليه أمير المؤمنين ﷺ بالبرص فابتلي به، حتى أنه آلى على نفسه بعد ذلك أن لا يكتب حديثًا في فضائل الإمام علي ﷺ.

وقد أشار إلى هذه القضية الزاهي^(١٨) في قصيدة له قائلاً:

أن يشهد الحق فشاهد البرص	ذاك الذي استوحش منه أنس
فبادر السامع وهو قد نكص	إذ قال: من يشهد بالغدير لي؟
سوف ترى ما لا تواريه	فقال: أنسيت! فقال: كاذب

شاعره ﷺ:

حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، كان عثمانياً. ولما عزل أمير المؤمنين ﷺ قيس بن سعد بن عباد عن مصر وجاء إلى المدينة جاء إليه حسان شامتاً ومؤنباً، فزجره قيس وأخرجه، وكان حسان جباناً، وقد مدح أمير المؤمنين ﷺ في أول أمره ولكنه تخلف عنه في النهاية، ومنه يظهر سر تقييد دعاء النبي

(١٧) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٢٣٠ ب ١١١ ح ١.

(١٨) أبو القاسم الزاهي، ولد عام ٣١٨ وتوفي سنة ٣٥٢، ترجمه العلامة الأميني في الغدير ج ٣

ص ٣٨٨ القرن الرابع.

(١٩) راجع الغدير: ج ١ ص ١٩٤ نظرة في حديث إصابة الدعوة.

ﷺ له حيث قال: «لا زلت مؤيداً بروح القدس ما دمت ناصرنا»^(٢٠).

خاتمه ﷺ:

في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن النبي ﷺ كان يتختم بيمينه»^(٢١).

وفي خبر آخر قال عليه السلام: «كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق»^(٢٢).

وكان نقش خاتمه: «محمد رسول الله»^(٢٣).

مختصاته ﷺ:

هناك مجموعة من المختصات التي اختص بها النبي ﷺ دون سواه، ذكرها الفقهاء

في الكتب الفقهية^(٢٤)، منها:

أولاً: جواز العقد زيادة على أربع.

ثانياً: العقد بلفظ الهبة، ثم لا يلزمه ﷺ بها مهر.

ثالثاً: وجوب التخيير لنسائه بين إرادته ومفارقتها ﷺ.

رابعاً: تحريم نكاح الإمام عليه بالعقد.

خامساً وسادساً: حرمة الاستبدال بنسائه والزيادة عليهن بعد نزول قوله تعالى:

﴿لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾^(٢٥)، ثم نسخ ذلك بقوله

(٢٠) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ١٦٥ - ١٦٧ ب ٥٢ ح ٤٢.

(٢١) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٨٢ ب ٤٩ ح ٥٩٨٢.

(٢٢) الكافي: ج ٦ ص ٤٦٨ باب الخواتيم ح ٢.

(٢٣) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٣٠٢ ب ٣٨ ح ٣٦٣٣.

(٢٤) في كتاب النكاح، انظر (شرائع الإسلام: ج ٢) و(تحرير الأحكام: ج ٣) و(مسالك الأفهام:

ج ٧) و(جامع المقاصد: ج ١٢) و(جواهر الكلام: ج ٢٩) وغيرها.

(٢٥) سورة الأحزاب: ٥٢.

عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ الآية (٢٦).

سابعاً: تحريم زوجاته على غيره.

ثامناً: عدم وجوب القسمة بين الأزواج.

تاسعاً: حرمة الزواج من الكتابيات.

عاشراً: إباحة الموصل في الصوم.

الحادي عشر: وجوب الوتر عليه.

الثاني عشر: وجوب الأضحية عليه.

الثالث عشر: وجوب قيام الليل بالعبادة والتهجد عليه.

الرابع عشر: وجوب السواك عليه.

الخامس عشر: تحريم الصدقة الواجبة عليه.

السادس عشر: تحريم خائنة الأعين عليه، وهي الغمز بها بمعنى الإيماء بها (٢٧).

السابع عشر: تحريم قول الشعر عليه.

الثامن عشر: جعل زوجاته أمهات المؤمنين.

التاسع عشر: تحريم أن يسألن أحد شيئاً إلا من وراء حجاب.

العشرون: تحريم رفع الصوت عليه ومناداته من وراء الحجرات.

الواحد والعشرون: وجوب الصلاة عليه في الصلاة.

الثاني والعشرون: أنه ﷺ كان يبصر وراءه كما يبصر أمامه.

الثالث والعشرون: أنه ﷺ كان تنام عينه ولا ينام قلبه.

الرابع والعشرون: أنه ﷺ خاتم النبيين.

(٢٦) سورة الأحزاب: ٥٠.

(٢٧) المراد الإيماء إلى مباح، وسمي خائنة الأعين لأنه يشبه الخيانة من حيث إنه يخفي.

إلى غيرها مما هو مذكور في المفصلات.

النبي الأُمي ﷺ

لم يذهب النبي ﷺ إلى أستاذ ليتعلم منه القراءة والكتابة، ولكن هل كان يحسنهما بإعجاز من الله عزوجل؟

تعددت الأقوال في المسألة:

• فمنهم من ذهب إلى أنه ﷺ كان لا يحسن القراءة والكتابة، معتمدين في ذلك على أمور منها:

١. قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ ﴾^(٢٨)، وعلى

هذا المعنى فسروا أميته، أي أنه لا يحسن الكتابة.

٢. اتخذه كاتباً لوحيه من خاصة أهله وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣. في صلح الحديبية وضع أمير المؤمنين عليه السلام إصبع النبي ﷺ على اسمه ليمحوه.

• ومنهم من ذهب إلى أنه ﷺ لم يكن يحسنها قبل البعثة أمّا بعدها فكان يحسنها، مستدلين على ذلك بـ:

١. نفس الآية المباركة حيث ورد فيها: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا

تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْبَطْلُونَ ﴾^(٢٩).

٢. قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٣٠)، فلو أنه ﷺ لم

يكن يحسن الكتابة كيف يعلمها للآخرين.

(٢٨) سورة العنكبوت: ٤٨.

(٢٩) سورة العنكبوت: ٤٨.

(٣٠) سورة الجمعة: ٢.

٣. عدم معرفته ﷺ بالكتابة يستلزم النقص عليه، وامتياز الذين يحسنون الكتابة عليه، والنيي ﷺ يكون أفضل أهل زمانه.

• والحق أن النبي ﷺ كان يحسن القراءة والكتابة بإعجاز. وإلا استلزم أن يفضله من كان يحسن الكتابة في زمانه، فينتقض القول بأفضلية النبي ﷺ مطلقاً على كافة الناس.

وكان ﷺ يعرف الكتابة قبل البعثة وبعدها بالإعجاز، ولا يصغى إلى من فرق بين إحسانه لها بعدها دون قبلها، لأن عدم إحسانه الكتابة قبل البعثة أيضاً يستلزم النقص فيه وهو مردود عقلاً، فيكون المراد بالنبي (الأمي) نسبه ﷺ إلى أم القرى وهي مكة المكرمة.

أما عدم ذهابه ﷺ لتعلم القراءة والكتابة فلمصلحة القرآن الكريم، حتى لا يزعم البعض بأنه من تأليفه الشخصي.

مرضعة النبي ﷺ

كانت المرضعات يتسابقن لنيل شرف رضاعة النبي ﷺ، فهو يتيم عبد المطلب سيد العرب، وطفل آمنة بنت وهب من أشرف مكة، ولم تحظ بهذا الشرف العظيم سوى حليلة السعدية، وكانت مؤمنة موحدة.

عن مجاهد أنه قال: قلت لابن عباس: (وقد تنازعت الظئر في رضاع محمد؟ قال: أي والله، فخص بذلك حليلة)^(٣١).

وروي أنه: تناولت النساء لرضاعته وتربيته...حتى قال: إن الهاتف أخبر آمنة بأن مرضعته في بني سعد، واسمها حليلة، فظلت تتوقع مجيئها، حتى جاءت، فأعطتها إياه^(٣٢).

(٣١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٣٨٥ ب ٤ ح ٢٣.

(٣٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٣٧١ ب ٤ ح ٢٠.

وقد أراد الله بحليمة الخير الكثير حيث جعلها مرضعة لسيد المرسلين ﷺ فنالت بذلك الشرف وحلّت عليها وعلى أهلها كافة البركة، ومن ذلك:

١. درّ اللبن في ثديها حتى أنها قالت: (ومعي ولد ما يجد في ثديي ما نعلله به...) ولما أخذت النبي ﷺ قالت: (فأمسيت وأقبل ثدياي باللبن حتى أرويته وأرويت ولدي أيضاً).

٢. درّ اللبن في ثديي الراحلة: حيث كانت حليمة قد قدمت مكة هي وزوجها ومعهما شارف - وهي المسنّة من النوق ليس فيها لبن - ولكن لما كفلت رضاعة النبي ﷺ درّ اللبن فيها حتى أنّ زوجها أروى حليمة والغلمان من لبنها.

٣. كانت تتقدّم النساء اللواتي كن معها بأثانها حتى قلن لها: أهذه أتانك التي خرجت علينا؟ فقالت حليمة هن: نعم.

٤. أنها كانت ببركة النبي ﷺ تزداد كل يوم وليلة خيراً.

٥. كانت البلاد بلاد قحط وكانت أغنام بني سعد تسرح وتعود وهي جياع سوى أغنام حليمة ترجع شباعاً أبطاناً حفلاء.

وكان رسول الله ﷺ يكرم حليمة لما تفد عليه، فبعد أن تزوّج ﷺ بخديجة ﷺ وفدت حليمة عليه وشكت له جذب البلاد وهلاك الماشية، فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاةً وبعيراً، وقدمت عليه بعد الإسلام فأسلمت هي وزجها^(٣٣).

وسبيت بنت حليمة يوم حنين، فوقفت على رأس النبي ﷺ، وقالت: يا محمد، أحتك سبيت فيما سبي. فنزع رسول الله ﷺ برده فبسطه لها فأجلسها عليه ثم أكبّ عليها يسايلها، وكلمته في الأسارى. فقال ﷺ: «أما نصيبي ونصيب بني عبد المطلب فهو لك، وأما ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم». فلما صلّوا الظهر قامت فتكلّمت وتكلّموا فوهب لها الناس أجمعون إلا الأقرع بن حابس وعيبة بن

(٣٣) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٤٠١ ب ٤ ح ٢٩.

النبي ﷺ وشق الصدر

نقل البعض أنّ جبرئيل صرع النبي ﷺ وهو يلعب مع الصبيان، وشقّ عن قلبه واستخرج منه علقه، وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب، بماء زمزم (٣٥).

والحديث يخالف معتقدات الإمامية بأنّ المعصوم ﷺ طاهر مطهر يتوابع الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة وليس للشيطان فيه حصة أبداً. وقد ردّه الطبرسي رحمه الله في تفسيره، وجعله: (مما لا يصح ظاهره، ولا يمكن تأويله إلاّ على التعسف البعيد، فالأولى أن لا يقبل)، وقال: (لأنه ﷺ طاهر مطهر من كل سوء وعيب، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء) (٣٦).

(٣٤) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٧٣ ب ٢٨.

(٣٥) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٥. وهذا مروى في كتب السيرة والحديث عند غير الإمامية حتى في بعض صحاحهم كصحيح مسلم ومسنده أحمد، فقد روى بسنده عن أنس بن مالك قال: (إن رسول الله ﷺ أتاه جبرئيل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقه فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لامه ثم أعاده إلى مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون! قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره). صحيح مسلم ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ ط دار الفكر بيروت. وراجع أيضاً مسند أحمد: ج ٣ ص ١٤٩ ط دار صادر بيروت.

(٣٦) مجمع البيان: ج ٦ ص ٢١٥ سورة الإسراء.

الزواج بالسيدة خديجة عليها السلام

كان رسول الله ﷺ يتاجر بأموال السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام إلى الشام برفقة غلامها ميسرة الذي أمرته أن يكون في خدمة النبي ﷺ ولكي يخبرها عن أحواله أكثر، ولما عاد النبي ﷺ من التجارة بالخير الكثير وعرفت أحواله وكراماته رغبت في الزواج منه، فبعثت إلى أعمامه بأن يقدموا على خطبتها لرسول الله ﷺ.

فأقبل أبو طالب عليه السلام في أهل بيته وخطبها من عمّها ورقة بن نوفل فتلجج عمّها عن الجواب، فبادرت عليها السلام بالقول: يا عمها، إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود فلست أولى بي من نفسي، قد زوجتك يا محمد نفسي والمهر عليّ في مالي، فأمر عمك فلينحر ناقة فليؤم بها وادخل على أهلك.

فقال أبو طالب عليه السلام: أشهدوا عليها بقبولها محمداً ﷺ وضمانها المهر في مالها.

فقال بعض قريش: يا عجباه، المهر على النساء للرجال؟

فغضب أبو طالب عليه السلام غضباً شديداً وقام على قدميه، وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي^(٣٧).

وهذا يدل على إيمان السيدة خديجة عليها السلام فإنها كانت مؤمنة على دين إبراهيم عليه السلام كما يدل على عظم معرفتها وكمالها وحبّها للنبي ﷺ، وقد قدمت ما تملك في نصرة الإسلام وإعلاء رايته حتى اعتزلها النساء وهجرنها لزواجها من الرسول ﷺ ولكن الله عزّ وجلّ عوضها عن ذلك بمن يحدثها في بطنها وهي الصديقة الزهراء عليها السلام.

علماً بأن خديجة (عليها السلام) لم تتزوج قبل النبي ﷺ وكانت بكرًا^(٣٨)، وكان

(٣٧) بحار الأنوار ج ١٦ ص ١٤ ب ٥ ح ١٣.

(٣٨) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٩١ ب ٢.

عمرها ٢٥ سنة، على رأي بعض الحققين، وعن ابن عباس أنه تزوجها عليها السلام وهي ابنة ثمانين وعشرين سنة (٣٩).

ولا بأس بأن نذكر هنا بعض فضائلها (صلوات الله عليها) منها:
١: زواجها من النبي عليه السلام وعدم رغبتها بغيره وقد خطبها كبار القوم والوجهاء والسلطين.

٢: هي والدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وكانت تحدثها في بطنها.

٣: إنفاقها جميع ثروتها في سبيل الله.

٤: هي أفضل زوجات النبي عليه السلام على الإطلاق.

٥: إن الجنة تشتاق إليها.

٦: إنها من أهل الأعراف.

٧: إنها صديقة هذه الأمة.

٨: إنها أول من أسلمت من النساء.

٩: إنها من المصطفيات في الدنيا والآخرة.

١٠: إن الله عزوجل كان يقرؤها السلام، ولها مقاماتها العظيمة في الآخرة.

البشارة بالنبي عليه السلام

بشّرت التوراة والإنجيل بمجيء النبي محمد عليه السلام وأشارت إلى صفاته وعلائمه،

وإلى ذلك تشير الآية المباركة:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَإِنجِيلٍ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْحَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (٤٠).

(٣٩) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٢ ب ٥.

(٤٠) سورة الأعراف: ١٥٧.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مَّصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٤١).

أما إنجيل وتوراة اليوم فهو محرف، قد حذفوا منه ما يدل على نبوة نبينا محمد ﷺ وإن كان في بعض ما تبقى منه ما يدل على نبوة رسول الله ﷺ^(٤٢).

العرب قبل الإسلام

كانت حالة الناس قبل بعثة النبي ﷺ على شر حالة، فأنقذهم الله تعالى برسول الله ﷺ الذي أخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الهداية، وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

«فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة، في بلاء أزل، وإطباق جهل! من بنات موءودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة، فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً»^(٤٣).

وقال عليه السلام: «بعثه ﷺ والناس ضلال في حيرة، وخابطون في فتنه، قد استهوتهم الأهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل، فبالغ ﷺ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة»^(٤٤).

وقال عليه السلام: «وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار، تنيخون بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون

(٤١) سورة الصف: ٦.

(٤٢) سفر الزمير: المزمور ٤٥، الأصل العبري، ص ٩٧٩.

(٤٣) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٩٢ ومن خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة.

(٤٤) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٩٥ ومن خطبة له عليه السلام يقرر فضيلة الرسول الكريم.

أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة»^(٤٥).

وقالت الصديقة فاطمة عليها السلام في خطبتها: «وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد عليه السلام بعد اللتيا والتي»^(٤٦).

إنّ الناس في شبه الجزيرة - بل في كل العالم - كانوا بأمس الحاجة إلى من يخلصهم مما هم فيه من الظلمات، فمنّ الله عليهم بمن ينقذهم من ذلك الوضع وهو رسول الله عليه السلام الذي هدّب النفوس ونور العقول وحول أوضاعهم من شرّ حال إلى خير أمة أخرجت للناس، ثم انتشر الإسلام ليشمل سائر الأمم والملل.

نزول الوحي

كان رسول الله عليه السلام يتعبّد في غار حراء، فنزل عليه الأمين جبرئيل عليه السلام بأول آيات الوحي المبين من سورة القلم قائلاً: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»^(٤٧).
وهذه الآية المباركة تكشف عن عناية الإسلام بالعلم والتعلّم وأهمية القلم، على ما ذكرناه في بعض كتبنا.

والجدير بالذكر أنّ ابن أبي الحديد^(٤٨) في شرحه على نهج البلاغة يصرّح أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مع رسول الله عليه السلام في الغار لما نزل عليه الوحي، قال:

^(٤٥) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٢٦ ومن خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له.

^(٤٦) شرح الأخبار: ج ٣ ص ٣٥ خطبة الزهراء عليها السلام ح ٩٧٤.

^(٤٧) سورة العلق: ١.

^(٤٨) عزّ الدين عبد الحميد بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني، شارح نهج البلاغة، وصاحب القصائد السبع المشهورة، ولد غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦، وتوفي ببغداد سنة

وينبغي أن نذكر الآن ما ورد في شأن رسول الله ﷺ وعصمته بالملائكة، ليكون ذلك تقريراً وإيضاحاً لقوله ﷺ: «ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته»، وأن نذكر حديث مجاورته ﷺ بحراء، وكون علي ﷺ معه هناك، وأن نذكر ما ورد في أنه لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وعلياً ﷺ وخديجة ﷺ، وأن نذكر ما ورد في سماعه رثة الشيطان، وأن نذكر ما ورد في كونه ﷺ وزيراً للمصطفى ﷺ^(٤٩).

بلاغة القرآن الكريم

اشتهر العرب أيام الجاهلية بالفصاحة والبلاغة بحيث إنهم كانوا يتسابقون في الشعر وأبلغه وأفصحه، وقد جعلوا لهم مكاناً خاصاً يدعي بسوق عكاظ ينشدون فيه الشعر كل سنة، كان منها المعلقات السبع المعروفة التي علقوها على الكعبة ليفتخروا بها.

وبالرغم من ذلك فقد تحداهم القرآن الكريم على أن يأتوا بعشر سور بل بسورة أو أقل مثل القرآن الكريم، فلم يتمكنوا.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٥٠).

وقد قرّر سادة قريش وزعماء مكة المشركين أن يمنعوا الناس من سماع القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾^(٥١).

ومع ذلك كان أسيادهم يسترقون السمع ويستمعون القرآن لشدة حلاوته

^(٤٩) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٠١ ذكر حال رسول الله ﷺ في نشوئه.

^(٥٠) سورة الإسراء: ٨٨.

^(٥١) سورة فصلت: ٢٦.

وبلاغته وفصاحته، فعن الزهري قال: حدثت أنّ أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا، فقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً.

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لنعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: والله سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتا أبا جهل فقال: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟

تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجانبا على الركب وكنا كفرسي الرهان قالوا: منّا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى تدرك هذه؟

لا والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق، فقام عنه الأخنس وتركه.

ويكفي في بلاغة القرآن الكريم وإعجازه ما ورد عن هشام بن الحكم قال: (اجتمع ابن أبي العوجاء، وأبو شاعر الديصاني الزنديق، وعبد الملك البصري، وابن المقفع، عند بيت الله الحرام، يستهزئون بالحاج ويطعنون بالقرآن.

فقال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كله، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام، وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال ابن أبي العوجاء: أمّا أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^(٥٢).

فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتنى هذه الآية عن التفكير في ما سواها.

فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ﴾^(٥٣) ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال أبو شاعر: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٥٤) لم أقدر على الإتيان بمثلها.

فقال ابن المقفع: يا قوم إنّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥٥) لم أبلغ غاية المعرفة بها، ولم أقدر على الإتيان بمثلها.

(٥٢) سورة يوسف: ٨٠.

(٥٣) سورة الحج: ٧٣.

(٥٤) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٥٥) سورة هود: ٤٤.

قال هشام بن الحكم: فبينما هم في ذلك، إذ مرّ بهم الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال:

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٥٦) فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا: لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهت أمر وصية محمد إلا إلى جعفر بن محمد، والله ما رأيناه قط إلا هبناه واقشعرت جلودنا لهيبته، ثم تفرقوا مقرين بالعجز^(٥٧).

إنذار الأقربين

كانت الدعوة الإسلامية في أوائل البعثة سرية حيث كان رسول الله ﷺ يدعو الناس سرّاً مدة ثلاث سنين إلى أن أوحى الباري تعالى إليه بإنذار عشيرته الأقربين، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدّ طعاماً ويدعو آل عبد المطلب، ولكن أبا لهب بضجيجهِ ولغظه حال دون أن يدعوهم إلى الإسلام.

وفي اليوم الثاني عاود النبي ﷺ نفس العمل فعاود أبو لهب الضجيج واللغظ، وفي اليوم الثالث وقبل أن يشرع أبو لهب بالضجيج وقف النبي ﷺ وقال: «يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومهُ بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرنِي على أمري هذا؟».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام - وكان أحدثهم سنّاً -: «أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه». فأخذ برقبتهِ وقال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا». فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلي^(٥٨).

^(٥٦) سورة الإسراء: ٨٨.

^(٥٧) الاحتجاج: ج ٢ ص ٣٧٧ احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

^(٥٨) شواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٨٦ رواية ابن عباس عن علي عليه السلام.

وهذا أول تصريح كان من النبي ﷺ نص فيه على ولاية أمير المؤمنين ﷺ وخلافته من بعده، وهو نص صريح لا يقبل التأويل والتوجيه، وقد ذكر في مصادر القوم^(٥٩).

النبي ﷺ وأعباء الدعوة

تحمل النبي الأكرم ﷺ العناء الكثير وقاسى المحن والشدائد ونزل به ما نزل، من أجل الرسالة حتى قال مقولته المشهورة: «ما أوفني نبي مثل ما أوذيت»^(٦٠) ولكنه صمد أمام التحديات والمغريات والمشاكل والصعوبات وبلغ الرسالة أفضل تبليغ، وأتى ما أمر به من الله عز وجل.
وكان مما تعرض ﷺ له:

١. حبسه ومن كان معه من المسلمين في شعب أبي طالب ﷺ ومقاطعة

(٥٩) راجع: مجمع الزوائد للهيتمي: ج ٨ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ باب معجزته (صلى الله عليه - وآله - وسلم) في الطعام وبركته فيه، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢١٠ - ٢١١ ذكر حال رسول الله في نشوئه، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص ٨٢ - ٨٣ القسم الثاني من السمط الأول في مناقب أمير المؤمنين، كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١٣ ص ١٣١ - ١٣٣ ح ٣٦٤١٩ فضائل علي (رضي الله عنه)، تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج ٢ ص ٦٢ - ٦٣ ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله (صلى الله عليه وسلم) عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل ﷺ إليه بوحيه، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٢ ص ٦٢ - ٦٣ ذكر أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه - وآله - وسلم) بإظهار دعوته، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤٢ ص ٤٧ - ٤٨، تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ تفسير سورة الشعراء، الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ج ٥ ص ٩٧ سورة الشعراء، وغيرها.

وذكره أيضاً محمد حسنين هيكل في كتابه (حياة محمد ﷺ) ولكنه في الطبعة الثانية وللضغوط التي انهالت عليه استسلم لهوى القوم وحذف الواقعة من الكتاب.
(٦٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٤٢ باب في النكت واللطائف.

المشركين لهم ثلاث سنوات^(٦١).

٢. اتهمه بالسحر والجنون والشعر والكذب.

٣. محاربتة وتجييش الجيوش ضده في معارك كثيرة.

٤. تسفيهه.

٥. جبره على ترك موطنه مكة المكرمة والهجرة إلى يثرب.

٦. تعرضه للضرب والتوهين حتى من أقرب الناس إليه، فعن أنس: أنه ﷺ

كان في سوق ذي الحجاز عليه جبة حمراء وهو يقول: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل

يتبعه يرميه بالحجارة حتى أدمى عرقوبيه وكعبيه، فقيل: من هو؟

فقال: عمّه أبو لهب.

٧. رمي سلا الناقة عليه أكثر من مرة.

٨. محاولة قتله أكثر من مرة ولكن الله تعالى كان يقيه شرهم.

٩. اعتقال أصحابه ومن يؤمن به ثم تعريضهم للتعذيب القاسي والقتل.

١٠. مصادرة أمواله وكل ما يتعلق به وبأصحابه من دور وما أشبهه.

إلى غيرها مما هو كثير.

(٦١) انظر روضة الواعظين: ص ٥٣.

الهجرة المباركة

لما اشتد إيذاء قريش للمسلمين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الهجرة للحبشة حيث فيها النجاشي الحاكم المعروف بعدالته، فهاجروا برفقة جعفر بن أبي طالب ؓ، وقد حاولت قريش أن تردّهم إلى مكة وتحرض النجاشي عليهم، ولكن حكمة جعفر ؓ وفطنته حالت دون ذلك فعادوا بحفيّ حنين.

وبعد فترة هاجر النبي ﷺ بأمر الله عزوجل إلى المدينة المنورة التي احتضنت المسلمين بشكل جيد، وخلف ﷺ أمير المؤمنين ؓ مكانه وأباته في فراشه ليلة المبيت، حتى لا يعلم القوم بخروجه ﷺ، ثم يؤدّي ؓ وداعه ﷺ ويقضي ديونه، ثم يهاجر ؓ مع الفواطم إلى المدينة.

وقد بات علي ؓ في فراشه ﷺ تلك الليلة حتى باهى الله به ملائكته. قال أبو اليقظان: حدثنا رسول الله ﷺ ونحن معه بقاء، عما أرادت قريش من المكر به ومبيت علي ؓ على فراشه، قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل وميكائيل ؑ:

إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟

فكلاهما كرها الموت، فأوحى الله إليهما: عبديّ ألا كنتما مثل وليي علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين نبيي فأثره بالحياة على نفسه، ثم ظل - أو قال: رقد - على فراشه يفديه بمهجته، اهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه، فهبط جبرئيل ؑ فجلس عند رأسه، وميكائيل ؑ عند رجله، وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب والله عزّ وجلّ يباهي بك الملائكة! قال: فأنزل الله عز وجل في علي ؓ:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٦٢)،^(٦٣).

وقد سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: أين كنت حيث ذكر الله تعالى نبيه وأبا بكر، فقال: ﴿ثَانِيَانِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^{(٦٤)؟} فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويليک یا ابن الكواء كنت على فراش رسول الله ﷺ، وقد طرح عليّ رباطه^(٦٥) فأقبلت قريش مع كل رجل منهم هراوة فيها شوكةا، فلم يبصروا رسول الله ﷺ حيث خرج، فأقبلوا عليّ يضربونني بما في أيديهم حتى تنفط^(٦٦) جسدي وصار مثل البيض، ثم انطلقوا بي يريدون قتلي، فقال بعضهم: لا تقتلوه الليلة ولكن أخروه واطلبوا محمداً.

قال: فأوثقوني بالحديد وجعلوني في بيت واستوثقوا مني، ومن الباب بقفل فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتاً من جانب البيت يقول: يا علي فسكن الوجع الذي كنت أجده، وذهب الورم الذي كان في جسدي، ثم سمعت صوتاً آخر يقول: يا علي فإذا الحديد الذي في رجلي قد تقطع، ثم سمعت صوتاً آخر يقول: يا علي، فإذا الباب قد تساقط ما عليه، وفتح فقمتم وخرجت، وقد كانوا جاءوا بعجوز كمهاة^(٦٧) لا تبصر ولا تنام تحرس الباب فخرجت عليها فإذا هي لا تعقل من النوم^(٦٨).

^(٦٢) سورة البقرة: ٢٠٧.

^(٦٣) أمالي الطوسي: ص ٤٦٩ مبيت علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ.

^(٦٤) سورة التوبة: ٤٠.

^(٦٥) الربطة: كل ثوب يشبه الملحفة.

^(٦٦) تنفط الجسم: قرح أو تجمع فيه بين الجلد واللحم ماء بسبب العمل.

^(٦٧) كمه: عمي أو صار أعشى، أو اعتلت بصره ظلمه.

^(٦٨) خصائص الأئمة: ص ٥٨- ٥٩ حديثه عليه السلام مع ابن الكواء في مبيته على فراش رسول الله

حروب النبي ﷺ

لا يخفى أن حروب النبي ﷺ كانت كلها دفاعية، لأنّ المشركين لم يرق لهم أن رسول الله ﷺ تقوى شوكته وتنتشر رسالته، فعمدوا إلى محاربتة والنيل منه ومن أتباعه بشتى الوسائل ومنها شن الحروب والقتال المستميت.

قال المفسرون وأهل السير: إن جميع ما غزى رسول الله ﷺ بنفسه ست وعشرون غزوه، وأن جميع سراياه التي بعثها ولم يخرج معها ست وثلاثون سرية، وقاتل ﷺ في تسع غزوات منها، وهي: بدر، وأحد، والخندق، وبنو قريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف^(٦٩).

وكان رسول الله ﷺ قبل أن يبعث أية سرية يدعوهم فيجلسهم بين يديه، ثم يقول: «سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في دينكم، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، ثم استعينوا بالله عليه»^(٧٠).

وفي جميع حروب النبي ﷺ كان لأمر المؤمنين ﷺ دوراً هاماً في قتال الكفار والمشركين ودفعهم عن رسول الله ﷺ والمسلمين، وإلى ذلك تشير الصديقة فاطمة ﷺ قائلة:

«كلما أحشوا ناراً للحرب، أو نجم قرن للضلالة، أو فغرة فاعرة للمشركين، قذف أخاه علياً في لهواتها، فلا ينكفى حتى يبطأ سماكها بأخصه، ويخمد حرّ لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، الخطبة^(٧١)».

(٦٩) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٣٣٦ ب ٢٠ ف ١٠ في مغازيه فقرة ٤٤٥.

(٧٠) الكافي: ج ٥ ص ٢٧- ٢٨ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ في السرايا ح ١.

(٧١) شرح الأخبار: ج ٣ ص ٣٥ خطبة الزهراء ﷺ ح ٩٧٤.

من أخلاق النبي ﷺ

ربما يكون من السهل أن يجذب الإنسان الناس العاديين بأخلاقه الحميدة، ولكن من الصعب جداً أن يؤثر على ذوي الأخلاق الفضة ويجوّل سجاياهم وطبائعهم التي تربوا عليها وتوارثوها من أجيالهم الماضية.

ومن المعروف أن المجتمع الجاهلي في عهد النبي ﷺ كانت تغطي عليه حالة من القسوة والفضاضة والخشونة والوحشية، حتى مع أقرب الناس إليهم وهم بناتهم حيث كانوا يدفنونهن أحياءً، فذات مرة وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ، فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التي وأذهن من بناته، فأخبر أنه ما ولدت له بنت قط إلا وأدها.

ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدثه فقال له: كنت أخاف سوء الأحداث والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها، وما رحمت منهن موءودة قط إلا بنية لي ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها أمها إلى أخوالها فكانت فيهم، وقدمت سألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميتاً.

ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلت فرأيتها وقد ظفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خلوق ونظمت عليها ودعاً، وألبستها قلادة جزع، وجعلت في عنقها مخنقة بلح، فقلت: من هذه الصبية فقد أعجبتني جمالها وكيسها؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبرتك أني ولدت ولداً ميتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبت ما تصنع بي؟!

وجعلت أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبت أمغطي أنت بالتراب؟!

أتاركي أنت وحدي ومنصرف عني؟!

وجعلت أفذف عليها التراب ذلك حتى واريتهما وانقطع صوتها، فما رحمت
أحدًا ممن واريته غيرها!!

فدمعت عينا النبي ﷺ ثم قال: «إنّ هذه لقسوة، وإن من لا يرحم لا يرحم». وذكر في أحوال صعصعة بن صوحان أنه استطاع أن يخلص ٣٦٠ بنتاً من الوأد، وبعد أن أسلم سأل رسول الله ﷺ قائلاً: هل لي في ذلك ثواب؟ فقال النبي ﷺ: بين لي ما فعلت.

فقال صعصعة: كانت لي ناقتان قد فقدتهما وصرت أبحث عنهما في الصحراء، فرأيت داراً فتوجهت نحوها فإذا بي أرى رجلاً كبير السن، فانشغلت بالتكلم معه، وسرعان ما سمعت صوت امرأة تقول: ولدت ولدت، فسألها الرجل: ماذا ولدت؟ فأجابت المرأة بأنها بنت.

فقال الرجل: ادفنوها في التراب، فقلت: لا تقتلوها، واشترتها منهم بناقتين وجمل وخلصتها من الموت، واشترت طول حياتي (٣٦٠) بنتاً، لكل منها بناقتين وجمل، فأجاب رسول الله ﷺ: بأنه قد قام بعمل مهم وثوابه محفوظ عند الله سبحانه.

وسط مجتمع كهذا تحكمه القسوة والخشونة صدع النبي ﷺ بدعوته الغراء رافعاً شعاره: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٧٢)، فاستطاع ﷺ بأخلاقه الحميدة التي عبّر عنها الباري تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»^(٧٣)، أن يحوّل المجتمع من مجتمع تحكمه أحكام الغاب إلى خير أمة أخرجت للناس.

ومن أهم أخلاق النبي ﷺ التي أذهلت البشرية جمعاء هي:

١. التواضع

بلغ من تواضع رسول الله ﷺ أنّ القادم إذا قصده لا يميزه من بين المسلمين إلاّ

(٧٢) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢١٠ ب ١٠.

(٧٣) سورة القلم: ٤.

أن يسأل عنه، يقول الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه:

كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي ﷺ أن يجعل مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبينما له دكاناً من طين، وكان يجلس عليه، ونجلس بجانبه ^(٧٤).

❖ وكان المسلمون إذا رأوه ﷺ لم يقوموا إليه لما يعرفون من كراهيته ^(٧٥).

❖ وكان ﷺ يسلم على الصبيان والنسوة.

❖ وذات مرة أتاه رجل يكلمه فأرعد، فقال ﷺ: هوّن عليك فلست بملك، إنما أنا

ابن امرأة كانت تأكل القد ^(٧٦).

❖ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزلاً قعد في أدنى

المجلس حين يدخل» ^(٧٧).

❖ وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويتبع الجنابة،

ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خير ويوم قريظة والنضير على حمار

مخطوم ^(٧٨) يجبل من ليف تحته أكاف من ليف ^(٧٩).

❖ وعن بحر السقا قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا بحر حسن الخلق يسر - ثم

قال - ألا أخبرك بمحدث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة». قلت: بلى، قال: «بيننا

رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذا جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم،

فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً، حتى

^(٧٤) مكارم الأخلاق: ص ١٦ ف ٢.

^(٧٥) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٢٩ ب ٩ ضمن ح ٣٥.

^(٧٦) مكارم الأخلاق ص ١٦ ف ٢.

^(٧٧) الكافي ج ٢ ص ٦٦٢ باب الجلوس ح ٦.

^(٧٨) الخطام: حبل يجعل في عنق البعير وغيره ويشنى في خطمه وأنفه.

^(٧٩) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٢٩ ب ٩ ح ٣٥.

فعلت ذلك ثلاث مرات، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس: فعل الله بك وفعل، حبست رسول الله ﷺ ثلاث مرات، لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حلجتك إليه؟ قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لأخذ هدبة من ثوبه، يستشفى بها، فلما أردت أخذها رأني فقام فاستحييت منه أن أخذها و هو يراني وأكره أن أستأمره في أخذها، فأخذتها»^(٨٠).

❖ وعن الحسن الصيقل، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «مرت امرأة بذيبة برسول الله ﷺ وهو يأكل وهو جالس على الحضيض، فقالت: يا محمد والله إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله ﷺ: ويحك وأي عبد أعبد مني؟!»

قالت: فناولني لقمة من طعامك، فناولها، فقالت: لا والله إلا التي في فيك فأخرج رسول الله ﷺ اللقمة من فمه فناولها، فأكلتها.

قال أبو عبد الله ﷺ: فما أصابها داء حتى فارقت الدنيا روحها»^(٨١).

٢. الرحمة

من صفات النبي ﷺ المهمة التي نطق بها القرآن الكريم هي الرحمة، فقال عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٨٢)، وفي آية وصفه الباري تعالى بأنه ﷺ رحيم بالمؤمنين، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٨٣).

^(٨٠) الكافي ج ٢ ص ١٠٢ باب حسن الخلق ح ١٥.

^(٨١) المحاسن ج ٢ ص ٤٥٧ ب ٥١ ح ٣٨٨.

^(٨٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

^(٨٣) سورة التوبة: ١٢٨.

والشواهد على رحمته كثيرة، منها ما ورد أنه ﷺ في غزوة أحد عندما تخلف الرماة الذين كانوا على الجبل عن وصيته ﷺ وهُزم المسلمون ضرب رسول الله ﷺ بالسيف ستين ضربة، وعليه يومئذ درعان، وأدميت رباعيته وشج في وجهه، وفر الناس غير أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ؑ وسبعة من بني هاشم وعصابة من الأنصار.

وكان أحدهم يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وجهي لوجهك الوفاء ونفسي لنفسك الفداء، أستودعك الله وأقرأ عليك السلام، وكان يقول بعضهم: يا نبي الله، أدع عليهم!

فقال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(٨٤).

نعم إنه ﷺ رغم ما صنع المشركون به لم يتخل عنهم بل كان يعدهم من قومه وينسبهم إلى نفسه كي لا ينزل بهم العذاب، ودعا لهم بالهداية.

❖ وذات مرة جاءه أعرابي يستعينه في شيء، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا ولا أجملت.

فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه، فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كفوا.

فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت، فقال: إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت، فزاده رسول الله ﷺ شيئاً وقال: أحسنت إليك؟

فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال النبي ﷺ: إنك جئتنا فسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفي أنفص أصحابي عليك من ذلك شيء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم، فقال: نعم.

فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه

(٨٤) العقد النضيد والدر الفريد - محمد بن الحسن القمي: ص ٥٠ - ٥١ ح ٣٦.

فقال ما قال وإنما قد دعونه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي كذلك يا أعرابي؟

فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال النبي ﷺ: «إنّ مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً، فقال لهم صاحب الناقة: خلّوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإني لو أطعتكم حيث قال ما قال للدخل النار».

❖ وفي حرب خيبر لما أسر المسلمون بعض اليهود ومن بينهم صفية بن حيّ بن أخطب، مرّ بلال بها على قتلاها فصاحت وصكت وجهها وحثّت التراب على رأسها وقد كادت تذهب روحها، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فقال لبلال: «أنزعت منك الرحمة يا بلال؟»^(٨٥).

٣. العفو

كان رسول الله ﷺ مضرب المثل في العفو والصفح عن المسيئين حتى أمن أعداؤه من مجازاته لهم.

ففي غزوة أُمّار بعد أن هزم القوم وسي ذريتهم، أصابهم المطر في طريق رجعتهم، فنزلوا وادياً تحت الأشجار فوضع النبي ﷺ سلاحه وذهب إلى الجانب الآخر من الوادي وحده.

فجاء السيل فحال بينه وبين أصحابه، وكان بعض المشركين على الجبل فرآه حين حال السيل بينه وبين أصحابه فجاءه واحد منهم يقال له: غورث بن الحارث وقال: أنا أقتله، فأتاه وقال: يا محمد من يمنحك منّي؟

فقال: الله تعالى يمنعي منك، فسلّ سيفه وأراد أن يضربه فدفعه النبي ﷺ في

^(٨٥) انظر بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٢ ب ٢٢ ضمن ح ١٧.

صدره دفعة فسقط السيف من يده، فوثب رسول الله ﷺ وأخذ سيفه وقال: من يخلصك مني؟

فقال: لا أحد.

فقال له: إن أسلمت أرد عليك سيفك، فقال: لا أسلم ولكن أعاهد الله تعالى ألا أكون عليك ولا لك أبداً، فرد عليه سيفه، فقال الرجل: يا محمد أنت خير مني لأنك قدرت على قتلي فلم تقتلني، فرجع الكافر إلى أصحابه فأخبرهم بالقصة فأمن بعضهم^(٨٦).

❖ وعن أنس قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبنة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك!

فسكت النبي ﷺ ثم قال: المال مال الله وأنا عبده - ثم قال - ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟

قال: لا.

قال: لم؟

قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة.

فضحك النبي ﷺ ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر.

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ كان يمشي ومعه بعض أصحابه، فأدركه أعرابي فجذبته جذباً شديداً وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأثرت الحاشية في عنقه ﷺ من شلة جذبه، ثم قال: يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه

(٨٦) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٧٥ ب ١٥.

رسول الله ﷺ فضحك وأمر بإعطائه^(٨٧).

❖ وفي فتح مكة لما ظفر النبي ﷺ واستولى على أشد أعدائه الذين فعلوا به وبالمسلمين الأفاعيل خاطبهم قائلاً: ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال ﷺ: «أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام: ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيكُمْ الْيَوْمَ﴾^(٨٨) اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٨٩).

٤. السخاء

كان رسول الله ﷺ أسخى الناس، وأجود بالخير من الريح الهابة، يعطي فلا يبخل، ويمنح فلا يمنع، ففي الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما منع رسول الله ﷺ سائلاً قط إن كان عنده أعطى وإلا قال: يأتي الله به»^(٩٠). ❖ وفي كشف الغمة: أنه ﷺ أعطى يوم هوازن من العطايا ما قوم بخمسائة ألف ألف^(٩١).

❖ وذات مرة أهدته امرأة بردة، وكان محتاجاً إليها، فلبسها، فرآها رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فقال ﷺ: نعم، ونزعها وأعطها له. ❖ روي عن الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ أقبل إلى الجعرانة فقسم فيها الأموال، وجعل الناس يسألونه فيعطيهم حتى أجنثوه إلى الشجرة فأخذت بردة وخذشت ظهره حتى جلوه عنها وهم يسألونه. فقال: «أيها الناس، ردوا عليّ بردي والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم ثم ما ألفيتموني جباناً ولا

^(٨٧) مجموعة ورام: ج ١ ص ٩٩ باب تهذيب الأخلاق.

^(٨٨) سورة يوسف: ٩٢.

^(٨٩) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٣٥ ب ٢٦ ح ٢٦.

^(٩٠) الكافي ج ٤ ص ١٥ باب كراهية رد السائل ح ٥.

^(٩١) كشف الغمة ج ١ ص ١٠ ذكر أسمائه.

بخيلاً» (٩٢).

❖ وروي أنه: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإنَّ محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

❖ ولما أعطى النبي ﷺ العطايا، قال صفوان: ما لي؟ فأوما رسول الله ﷺ إلى واد فيه إبل محملة فقال: «هذا لك». فقال صفوان: هذا عطاء من لا يخشى الفقر (٩٣).

وروي أنه ﷺ بذل جميع ماله في سبيل الله حتى قميصه، وبقي في داره عرياناً على حصير، إذ أتاه بلال وقال: يا رسول الله الصلاة، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (٩٤) وأتاه بحلة فردوسية (٩٥).

أقول: ومما يؤسف له حقاً أنَّ المسلمين الذين ينبغي أن يتبعوا النبي الأكرم ﷺ الذي كان يحمل هكذا أخلاق، كيف غيرهم المجتمع الجاهلي الغارق في الضلال دون أن يتأسوا بأخلاقه ﷺ ويتحلوا بسجاياه، فما أبعدنا اليوم عن أخلاق النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ وهذا من أسرار تخلفنا وتأخرنا وتقدم غيرنا علينا.

وكثير من المسلمين في يومنا هذا لا يعرفون شيئاً عن أخلاق النبي ﷺ، فما أحوجنا اليوم إلى تعريف الناس بأخلاقه ﷺ ليتأسوا به ويتحلوا بها.

خليفة النبي ﷺ

وفي يوم غدِير خم صرَّح رسول الله ﷺ بأمر من الله عزوجل على أن الولاية تكون من بعده لعلي بن أبي طالب ؑ دون غيره، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم

(٩٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٢٦ ب ٩ ح ٣٢.

(٩٣) تذكرة الفقهاء - العلامة الحلي: ج ٥ ص ٢٥٢ المسألة ٧٠.

(٩٤) سورة الإسراء: ٢٩.

(٩٥) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٨ علة كسوف الشمس.

كما كان رسول الله ﷺ كذلك، وهو الخليفة من بعده وحجة الله على أمته^(٩٦).
ثم ذكر رسول الله ﷺ أسماء خلفائه الاثني عشر وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام
بدءً بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن عليه السلام ثم الحسين عليه السلام ثم الأئمة
المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه).
ثم أخذ ﷺ البيعة من جميع الصحابة، فبايعوا علياً عليه السلام على إمرة المسلمين^(٩٧)،
ولكن القوم نكثوا بيعتهم بعد رسول الله ﷺ وانقلبوا على أعقابهم. قال تعالى:
﴿أَفَأِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٩٨).

^(٩٦) للتفصيل عن واقعة الغدير ورواته من الفريقين: راجع كتاب (الغدير) للعلامة الأميني رحمته الله.

^(٩٧) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧- ٣٨٨ ب ٣٦.

^(٩٨) سورة آل عمران: ١٤٤.

شهادة النبي ﷺ

من عقائد الإمامية أنّ رسول الله ﷺ مات مسموماً شهيداً، وذلك في الثامن والعشرين من شهر صفر المظفر بعد أن أوصى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ أن يغسله ويكفّنه، ويصلي عليه ويدفنه في البيت الذي يقبض فيه وهو بيت فاطمة (سلام الله عليها).

عن الشيخ المفيد رحمه الله قال: ثم ثقل ﷺ وحضره الموت وأمير المؤمنين ﷺ حاضر عنده، فلما قرب خروج نفسه قال له: «ضع رأسي يا علي في حجرك، فقد جاء أمر الله عزّ وجلّ فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل عليّ أول الناس، ولا تفارقني حتى توارييني في رمسي، واستعن بالله تعالى». فأخذ علي ﷺ رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه، فأكبت فاطمة ﷺ تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال^(٩٩) اليتامى عصمة للأرامل
ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنية، هذا قول عمك أبي طالب ﷺ لا تقولي، ولكن قولي: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ»^(١٠٠) فبكت طويلاً، فأومأ إليها بالدنو منه، فدنت فأسر إليها شيئاً تهلل له وجهها.

ثم قضى ﷺ ويد أمير المؤمنين ﷺ اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه ﷺ فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحها بها، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره^(١٠١).

(٩٩) الشمال: الغياث.

(١٠٠) سورة آل عمران: ١٤٤.

(١٠١) الإرشاد: ج ١ ص ١٨٦-١٨٧.

من كلامه ﷺ

لا يخفى أن كلام المعصوم ﷺ إمام الكلام لما فيه من الفصاحة والبلاغة والمواعظ المفيدة والحكم المهمة التي يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها، لأنّ كلامهم نور وهو فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق. وهذه بعض تلك الكلمات:

١. قال رسول الله ﷺ: «حسن الخلق يثبت المودة»^(١٠٢).
٢. وقال ﷺ: «من أخلاق النبيين والصدّيقين: البشاشة إذا تزاوروا، والمصافحة إذا تلاقوا»^(١٠٣).
٣. وقال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم»^(١٠٤). وفي حديث قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(١٠٥).
٤. وقال ﷺ: «صنفان من أمّتي إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء»^(١٠٦).
٥. وقال ﷺ: «صِل من قطعك، وأعط من حرّمك، واعف عنّ ظلمك»^(١٠٧).
٦. وقال ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»^(١٠٨).

(١٠٢) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٥٠ ب ٧ ح ٧١.

(١٠٣) مجموعة ورام: ج ١ ص ٢٩ باب الرسوم في معاشرّة الناس.

(١٠٤) الكافي: ج ١ ص ٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه ح ١.

(١٠٥) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٤٩ ب ٤ ح ٢١٢٥٠.

(١٠٦) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٧٠ الباب السادس عشر.

(١٠٧) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٥٢ ب ١٢ ح ١٨١٤٥.

(١٠٨) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨١ ومن ألفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي يسبق إليها

٧. وقال ﷺ: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله وبيتليك»^(١٠٩).
٨. وقال ﷺ: «إنّ الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».
٩. وقال ﷺ: «شر الناس يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شهرهم»^(١١٠).
١٠. وقال ﷺ: «القناعة مال لا ينفد»^(١١١).
١١. وقال ﷺ: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار»^(١١٢).
١٢. وقال ﷺ: «أبعدكم بي شبةً البخيل البذي الفاحش»^(١١٣).
١٣. وقال ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ»^(١١٤).
١٤. وقال ﷺ: «احثوا في وجوه المداحين التراب»^(١١٥).
١٥. وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً صبر حوائج الناس إليه».
١٦. وقال ﷺ: «ارحموا عزيزاً ذلّ، وغنياً افتقر، وعلماً ضاع في زمان جهل»^(١١٦).
١٧. وقال ﷺ: «استعينوا على أموركم بالكتمان، فإنّ كل ذي نعمة محسود»^(١١٧).
١٨. وقال ﷺ: «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه»^(١١٨).
١٩. وقال ﷺ: «أطلب العافية لغيرك ترزقها في نفسك».

ح ٥٨٢٦.

- (١٠٩) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٦١ ب ١٣١ ح ٣٢.
- (١١٠) وسائل الشريعة: ج ١٦ ص ٣١ ب ٧٠ ح ٢٠٨٨٩.
- (١١١) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٢٦ ب ٩ ح ١٨٠٧٢.
- (١١٢) المصباح للكفعمي: ص ٣٩٣ الفصل الخامس والثلاثون.
- (١١٣) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٤٩ ب ٧ ح ٦١.
- (١١٤) تنزيه الأنبياء ﷺ: ص ١٣٠ في تنزيه سيدنا محمد المصطفى ﷺ.
- (١١٥) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨١ ومن ألفاظ رسول الله ص الموجزة التي ح ٥٨٢٣.
- (١١٦) الكافي: ج ٨ ص ١٥٠ حديث من ولد في الإسلام ح ١٣١.
- (١١٧) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٥٣ ب ٧ ح ٩٨.
- (١١٨) منية المرید: ص ١٣٥ الأمر الأول.

٢٠. وقال ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(١١٩).
٢١. وقال ﷺ: «خير دينكم الورع»^(١٢٠).
٢٢. وقال ﷺ: «ذكر الله شفاء القلوب».
٢٣. وقال ﷺ: «الخير كثير، ومن يعمل به قليل»^(١٢١).
٢٤. وقال ﷺ: «شر الناس المضيّق على أهله».
٢٥. وقال ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»^(١٢٢).
٢٦. وقال ﷺ: «خير من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله»^(١٢٣).
٢٧. وقال ﷺ: «فكرة ساعة خير من عبادة سنة»^(١٢٤).
٢٨. وقال ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١٢٥).
٢٩. وقال ﷺ: «لا تغضب فإن الغضب مفسدة».
٣٠. وقال ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»^(١٢٦).

(١١٩) عدة الداعي : ص ٣١٤.

(١٢٠) مستدرک الوسائل : ج ١١ ص ٢٧٠ ب ٢١ ح ١٢٩٧٣.

(١٢١) إرشاد القلوب : ج ١ ص ١٨٤ الباب الحادي والخمسون.

(١٢٢) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة - الشهيد الأول : ج ٢ ص ٦٢ البحث الخامس في زيارة القبور.

(١٢٣) بحار الأنوار : ج ٧ ص ١٦٣ ب ٧ ح ١٧٣.

(١٢٤) مصباح الشريعة : ص ١١٤ الباب الثالث والخمسون.

(١٢٥) إرشاد القلوب : ج ١ ص ١٨٤ الباب الحادي والخمسون.

(١٢٦) مشكاة الأنوار : ص ٣١٩ ب ٨ ف ٧.

المعصوم الثاني:
الصديقة فاطمة
الزهاء

نسبها ﷺ

هي السيدة فاطمة الزهراء ﷺ بنت رسول الله محمد ﷺ.

والدها ﷺ:

خاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ.

والدتها ﷺ:

السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ.

ولادتها ﷺ:

وُلدت السيدة الزهراء ﷺ في العشرين من شهر جمادى الآخرة سنة خمسة بعد البعثة في مكة المكرمة، ولا يعتنى بقول من ادعى أنّ ولادتها ﷺ كانت لخمس سنوات قبل البعثة.

ألقابها ﷺ:

ألقاب السيدة الزهراء ﷺ كثيرة، وفي الخبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لفاطمة ﷺ تسعة أسماء عند الله عزّ وجل: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والمحدثّة، والزهراء» (١٢٧).

ومن ألقابها أيضاً: الحورية، الإنسية، العذراء، الشهيدة، الصابرة، قرة عين المصطفى، العالمة، المعصومة، حاملة البلوى، أمّ الخير، حليفة العبادة، تفاحة الجنة، المطهرة، وغيرها.

وجه تسميتها بفاطمة عليها السلام

ثم إن هناك وجوهاً عديدة في وجه تسميتها بفاطمة عليها السلام .. وردت في الروايات الشريفة، والتي أشرنا إلى بعضها في كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام) وكتاب (من حياة

(١٢٧) الأمالي للصدوق: ص ٥٩٢ المجلس السادس والثمانون ح ١٨.

فاطمة الزهراء عليها السلام).

ومن ذلك: أنها فطمت الأعداء الذين طمعوا في خلافة النبي صلى الله عليه وآله من الشرعية، ففضحتهم.. وأثبتت للعالم بأن الخلافة للإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) دون غيره.

روى العلامة المجلسي رحمته الله في البحار:

قال أبو الحسن عليه السلام: «لم سميت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقا بينه وبين الأسماء، قال: «إن ذلك لمن الأسماء ولكن الاسم الذي سميت به إن الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه فعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوج في الأحياء وأنهم يطمعون في وراثة هذا الأمر من قبله، فلما ولدت فاطمة سماها الله تبارك وتعالى فاطمة لما أخرج منها وجعل في ولدها ففطمهم عما طمعوا فبهذا سميت فاطمة فاطمة لأنها فطمت طمعهم ومعنى فطمت قطعت» (١٢٨).

كنيتها عليها السلام:

أمّ الحسن، وأمّ الحسين، وأمّ المحسن، وأمّ الأئمة، وأمّ أبيها.
وقالوا: من كناها عليها السلام أيضاً أمّ الأخيار، وأمّ الفضائل، وأمّ الأزهار، وأمّ العلوم، وأمّ الكتاب (١٢٩).

وجه تكنيتها بأمّ أبيها: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كناها بذلك، وكان صلى الله عليه وآله يظهر من محبتها وإجلالها ما يليق بالأم، فكان صلى الله عليه وآله يقبل يديها ويخصها بالزيارة أولاً عند عودته إلى المدينة المنورة، وكانت عليها السلام آخر من يودعها لدى سفره صلى الله عليه وآله، وتكنيته صلى الله عليه وآله إياها بأمّ أبيها نوع من إظهار مقامها العظيم.

(١٢٨) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٣ ب ٢ ح ٧ عن علل الشرائع.

(١٢٩) اللعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: ص ١٢٢ في كونها عليها السلام أم أبيها.

أو لأنها ﷺ كانت تبدي من المحبة والعطف على أبيها رسول الله ﷺ كما تبدي الأم لولدها.

من أشعارها ﷺ:

مما نسب للسيدة الزهراء ﷺ من أشعار، قولها في رثاء النبي ﷺ:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى	إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صبت علي مصائب لو أنها	صبت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد	لا أخش من ضيم وكان حما ليا
فاليوم أخضع للذليل وأتقي	ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليها	شجنا على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي	ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شم تربة أحمد	أن لا يشم مدى الزمان غواليا

خادمتها ﷺ:

هناك العديد من المؤمنات اللاتي تشرفن بخدمة الزهراء ﷺ، منهن:

❖ ١. السيدة فضة ﷺ:

وقد وهبها النبي ﷺ لها ﷺ بعد ما كثرت الفتوح والمغانم من خيبر، فتعلمت في مدرسة الزهراء ﷺ العلوم والآداب، فكانت لا تتكلم إلا بالقرآن أكثر من عشرين سنة.

يقول أبو القاسم القشيري: انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟

فقلت: ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١٣٠) فسلمتُ عليها، فقلت: ما تصنعين

ههنا؟

قالت: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مَّضِلٍّ﴾^(١٣١).

فقلت: أمن الجن أنت أم من الإنس؟

قالت: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾^(١٣٢).

فقلت: من أين أقبلت؟

قالت: ﴿يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(١٣٣).

فقلت: أين تقصدين؟

قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(١٣٤).

^(١٣٠) سورة الزخرف: ٨٩.

^(١٣١) سورة الزمر: ٣٧.

^(١٣٢) سورة الأعراف: ٣١.

^(١٣٣) سورة فصلت: ٤٤.

^(١٣٤) سورة آل عمران: ٩٧.

فقلت: متى انقطعت؟

قالت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (١٣٥).

فقلت: أتشتهين طعاماً؟

فقالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ (١٣٦) فأطعمتها، ثم قلت:

هرولي وتعجلي.

قالت: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (١٣٧).

فقلت: أردفك؟

فقالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (١٣٨)، فنزلت فأركبتها.

فقالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ (١٣٩).

فلما أدركننا القافلة قلت لها: ألك أحد فيها؟

قالت: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (١٤٠)، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ

رَسُولٌ﴾ (١٤١)، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ (١٤٢)، ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ (١٤٣) فصحت

بهذه الأسماء، فإذا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟

(١٣٥) سورة ق: ٣٨.

(١٣٦) سورة الأنبياء: ٨.

(١٣٧) سورة البقرة: ٢٨٦.

(١٣٨) سورة الأنبياء: ٢٢.

(١٣٩) سورة الزخرف: ١٣.

(١٤٠) سورة ص: ٢٦.

(١٤١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(١٤٢) سورة مريم: ١٢.

(١٤٣) سورة القصص: ٣٠.

قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١٤٤).

فلما أتوها قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ

الْأَمِينُ﴾^(١٤٥)، فكافوني بأشياء، فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١٤٦).

فزادوا عليّ، فسألتهم عنها، فقالوا: هذه أمنا فضة جارية الزهراء عليها السلام ما

تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن^(١٤٧).

❖ ٢. أم أيمن:

يقول علي بن معمر: خرجت أم أيمن إلى مكة لما توفيت فاطمة عليها السلام، وقالت:

لا أرى المدينة بعدها، فأصابها عطش شديد في الجحفة حتى خافت على نفسها، قال:

فكسرت عينها نحو السماء ثم قالت: يا ربّ أتعطشني وأنا خادمة بنت نبيك؟

قال: فنزل إليها دلو من ماء الجنة فشربت، ولم تجع ولم تطعم سبع سنين^(١٤٨).

فاطمة عليها السلام عند الله عز وجل

للصديقة فاطمة عليها السلام مقام عظيم عند الله عز وجل وجاه رفيع، فقبل خلق

البشرية شاءت إرادة الرب أن تكون لها عليها السلام خصائص تمتاز بها عن غيرها.

فعن عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لما خلق الله آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمينا العرش، فإذا في

^(١٤٤) سورة الكهف: ٤٦.

^(١٤٥) سورة القصص: ٢٦.

^(١٤٦) سورة البقرة: ٢٦١.

^(١٤٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٢١-١٢٢ فصل في سيرتها عليها السلام.

^(١٤٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١١٧ فصل في معجزاتها عليها السلام.

النور خمسة أشباح سجداً وركعاً، قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟
قال: لا يا آدم.

قال: فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟
قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة
أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا
السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الجن ولا الإنس.
فأنا محمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا ذو
الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين..

آليت بعزتي أنه لا يأتييني أحد بمثقال ذرة من خرط من بغض أحدهم إلا أدخلته
ناري ولا أبالي.

يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أحييهم وبهم أهلكم، فإذا كان لك إليّ
حاجة فبهؤلاء توسل.

فقال النبي ﷺ: نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن
كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت» (١٤٩).

فاطمة عند النبي ﷺ

تضافرت الأخبار عن النبي ﷺ في مقامات السيدة الزهراء عليها السلام ومنزلتها
العظيمة، وكثير منها تؤكد على حرمة إيذائها لأنه إيذاء النبي ﷺ وإيذائه إيذاء الله،
وهذه الروايات وردت عند الفريقين.

قال رسول الله ﷺ: «إن فاطمة شعرة مني، فمن آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن

(١٤٩) كتاب الأربعين: ص ٣٩٥ - ٣٩٦ توسل آدم ﷺ بأصحاب الكساء عليها السلام ح ٣١.

آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض» (١٥٠).

وقال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني» (١٥١).

وقال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني، يربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها» (١٥٢).

وقال عليه السلام: «إنما فاطمة مضغة مني، فمن آذاها فقد آذاني» (١٥٣).

وقال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني» (١٥٤).

وقال عليه السلام: «إنما فاطمة ابنتي بضعة مني، يربيني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها» (١٥٥).

وكان عليه السلام يقبل رأسها ويخاطبها قائلاً: «فداك أبوك» (١٥٦).

وفي خبر آخر أنه عليه السلام خاطبها قائلاً: «فداك أبي وأمي» (١٥٧).

وربما قبل يديها (١٥٨)، وصدرها (١٥٩).

وعن عائشة أنها قالت: إن النبي عليه السلام إذا قدم من سفر قبل نحر فاطمة عليها السلام

وقال: «منها أشم رائحة الجنة» (١٦٠).

(١٥٠) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٥٤ ب ٣ ضمن ح ٤٨.

(١٥١) دلائل الإمامة ص ١٣٥ خبر وفاتها عليها السلام.

(١٥٢) الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٧٠ ب ٩ ف ٥.

(١٥٣) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٥٩.

(١٥٤) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٦٦ ب ٥٠ ضمن ح ٣٨.

(١٥٥) المناقب: ج ٣ ص ٣٣٢ فصل في حب النبي إياها.

(١٥٦) شرح إحقاق الحق: ج ١٠ ص ١٨٥ كان رسول الله عليه السلام يقبل فاطمة.

(١٥٧) شرح إحقاق الحق: ج ١٠ ص ١٨٥ كان رسول الله عليه السلام يقبل فاطمة.

(١٥٨) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٥ ب ٣ ح ٢٢.

(١٥٩) جاء في بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٤٢ ب ٣ ضمن ح ٤٢: عن الإمام الباقر والإمام الصادق

عليهما السلام، أنه كان النبي عليه السلام لا ينام حتى يقبل عرض وجه فاطمة عليها السلام، الحديث.

(١٦٠) ينابيع المودة: ج ٢ ص ٥٩ - ٦٠ ب ٥٥ ح ٤٦، ينابيع المودة: ج ٢ ص ٣٢٢ المودة الحادي

وعن حذيفة قال: (كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقبل عرض وجنة فاطمة
عليها السلام) (١٦١).

فاطمة عند أمير المؤمنين عليه السلام

كانت للصديقة الزهراء عليها السلام منزلة عظيمة لدى أمير المؤمنين عليه السلام حتى أنه
عليه السلام كان يتباهى بها حيث اختاره الله زوجاً لها دون الناس أجمعين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في مناشدته مع ابن أبي قحافة: «فأنشدك بالله أنا الذي
اختارني رسول الله ﷺ وزوجني ابنته فاطمة عليها السلام وقال: الله زوجك إياها في
السماء، أم أنت؟» قال: بل أنت (١٦٢).

وقال عليه السلام في كتاب له إلى معاوية: «ما النبي ﷺ ومنكم المكذب، ومنا أسد الله
ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدي شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء
العالمين، ومنكم حمالة الحطب» (١٦٣).
وقال عليه السلام:

وحمزة سيد الشهداء عمي
يطير مع الملائكة ابن امي
منوط لحمها بدمي ولحمي
فأيكم له سهم كسهمي (١٦٤).

محمد النبي أخي وصنوي
وجعفر الذي يضحى ويمسي
وبنت محمد سكني وعرسي
وسبطا أحمد ولداي منها

ح ٩٤٥.

(١٦١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٩٥ في فضائل فاطمة عليها السلام.

(١٦٢) مصباح البلاغة في مشكلة الصياغة: ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ومن كلامه عليه السلام عند احتجاجه

على أبي بكر ٤٤/٢٦٤.

(١٦٣) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٢٨ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً.

(١٦٤) مصباح البلاغة: ج ٤ ص ١١٨ ومن كتبه عليه السلام كتبه إلى معاوية.

من معاجزها ﷺ :

ليس من سيرة أهل البيت ﷺ الاعتماد على المعاجز والخوارق دائماً في حياتهم الشخصية والاجتماعية، نعم في بعض الأحيان ولغرض هداية الناس وإظهار أحقيتهم في دعواهم، كان يقتضي الأمر أن يبينوا للناس كرامتهم على الله وصدقهم ومقاماتهم الرفيعة وذلك عبر المعاجز بإذن الله تعالى.

وفي سيرة كل معصوم من المعصومين ﷺ هناك مجموعة كبيرة من الكرامات والمعاجز التي تشد أو اصر المحبة وتقوي المعتقدات بهم، ومن المعاجز التي ظهرت من السيدة الزهراء ﷺ هي:

يا أبت هو من عند الله

عن أبي سعيد الخدري، قال: أهديت إلى رسول الله ﷺ قطيفة منسوجة بالذهب أهداها له ملك الحبشة، فقال رسول الله ﷺ: لأعطيها رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فمد أصحاب محمد رسول الله ﷺ أعناقهم إليها، فقال رسول الله ﷺ: أين علي عيسى؟

قال عمار بن ياسر: فلما سمعت ذلك وثبت حتى أتيت علياً عيسى فأتته فجاء فدفع رسول الله ﷺ القطيفة إليه، فقال: «أنت لها»، فخرج بها إلى سوق المدينة فنقضها سلكاً سلكاً، فقسمها في المهاجرين والأنصار ثم رجع عيسى إلى منزله وما معه منها دينار، فلما كان من غد استقبله رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا الحسن أخذت أمس ثلاثة آلاف مثقال من ذهب فإنا والمهاجرون والأنصار نتغدى غداً عندك.

فقال علي عيسى: نعم يا رسول الله، فلما كان الغد أقبل رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار حتى قرعوا الباب فخرج إليهم وقد عرق من الحياء لأنه ليس في منزله قليل ولا كثير، فدخل رسول الله ﷺ ودخل المهاجرون والأنصار حتى جلسوا

ودخل علي وفاطمة عليهما السلام فإذا هم بجفنة^(١٦٥) مملوءة ثريداً عليها عراق يفور منها ريح المسك الأزفر، فضرب علي عليه السلام بيده عليها فلم يقدر على حملها، فعاونته فاطمة عليها السلام على حملها حتى أخرجها فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ، فدخل ﷺ على فاطمة عليها السلام فقال: أي بنية أنى لك هذا؟

قالت عليها السلام: يا أبت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.
فقال رسول الله ﷺ: والحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى رأيت في ابنتي ما رأى زكريا في مريم بنت عمران^(١٦٦).

الملائكة تخدم فاطمة عليها السلام:

روي أنّ سلمان قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة، قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحي دم سائل، والحسين عليه السلام في ناحية الدار يبكي، فقلت: يا بنت رسول الله دبرت^(١٦٧) كفاك وهذه فضة!
فقلت: أوصاني رسول الله ﷺ أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً، فكان أمس يوم خدمتها.

قال سلمان: إني مولى عتاقة ما أن أطحن الشعير، أو أسكت لك الحسين عليه السلام؟
فقلت: أنا بتسكيتيه أرفق، وأنت تطحن الشعير. فطحنت شيئاً من الشعير فإذا أنا بالإقامة، فمضيت وصليت مع رسول الله ﷺ، فلما فرغت قلت لعلي عليه السلام: ما رأيت؟ فبكى وخرج ثم عاد يتبسم، فسأله عن ذلك رسول الله ﷺ.
قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وهي مستلقية لقفاه، والحسين عليه السلام نائم على صدرها، وقدّامها الرحي تدور من غير يد!

فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «يا علي أما علمت أنّ لله ملائكة سيارة في الأرض

^(١٦٥) الجفنة: القصة الكبيرة.

^(١٦٦) سعد السعود: ص ٩٠ - ٩١ حديث الجفنة النازلة من السماء.

^(١٦٧) دبرت: أي قرحت من مزاوله آلات العمل.

يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة»^(١٦٨).

القدر والنار

عن أنس، قال: سألتني الحجَّاج بن يوسف عن حديث عائشة، وحديث القدر التي رأت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي تحركها بيدها. قلت: نعم، أصلح الله الأمير، دخلت عائشة على فاطمة ؓ وهي تعمل للحسن والحسين ؓ حريرة بدقيق ولبن وشحم في قدر، والقدر على النار يغلي، وفاطمة (صلوات الله عليها) تحرك ما في القدر بإصبعها، والقدر على النار يبقب^(١٦٩)، فخرجت عائشة فزعة مذعورة حتى دخلت على أبيها. فقالت: يا أبة، إني رأيت من فاطمة الزهراء ؓ أمراً عجبياً رأيتها وهي تعمل في القدر، والقدر على النار يغلي، وهي تحرك ما في القدر بيدها!

فقال لها: يا بنية، اكتمي، فإن هذا أمر عظيم.

فبلغ رسول الله ﷺ فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنَّ الناس يستعظمون ويستكثرون ما رأوا من القدر والنار، والذي بعثني بالرسالة واصطفاني بالنبوة، لقد حرّم الله تعالى النار على لحم فاطمة ؓ ودمها وشعرها وعصبها، وفطم من النار ذريتها وشيعتها، إنَّ من نسل فاطمة ؓ من تطيعه النار والشمس والقمر والنجوم والجن، وتضرب الجن بين يديه بالسيف، وتوافي إليه الأنبياء بعهودها، وتسلم إليه الأرض كنوزها، وتنزل عليه من السماء بركات ما فيها، الويل لمن شك في فضل فاطمة، لعن الله من يبغض بعلها، ولم يرض بإمامة ولدها، إن لفاطمة ؓ يوم القيامة موقفاً، ولشيعتها موقفاً، وإنَّ فاطمة ؓ تدعى فتلي، وتشفع فتشفع على رغم كل راغم»^(١٧٠).

^(١٦٨) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٥٣٠ - ٥٣١ فصل في ذكر أعلام فاطمة البتول ؓ ح ٦.

^(١٦٩) البقبقة: حكاية صوت القدر في غليانه.

^(١٧٠) الثاقب في المناقب: ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ف ٤ ح ٢٥٠.

خير أسوة

إن الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام هي خير أسوة للناس كافة، سيما النساء، وكيف لا تكون أسوة لنا وهي أسوة للأئمة الأطهار عليهم السلام، ففي الحديث عن الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) قال: «وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة» (١٧١).

علمها عليها السلام:

كانت السيدة الزهراء عليها السلام علة غير معلمة، فهي بضعة النبي صلى الله عليه وآله وروحه التي بين جنبيه، والسنخية بينهما تقتضي أن تفوق عليها السلام الآخرين بعلمها، مضافاً إلى كونها حجة الله على الناس، بل هي عليها السلام حجة على الحجج المعصومين عليهم السلام من أولادها عليهم السلام.

عن حارثة بن قدامة قال: حدثني سلمان قال: حدثني عمار، وقال: أخبرك عجباً؟ قلت: حدثني يا عمار، قال: نعم شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام وقد وج على فاطمة عليها السلام فلما أبصرت به نادت: أدن لأحدثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة؟

قال عمار: فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام يرجع القهقري، فرجعت برجوعه إذ دخل على النبي صلى الله عليه وآله.. فقال صلى الله عليه وآله له: أدن يا أبا الحسن فدنا، فلما اطمأن به المجلس قال له: تحدثني أم أحدثك؟

قال: الحديث منك أحسن يا رسول الله، فقال: كأي بك وقد دخلت على فاطمة وقالت لك كيت وكيت فرجعت، فقال علي عليه السلام: نور فاطمة من نورنا؟

فقال صلى الله عليه وآله: أ و لا تعلم؟
فسجد علي عليه السلام شكراً لله تعالى.

(١٧١) غيبة الطوسي: ص ٢٨٦ ف ٤ ح ٢٤٥.

قال عمار: فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وخرجت بخروجه، فولج على فاطمة عليها السلام وولجت معه، فقالت: كأنك رجعت إلى أبي عليه السلام فأخبرته بما قلته لك؟ قال: كان كذلك يا فاطمة.

فقالت: «اعلم يا أبا الحسن إن الله تعالى خلق نوري وكان يسبح الله جل جلاله، ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت، فلما دخل أبي عليه السلام الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي عليه السلام ثم أودعني خديجة بنت خويلد عليها السلام، فوضعتني وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى» (١٧٢).

ولو لم يكن منها عليها السلام سوى خطبها الشهيرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وما حوت من العلوم والمعارف لكفى في الدلالة على علمها، وقد ذكرنا في كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام) بعض الفروع الفقهية المستنبطة من خطبتها.

❖ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: أي شيء خير للمرأة؟ فلم يجبه أحد منّا، فذكرت ذلك لفاطمة عليها السلام فقالت: ما من شيء خير للمرأة من أن لا ترى رجلاً ولا يراها، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «صدقت، إنها بضعة مني» (١٧٣).

❖ وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وحضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، فقالت: إن لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك.

فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، ثم ثنت، فأجابت، ثم ثلثت فأجابت إلى أن

(١٧٢) عيون المعجزات: ص ٤٦ - ٤٧ ومن دلائل فاطمة عليها السلام.

(١٧٣) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٢١٥ ذكر الدخول بالنساء ومعاشرتهن ح ٧٩٣.

عشّرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقّ عليك يا بنت رسول الله ﷺ.

قالت فاطمة ؓ: «هاتي وسلي عمّا بدا لك، أرايت من اكرتري يوماً يصعد إلى سطح يحمل ثقيل، وكراؤه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟»
فقالت: لا.

فقالت: «اكرتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لأولاً فأحرى أن لا يثقل عليّ، سمعت أبي رسول الله ﷺ يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور» (١٧٤).

❖ وقالت فاطمة ؓ وقد اختصم إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين: احديهما معاندة، والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجّتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً. فقالت فاطمة ؓ:

«إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإنّ حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها، وإنّ الله عزّ وجلّ قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة ؓ بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف ما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنّة في كل من يفتح على أسير مسكين، فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان له معداً من الجنان» (١٧٥).

عبادتها ﷺ:

كانت الصديقة الزهراء ؓ قمة في العبادة بعد أبيها رسول الله ﷺ وبعلمها أمير المؤمنين ؓ فهي ؓ أول امرأة عابدة، كانت تصلي وترتعد فرائصها من

(١٧٤) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج ١ ص ٦٠٠ - ٦٠١ ب ٣٥ ح ٩٣٩.

(١٧٥) الاحتجاج: ج ١ ص ١١.

خوف الله، وتقف في محرابها حتى تتورم قدمها، وتقوم الليل كله بالعبادة وخاصة في ليالي الجمعة.

قال النبي ﷺ في حقها ﷺ: «وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي، انظروا إلى أمّتي فاطمة سيدة إمائي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أنني قد أمنت شيعتها من النار» (١٧٦).

وفي الخبر أنها ﷺ ربما اشتغلت بصلاتها وعبادتها، فرجما بكى ولدها، فرؤي المهدي يتحرك، وكان ملك يحركه (١٧٧).

الجار ثم الدار

عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «رأيت أمّي فاطمة ﷺ قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟»
فقلت: «يا بني الجار ثم الدار» (١٧٨).

وقفه مع تسبيحها ﷺ

من الأمور التي منحها الرسول الأعظم ﷺ ابنته الزهراء ﷺ هو التسبيح المشهور بتسبيح الزهراء ﷺ أو تسبيح فاطمة ﷺ المؤكد عليه عقيب كل صلاة

(١٧٦) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٣٨ ب ٢ ح ١.

(١٧٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١١٦ باب مناقب الزهراء ﷺ.

(١٧٨) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٢ ب ١٤٥ ح ١.

وقبل المنام وفي سائر الأوقات.

ولهذا التسييح قصة مشهورة ينقلها أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كانت فاطمة عليها السلام تخدم وتقوم بمهنة بيتها، فأتعبتها الخدمة وأخلقتها وأثر الرحي في يدها ونالها من ذلك ضرر شديد.

وجاء إلى رسول الله ﷺ رقيق من سبي المشركين، فقلت لها عليها السلام: لو أنك مضيت إلى رسول الله ﷺ فاستخدمته خادماً يكفيك الخدمة، فمضت إلى رسول الله ﷺ فوجدته على شغل فانصرفت، فلما كان من غد أتانا ﷺ فوقف على الباب، ونحن في لفاعنا.

فقال: السلام عليكم يا أهل البيت.

فسكتنا حياء منه ﷺ فوثب فأخذت ثوبي، وقلت: وعليك السلام يا رسول الله ادخل فداك أبي وأمي، فدخل ﷺ وبقيت فاطمة في اللفاع.

فقال لها: ما كانت حاجتك أمس يا بنية؟

فاستحيت منه وسكتت، فخشيت أن يقوم ولا تذكر له شيئاً، فقلت: أنا أخبرك بحاجتها يا رسول الله، أصابها من الخدمة ضرر شديد، وبلغها أن رقيقاً جاءتك، فقلت لها: لو استخدمت رسول الله ﷺ خادماً، فجاءتك، لتذكر ذلك فوجدتك على شغل.

فقال لها النبي ﷺ: يا بنية ما جاءني من الرقيق ما يسع نساء جميع المسلمين، وما كنت بالذي أوثرك عليهن، ولكن أعطيك ما هو خير لك من خادم وخادمة، إذا انصرفت من صلاتك، أو آويت إلى مضجعك فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين تسييحاً، وكبريه ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، واحمديه ثلاثاً وثلاثين تحميلة، واختمي ذلك بشهادة أن لا إله إلا الله. وذلك ذكر الله بما هو أهله مائة مرة، تكون لك بذلك مائة حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فيكتب الله عز وجل لك في ذلك ألف حسنة، فذلك خير لك من خادم وخادمة ومن الدنيا وما فيها.

فأخرجت رأسها من اللفاع، فقالت: رضيت عن الله وعن رسول الله. ثلاثاً.

قال الإمام علي عليه السلام: «فما تركناها منذ سمعناها من رسول الله صلى الله عليه وآله بعد كل صلاة مكتوبة» (١٧٩).

ويظهر من الخبر عدة أمور:

١. ينبغي للإنسان أن يعتني بالأمر المعنوية أكثر من المادية.
٢. استحباب التسييح بتسييح الزهراء عليها السلام بعد كل صلاة وقبل النوم.
٣. إن تسييح الزهراء عليها السلام هو أفضل ذكر لله عز وجل بما هو أهله، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله إياها.

أدعيها عليها السلام :

تركت السيدة الزهراء عليها السلام العديد من الأدعية الشريفة العالية المضامين في مختلف المجالات، ومما يؤسف له أنّ كثيراً من الناس لا يعرفون من أدعية الزهراء عليها السلام سوى دعاء النور (١٨٠).

ومن أدعيها عليها السلام أيضاً:

١. دعاء لأداء القرض (١٨١).
٢. دعاء للمهمات (١٨٢).
٣. دعاء في الحوائج (١٨٣).
٤. دعاء للفرج من الحبس والضيق (١٨٤).

(١٧٩) شرح الأخبار: ج ٣ ص ٦٧ - ٦٨ تسيحة الزهراء عليها السلام ح ٩٩٣.

(١٨٠) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٦٧ - ٦٨ ب ٣ ح ٥٩.

(١٨١) مهج الدعوات: ص ١٤٢ دعاء آخر لفاطمة الزهراء عليها السلام.

(١٨٢) مهج الدعوات: ص ١٣٩ - ١٤١ دعاء علمها إياه رسول الله صلى الله عليه وآله وعليها.

(١٨٣) مهج الدعوات: ص ١٤١ دعاء آخر عن مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

(١٨٤) مهج الدعوات: ص ١٤٢ - ١٤٣ دعاء آخر لمولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

إيثارها ﷺ :

عاشت السيدة الزهراء ﷺ حياتها مؤثرة أمر الله تعالى ورسوله على نفسها، مقدمة طاعة المولى تعالى على كل شيء، فنالت بذلك ثناء الباري تعالى في قوله: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١٨٥).

وفي سيرتها العطرة ﷺ العديد من الشواهد الدالة على إيثارها. منها: أنها ﷺ لما سمعت بأنَّ أباهما ﷺ زوّجها وجعل الدراهم مهراً لها، قالت: يا رسول الله: إنّ بنات الناس يتزوجن بالدراهم، فما الفرق بيني وبينهن؟ أسألك تردّها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك، فنزل جبريل ﷺ ومعه بطاقة من حبر مكتوب فيها: «جعل الله مهر فاطمة الزهراء ﷺ شفاعة المذنبين من أمة أبيها»، فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: «إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة أمة أبي» (١٨٦).

وما أعظمها من التفاتة من سيدة نساء العالمين ﷺ حيث أعطت البشرية جمعاء درساً وهو أن لا يقتصر الإنسان دائماً على الماديات بل ينبغي له أن يجعل همّه الأكبر المعنويات.

بالإضافة إلى التفكير بالآخرين حتى في لحظات كهذه حيث تكون المرأة مستبشرة بمراسم الزواج، ففي لحظات سعيدة كهذه انشغلت السيدة الزهراء ﷺ بالمذنبين من الأمة وطلبت من الله عزّ وجل أن يجعل مهرها الشفاعة لهم.

❖ وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر،

(١٨٥) سورة الحشر: ٩.

(١٨٦) شرح إحقاق الحق: ج ١٠ ص ٣٦٧ كان صداقها شفاعتها لأمة أبيها ﷺ.

فلما انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينما هم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلل وأخلق وهو لا يكاد يتمالك كبيراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله ﷺ يستحثه الخبر، فقال الشيخ: يا نبي الله أنا جائع فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشي.

فقال ﷺ: ما أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يجب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة ؑ وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله ﷺ الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه، وقال: يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة ؑ.

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلما وقف على باب فاطمة ؑ نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل، من عند رب العالمين.

فقالت فاطمة ؑ: وعليك السلام فمن أنت يا هذا؟

قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيد البشر ﷺ مهاجراً من شقة وأنا يا بنت محمد عاري الجسد، جائع الكبد فواسيني يرحمك الله. وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال ورسول الله ﷺ ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله ﷺ ذلك من شأنهما.

فعمدت فاطمة ؑ إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين ؑ، فقالت: خذ هذا أيها الطارق! فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه.

قال الأعرابي: يا بنت محمد شكوت إليك الجوع فناولتيني جلد كبش ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب.

قال: فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب ؑ، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي فقالت: خذ

وبعه فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه، فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله والنبي ﷺ جالس في أصحابه، فقال: يا رسول الله أعطتني فاطمة بنت محمد ﷺ هذا العقد فقالت: بعه فعسى الله أن يصنع لك.

قال: فبكى النبي ﷺ وقال: وكيف لا يصنع الله لك وقد أعطتك فاطمة بنت محمد سيلة بنات آدم ﷺ.

فقام عمار بن ياسر (رحمة الله عليه) فقال: يا رسول الله أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: اشتره يا عمار فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار، فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟

قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتني وأصلي فيها لربي، ودينار يبلغني إلى أهلي.

وكان عمار قد باع سهمه الذي نفعه رسول الله ﷺ من خير ولم يبق منه شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً ومائتا درهم هجرية وبردة يمانية وراحتي تبلغك أهلك وشبعك من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بلمال أيها الرجل، وانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له. وعاد الأعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أشبعت واكتسيت؟

قال الأعرابي: نعم واستغنيت بأبي أنت وأمّي، قال: فأجز فاطمة ﷺ بصنيعها، فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبد سواك، وأنت رازقنا على كل الجهات، اللهم أعط فاطمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

فأمّن النبي ﷺ على دعائه وأقبل على أصحابه، فقال: إنّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك: أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعلي ﷺ بعلمها ولولا علي ما كان لفاطمة كفو أبداً، وأعطاهما الحسن والحسين ﷺ وما للعالمين مثلهما سيّدا شباب أسباط الأنبياء وسيّدا شباب أهل الجنة.

وكان بإزائه عليه السلام مقداد وعمار وسلمان. فقال عليه السلام: وأزيدكم؟
قالوا: نعم يا رسول الله، قال عليه السلام: أتاني الروح يعني جبرئيل عليه السلام أنها إذا هي
قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربك؟

فتقول: الله ربي، فيقولان: فمن نبيك؟

فتقول: أبي، فيقولان: فمن وليك؟

فتقول: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب عليه السلام.

«ألا وأزيدكم من فضلها: إن الله قد وكل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من
بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند
موتها يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها».

«فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة عليها السلام فكأنما
زارني، ومن زار علي بن أبي طالب عليه السلام فكأنما زار فاطمة عليها السلام، ومن زار الحسن
والحسين عليهما السلام فكأنما زار علياً عليه السلام ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما».

فعمد عمار إلى العقد، فطيبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه
سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بجير، فدفع العقد إلى المملوك، وقال له: خذ
هذا العقد فادفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بقول عمار، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انطلق إلى فاطمة عليها السلام فادفع إليها
العقد وأنت لها.

فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذت فاطمة عليها السلام العقد
وأعتقت المملوك، فضحك الغلام.

فقالت: ما يضحكك يا غلام؟

فقال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً،
وأعتق عبداً، ورجع إلى ربه ^(١٨٧).

(١٨٧) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٥٦ - ٥٨ ب ٣ ح ٥٠.

الزواج السماوي

روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام قال: هممت بتزويج فاطمة حيناً ولم أجسر أن أذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان ذلك يخلج في صدري ليلاً ونهاراً حتى دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي، قلت: لبيك يا رسول الله، فقال: هل لك في التزويج؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فظننت أنه يريد أن يزوجني بعض نساء قريش وقلبي خائف من فوت فاطمة عليها السلام ففارقته على هذا فو الله ما شعرت حتى أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أجب يا علي وأسرع، فأسرعت المضي إليه فلما دخلت ونظرت إليه فما رأيته أشد فرحاً من ذلك اليوم وكان في حجرة أم سلمة أبصرني فتهلل وتبسم حتى نظرت إلى بياض أسنانه ولها بريق وقال:

يا علي إن الله قد كفاني ما همني فيك من أمر تزويجك.

فقلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: أتاني جبرئيل ومعه من قرنفل الجنة وسنبلها قطعتان فناولنيهما فأخذتهما وشمتهما فسطع رائحة المسك ثم أخذهما مني فقلت: يا جبرئيل ما شأنهما؟ فقال: إن الله أمر سكان الجنة أن يزينوا الجنان كلها بمفارشها ونضودها وأنهارها وأشجارها، وأمر ريح الجنة التي يقال لها المثيرة فهبت في الجنة بأنواع العطر والطيب، وأمر الحور العين بقراءة سورتي طه ويس فرفعن أصواتهن بهما، ثم نادى مناد: ألا إن اليوم يوم وليمة فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب عليهما السلام رضا مني بهما، ثم بعث الله تعالى سحابة بيضاء فمطرت على أهل الجنة من لؤلئها وزبرجدها وياقوتها وأمر خدام الجنان أن يلتقطوها وأمر راحيل فخطب خطبة لم يسمع أهل السماء بمثلها ثم نادى تعالى: يا ملائكتي وسكان جنتي باركوا على نكاح فاطمة بنت محمد وعلي بن

أبي طالب فإني زوجت أحب النساء إليّ من أحب الرجال إليّ بعد محمد ﷺ ..
ثم قال ﷺ: يا علي أبشر أبشر فإني زوجتك بابنتي فاطمة على ما زوجك
الرحمن من فوق عرشه وقد رضيت لها ولك ما رضي الله لكما فدونك أهلك وكفى
يا علي برضاي رضى فيك.

فقال علي ﷺ: يا رسول الله أ و بلغ من شأني أن أذكر في أهل الجنة ويزوجني
الله تعالى في ملائكته.

فقال ﷺ: يا علي إن الله إذا أحب عبداً أكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر، فقال علي: يا رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت
عليّ، فقال النبي ﷺ: آمين..

في بيت فاطمة عليها السلام

هناك العديد من الدروس والعبر في حياة السيدة الزهراء عليها السلام الزوجية حري بكل مسلم يريد السعادة لأسرته أن يأخذها بعين الاعتبار، منها:

المهر القليل:

حثَّ أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم الشريفة على تقليل المهور، والتأكيد على الإيمان والأخلاق الحسنة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً»^(١٨٨).

المراد بصباحة الوجه، صباحته بنور الإيمان.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تذاكروا الشؤم عند أبي، فقال: الشؤم في ثلاث: في المرأة والدابة والدار، فأما شؤم المرأة فكثرت مهرها وعقم رحمها»^(١٨٩).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله للحولاء: «والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً، ما من امرأة ثقلت على زوجها المهر إلاّ ثقل الله عليها سلاسل من نار جهنم»^(١٩٠).

وقد شاءت إرادة الرب تعالى أن يكون للبشرية في الصديقة الزهراء عليها السلام خير أسوة في قلة المهر وهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ليتأسى المسلمون بها ويدركوا أنّ قيمة المرأة ليست بالمهر، وإلاّ فمثل فاطمة عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله على جلالتها تمهر بذلك المهر القليل؟

ففي الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت لي مولاة لي: هل علمت أنّ فاطمة قد خطبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيزوجك،

^(١٨٨) الكافي: ج ٥ ص ٣٢٤ باب خير النساء ح ٤.

^(١٨٩) الكافي: ج ٥ ص ٥٦٧ - ٥٦٨ باب نواذر ح ٥١.

^(١٩٠) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٦٨ ب ٥ ضمن ح ١٧٥٥٦.

فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟

قالت: إنك إن جئت إلى رسول الله ﷺ زوجك، فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ و كان لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم، فقال رسول الله ﷺ: ما جاء بك أ لك حاجة؟ فسكت.

فقال ﷺ: لعلك جئت تخطب فاطمة عليها السلام؟

فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟

فقلت: لا والله يا رسول الله.

قال: ما فعلت الدرع التي سلحتكها؟

فقلت: عندي، فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية، ما ثمنها أربعمائة درهم،

فقال ﷺ: «قد زوجتكها فابعث بها إليها»^(١٩١).

(١٩١) ذخائر العقبى: ص ٢٧ ذكر ما جاء في مهرها وتزويجها ودخولها على علي عليه السلام.

المتاع البسيط

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لما أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله خاطباً ابنته فاطمة عليها السلام قال: وما عندك لتسعدني؟ قلت: له ليس عندي إلا بعيري وفرسي ودرعي، فقال: أما بعيرك فحامل أهلك، وأما فرسك فلا بد لك منه تقاتل عليه، وأما درعك فقد زوجك الله بها».

قال: «فخرجت من عنده والدرع على عاتقي الأيسر فذهبت إلى سوق الليل فبعتها بأربعمائة درهم سود هجرية ثم أتيت بها إلى النبي صلى الله عليه وآله فصبيتها بين يديه، فو الله ما سألني عن عددها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله سري الكف فدعا بلالاً وملاً قبضته وقال: يا بلال ابتع بها طيباً لابنتي فاطمة عليها السلام ثم دعا أم سلمة وقال لها يا أم سلمة ابتاعي لابنتي فراشاً من مجلس مصر واحشيه ليفاً واتخذي لها مدرعة وعباءة قطوانية ولا تتخذي أكثر من ذلك فيكونا من المسرفين، وصبرت أياماً ما أذكر فيها شيئاً لرسول الله صلى الله عليه وآله من أمر ابنته حتى دخلت على أم سلمة فقالت لي: لم لا تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله يدخلك على أهلك؟ قلت: أستحي منه أن أذكر له شيئاً من هذا، فقالت أم سلمة: ادخل عليه فإنه سيعلم ما في نفسك، قال: فدخلت عليه صلى الله عليه وآله ثم خرجت ثم دخلت ثم خرجت فقال: أحسبك أنك تشتهي الدخول على أهلك؟ قلت: نعم فذاك أبي وأمي يا رسول الله، فقال: غداً إن شاء الله (١٩٢).

وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل بعض الصحابة وأعطاهم ثلاثة وستين درهماً من ثمن الدرع فانطلقوا واشتروا فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف، ونطعاً من آدم، ووسادة من آدم حشوها من ليف النخل، وعباءة خيرية، وقربة للماء وكيزاناً، وجراراً، ومطهرة للماء، وستر صوف رقيقاً، وحملوه جميعاً حتى وضعوه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه، ثم رفع رأسه إلى السماء

(١٩٢) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٨٨ ب ١ ح ٥٣.

وقال: «اللهم بارك لقوم جل أنيتهم الخبز» (١٩٣).

أقول: هذه دعامة أساسية في نجاح الأسرة وهي دعامة البساطة وعدم الاتكال على التجمّلات التي تعيق الزواج، فينبغي للمسلمين اليوم أن يتأسّوا ببيت علي وفاطمة عليهما السلام ويؤسسوا حياتهم الزوجية على ما يرضي الله عزّ وجل وليس على الماديات والتجمّلات الدنيوية.

الوئام الأسري:

الوئام الأسري الذي شهده بيت الصديقة الزهراء عليها السلام هو خير مثال للوئام الأسري في الإسلام وخير دليل على أهلية الإسلام في خلق الجو الملائم للأسرة، ففي الحديث أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في حق زوجته فاطمة عليها السلام:

«فو الله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجل، ولا عصتُ لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان» (١٩٤).

❖ وذات مرة أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الزهراء عليها السلام وقال لها: يا فاطمة كيف وجدت بعلك؟ فقالت عليها السلام: خير بعل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا بنية، نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً» (١٩٥).

❖ وفي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف وجدت أهلك؟ فقال عليه السلام: نعم العون على طاعة الله. وسأل صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام فقالت: خير بعل.

فقال عليه السلام: اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة

(١٩٣) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٦٩ في ذكر تزويجه عليه السلام بفاطمة عليها السلام.

(١٩٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٧٣ في ذكر تزويجه عليه السلام بفاطمة عليها السلام.

(١٩٥) كشف الغمة: ج ١ ص ٣٧٣ في ذكر تزويجه عليه السلام بفاطمة عليها السلام.

جنة النعيم (١٩٦).

فما أحوج أسرنا اليوم أن تقتدي بأهل البيت عليهم السلام وتسير على خطاهم وتتبع وصاياهم في خلق الوثام الأسري من خلال:

١. أن لا يغضب الزوج زوجته وكذا العكس، وهذا قد لا يمكن مائة في المائة، ولكن يسعى الإنسان أن يحقق ذلك قدر الإمكان.
٢. عدم إكراه الزوج لزوجته بل يتعامل معها على أنها شريكة لحياته.
٣. عدم عصيان الزوجة لزوجها.
٤. أن يسعى كل من الزوجين ليكون سكناً للآخر، بحيث لما يراه الآخر تنكشف همومه وتزول أحزانه.
٥. أن يكون كل من الزوجين عوناً للآخر على طاعة الله عز وجل.

القناعة في الطب

ومما يستفاد أيضاً من الدروس الأسرية من بيت أمير المؤمنين عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام: عدم تكليف الزوج ما لا يطيقه.

ففي الخبر أنّ الإمام علي عليه السلام أصبح ذات يوم فقال لفاطمة عليها السلام: «يا فاطمة هل عندك شيء تغذينيه؟»

قالت عليها السلام: «والذي أكرم أبي عليه السلام بالنبوة ما أصبح اليوم عندي شيء أغذيكه، وما كان عندي شيء منذ يومين إلا ما كنت أوثرك به على نفسي وعلى هذين. تعني الحسن والحسين عليهما السلام».

قال: «فهلا كنت ذكرت ذلك لي، فأبغىكم شيئاً؟»

قالت: «إني لأستحي من الله أن أكلفك ما لا تقدر عليه ولا تجده» (١٩٧).

(١٩٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٣١ - ١٣٢ باب مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام.

(١٩٧) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ج ٢ ص ٤٠١ ح ٧٤٦ حديث الدينار.

التربية الحسنة:

ومما يستفاد أيضاً من بيت الزهراء عليها السلام في المجال التربوي الدروس التالية:
إظهار المحبة للأولاد وتكريمهم كما كانت الصديقة عليها السلام تصنع بأولادها عليهم السلام
وتظهر محبتها لهم، ويشهد له ما في حديث الكساء من قولها عليها السلام للحسنين عليهما السلام:
«يا قرّة عيني وثمرة فؤادي».

وينبغي أيضاً توقير الأولاد واحترامهم ومنحهم الشخصية من خلال مدحهم
وذكر فضائلهم، كما كانت تفعل الزهراء عليها السلام مع أولادها.
ومن الأمور التربوية المستوحاة من سيرة الزهراء عليها السلام هي تشويق الصغار
وحثهم على نقل الفضائل والمواظ على كل ما هو خير وتحفيظهم إياها، ففي التأريخ
أن الإمام الحسن عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين فيسمع
الوحي فيحفظه فيأتي أمه عليها السلام فيلقي إليها ما حفظه.

فلما دخل أمير المؤمنين عليه السلام عليها وجد عندها علماً فسأها عن ذلك، فقالت:
من ولدك الحسن عليه السلام، فتخفى يوماً في الدار وقد دخل الحسن عليه السلام وقد سمع الوحي
فأراد أن يلقيه إليها فارتج عليه، فعجبت أمّه من ذلك، فقال: لا تعجبين يا أمه فإنّ
كبيراً يسمعني واستماعه قد أوقفني، فخرج علي فقبّله ^(١٩٨).

طاعة الزوج:

تعتبر مسألة طاعة الزوج والانقياد له من الأمور التي لها دورها في نجاح الحياة
الأسرية، وما نشهده اليوم من خلافات زوجية كثير منها يرجع إلى عدم الانقياد
والشواهد على ذلك كثيرة.

وهنا تظهر عظمة الصديقة الزهراء عليها السلام التي أعطت البشرية جمعا خيرا
دروس في انقياد الزوجة لزوجها، فلما طلب أبو بكر وعمر من أمير المؤمنين عليه السلام

^(١٩٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٧٥ باب إمامة أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام.

عيادتها بعد أن كانت تردهما، دخل عليها الإمام علي عليه السلام وقال لها: قد سألاني أن استأذن لهما عليك؟

فقالت عليها السلام: والله لا آذن لهما ولا أكلمهما كلمة من رأسي حتى ألقى أبي عليه السلام فاشكوهما إليه بما صنعاه وارتكبه مني.

فقال الإمام علي عليه السلام: فإني ضمنت لهما ذلك.

قالت: إن كنت قد ضمنت لهما شيئاً فالبیت بيتك والنساء تتبع الرجال، لا أخالف عليك بشيء فأذن لمن أحببت (١٩٩).

وفي خبر آخر: أنهما جلسا عند باب بيتها عليها السلام ودخل أمير المؤمنين عليه السلام عليها وقال لها: أيتها الحرّة فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلمّا عليك، فما تريدين؟

قالت عليها السلام: البیت بيتك، والحرّة زوجتك، افعل ما تشاء (٢٠٠).

فدخلها عليها وهي أدارت بوجهها عنهما وقالت: والله ولا أرضى عنكما أبداً (٢٠١).

فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مرّت على الصديقة الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مآسي ومصائب كثيرة جداً لو أنها صبّت على الأيام صرن ليالياً، حيث تآمر القوم على بيت الرسالة وتوافقوا على غضب حق أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة، فتركوه مشغولاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتأمروا في سقيفة بني ساعدة وأدلوها بها إلى ابن أبي قحافة.

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وينازع القوم في حقه، ولما فرغ من تجهيزه صلى الله عليه وآله وسلم كانوا قد بايعوا أبا بكر خلافاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطالبوا علياً عليه السلام

(١٩٩) علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٧ ب ١٤٩ ح ٢.

(٢٠٠) كتاب سليم بن قيس: ص ٣٩١ وقائع السقيفة على لسان ابن عباس ح ٤٨.

(٢٠١) كتاب سليم بن قيس: ص ٣٩٢ وقائع السقيفة على لسان ابن عباس ح ٤٨.

بالبيعة له، وإلى ذلك يشير الشاعر في قوله:

بايعوه وبعدها طلبوا البيعة منه لله ريب الدهور
آنذاك ومع قلة الناصر كان للسيئة الزهراء عليها السلام دور عظيم في الدفاع عن إمام
زمانها وحياته، حيث عرّت بموقفها القوم وكشفت للتأريخ ظلامه أهل البيت عليهم السلام
الذين نَحَّوا عن مناصبهم وجير عليهم من قبل الأمة التي انقلبت على أعقابها، كما
قال عز وجل:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢٠٢).

وعند ما رأى القوم أن الصديقة فاطمة عليها السلام لا تسكت عن حق بعلها أمير
المؤمنين عليه السلام في الخلافة، عزموا على قتلها، فهجموا على الدار وأحرقوا بيت فاطمة
عليها السلام وقاموا بضربها وعصرها بين الحائط والباب حتى ألفت جينها الذي سماه
رسول الله ﷺ محسنًا فقتلوه، وبعد ذلك أصبحت الصديقة عليها السلام طريحة فراش
المرض وأخذت تعاني مما لاقته من القوم حتى ماتت مظلومة شهيدة.

ومن خلال دراسة قصة الصديقة فاطمة عليها السلام بعد أبيها رسول الله ﷺ يتضح
لنا حقائق كثيرة منها:

❖ أولاً: عدم التزام القوم بوصية النبي ﷺ الذي أوصى كراماً ومراراً بعدم
أذية الصديقة فاطمة عليها السلام حيث قال ﷺ: «رضا فاطمة رضي و غضبها غضي»
فخالفوا وصيته فيها وآذوها.

❖ ثانياً: إن الخلافة حق لأمير المؤمنين علي عليه السلام دون غيره، وإلا فكيف تطالب
الصديقة فاطمة عليها السلام بما ليس من حقها وحق بعلها، والقرآن قد شهد لها ولبعليها

(٢٠٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

بالعصمة والتطهير من كل رجس. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٢٠٣).

❖ ثالثاً: أن القوم اغتصبوا فداك، وخالفوا آيات الإِث في القرآن الكريم.

حيث قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (٢٠٤).

وقوله تعالى أيضاً على لسان يحيى بن زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ

مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (٢٠٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٢٠٦).

وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (٢٠٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى

الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٠٨).

ومن الواضح أن فاطمة عليها السلام لم تكن تطالب بما ليس من حقها.

❖ ابعاً مخالفة القوم لسنة النبي صلى الله عليه وآله وما هو متسالم بين المسلمين في الدعاوى

من أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، ففي الخبر أنها عليها السلام قالت: «أليس

في يدي وفيها وكيلي وقد أكلت غلتها ورسول الله صلى الله عليه وآله حي؟»

قالا: بلى.

قالت عليها السلام: «فلم تسألاني في البينة على ما في يدي؟»

(٢٠٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢٠٤) سورة النمل: ١٦.

(٢٠٥) سورة مريم: ٥ - ٦.

(٢٠٦) سورة الأنفال: ٧٥.

(٢٠٧) سورة النساء: ١١.

(٢٠٨) سورة البقرة: ١٨٠.

قالا: لأنها فيء المسلمين!، فإن قامت بيعة والّا لم نمضها.

قالت عليها السلام لهما والناس حولهما يسمعون: «أفتريدان أن تردا ما صنع رسول الله ﷺ وتحكما فينا خاصة بما لم تحكما في ساير المسلمين؟ أيها الناس اسمعوا ما ركب هؤلاء القوم».

قالت عليها السلام: «أرأيتما إن ادعيت ما في أيدي المسلمين من أموالهم تسألونني البيعة أم تسألونهم؟»

قالا: لا بل نسألك.

قالت عليها السلام: «فإن ادعى جميع المسلمين ما في يدي تسألونهم البيعة أم تسألونني؟» فغضب عمر وقال: إنّ هذا فيء المسلمين وأرضهم وهي في يدي فاطمة تأكل غلتها فإن أقامت بيعة على ما ادعت أن رسول الله ﷺ وهبها لها من بين المسلمين وهي فيئهم وحقهم نظرنا في ذلك.

فقالت عليها السلام: «حسي، أنشدكم بالله أيها الناس أما سمعتم رسول الله ﷺ يقول: إنّ ابنتي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة؟»

قالوا: اللهم نعم قد سمعناه من رسول الله ﷺ.

قالت: «أفسيدة نساء الجنة تدعى الباطل وتأخذ ما ليس لها؟»

أرأيتم لو أن أربعة شهدوا علي بفاحشة أو رجلان بسرقة كنتم مصدقين علي؟ فأما أبو بكر فسكت وأما عمر فقال: نعم ونوقع عليك الحد!!.

فقالت عليها السلام: «كذبت ولوئمت إلا أن تقر أنك لست على دين محمد ﷺ إنّ الذي يجيز على سيدة نساء أهل الجنة شهادة أو يقيم عليها حداً للملعون كافر بما أنزل الله على محمد ﷺ إنّ من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً لا تجوز عليهم شهادة لأنهم معصومون من كل سوء مطهرون من كل فاحشة» (٢٠٩).

(٢٠٩) كتاب سليم بن قيس: ص ٢٢٦ - ٢٢٧ بدع واعتراضات أبي بكر وعمر في الدين ح ١٤.

وهكذا يتبين الحق من الباطل لمن ألقى التعصب وأخذ بدراسة موقف الزهراء عليها السلام من ابن أبي قحافة وابن الخطاب، فإن موقفها منهما يدل على أنهما غصبا الخلافة وغصبا فديكاً، وخالفا القرآن والعترة والسنة.

شهادتها عليها السلام

وهكذا ماتت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام مظلومة شهيدة بسبب تلك الهجمة الحاقدة على دارها وما قام به الثاني وبأمر من الأول من ضربها وكسر ضلعها وقتل جنينها.

فلم تعش السيدة الزهراء عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على رواية سوى خمسة وسبعين يوماً قضتها بالحزن والبكاء على أبيها والتأسف لما رأت من القوم في حقها، ففي روضة الواعظين، قال:

«إن فاطمة عليها السلام لا زالت بعد النبي صلى الله عليه وآله معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن من المصيبة بموت النبي صلى الله عليه وآله وهي مهمومة مغمومة محزونة، مكروبة كثيبة حزينة، باكية العين، محترقة القلب، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة، وفي كل ساعة وحين تذكره وتذكر الساعات التي كان يدخل عليها فيعظم حزنها، وتنظر مرة إلى الحسن عليه السلام ومرة إلى الحسين عليه السلام وهما بين يديها عليها السلام فتقول: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟ أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ فإننا لله وإنا إليه راجعون، فقد والله جدكما وحبيب قلبي ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكم، ثم مرضت مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت (صلوات الله عليها)» (٢١٠).

وفي بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وآله قبيل وفاته لاحظ ما نزل بالزهراء عليها السلام من

(٢١٠) روضة الواعظين: ص ١٥٠ - ١٥١ مجلس في ذكر وفاة فاطمة عليها السلام.

حزن وغم فأسرّها بسر لم يعرف القوم ما هو، ولما سُئلت فيما بعد عنه قالت: «إنه أخبرني أنني أسرع أهله به لحوقاً» (٢١١).

من كلماتها عليها السلام

على الرغم أنّ الصديقة الزهراء عليها السلام لم تعش سوى ١٨ سنة إلا أنها عليها السلام تركت من الخطب والمواعظ القيمة ما تشتمل على كنوز العلوم والمعارف، كما يظهر ذلك لمن تدبر في خطبتها الشريفة في المسجد. ومن كلماتها أيضاً:

١. قالت عليها السلام في حديث طويل: «أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترته نبيه ﷺ، ما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف وخلف عن خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين عليه السلام» (٢١٢).

٢. قالت عليها السلام في جواب النبي ﷺ حين سألها «أي شيء خير للمرأة؟»: «أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل»، فضمّها النبي ﷺ إليه وقال: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (٢١٣)، (٢١٤).

٣. قالت عليها السلام: «حبّ إليّ من دنياكم ثلاث: تلاوة كتاب الله، والنظر في وجه رسول الله ﷺ، والإنفاق في سبيل الله».

٤. قالت عليها السلام: «البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار» (٢١٥).

(٢١١) شرح إحقاق الحق: ص ٤٨٠ حديث أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي.

(٢١٢) الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٢٣ ب ١٠ ف ٣.

(٢١٣) سورة آل عمران: ٣٤.

(٢١٤) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٨٤ ب ٤ ضمن ح ٧.

(٢١٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٥٤ في مداراة النواصب ح ٢٤٣.

٥. قالت عليه السلام: «إن أبي عليه السلام نظر إلى علي عليه السلام وقال: هذا وشيعته في الجنة» (٢١٦).

٦. قالت عليه السلام: «إن نَفراً من الملائكة تشاجروا في شيء، فسألوا حكماً من الآدميين، فأوحى الله تعالى إليهم أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي طالب عليه السلام» (٢١٧).

٧. قالت عليه السلام: «من أصدد إلى الله خالص عبادته أهبط الله إليه أفضل مصلحته» (٢١٨).

٨. قالت عليه السلام: «خياركم أئنيكم مناكب، وأكرمهم لنسائهم» (٢١٩).

٩. قالت عليه السلام: «واحمدوا الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السماوات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبته، ونحن ورثة أنبيائه» (٢٢٠).

١٠. قالت عليه السلام: قال لي رسول الله عليه السلام: «يا فاطمة من صلى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنة» (٢٢١).

١١. قالت فاطمة بنت رسول الله عليه السلام: «قال لي رسول الله عليه السلام: أ لا أبشرك، إذا أراد الله أن يتحف زوجة وليه في الجنة بعث إليك تبعين إليها من حليكِ» (٢٢٢).

١٢. عن فاطمة بنت رسول الله عليه السلام أنها أتت رسول الله عليه السلام ومعها الحسن والحسين عليهما السلام في مرضه الذي توفي فيه، قالت: «يا رسول الله، إن هذين لم تورثهما

(٢١٦) ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٢ ص ٣١٤ المودة العاشرة ح ٩٠٣.

(٢١٧) الاختصاص: ص ٢١٣ في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

(٢١٨) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٧ التواضع وفضل خدمة الضيف ح ١٧٧.

(٢١٩) دلائل الإمامة: ص ٧٦ مسندها عليه السلام ح ١٥.

(٢٢٠) شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢١١ الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتب الشيعة ورجالهم.

(٢٢١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٢١١ ب ١٤ ح ١١٨٧٧.

(٢٢٢) دلائل الإمامة: ص ٦٧ مسندها عليه السلام ح ٣.

شيئاً». قال: «أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جرأتي وجودي» (٢٢٣).

١٣. عن فاطمة عليها السلام، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا حبيبة أبيها كل مسكر حرام وكل مسكر خمر» (٢٢٤).

١٤. عن فاطمة عليها السلام قالت: «أتيت النبي ﷺ فقلت: السلام عليك يا أبة. فقال: وعليك السلام يا بنية.

فقلت: والله ما أصبح يا نبي الله في بيت علي حبة طعام، ولا دخل بين شفثيه طعام منذ خمس، ولا أصبحت له ثاغية ولا راغية، وما أصبح في بيته سفة ولا هفة.

فقال: ادني مني.

فدنوت منه.

فقال: أدخلني يدك بين ظهري وثوبي. فإذا حجر بين كتفي النبي ﷺ مربوط

بعمامته إلى صدره، فصاحت فاطمة عليها السلام صيحة شديدة

فقال لها: ما أوقدت في بيوت آل محمد نار منذ شهر!

ثم قال ﷺ: أ تدرين ما منزلة علي عليه السلام كفاني أمري وهو ابن اثني عشرة

سنة، وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ست عشرة سنة، وقتل الأبطال وهو ابن

تسع عشرة سنة، وفرج همومي وهو ابن عشرين سنة، ورفع باب خيبر وهو ابن

نيف وعشرين كان لا يرفعه خمسون رجلاً. فأشرق لون فاطمة عليها السلام ولن تقر قدميها

مكانها حتى أتت علياً عليه السلام فإذا البيت قد أنار بنور وجهها.

فقال لها علي عليه السلام: يا ابنة محمد ﷺ لقد خرجت من عندي ووجهك على غير

هذه الحال!

فقالت: إن النبي ﷺ حدثني بفضلك فما تماكنت حتى جئتك.

(٢٢٣) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٤٩ السادس في علمه عليه السلام.

(٢٢٤) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٥٨ ب ١١ ح ٢٠٧٣٩.

فقال لها: كيف لو حدثك بكل فضلي» (٢٢٥).

١٥. عن الحسين عليه السلام عن أمه فاطمة عليها السلام، قالت: قال لي أبي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إياك والبخل! فإنه عاهة لا تكون في كريم. إياك والبخل! فإنه شجرة في النار وأغصانها في الدنيا، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله النار. والسقاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الجنة» (٢٢٦).

١٦. عن زيد بن علي عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن فاطمة عليها السلام قالت: «سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إن في الجمعة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه إياه. قالت: فقلت: يا رسول الله، أية ساعة هي؟ قال: إذا تدلى نصف عين الشمس للغروب». قال: فكانت فاطمة عليها السلام تقول لغلامها: اصعد على الظراب فإذا رأيت نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فأعلمني حتى أدعو» (٢٢٧).

١٧. عن يحيى بن عبد الله، عن الذي أفلت من الثمانية، قال: لما أدخلنا الحبس قال علي بن الحسن: اللهم إن كان هذا من سخط منك علينا فاشدد حتى ترضى. فقال له عبد الله بن الحسن: ما هذا يرحمك الله! ثم حدثنا عبد الله عن فاطمة الصغرى، عن أبيها، عن جدتها فاطمة الكبرى عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات لم يسبقهم الأولون ولم يدركهم الآخرون». فقلت: نحن ثمانية. قال: هكذا سمعت. قال: فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى وأصابوني وبني رمق فسقوني ماءً وأخرجوني فعشت» (٢٢٨).

(٢٢٥) دلائل الإمامة: ص ٧٠ مسندها عليها السلام ح ٨.

(٢٢٦) دلائل الإمامة: ص ٧١ مسندها عليها السلام ح ١٠.

(٢٢٧) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ٣٨٤ ب ٤١ ح ٩٦٤٧.

(٢٢٨) دلائل الإمامة: ص ٧٢ مسندها عليها السلام ح ١١.

المعصوم الثالث:

الإمام علي بن

أبي طالب

نسبه ﷺ :

هو الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم عليه السلام.
وفي الخبر عنه عليه السلام قال: «أنا اسمي في الإنجيل ألياً، وفي التوراة بري»، وفي الزبور
أري، وعند الهند كبكر، وعند الروم بطريسا، وعند الفرس جبر، وعند الترك بشير،
وعند الزنج حيتر، وعند الكهنة بوي، وعند الحبشة بشريك، وعند أمي حيدرة، وعند
ظفري ميمون، وعند العرب علي، وعند الأرمن فريق، وعند أبي ظهير» (٢٢٩).

والده ﷺ :

أبو طالب مؤمن قريش، المسمّى بعبد مناف بن عبد المطلب شيبه الحمد، وقيل
اسمه عمران، ناصر رسول الله ﷺ في رسالته، والمضحّي للإسلام ببنيه ونفسه حتى
قال ابن أبي الحديد في حقه:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاماً
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جس الحماما (٢٣٠)
وقد اتهمه بعض المخالفين بالكفر بغضاً منهم لولده أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد قال الإمام علي عليه السلام: «والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشم
ولا عبد مناف صنماً قط!»
قيل له: فما كانوا يعبدون؟

قال: «كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به» (٢٣١).

والدته عليها السلام :

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهو وأخوته أول هاشمي ولدوا من

(٢٢٩) مصباح البلاغة: ج ١ ص ١٣١ - ١٣٢ خطبة رقم ٤٧ كلامه عليه السلام لما بلغه أن معاوية يسبه
وبعبيه ويقتل أصحابه.

(٢٣٠) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ٨٤ اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب.

(٢٣١) كمال الدين: ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٥ ب ١٢ ح ٣٢.

ولادته ﷺ:

ولد ﷺ بمكة في الكعبة الشريفة يوم الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من شهر رجب الأصب بعد عام الفيل بثلاثين سنة.

وفي الخبر عن الإمام الصادق ﷺ قال: «كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أمير المؤمنين ﷺ، وكانت حاملة بأمر المؤمنين ﷺ لتسعة أشهر، وكان يوم التمام.

قال: فوقفت بإزاء البيت الحرام، وقد أخذها الطلق، فرمت بطرفها نحو السماء، وقالت: أي رب، إني مؤمنة بك، وبما جاء به من عندك الرسول، وبكل نبي من أنبيائك ﷺ، وبكل كتاب أنزلته، وإني مصدقة بكلام جدِّي إبراهيم الخليل ﷺ، وإنه بنى بيتك العتيق، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه، وبهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسي بحديثه، وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك لما يسرت عليّ ولادتي.

قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعب: لما تكلمت فاطمة بنت أسد ﷺ ودعت بهذا الدعاء، رأينا البيت قد انفتح من ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله تعالى، فرمنا أن نفتح الباب ليصل إليها بعض نسائنا، فلم يفتح الباب، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى، وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام.

قال: وأهل مكة يتحدّثون بذلك في أفواه السكك، وتتحدث المخدرات في حدودهن.

قال: فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعليّ ﷺ على يديها، ثم قالت: معاشر الناس، إنّ الله عزّ وجل

اختارني من خلقه، وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عبدت الله سرّاً في موضع لا يجب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، ومريم بنت عمران حيث اختارها الله، ويسر عليها ولادة عيسى، فهزّت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنيماً، وإنّ الله تعالى اختارني وفضلني عليهما، وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين، لأنني ولدت في بيته العتيق، وبقيت فيه ثلاثة أيام أكل من ثمار الجنة وأوراقها، فلما أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال:

«يا فاطمة، سمّيه علياً، فأنا العلي الأعلى، وإنني خلقتك من قدرتي، وعزّ جلالتي، وقسط عدلي، واشتقت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وفوضت إليه أمري، ووقفته على غامض علمي، وولد في بيتي، وهو أول من يؤذن فوق بيتي، وبكسر الأصنام ويرميها على وجهها، ويعظمني ويمجدني ويهللني، وهو الإمام بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي محمد ﷺ رسولي، ووصيه، فطوبى لمن أحبه ونصره، والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقه».

قال: فلما رآه أبو طالب ﷺ سره وقال ﷺ: السلام عليك يا أبه ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم دخل رسول الله ﷺ، فلما دخل اهتز له أمير المؤمنين ﷺ وضحك في وجهه، وقال: السلام عليك، يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته.

قال: ثم تنحنح بإذن الله تعالى وقال:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٢٣٣) إلى آخر الآيات.

فقال رسول الله ﷺ: قد أفلحوا بك.

(٢٣٣) سورة المؤمنون: ١ - ٢.

وقرأ تمام الآيات إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢٣٣)

فقال رسول الله ﷺ: «أنت والله أميرهم، تديرهم^(٢٣٤) من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون».

ثم قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «اذهبي إلى عمه حمزة فبشره به».

فقال: فإذا خرجت أنا، فمن يرويه!

قال: أنا أرويه.

فقال فاطمة: أنت ترويه!

قال: نعم، فوضع رسول الله ﷺ لسانه في فيه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً،

قال: فسمي ذلك اليوم يوم التروية، فلما أن رجعت فاطمة بنت أسد رأت نوراً قد

ارتفع من علي عليه السلام إلى عنان السماء^(٢٣٥).

صفته عليه السلام :

كان ربعة من الرجال، أدعج العينين، حسن الوجه كأنه القمر ليلة البدر حسناً،

ضخم البطن، عريض المنكبين، شتن الكفين، أغيد^(٢٣٦) كأن عنقه إبريق فضة، أصلع

كث اللحية، لمنكبيه مشاش^(٢٣٧) كمشاش السبع الضاري، لا يبين عضده من ساعده

وقد أدمجت إدمجاً، إن أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس،

شديد الساعد واليد، إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، منصور

(٢٣٣) سورة المؤمنون: ١٠ - ١١.

(٢٣٤) تديرهم: يقال: ماره يديره: أي أناه بالطعام.

(٢٣٥) أمالي الطوسي: ص ٧٠٦ - ٧٠٩ المجلس ٤٢ ح ١٥١١.

(٢٣٦) الأغيد: هو الذي مالت عنقه ولانت أعطافه.

(٢٣٧) المشاش: رأس العظم.

على من لاقاه^(٢٣٨).

ألقابه عليه السلام:

لقبه رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وخصه بهذا اللقب، ولا يجوز هذا اللقب لغيره حتى بقية الأئمة عليهم السلام.

ومن ألقابه عليه السلام أيضاً: سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الأوصياء، وسيد العرب، وغيرها.

كنيته عليه السلام :

كنيته المشهورة: أبو الحسن.

وكني أيضاً بأبي الحسين، وأبي السبطين، وأبي الريحانتين، كما كناه رسول الله ﷺ بأبي تراب لما رآه ساجداً معفراً وجهه في التراب.

نقش خاتمه عليه السلام :

«الملك لله».

عن عبد خير قال: كان لعلي عليه السلام أربعة خواتيم يتختم بها: ياقوت لنبله، وفيروزج لنصرته، والحديد الصبني لقوته، وعقيق لحرزه، كان نقش الياقوت: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين»، ونقش الفيروزج: «الله الملك الحق»، ونقش الحديد الصبني: «العزة لله جميعاً»، ونقش العقيق ثلاثة أسطر: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، أستغفر الله»^(٢٣٩).

ولا منافاة بينها وبين ما ذكر لإمكان الجمع بخاتم آخر.

أشعاره عليه السلام:

ما نسب للإمام عليه السلام من الشعر فهو كثير، وقد جمع بعضها في ديوان باسمه

(٢٣٨) كشف الغمة: ج ١ ص ٧٧ صفته عليه السلام.

(٢٣٩) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٩٨ ب ٦٠ ح ٦٠٣١.

الشريف، منها:

كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يأكلوا ما بين رطب ويايس
وقبر العزيز الباذخ المتنافس^(٢٤٠)

سلام على أهل القبور الدوارس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة
ألا خبروني أين قبر ذليلكم
❖ وله عليه السلام أيضاً:

أرحني فقد أفنيت كل خليل
كأنك تنحو نحوهم بدليل^(٢٤١)

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي
أراك مضراً بالذين أحبهم

خادمه عليه السلام :

قنبر، وكان (رضوان الله عليه) شديد الحب والتعلق بأمير المؤمنين عليه السلام . عده البرقي رحمته الله من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من مضر^(٢٤٢)، والشيخ المفيد رحمته الله ذكره من خواص أصحابه عليه السلام^(٢٤٣) ومن السابقين المقربين منه عليه السلام^(٢٤٤) .

كان (رضوان الله عليه) مشكوراً ثقة عدلاً مرضياً عند أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شهد عليه السلام بعدالته عندما رد شهادته شريح القاضي وقال: هذا مملوك ولا أفضي بشهادة مملوك. فقال عليه السلام: «وما بأس بشهادة المملوك إذا كان عدلاً؟»^(٢٤٥) .

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان قنبر غلام علي يجب علياً عليه السلام حباً شديداً، فإذا خرج علي (صلوات الله عليه) خرج على أثره بالسيف. فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر، ما لك! فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين. قال: ويحك أ من أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟. فقال: لا بل من أهل الأرض. فقال: إن أهل الأرض لا

^(٢٤٠) نظم درر السبطين : ص ١٧٣ مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

^(٢٤١) ديوان الإمام علي عليه السلام : ص ٣٨٠ تمنيه الموت عند استشهاد عمار بن ياسر .

^(٢٤٢) رجال البرقي : ص ٤ من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من مضر .

^(٢٤٣) الاختصاص : ص ٤ المقدمة .

^(٢٤٤) الاختصاص : ص ٧ ذكر السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام .

^(٢٤٥) انظر الكافي : ج ٧ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ باب شهادة الواحد و يمين المدعي ح ٥ .

يستطيعون لي شيئاً إلا بإذن الله من السماء فارجع، فرجع» (٢٤٦).

وعن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام: «إن قنبراً مولى أمير المؤمنين عليه السلام أدخل على الحجاج بن يوسف. فقال له: ما الذي كنت تلي من علي بن أبي طالب؟ فقال: كنت أوضئه. فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ فقال: كان يتلو هذه الآية ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ * فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (٢٤٧).

فقال الحجاج: أظنه كان يتأولها علينا؟ قال: نعم. فقال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟ قال: إذا أسعد وتشقى، فأمر به» (٢٤٨).

وقد قتله الحجاج (لعنة الله عليه) على شدة حبه لأمر المؤمنين عليهم السلام. فقد ذكر المؤرخون أن الحجاج قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرب إلى الله بدمه! فقيل له: ما نعلم أحداً أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاة. فطلبه فأتي به فقال: أنت قنبر؟ قال: نعم. قال: مولى علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي، وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي. قال: ابرأ من دينه. قال: دلني على دين أفضل منه. قال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك. قال: قد صيرت ذلك إليك. قال: لم؟ قال: لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، ولقد خبرني أمير المؤمنين عليه السلام أن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق. فأمر به فذبح» (٢٤٩).

كما كان (رضوان الله عليه) على قدر عالٍ من البيان، والفصاحة والبلاغة فإنه تلميذ أمير البيان عليه السلام، ذكر الكشي في رجاله أنه سئل قنبر مولى من أنت؟

فقال: أنا مولى من ضرب بسيفين، وطعن برمحين، وصلى القبليتين، وباع

(٢٤٦) الكافي: ج ٢ ص ٥٩ باب فضل اليقين ح ١٠.

(٢٤٧) سورة الأنعام: ٤٤ - ٤٥.

(٢٤٨) رجال الكشي: ص ٧٤ - ٧٥ قنبر ح ١٣٠.

(٢٤٩) كشف الغمة: ج ١ ص ٢٧٨ فصل في ذكر كراماته وما جرى على لسانه من إخباره بالمغيبات.

البيعتين، وهاجر الهجرتين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا مولى صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وخير الوصيين، وأكبر المسلمين، ويعسوب المؤمنين، ونور المجاهدين، ورئيس البكاءين، وزين العابدين، وسراج الماضين، وضوء القائمين، وأفضل القانتين، ولسان رسول رب العالمين، وأول المؤمنين من آل ياسين، المؤيد بجبريل الأمين، والمنصور بميكائيل المتين، والمحمود عند أهل السماء أجمعين، سيد المسلمين والسابقين، وقاتل الناكثين والقاسطين، والحامي عن حرم المسلمين، ومجاهد أعدائه الناصيين، ومطفى نيران الموقدين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله، أمير المؤمنين، ووصي نبيه في العالمين، وأمينه على المخلوقين، وخليفة من بعث إليهم أجمعين، سيد المسلمين والسابقين، وقاتل الناكثين والقاسطين، ومبيد المشركين، وسهم من مرآمي الله على المنافقين، ولسان كلمة العابدين، ناصر دين الله، وولي الله، ولسان كلمة الله، وناصره في أرضه، وعيبة علمه، وكهف دينه، إمام الأبرار، من رضي عنه العلي الجبار. سمح سخي، حيي بهلول سنححي، زكى مطهر، أبطحي باذل، جري همام، الصابر صوام، مهدي مقدم. قاطع الأصلاب، مفرق الأحزاب، عالي الرقاب. أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأشدهم شكيمة، بازل باسل، صنديد هزبر، ضرغام حازم، عزام حصيف، خطيب محجاج. كريم الأصل، شريف الفضل، فاضل القبيلة، نقي العشيرة، زكى الركانة، مؤدي الأمانة، من بني هاشم، وابن عم النبي ﷺ والإمام. مهدي الرشاد، مجانب الفساد، الأشعث الحاتم، البطل الجماجم، والليث المزاحم. بدري مكّي، حنفي روحاني، شعشعاني، من الجبال شواهقها، ومن ذي الهضاب رعوسها، ومن العرب سيدها، من الوغاء ليثها. البطل الهمام، والليث المقدام، والبدر التمام. محل المؤمنين، ووارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، والله أمير المؤمنين حقاً حقاً علي بن أبي طالب، عليه من الله الصلوات الزكية والبركات السننية (٢٥٠).

(٢٥٠) رجال الكشي: ص ٧٢ - ٧٤ قنبر ح ١٢٩.

ولقنبر (رضوان الله عليه) ولد يروي عنه اسمه أحمد، وله حفيد اسمه قنبر روى عن أبيه أحمد وعنه أيضاً.

وقال بعض إن كثير بن طارق القنبري هو من ولد قنبر مولى أمير المؤمنين صلوات الله عليه^(٢٥١). كما ذكر النجاشي في رجاله بأن عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري له كتب قد ذكرها الناس، منها: كتاب أخبار قنبر^(٢٥٢)، وقد ذكر الكشي جملة من هذه الأخبار الدالة على جلاله قدر قنبر (رضوان الله عليه) ورفع منزلته^(٢٥٣).

علاقة الإمام عليّ السلام برسول الله صلى الله عليه وآله

تربّى الإمام عليّ السلام في حجر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ونشأ في بيته، وإلى ذلك يشير عليّ السلام في قوله: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقراة القريبة، والمنزلة الخصبية. وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمّني عرفه.

وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطله في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بجراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة صلى الله عليه وآله وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي

(٢٥١) مستدركات علم رجال الحديث: ج ٦ ص ٢٩٩ ترجمة رقم ١١٩٦٥.

(٢٥٢) رجال النجاشي: ص ٢٤٣ ترجمة رقم ٦٤٠.

(٢٥٣) رجال الكشي: ص ٧٢ - ٧٥ قنبر.

والرسالة، وأشم ريح النبوة» (٢٥٤).

وقد عبّر الله عزّ وجلّ عن أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن الكريم بنفس رسول الله ﷺ حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (٢٥٥).

وذكر رسول الله ﷺ في كثير من الأخبار منزلة الإمام عليه السلام، منها:

وقوله عليه السلام: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» (٢٥٦).

وقوله عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» (٢٥٧).

وقوله عليه السلام: «علي منّي وأنا من علي» (٢٥٨).

وقوله عليه السلام: «علي منّي بمنزلة رأسي من بدني» (٢٥٩).

وقوله عليه السلام: «علي منّي كنفسني» (٢٦٠).

وقوله عليه السلام: «إنّ منزلة علي منّي كمنزلة مني من الله» (٢٦١).

وقوله عليه السلام: «علي منّي كجلدي، علي مني كلحمي، علي منّي كعظمي، علي منّي

كدمي في عروقي» (٢٦٢) الحديث.

(٢٥٤) نهج البلاغة، الخطب: رقم ١٩٢ ومن خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة، فضل الوحي.

(٢٥٥) سورة آل عمران: ٦١.

(٢٥٦) أمالي الصدوق: ص ٧٧ المجلس الثامن عشر ح ٨.

(٢٥٧) الكافي: ج ٨ ص ١٠٧ حديث أبي بصير مع المرأة ح ٨٠.

(٢٥٨) أمالي الصدوق: ص ٩ المجلس الثاني ح ٧، ص ٦٥٩ المجلس الرابع والتسعون ح ١٢.

(٢٥٩) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٦٣ ذكر أنه من رسول الله ﷺ بمنزلة الرأس من الجسد.

(٢٦٠) أمالي الصدوق: ص ٨٩ المجلس العشرون ح ١.

(٢٦١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام: ص ٢٩٣ ح ١٠٨.

(٢٦٢) غاية المرام: ج ١ ص ٣٣٧ ب ١٤ ح ٢٠، غاية المرام: ج ٢ ص ١٨١ ب ٢٢ ح ٥٩.

وقوله عليه السلام: «علي منِّي كجلدة ما بين العين والحاجب» (٢٦٣).

وقوله عليه السلام: «أنت منِّي كالضوء من الضوء» (٢٦٤).

وقوله عليه السلام: «أنا وأنت من شجرة واحدة» (٢٦٥).

وقوله عليه السلام: «علي منِّي كخاتمي من ظهري، من جحد ما بين ظهري من النبوة فقد كفر» (٢٦٦).

قالوا في الإمام علي عليه السلام

كثّر الملاحون لأمر المؤمنين عليه السلام من المخالفين والموافقين حتى فاق كلامهم حد الإحصاء، نشير إلى بعضها:

❖ ما ورد عن عائشة قالت: رأيت أبا بكر يكثّر النظر إلى وجه علي، فقلت: يا أبة، أراك تكثّر النظر إلى وجه علي؟! فقال: يا بنية سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة» (٢٦٧).

❖ وقال عبد الله بن عباس: سمعت عمر وعنده جماعة فتذكروا السابقين إلى الإسلام، فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه ثلاث خصال، لوددت أن تكون لي واحدة منهن، وكانت أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب النبي صلى الله عليه وآله على منكب علي عليه السلام فقال له: «يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت منِّي بمنزلة هارون من موسى» (٢٦٨).

(٢٦٣) أمالي الطوسي: ص ٢٩٥ المجلس الحادي عشر ح ٥٧٩.

(٢٦٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٢١٧ فصل في الاختصاص.

(٢٦٥) العمدة: ص ٢٥٨ ف ٣٥.

(٢٦٦) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٢٨ ب ٦٧ ضمن ح ٣٩.

(٢٦٧) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٩٥ ذكر أن النظر إليه عبادة.

(٢٦٨) الأربعون حديثاً: ص ٢٠ قول عمر بن الخطاب في علي عليه السلام ثلاث خصال ووددت أن لي

❖ وروى ابن أبي الحديد عن عمر أنه قال: «والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعدُ أفضى الأمة، وذو سابقتها، وذو شرفها» (٢٦٩).

❖ وقالت عائشة: «أما إنه أعلم الناس بالسنة» (٢٧٠).

❖ وعن مسروق، قال: سألتني عائشة: من قتل الخوارج؟ قلت: علي بن أبي طالب عليه السلام. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة». وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع الحق والحق مع علي» (٢٧١).

❖ وعن جابر بن عبد الله قال: ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار إلا ببغضهم علياً عليه السلام (٢٧٢).

❖ وعن حذيفة بن اليمان، قال: كنا نعبد الحجارة، ونشرب الخمر وعلي من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي ﷺ ليلاً ونهاراً، وقريش يومئذ تسافه رسول الله ﷺ ما يذب عنه إلا علي عليه السلام (٢٧٣).

❖ وعن ابن عباس: (إنّ علياً علّمَ علّمه رسول الله ﷺ ورسول الله علّمه الله، فعلم النبي ﷺ علم الله وعلم علي من علم النبي ﷺ وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر) (٢٧٤).

واحدة منهن.

(٢٦٩) شرح نهج البلاغة: ج ١٢ ص ٨٢ نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه.

(٢٧٠) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٧٨ ذكر أنه أعلم الناس بالسنة.

(٢٧١) شرح الأخبار: ج ٢ ص ٥٩ - ٦٠ نعود إلى ذكر الأحاديث ح ٤٢١.

(٢٧٢) العمدة: ص ٢١٦ ف ٢٦ ح ٣٣٤.

(٢٧٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢٣٤ القول في إسلام أبي وعلي وخصائص كل منهما.

(٢٧٤) نهج الإيمان: ٢٩٤ فضيلة العلم.

خصائص أمير المؤمنين عليه السلام

كانت لأمر المؤمنين عليه السلام خصائص كثيرة، لم يؤتها أحد قبله ولا بعده، ومنها:

١. ولادته عليه السلام في الكعبة الشريفة.

٢. زواجه عليه السلام من الصديقة فاطمة عليها السلام.

٣. جعل الله الحسين عليه السلام في ذريته عليه السلام.

في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأمر المؤمنين عليه السلام: «يا علي، أعطيت ثلاثاً. قلت: فداك أبي وأمي وما أعطيت؟ قال: أعطيت صهراً مثلي، وأعطيت مثل زوجتك فاطمة، وأعطيت ولديك الحسن والحسين»^(٢٧٥).

٤. لقب «أمير المؤمنين»، ففي الخبر سئل الإمام الصادق عليه السلام عن القائم عليه السلام يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟

قال عليه السلام: «لا، ذاك اسم سمي الله به أمير المؤمنين عليه السلام لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر».

قال: جعلت فداك، كيف يسلم عليه؟

قال: «يقولون: السلام عليك يا بقية الله»^(٢٧٦).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لم يتسم باسم أمير المؤمنين غير علي عليه السلام إلا مفتر كذاب»^(٢٧٧).

خصال أمير المؤمنين عليه السلام

جمعت في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام صفات لم تجمع في أحد قبله ولا بعده، وقد

^(٢٧٥) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٢٨ مجلس في ذكر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

^(٢٧٦) الكافي: ج ١ ص ٤١١ - ٤١٢ باب نادر ح ٢.

^(٢٧٧) مستدرک سفينة البحار: ج ١ ص ١٨٠ انحصار لقب أمير المؤمنين عليه السلام به.

جمعت فيه ﷺ الأضداد من المكارم، وإلى ذلك يشير صفي الدين الحلبي رحمه الله (٢٧٨):

جمعت في صفاتك الأضداد زاهد حاكم حلِيم شجاع
شيم ما جمعن في بشر قط خلق يخجل النسيم من اللطف
جل معنك أن يحيط به الشعر فلهذا عزت لك الأنداد
ناسك فاتك فقير جواد ولا حاز مثلهن العباد
وبأس يذوب منه الجماد وتحصي صفاته النقاد

علمه ﷺ :

كان أمير المؤمنين ﷺ أعلم الناس وأفقههم بعد رسول الله ﷺ، والشواهد على ذلك كثيرة تفوق الإحصاء، منها:

١. تصريح النبي ﷺ بأعلميته على الأمة حيث قال ﷺ: «أعلمكم علي» (٢٧٩)، وقوله ﷺ: «علي أعلمكم علماً وأقدمكم سلماً» (٢٨٠).

وقال ﷺ: «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب» (٢٨١).

٢. رجوع الأمة إليه ﷺ قاطبة، عوامها وعلماؤها، في مختلف المسائل المعضلة، وعدم رجوعه ﷺ إليهم ولو في مسألة واحدة.

٣. مناشدته ﷺ الأمة أن تسأله عن كل العلوم حيث قال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين الجوانح مني علماً جماً، هاه هاه ألا لا أجد من يحملي، ألا وإني عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة

(٢٧٨) الشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن أبي الحسن علي الطائي السنسي، أديب معروف، اشتهر بمحسنته البديعة. ولد في الحلة سنة ٦٧٧ هـ/١٢٧٨ م ونشأ بها، وتوفي ببغداد سنة ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م أو ٧٥٢ هـ/١٣٥١ م.

(٢٧٩) الكافي: ج ٧ ص ٤٢٤ باب النوادر ح ٦.

(٢٨٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٢ فصل في المسابقة بالعلم.

(٢٨١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٣٢ فصل في المسابقة بالعلم.

كما يئس الكفار من أصحاب القبور» (٢٨٢).

وهذه المقولة لم يدعها أحد غير أمير المؤمنين عليه السلام إلا قد فُضح فوراً وتبين كذبه: إنَّ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي والي مكة والمدينة والموسم لهشام بن عبد الملك، حج بالناس سنة ١٠٧ وخطب بمنى، ثم قال: سلوني فأنا ابن الوحيد، لا تسألوا أحداً أعلم مني. فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية أو أجابة هي؟. فما درى أي شيء يقول له، فنزل عن المنبر (٢٨٣).

وعن مقاتل بن سليمان، قال إبراهيم الحربي: قعد مقاتل بن سليمان، فقال: سلوني عما دون العرش إلى لويثا. فقال له رجل: آدم حين حج من حلق رأسه؟. قال: فقال له: ليس هذا من عملكم، ولكن الله أراد أن يتليني بما أعجبتني نفسي (٢٨٤).

وعن سفيان بن عيينة قال: قال مقاتل بن سليمان يوماً: سلوني عما دون العرش، فقال له إنسان: يا أبا الحسن، أ رأيت الذرة أو النملة أمعاؤها في مقدمها أو مؤخرها؟.

قال: فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له، قال سفيان: فظننت أنها عقوبة عوقب بها (٢٨٥).

٤. تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ألف باب من العلم يُفتح له من كل باب

(٢٨٢) التوحيد: ص ٩٢-٩٣ ب ٤ ح ٦.

(٢٨٣) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: ج ٧ ص ٢٦١ ذكر من اسم أبيه هشام، ترجمة رقم ٥٣٥.

(٢٨٤) تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ١٦٥ ذكر من اسمه مقاتل ترجمة رقم ٧١٤٣.

(٢٨٥) تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ١٦٧ ذكر من اسمه مقاتل ترجمة رقم ٧١٤٣.

٥. علمه بجميع الأديان والمبادئ، حتى قال ﷺ: «أما والله لو نثيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة، فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في». وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في». وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في».

وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٢٨٧) (٢٨٨).

٦. إذعان وإقرار الجميع بأعلميته، فعن ابن عباس وقد قيل له: أين علمك من علم علي ﷺ؟ قال: كقطرة في البحر المحيط (٢٨٩).

❖ وروي أن رجلاً أتى به إلى عمر بن الخطاب، وكان قد قال لجماعة من الناس لما سألوه: كيف أصبحت؟

فقال: أصبحت أحب الفتنه، وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأؤمن بما لم أره، وأقر بما لم يخلق!.

فرفع إلى عمر، فأرسل إلى علي ﷺ فلما جاءه أخبره بمقالة الرجل، قال: صدق، يجب الفتنه قال الله تعالى: ﴿أَتَمَّا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَفِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٩٠).

(٢٨٦) بصائر الدرجات: ص ٣٠٢ ب ١٦ ح ١.

(٢٨٧) سورة الرعد: ٣٩.

(٢٨٨) أمالي الصدوق: ص ٣٤١ - ٣٤٢ المجلس الخامس والخمسون ح ١.

(٢٨٩) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم: ج ١ ص ١٥٥ ب ٧ ف ١.

(٢٩٠) سورة التغابن: ١٥.

ويكره الحق يعني الموت، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (٢٩١).

ويصدق اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٩٢).

ويؤمن بما لم يره، يؤمن بالله عز وجل.

ويقر بما لم يخلق، يعني الساعة.

فقال عمر: أعوذ من معضلة لا علي لها (٢٩٣).

٧. خطبه عليه السلام ورواياته ورسائله الشريفة الدال على مدى علمه والذني لم يرد مثله أصلاً من بقية المسلمين ولا أحد من الصحابة، وهذا (نهج البلاغة) خير دليل على ما نقول، وكذلك إخباره عن شتى العلوم والحقائق بل والغيبات بإذن الله تعالى.

٨. قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة

فليات الباب - وقال - أفضاكم علي» (٢٩٤).

٩. وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً أم سلمة: «يا أم سلمة، اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي

طالب أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وهو عيبة علمي وبابي الذي أوتي منه» (٢٩٥).

١٠. وقال صلى الله عليه وآله مخبراً أمير المؤمنين عليه السلام: «وسألته أن يجعلك وصيي ووارثي

وخازن علمي، ففعل» (٢٩٦).

(٢٩١) سورة ق: ١٩.

(٢٩٢) سورة البقرة: ١١٣.

(٢٩٣) الفصول المهمة: ج ١ ص ١٩٨ - ١٩٩ فصل في ذكر شيء من علومه عليه السلام.

(٢٩٤) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٨٧ ب ٩١.

(٢٩٥) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٣٤٨ ب ٩ ح ٣٣٠.

(٢٩٦) كتاب سليم بن قيس: ص ٨١٥ الحديث السادس والثلاثون.

إلى غيرها من الأدلة الكثيرة على علمه (صلوات الله عليه).

زهده عليه السلام:

قضى أمير المؤمنين عليه السلام حياته كلها في الزهد والعزوف عن ملذّات الدنيا والانشغال بالأخرة حتى صار زهده مضرِباً للأمثال، ولا يكاد أحد أياً كان أن ينكر زهد الإمام علي عليه السلام سواء أيام حكومته أم قبلها.

ولو أردنا ذكر الشواهد على زهده عليه السلام لطل بنا المقام ولكن لا بأس بالإشارة إلى بعضها:

❖ قال عليه السلام: «ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقُرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد. فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً» (٢٩٧).

❖ وقال عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت. وإنّ دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى ولذّة لا تبقى» (٢٩٨).

❖ وكان عليه السلام يأتي عليه وقت، وليس عنده قيمة ثلاثة دراهم يشتري بها إزاراً وما يحتاج إليه، وفي نفس الوقت كان يقسم كل ما في بيت المال على الناس، ثم يصلّي فيه فيقول: «الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته» (٢٩٩).

❖ وعن الأصمغ بن نباتة، قال: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذا

(٢٩٧) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٤٥ ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها.

(٢٩٨) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٢٢٤ ومن كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم.

(٢٩٩) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٥ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

أُتِيَ بِالْمَالِ أَدْخَلَهُ بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ جَمَعَ الْمُسْتَحْقِينَ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ فِي الْمَالِ فَنَشَرَهُ
مِئْتَةً وَيَسْرَةً، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا صَفْرَاءُ، يَا بَيْضَاءُ، لَا تَغْرِبِي غَرِّي غَيْرِي

هَذَا جِنَايَ وَخِيَارِهِ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ»
ثُمَّ لَا يَخْرُجُ حَتَّى يَفْرُقَ مَا فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ
أَنْ يَكْنَسَ وَيُرْشَ ثُمَّ يَصْلِي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَطْلُقُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا يَقُولُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ: «يَا
دُنْيَا لَا تَتَعَرَّضِي لِي، وَلَا تَتَشَوَّقِي وَلَا تَغْرِبِي، فَقَدْ طَلَقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي
عَلَيْكَ» (٣٠٠).

❖ وَفِي الْمَنَاقِبِ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْتَنِعُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ حَتَّى يَبِيعَ
سَيْفَهُ وَلَا يَكُونُ لَهُ إِلَّا قَمِيصٌ وَاحِدٌ فِي وَقْتِ الْغَسْلِ لَا يَجِدُ غَيْرَهُ (٣٠١).

❖ وَرَأَى عَقِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَوْلَانِيَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا عَلَى بَرْدَعَةٍ (٣٠٢) حَمَارٍ
مَبْتَلَةً، فَقَالَ لِأَهْلِهِ فِي ذَلِكَ: فَقَالَتْ: لَا تَلُومْنِي، فَوَاللَّهِ مَا يَرَى شَيْئًا يَنْكُرُهُ إِلَّا أَخَذَهُ
وَطَرَحَهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ (٣٠٣).

❖ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مَحْجَنِّ التَّمِيمِيِّ، قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي هَذَا فَوَاللَّهِ
لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَمَنٌ أَزَارُ مَا بَعْتُهُ» (٣٠٤).

❖ قَالَ الْأَصْبَغُ بْنُ نَبَاتَةَ - فِي خَبَرِ طَوِيلٍ -: أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ قَنْبَرُ
الْبَزَازِينِ فَسَاوَمَ رَجُلًا بَثُوبِينَ. فَقَالَ لِرَجُلٍ: «بَعْنِي ثُوبِينَ». فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
عِنْدِي حَاجَتُكَ. فَلَمَّا عَرَفَهُ مَضَى عَنْهُ فَوْقَ عَلَى غَلَامٍ فَأَخَذَ ثُوبِينَ أَحَدَهُمَا بِثَلَاثَةِ
دِرَاهِمٍ وَالْآخَرَ بِدَرَاهِمِينَ. فَقَالَ: «يَا قَنْبَرُ، خَذِ الَّذِي بِثَلَاثَةِ». فَقَالَ: أَنْتَ أَوْلَى بِهِ تَصْعَدُ

(٣٠٠) أمالي الصدوق: ص ٢٨٣ المجلس السابع والأربعون ح ١٦.

(٣٠١) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٧ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٣٠٢) البردعة: جلس يجعل تحت الرجل، وهي للحمار بنزلة السرج.

(٣٠٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٧ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٣٠٤) الغارات: ج ١ ص ٤٠ سيرته عَلَيْهِ السَّلَامُ في المال.

المنبر وتخطب الناس. قال: «أنت شاب ولك شره الشباب، وأنا استحي من ربي أن أتفضل عليك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون». فلما لبس القميص مدّ كم القميص فأمر بقطعه واتخذه قلانس للفقراء. فقال الغلام: هلم أكفه. قال: «دعه كما هو؛ فإن الأمر أسرع من ذلك». فجاء أبو الغلام فقال: إن ابني لم يعرفك وهذان درهمان ربحهما. فقال: «ما كنت لأفعل؛ قد ماكست وماكسني واتفقنا على رضا»^(٣٠٥).

❖ وقال ﷺ لأهل البصرة لما أراد الخروج منها: «دخلت بلادكم بأشمالي هذه ورحلتي وراحتي ها هي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين»^(٣٠٦).

❖ وفي الخبر: أن عمرو بن حريث ترقبه، فلاحظ أن فضة تأتيه بجراب مختوم، فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً، فقال عمرو: يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيبته؟ قالت: كنت أفعل فنهاني، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه. ثم إنه ﷺ فت الطعام في قصعة وصب عليه الماء ثم ذر عليه الملح وحسّر عن ذراعيه، ولما فرغ قال: «يا عمرو، لقد حانت هذه - ومدّ يده إلى محاسنه - وخسرت هذه أن أدخلها النار من أجل الطعام وهذا يجزيني»^(٣٠٧).

❖ وقال سويد بن غفلة: دخلت عليه يوم عيد فإذا عنده فائور^(٣٠٨) عليه خبز السمراء وصفحة فيها خطيفة^(٣٠٩) وملبنة. فقلت: يا

^(٣٠٥) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٠٧ مجلس في ذكر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

^(٣٠٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٨ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

^(٣٠٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٨ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

^(٣٠٨) الفائور: المائدة، والطست.

^(٣٠٩) الخطيفة: لبن يطبخ بدقيق.

أمير المؤمنين، يوم عيد وخطيفة! فقال عليه السلام: «إنما هذا عيد من غفر له» (٣١٠).

❖ وعن الإمام الباقر عليه السلام: «كان - أمير المؤمنين عليه السلام - ليطعم خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل» (٣١١).

❖ وعن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً: «إنه ما ورد عليه أمران كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه» (٣١٢).

❖ وقال عليه السلام: «والله لديناكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم» (٣١٣).

❖ وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانمائة ألف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بمسماة ألف وقضاها عنه، وباع له ضيعة أخرى بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه؛ وذلك أنه لم يكن يذر من الخمس شيئاً، وكانت تنوبه نوائب» (٣١٤).

شجاعته عليه السلام:

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ، وكان منذ الصغر يسمّى بقضم. فعن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي عليه السلام يا قضم؟

قال عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب عليه السلام وأغروا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله ﷺ يرمنونه بالحجارة والتراب. فشكى ذلك إلى علي عليه السلام. فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني

(٣١٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٩٩ فصل في المسابقة بالزهد والقناعة.

(٣١١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٨٩ ب ٢٠ ح ٢٠٩.

(٣١٢) الكافي: ج ٨ ص ١٣٠ حديث رسول الله ﷺ ح ١٠٠.

(٣١٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٣٦.

(٣١٤) وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٣٢٢ ب ٢ ح ٢٣٧٦٨.

معك، فخرج رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين ﷺ فتعرض الصبيان لرسول الله ﷺ كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين ﷺ وكان يقضمهم في وجوههم وآنفهم وآذانهم، فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا علي قضمنا علي فسمي لذلك القضم» (٣١٥).

❖ وقيل لخلف الأحمر: أيما أشجع عنبة وبسطام أم علي بن أبي طالب ﷺ؟ فقال: إنما يذكر عنبة وبسطام مع البشر والناس، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة. فقيل له: فعلى كل حال؟ قال: والله لو صاح في وجوهها لماتا قبل أن يحمل عليهما (٣١٦).

وكان بسطام وعنبة من مشاهير فرسان العرب قبل الإسلام وكانا مضربين في المثل حتى قيل في الفداء: أغلى فداء من بسطام بن قيس (٣١٧).

❖ وقال ابن دأب في شجاعته ﷺ: ثم الشجاعة: كان منها على أمر لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون من النجدة والبأس ومباركة الأحماس على أمر لم ير مثله، لم يولّ دبراً قط، ولم يبرز إليه أحد قط إلا قتله، ولم يكع (٣١٨) عن أحد قط دعاه إلى مبارزته، ولم يضرب أحداً قط في الطول إلا قتله، ولم يضربه في العرض إلا قطعه بنصفين (٣١٩).

❖ وكان ﷺ أيضاً سيفاً صارماً على أعداء الإسلام يطحن الرؤوس ويدك الشجعان ويرعب الأبطال حتى شهد مناوؤه ومحبه بشجاعته وبطولاته، فمن كلام

(٣١٥) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٢ ب ١٢.

(٣١٦) شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ١٤٦ ومن كتاب له ﷺ إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر.

(٣١٧) مجمع الأمثال: ج ٢ ص ٦٦ فيما أوله غين، ما جاء على أفعل من هذا الباب.

(٣١٨) كع يكع كعاً: ضعف وجين.

(٣١٩) الاختصاص: ص ١٤٩ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين ﷺ.

لسفيان الثوري قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام كالجلبل بين المسلمين والمشركين، أعز الله به المسلمين، وأذل به المشركين ^(٣٢٠).

❖ وهو عليه السلام قاتل الوليد في غزوة بدر الذي قيل إنه إذا رفع ذراعه ستر وجهه من عظمها وغلظها، وفي أحد لما انهزم المسلمون وولّوا الدبر وبقي هو وأبو دجانة وسهل بن حنيف، فكان يغوص في جموع المشركين، والرسول ﷺ كلما يبصر كتيبة يقول له: احمل عليهم، فيحمل عليهم ويفرق جمعهم.

ثم إنه ﷺ رأى كتيبة أخرى، فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم فهزمهم، وبقي يحوم حول الرسول ﷺ ويدفع عنه الأعداء، فقال جبرئيل: يا رسول الله، إن هذه هي المواساة، فقال رسول الله ﷺ: «إنه منّي وأنا منه»، فقال جبرئيل: وأنا منكما، فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ^(٣٢١).

❖ وهو الذي أعطي الراية التي اشرأبت إليها الأعناق وتناولت لها الرؤوس بعد أن أخذها أناس خافوا وجبنوا عن مبارزة مرحب اليهودي المعروف بالشجاعة. وكان عليه السلام أرمد يشتكي عينيه، فتفل النبي ﷺ في عينيه وسلّمه الراية ودعا له، فخرج عليه السلام يهرول إلى مرحب، ولما سأله مرحب من أنت؟ قال:

أنا الذي سمّنتني أمي حيدرة
ضرعام آجام وليث قسورة
ففرّ مرحب لوصية ظئر له بأن قاتل كل أحد إلا حيدر بن أبي طالب فإنه قاتلك، إلا أن إبليس تمثّل له بشكل شيخ وحلف له أنه ليس بحيدرة الذي يقتله وحيدرة كثيرون في العالم، فرجع إلى المعركة وصرعه الإمام علي عليه السلام ^(٣٢٢).

^(٣٢٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٦٨ فصل في المسابقة بالجهاد.

^(٣٢١) مناقب الإمام أمير المؤمنين: ج ١ ص ٤٩١ ب ٤٨ ح ٣٩٨.

^(٣٢٢) ج ٣ ص ١٢٨ فصل في مقامه عليه السلام في غزاة خيبر.

عبادته ﷺ :

كان أمير المؤمنين ﷺ أعبد الناس، وسيد المتجهدين، وزين الناسكين، رغم كثرة مشاغله وتزاحم المهام عليه...

ففي حديث عن الإمام الباقر ﷺ حول أمير المؤمنين ﷺ: «كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان أقرب الناس شبهاً به علي بن الحسين ﷺ، وما أطاق عمله أحد من الناس بعده»^(٣٣٣).

❖ وقال ابن أبي الحديد: وأما العبادة، فكان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفيين ليلة الهرير فيصلّي عليه ورده والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا ترتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته!

وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة^(٣٣٤) البعير لطول سجوده! وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخذاء^(٣٣٥) له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت، وقيل لعلي بن الحسين ﷺ - وكان الغاية في العبادة -: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: «عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله ﷺ»^(٣٣٦).

^(٣٣٣) روضة الواعظين: ج ١ ص ١١٧ مجلس في ذكر فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

^(٣٣٤) الثفتات: ما في ركة البعير وصدده من كثرة مماسه الأرض.

^(٣٣٥) استخذى: اتضع وانقاد.

^(٣٣٦) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٧ القول في نسب أمير المؤمنين علي ﷺ وذكر لمع يسيرة من فضائله.

❖ وعن الأصبع ابن نباتة، قال: دخل ضرار بن ضمرة النهشلي على معاوية بن أبي سفيان، فقال له: صف لي علياً.

قال: أ و تعفيني؟.

فقال: لا، بل صفه لي.

فقال له ضرار: رحم الله علياً، كان والله فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألنا، ويقربنا إذا زرنه، لا يغلق له دوننا باب، ولا يحجبنا عنه حاجب، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا، لا نكلمه لهيبته، ولا نبتديه لعظمته، فإذا تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

فقال معاوية: زدني من صفته؟.

فقال ضرار: رحم الله علياً، كان والله طويل السهاد، قليل الرقاد، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، ويجود لله بمهجته، ويبوء إليه بعبوته، لا تغلق له الستور، ولا يدخر عنا البدور، ولا يستلين الاتكاء، ولا يستخشن الجفاء، ولو رأته إذ مثل في محرابه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو قابض على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: «يا دنيا، إليّ تعرضت، أم إليّ تشوقت، هيهات هيهات لا حاجة لي فيك، أبتك ثلاثاً لا رجعة لي عليك».

ثم يقول: «واهِ واه لبُعد السفر، وقلة الزاد، وخشونة الطريق».

قال: فبكى معاوية، وقال: حسبك يا ضرار، كذلك كان والله علي، رحم الله أبا

الحسن (٣٣٧).

عَفْوُهُ وَحَلْمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يدعو إلى العفو في كلماته فقط، بل كان عليه السلام قمة في العفو والحلم، حتى عن خصومه ممن تجاسروا عليه.

(٣٣٧) حلية الأبرار: ج ٢ ص ٢١١ ب ٢٥ ح ٤.

عن أبي مطر البصري أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي، فقال: «يا جارية ما يبكيك؟».

فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعتُ من هذا تمرًا فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبنى أن يقبله.

قال عليه السلام: «يا عبد الله، إنها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهما وخذ التمر». فقام إليه الرجل فلكزه، فقال الناس: هذا أمير المؤمنين. فربا الرجل واصفر وأخذ التمر وردّ إليها درهما ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني. فقال: «ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك»^(٣٣٨).

❖ ودعا أمير المؤمنين عليه السلام غلاماً مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت، فقال: «ما حملك على ترك إجابتي؟».

قال: كسلتُ عن إجابتك وأمنتُ عقوبتك. فقال عليه السلام: «الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، امض فأنت حرٌّ لوجه الله».

❖ وكان الإمام علي عليه السلام في صلاة الصبح، فقال ابن الكواء من خلفه:
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣٣٩).

فأنصت الإمام علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ ابن الكواء من الآية، ثم عاد في قراءته، ثم أعاد ابن الكواء الآية، فأنصت الإمام علي عليه السلام أيضاً، ثم قرأ فأعاد ابن الكواء، فأنصت علي عليه السلام ثم قال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٣٤٠) ثم أتم السورة وركع^(٣٤١).

^(٣٣٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١١٢ فصل في حلمه وشفقته.

^(٣٣٩) سورة الزمر: ٦٥.

^(٣٤٠) سورة الروم: ٦٠.

^(٣٤١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٤٨ ب ١٠٤ ضمن ح ١.

❖ ولما انتصر الإمام عليه السلام على عائشة يوم الجمل قالت له: ملكت فاسجح. فجهّزها أحسن الجهاز وبعث معها بتسعين امرأة أو سبعين، واستأمنت لعبد الله بن الزبير على لسان محمد بن أبي بكر فأمنه وآمن معه سائر الناس ^(٣٣٢).

❖ وجاءه أبو هريرة وكان قد تكلم فيه وأسمعه في اليوم الذي قبله، فسأله حوائجه فقصها، فعاتبه أصحابه على ذلك، فقال عليه السلام: «إني لأستحي أن يغلب جهله علمي، وذنبه عفوي، ومسألته جودي» ^(٣٣٣).

حسن خلقه عليه السلام:

وكيف لا تكون أخلاق الإمام علي عليه السلام في قمة الحسن وهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الخلق العظيم الذي أدبه الباري تعالى فأحسن تأديبه ^(٣٣٤)، عاشر النبي صلى الله عليه وآله كظله واتبعه كما يتبع فصيل الناقة أثر أمه.

وقد وصفه صعصعة بن صوحان لمعاوية، فقال: كان فينا كأحدنا في لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد ^(٣٣٥).

وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً ذا فكاهة. قال قيس: نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويبسم إلى أصحابه، وأراك تسرحسوا في ارتغاء رفعه، وتعيبه بذلك. أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى، ليس كما يهابك طعام أهل الشام. وقد بقي هذا الخلق متوارثاً متناقلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم

^(٣٣٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١١٤ فصل في حلمه وشفقته.

^(٣٣٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١١٤ فصل في حلمه وشفقته.

^(٣٣٤) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٨٢ ب ٩٢ ضمن ح ١٧.

^(٣٣٥) الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٦٢ ب ٧ ف ٢.

يعرف ذلك (٣٣٦).

فصاحته عليه السلام:

لا يكاد أحد ينكر بلاغة وفصاحة أمير المؤمنين عليه السلام فهو سيد البلغاء وإمام الفصحاء، وهو القائل: «إننا لأمرء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهذلت غصونه» (٣٣٧).

وقال معاوية عنه عليه السلام: «فو الله ما سنّ الفصاحة والبلاغة لقريش غيره» (٣٣٨).
ويكفي أن يراجع الإنسان بعض خطبه عليه السلام في نهج البلاغة وغيره ليعرف مدى فصاحته وبلاغته، ومنها:
١. خطبته الخالية من الألف.
٢. خطبته الخالية من النقط.
٣. خطبته في صفات المتقين.
٤. خطبته المعروفة بالشقشقية.
٥. خطبته الغراء، وغيرها من خطبه البليغة التي تتجلى فيها بلاغته وفصاحته عليه السلام.

صهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

إحدى الخصائص الهامة التي كانت لأمر المؤمنين عليه السلام هي زواجه من ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصديقة الزهراء عليها السلام بعد أن طمع في زواجها كثير من الناس كأبي

(٣٣٦) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٥ - ٢٦ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله.

(٣٣٧) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٢٣٣ ومن كلام له عليه السلام بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر.

(٣٣٨) كتاب الأربعين: ص ٤١٩ أفضلية أئمتنا عليهم السلام على جميع من ادعى الإمامة في حقه.

بكر وعمر وسعد بن معاذ، فردّهم رسول الله ﷺ قائلاً: «إنما أنا بشر مثلكم، أتزوِّج فيكم وأزوِّجكم إلا فاطمة؛ فإن تزويجها نزل من السماء» (٣٣٩).

ولما خطبها أمير المؤمنين عليه السلام تهلّل وجه النبي ﷺ فرحاً به، وكما في الحديث أن النبي ﷺ قال لأmir المؤمنين عليه السلام: «يا علي لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة عليها السلام، وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوّجت علينا. فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوّجته، بل الله منعكم وزوّجه. فهبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمد، إنّ الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه» (٣٤٠).

ثم إنّ الزهراء عليها السلام قد زوّجت من الإمام علي عليه السلام في العالمين: عالم الدنيا وعالم الغيب. حيث أوحى الله تعالى إلى جبرئيل أن زوّج النور من النور، وكان الولي الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والناثر عزرائيل، والشهود ملائكة السماوات والأرضين. ثم أوحى الله إلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك، فنثرت الدر الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب، فبادرن الحور العين يلتقطن ويهدين بعضهن إلى بعض (٣٤١).

وفي خبر آخر: «إنّ الملك صرصائل هبط على النبي ﷺ وقد حسبه النبي جبرئيل (٣٤٢)، فتساءل منه قائلاً: يا جبرئيل، لم تأتني في مثل هذه الصورة قط! فقال: ما أنا بجبرئيل أنا صرصائل، بعثني الله إليك لتزوِّج النور من النور. فقال النبي ﷺ: من مَن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب. فزوِّج النبي ﷺ فاطمة من

(٣٣٩) الكافي: ج ٥ ص ٥٦٨ باب نوادر ح ٥٤.

(٣٤٠) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٢- ٩٣ ب ٥ ح ٣.

(٣٤١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٤٦- ٣٤٧ فصل في تزويجها عليها السلام.

(٣٤٢) أي بحسب الظاهر، وإلا فإن النبي ﷺ عالم بمقائق الأمور بإذن الله تعالى.

علي بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائيل» (٣٤٣).

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ قال: «أتاني ملك فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملاء الأعلى، فزوجها منه في الأرض» (٣٤٤).

مهر الزهراء عليها السلام

المهر الظاهري للصديقة فاطمة عليها السلام كان مهراً قليلاً جداً، وذلك لتكون أسوة لسائر النساء في قلة المهر.

نعم إن الله عز وجل عوضها بأمر معنوية لا تقدر بثمن، كان منها:

١. خمس الأرض: حيث قيل للنبي ﷺ: قد علمنا مهر فاطمة عليها السلام في الأرض، فما مهرها في السماء؟ قال ﷺ: «سل عما يعينك ودع ما لا يعينك». قيل: هذا مما يعيننا يا رسول الله. قال: «كان مهرها في السماء خمس الأرض، فمن مشي عليها مبغضاً لها ولولدها مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة» (٣٤٥).

٢. ربع الدنيا: وإلى ذلك يشير الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «إن الله تعالى مهر فاطمة ربع الدنيا، فربعها لها» (٣٤٦).

٣. الجنة والنار: حيث ورد في تنمة الحديث السابق: «ومهرها الجنة والنار فتدخل أولياءها الجنة وأعدائها النار» (٣٤٧).

(٣٤٣) مائة منقبة: ص ٣٥ المنقبة الخامسة عشر.

(٣٤٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٣١ - ٣٢ ذكر تزويج الله تعالى فاطمة علياً في الملاء الأعلى بحضور من الملائكة.

(٣٤٥) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ مجلس في ذكر تزويج فاطمة عليها السلام.

(٣٤٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٥٢ فصل في تزويجها عليها السلام.

(٣٤٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٥٢ فصل في تزويجها عليها السلام.

٤. شجرة طوبى: حيث ورد عن رسول الله ﷺ قال: «ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة، فهي في دار علي» (٣٤٨).

٥. بركات الدنيا والآخرة: حيث ورد في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وجعلت نخلتها من علي خمس الدنيا وثلاثي الجنة، وأربعة أنهار في الأرض: الفرات ودجلة والنيل ونهر بلخ، فزوّجها يا محمد بمئتمنة درهم تكون سنة لأمتك» (٣٤٩).

٦. الشفاعة للمذنبين من أمة النبي ﷺ: حيث ورد في الحديث أنها لما سمعت بأنّ أباهما زوّجها وجعل الدراهم مهراً لها. فقالت: يا رسول الله ﷺ، إنّ بنات الناس يتزوجن بالدراهم، فما الفرق بيني وبينهن؟! أسألك تردّها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك». فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حريير مكتوب فيها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء عليها السلام شفاعة المذنبين من أمة أبيها. فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: «إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة أمة أبي» (٣٥٠).

(٣٤٨) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١٤٢ ب ٢٣ ح ٦١.

(٣٤٩) دلائل الإمامة: ص ١٨ - ١٩ حديث المهر وكم قدره.

(٣٥٠) شرح إحقاق الحق: ج ١٠ ص ٣٦٧ كان مهرها شفاعتها لأمة أبيها.

خليفة الرسول ﷺ

منذ بدء الدعوة الإسلامية عين رسول الله ﷺ علياً ﷺ خليفة من بعده حيث قال لزعماء قريش يوم الدار: «هذا خليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا». وبقي النبي ﷺ ينص على خلافة أمير المؤمنين ﷺ من بعده في مواقف مختلفة وبعبارات متعددة، إلى أن حج رسول الله ﷺ حجته الأخيرة المسماة بحجة الوداع، وبعد أن رجع المسلمون من حجهم أنزل الله تعالى قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٥١).

فأمر النبي ﷺ بالمسلمين أن ينزلوا بغدير خم وأن يرجع من سبق منهم ويلحق من تأخر، ثم نُصب له منبر من أكوار الإبل، فقام ﷺ وخطب بالمسلمين خطبة عظيمة، ثم أخذ بيد علي أمير المؤمنين ﷺ ورفعها نحو السماء وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

ثم أمر المسلمون أن يبايعوا علياً ﷺ بالخلافة ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، فبايعوه جميعاً بما فيهم الأول والثاني والثالث، وذكر الثاني مقولته: (بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة) (٣٥٢).

كما بايعت النساء أمير المؤمنين ﷺ حيث جعل طشت فيه ماء وكانت تأتي المرأة وتجعل يدها في الماء ويجعل الإمام علي ﷺ يده في الجانب الآخر من الطشت وتبايعه.

(٣٥١) سورة المائدة: ٦٧.

(٣٥٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٨ ب ٣٦ ح ١٠.

وقام حسن بن ثابت فأرخ الواقعة بأبيات معروفة قال فيها:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
وقال: فمن مولاكم ووليكم
إلهك مولانا وأنت ولىنا
فقال له: قم يا علي فإنني
فمن كنت مولاة فهذا ولىه
هناك دعا اللهم وال ولىه
بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فكونوا له أتباع صدق مواليا
وكن للذي عادى عليا معاديا (٣٥٣)

الإمام علي عليه السلام يودع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عندما نزل مرض الموت بالنبي ﷺ انشغل به أمير المؤمنين عليه السلام وعظم عليه هذا المصاب الجلل الذي هدّ ركنه، وكان النبي ﷺ قد أمر المسلمين أن يأتوه بدواة وكتف كي يكتب لهم شيئا لن يضلوا بعده أبداً، ولكنهم لم يمتثلوا أمره وتحجّجوا بأن الوجع قد غلبه وأنه - والعياذ بالله - يهجر (٣٥٤).

(٣٥٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٨ ب ٣٦ ح ١٠

(٣٥٤) هذه مقولة عمر بن الخطاب، انظر: ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٤ - ٥٥ حديث السقيفة: عن ابن عباس أنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم بكى حتى بل دمه الحصى. فقلنا: يا ابن عباس، وما يوم الخميس؟! قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «اتوني بكتاب أكتبه لكم لا تضلوا بعدي أبداً». فتنازعوا فقال: «إنه لا ينبغي عندي تنازع». فقال قائل: ما شأنه أهر استفهموه. فذهبوا يعيدون عليه فقال: «دعوني، والذي أنا فيه خير من الذي أتم فيه».

والحقيقة أن أهل التزوير والتبرير والتحوير قد زادوا الهمزة الاستفهامية قبل كلمة (هجر) ليخففوا من غلواء هذه الكلمة القبيحة، وإلا فإن أغلب الروايات تؤكد على أن عمر نسب الهجر إلى رسول الله ﷺ.

ففي صحيح البخاري: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، صحيح البخاري: ج ٢ ص ١٧٨ بحاشية السندي، وح ٦ ص ٩ باب مرض النبي ﷺ.

فامتعض النبي ﷺ من ذلك وأمرهم أن يخرجوا من عنده، وبقي يؤكد إلى آخر لحظات عمره بأن يجهّزوا جيش أسامة ولعن من تخلف عنه، ولكنهم كانوا يعتذرون بأنهم لا يقدرّون مفارقة النبي ﷺ وهو على هذا الحال (٣٥٥).

ثم إن النبي ﷺ أوصى أمير المؤمنين ع عليه السلام بوصاياه وفاضت روحه الطيبة في يد الإمام ع عليه السلام، وقد وصف أمير المؤمنين ع عليه السلام ما نزل به عند وفاة النبي ﷺ فقال: «بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء، خصصت حتى صرت مسلماً عمّن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء.

ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مامطلاً والكمد مخالفاً وقلاً لك، ولكنه ما لا يملك ردّه ولا يستطيع دفعه، بأبي

ورواه مسلم بنفس اللفظ في صحيحه: ج ١١ ص ٨٩ - ٩٣ بشرح النووي، وفي ج ٣ ص ١٢٥٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات: ج ٢ ص ٣٧، عن سعيد، عن ابن عباس... فقالوا: إنما رسول الله ﷺ يهجر. وفي صفحة ٣٦ روى عن ابن عباس... فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله ليهجر.

وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ج ١ ص ٢٢٢، عن سعيد، عن ابن عباس... فقالوا: ما شأنه يهجر، قال سفيان يعني: هذى. وأخرج أيضاً في المسند ج ٣ ص ٣٤٦: إن النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب كتاباً لا يضلون بعده قال: فخالف عمر بن الخطاب حتى رفضها. وأخرجه ابن سعد أيضاً في الطبقات: ج ٢ ص ٣٦.

هذا بالإضافة إلى ابن حجر في صواعقه، والقاضي أبو علي، والقاضي روزبهان، والقاضي عياض، والغزالي، وقطب الدين الشافعي، والشهرستاني في الملل والنحل، وابن الأثير، والحافظ أبو نعيم، وسبط ابن الجوزي، وآخرين غيرهم قد ذكروا هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم. فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون.

(٣٥٥) الملل والنحل: ج ١ ص ٢٣ المقدمة الرابعة، الخلاف الثاني.

أنت وأمِّي أذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك» (٣٥٦).

أمير المؤمنين عليه السلام والخلافة

لم يتنازل الإمام علي عليه السلام عن حقه في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما نُحِّي عنها بتأمر القوم حيث بايع البعض ابن أبي قحافة في سقيفة بني ساعدة، وأجبروا الناس على البيعة، لكن الإمام عليه السلام لم يبايعهم قط.

وكان يحتج عليهم بما نص عليه النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير، ويقول: «أ كنت أترك رسول الله صلى الله عليه وآله ميتاً في بيته لا أجهزه وأخرج إلى الناس أنزعهم في سلطانه!» (٣٥٧).

وقالت الصديقة الزهراء عليها السلام: «ما صنع أبو الحسن عليه السلام إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه» (٣٥٨).

وبقي الإمام عليه السلام يناشد المسلمين حقه ويذكرهم بوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي استخلفه من بعده، حاملاً الصديقة الزهراء عليها السلام على دابة يطرق أبوابهم ويذكرهم بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليه (٣٥٩).

وحيث إن الإمام عليه السلام كان موسى بالصبر والكف عن القوم فقد لزم داره مدة ٢٥ سنة، مجهولاً قدره مغصوباً حقه، وقد أشار عليه السلام في خطبته الشقشقية إلى تداول القوم بالخلافة وتنحيتهم إياه عنها، فقال: «أما والله لقد تقمّصها فلان وإنه ليعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحي. ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر

(٣٥٦) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٢٣٥ ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه.

(٣٥٧) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٣٥٢ ب ٤ تبين.

(٣٥٨) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٣٥٢ ب ٤ تبين.

(٣٥٩) شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١٣ يوم السقيفة.

على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قنًى، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده - ثم تمثل بقول الأعمش :-

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر
فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا
ضرعيها فصيرها في حوزة خشنة يغلظ كلامها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها،
والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم،
فمني الناس لعمر الله بجنب وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة
الحنّة حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم فيا لله وللشورى متى
اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر»^(٣١٠).

عودة الحق إلى أهله

كان الإمام عليه السلام زاهداً في الدنيا، لم يرغب في الخلافة لكونها خلافة. قال عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بندي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟. فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: «والله هي أحب إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً»^(٣١١).

وقال عليه السلام أيضاً: «أما بعد، فإنني قد كنت كارهاً لهذه الولاية - يعلم الله في سماواته وفوق عرشه - على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى اجتمعتم على ذلك فدخلت فيه»^(٣١٢).

^(٣١٠) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٣ ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية، وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة.

^(٣١١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٣٣ ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة.

^(٣١٢) أمالي الطوسي: ص ٧٢٨ مجلس ٤٤ ح ١٥٣٠.

ومن كلام له عليه السلام في جواب طلحة والزبير: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها ومهلموني عليها. فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استن النبي صلى الله عليه وآله فاقتديته» (٣١٣).

وعن محمد بن الحنفية، قال: كنت مع أبي حين قُتل عثمان، فقام فدخل منزله فأثاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالوا: إنَّ هذا الرجل قد قُتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: «لا تفعلوا؛ فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً». فقالوا: لا والله، ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: «ففي المسجد؛ فإنَّ بيعتي لا تكون خفياً (خفية)، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين» (٣١٤).

ولما وجد أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ الأمة مصرَّة على تصديه للخلافة الظاهرية نهض بالأمر وتحمل أعباء الحكم وباشر سياسة العباد ورعاية البلاد، فقدم للبشرية جمعاء خير أنموذج عن الحكومة الإسلامية الحكيمة.

من معالم حكومة الإمام عليه السلام

ذكرنا في العديد من كتبنا معالم حكومة الإمام علي عليه السلام النموذجية التي لم يشهد التاريخ مثلها، حكومة طبقت الأحكام الإسلامية السمحاء، والآن نشير إلى مقتطفات منها:

١. العدالة:

قدم الإمام (صلوات الله عليه) صوراً نادرة في العدالة تفتخر البشرية حتى اليوم

(٣٦٣) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٢٠٥ ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة.

(٣٦٤) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٤٥٠ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

بها.

عن الشعبي قال: استأذنتُ سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان. فأذن لها، فسلمت فردَّ عليها السلام، ثم قال: هيه يا بنت الأسك أ لستِ القائلة لأخيك يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا بن عمارة
وانصر عليا والحسين ورهطه
إن الإمام أبا النبي محمد
فقه الحمام وسر أمام لوائه
يوم الطعان وملتقى الأقران
واقصد لهند وابنها بهوان
علم الهدى ومنارة الإيمان
قدما بأبيض صارم وسنان

قالت: يا أمير، ما مثلي رغب عن الحق ولا اعتذر إليك بالكذب.

قال: فما حملك على ذلك؟

قالت: حبّ علي عليه السلام وإتباع الحق.

قال: والله ما أرى عليك من علي أثراً. قالت: أنشدك الله يا أمير وإعادة ما مضى، وتذكار ما نسي. قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى، ولا لقيت من أحد ما لقيت من قومك. قالت: صدوق فوك، لم يكن والله أخى ذميم المقام، ولا خفي المكان، كان والله كقول الخنساء:

وإن صخر ليأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار
وبالله أسأل الأمير إعفائي مما استعفيت منه. قال: قد فعلت فما حاجتك؟

قالت: يا أمير، إنك أصبحت للناس سيّداً، ولأمورهم متقلداً، والله سائلك عن أمرنا وعمّا افترض عليك من حقنا، ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر، يسومنا الخسيصة، ويسألنا الجليلة. هذا ابن أبي أرتاة، قدم بلادي فقتل رجالي وأخذ مالي، لعول فوهي بما استعصم الله منه، وألجأ إليه فيه، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإما عزلته فعرفناك.

فقال معاوية: أ تهديني بقومك، لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس

وأحملك إليه فينفذ فيك حكمه. فأطرت ثم بكت ورفعت رأسها تقول:

صلى الإله على روح تضمنها
قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حائف الحق لا يبغي به بدلاً
فصار بالحق والإيمان مقروناً

قال: ومن ذلك؟.

قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وما علمك بذلك؟.

قالت: أتيت يوماً في رجل وواه على صدقاتنا لم يكن بيننا وبينه إلا كما بين الغث إلى السمين، فوجدته قائماً يصلي. فلما نظر إليّ انفتل من مصلاه، ثم قال لي برأفة وتعطف: «أ لك حاجة؟». فأخبرته الخبر فبكى عليه السلام، ثم قال: «اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، أني لم أمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ. إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يأتي من يقبضه منك والسلام».

قالت سودة: فأخذته منه، والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فعزلته به.

قال معاوية: اكتبوا لها بإنصافها والعدل عليها.

فقالت: أ لي خاصة أم لقومي عام؟.

قال معاوية: ما أنت وغيرك؟.

قالت: هي والله الفحشاء واللؤم، فإن كان عدلاً شاملاً وإلا أنا كسائر قومي.

فقال معاوية: هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان، فبطلما ما

تفطمون بعيره، اكتبوا لها بحاجتها^(٣٦٥).

(٣٦٥) نهج السعادة: ج ٥ ص ٣٩ - ٤٣ ومن كتاب له عليه السلام رقم ١٢١.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً أحب إليّ من ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم وأجل النفس يسرع إلى البلا قفولها، ويطول في الشرى حلولها» ^(٣٦٦).

٢. الحرية:

لم يشهد التاريخ عهداً أعطيت فيه الحريات وتنعم الناس فيه بعد رسول الله ﷺ كما شهدته في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، حيث أتاح الحريات في شتى الجوانب ولمختلف الناس حتى لأكبر معارضيه، وقدم للعالم الصورة الناصعة عن الحريات الإسلامية الأصيلة.

وبالرغم أن بعض المسلمين لم يكونوا بالمستوى اللائق كي يستفيدوا من هذه الحريات فيما ينفعهم ويفيد بلادهم بل استفادوا من الحريات بالشكل السلبي، ولكن ذلك لم يمنع الإمام علي عليه السلام أن يمنحهم الحرية التي منحهم الإسلام إياها.

* ألف: عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام: أن علياً عليه السلام كان يوماً يؤم الناس وهو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكواء من خلفه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٣٦٧).

فلما جهر ابن الكواء من خلفه بها سكت علي عليه السلام، فلما أنهاها ابن الكواء عاد علي عليه السلام فآتم قراءته، فلما شرع علي عليه السلام في القراءة أعاد ابن الكواء الجهر بتلك الآية فسكت علي عليه السلام، فلم يزال كذلك، يسكت هذا ويقرأ ذاك مراراً، حتى قرأ

^(٣٦٦) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٢٢٤ ومن كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم.

^(٣٦٧) سورة الزمر: ٦٥.

علي عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ^(٣٦٨). فسكت ابن الكواء وعاد علي عليه السلام إلى قراءته ^(٣٦٩).

❖ ب: كان أبو هريرة قد تكلم في أمير المؤمنين عليه السلام، فجاءه بعد يوم من تكلمه فيه وسأله حاجة فقضاها له، فعاتبه أصحابه على ذلك، فقال عليه السلام: «إني لأستحي أن يغلب جهله علمي، وذنبه عفوي، ومسألته جودي» ^(٣٧٠).

❖ ج: قال له الجعد بن نعجة الخراجي: اتق الله يا علي إنك ميت! فقال عليه السلام له: «لا بل والله قتلاً، ضربةً على هذا - وأشار إلى رأسه الشريف - قضاءً مقضياً، وعهداً معهوداً، وقد خاب من افتري» ^(٣٧١).

٣. المساواة:

وهي الركيزة الأساسية في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام حيث ساوى بين الشعب ولم يرجح أحداً على أحد، ففي التاريخ أن عقياً سأله شيئاً من بيت المال فأحمى له حديدة وقربها منه فأنَّ عقيل منها، وإلى ذلك يشير عليه السلام في قوله:

«والله لقد رأيت عقياً وقد أملق حتى استماحني من برِّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظم، وعاودني مؤكداً وكرّر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي فظن أنني أبيع ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها.

فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه،

^(٣٦٨) سورة الروم: ٦٠.

^(٣٦٩) شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٣١١ من أخبار الخوارج أيضاً.

^(٣٧٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١١٤ فصل في حلمه وشفقته.

^(٣٧١) الغارات: ج ١ ص ٦٦ سيرته عليه السلام في نفسه.

وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه. أتئن من الأذى ولا أئن من لظى» (٣٣).

٤. العفو والتسامح:

لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام على الرعية سبعا ضارياً ولم يستخدم سياسة البطش والعنف أبداً، بل كانت سياسته مع الرعية مبنية على التسامح والنبل والعفو عن تقصير الآخرين، والمجازاة بالتي هي أحسن.

ففي حرب الجمل وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وجرى ما جرى بين المسلمين، أمر عليه السلام بلمة من النساء أن يوصلوا عائشة ولم يعاقبها، وكذلك تعامل مع جميع من كان معها، فدعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء فركبها...

وكذلك لما انتهى الإمام عليه السلام إلى دار عظيمة كانت تضم رؤوس الأعداء في حرب الجمل، فاستفتح ففتح له، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدار، فلما نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبة. وكانت هذه حيلة منهن لينصرف الإمام عن تفتيش الدار والعثور على من فيها.

فلم يقل عليه السلام هن شيئاً، وسأل عن حجرة عائشة، ففتح له بابها، فسمع منها كلام شبيه بالمعاذير...

قال عليه السلام: ولو قتلت الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة، ومن في هذه الحجرة، ومن في هذه الحجرة. وأوماً إلى ثلاث حجرات...

قال الأصبغ: وكان في إحدى الحجرات عائشة ومن معها من خاصتها، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، في الأخرى عبد الله بن الزبير وأهله. فقيل له: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء فقتلتموهم؟

أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة فلم استبقاهم؟

(٣٧٢) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٢٢٤ ومن كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم.

قال الأصمغ: قد ضربنا والله بأيدينا على قوائم السيوف حددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر فما فعل ووسعهم عفوه^(٣٧٣).

❖ وذات مرة مرَّ الإمام عليه السلام بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيك؟

فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتته به أبى أن يقبله، قال عليه السلام: «يا عبد الله، إنها خادم وليس لها أمر فاردد إليها درهما وخذ التمر». فقام إليه الرجل فلكزه. فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فربا الرجل واصفر وأخذ التمر وردَّ إليها درهما ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني. فقال: «ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك»^(٣٧٤).

وكان عليه السلام يوصي ولاته بسياسة العفو والصفح، ففي كتابه إلى مالك الأشتر لما ولاه على مصر قال عليه السلام: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم؛ فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق. يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحته، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك»^(٣٧٥).

^(٣٧٣) دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ذكر قتال أهل البغي.

^(٣٧٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١١٢ فصل في حلمه وشفقته.

^(٣٧٥) نهج البلاغة، الرسائل: رقم ٥٣ ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

قضاء أمير المؤمنين عليه السلام

القضاء الإسلامي يتميز عن غيره بالدقة الفائقة إلى جانب السماحة والمعالجة للمشاكل معالجة جذرية.

وهذا يتضح لكل من يراجع كتب الفقه في باب القضاء، ومما يؤسف له حقاً أنّ العالم الإسلامي أعرض عن أحكام القضاء الإسلامي وتمسك بقوانين زادت من مشاكل المسلمين وعكرت عليهم صفو عيشتهم وجعلتهم يعيشون معيشة ضنكاً. وأساس المشكلة في ترك المسلمين لقضاة الحق وهم الأئمة الطاهرون عليهم السلام الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضاكم علي» (٣٦٦).

هذا وقد رجع إلى الإمام عليه السلام في قضاائه حتى من خالفه وغضب حقه، وقد عُرف عن ابن الخطاب مقولته المشهورة: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) (٣٧٧) وقوله: (لولا علي لهلك عمر) (٣٧٨).

ومما يؤسف له حقاً أنّ العالم اليوم غير مطلع على قضاء أمير المؤمنين عليه السلام فما أحوجنا إلى إيصال ذلك للعالم وتعريفهم به.

ولو أردنا ذكر شواهد على القضاء الإسلامي وأفضليته الذي طبّقه أمير المؤمنين عليه السلام وأنه كيف كان يصل إلى الحق بلطائف الكلام ودقة النظر لطلال بنا المقام، ولكننا نشير إلى واقعة ونحيل القارئ إلى المفصلات (٣٧٩).

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ رجلاً أقبل على عهد علي عليه السلام من الجبل حاجاً ومعه

(٣٧٦) شرح الأخبار: ج ١ ص ٩١ قول رسول الله صلى الله عليه وآله أفضاكم علي ح ٦.

(٣٧٧) أنساب الأشراف: ص ٩٩ - ١٠٠ ح ٢٩.

(٣٧٨) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٨ القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله.

(٣٧٩) راجع كتاب عجائب قضاء أمير المؤمنين، وكتاب قضاء أمير المؤمنين.

غلام له فأذنب فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي بل أنا مولاك؟.

قال: فما زال ذا يتوعد ذا وذا يتوعد ذا، ويقول: كما أنت حتى نأتي الكوفة يا عدو الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين عليه السلام. فلما أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الذي ضرب الغلام: أصلحك الله هذا غلام لي وإنه أذنب فضربته فوثب عليّ. وقال الآخر: هو والله غلام لي، إن أبي أرسلني معه ليعلمني وأنه وثب عليّ يدعي لي ليذهب بمالي.

قال: فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف، وهذا يكذب هذا وهذا يكذب هذا. قال: فقال: انطلقا فتصادقا في ليلتكما هذه ولا تجياني إلا بحق. قال: فلما أصبح أمير المؤمنين عليه السلام قال لقنبر: أنقب في الحائط ثقبين. قال: وكان إذا أصبح عقّب حتى تصير الشمس على رمح يسبح. فجاء الرجلان واجتمع الناس، فقالوا: لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها لا يخرج منها. فقال لهما: ما تقولان؟.

فحلف هذا أنّ هذا عبده وحلف هذا أنّ هذا عبده. فقال لهما: قوما فإنني لست أراكما تصدقان. ثم قال لأحدهما: ادخل رأسك في هذا الثقب، ثم قال للآخر: أدخل رأسك في هذا الثقب. ثم قال: يا قنبر، عليّ بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله عجل اضرب رقبة العبد منهما.

قال: فأخرج الغلام رأسه مبادراً. فقال علي عليه السلام للغلام: أ لست تزعم أنك لست بعبد؟.

ومكث الآخر في الثقب. فقال: بلى ولكنه ضربني وتعدّى عليّ. قال: فتوثق له أمير المؤمنين عليه السلام ودفعه إليه ^(٣٨٠).

(٣٨٠) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ح ٥٨.

شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

في ليلة ١٩ من شهر رمضان المبارك خرج الإمام علي عليه السلام إلى صلاة الفجر، فكمن له الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي وما أن شرع الإمام عليه السلام في الصلاة حتى ضربه على رأسه الشريف، فسقط الإمام عليه السلام في الحراب مضرجاً بدمائه قائلاً: «فرت ورب الكعبة». وقد سمع الناس هاتفاً ينادي بين السماء والأرض قائلاً: «تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، قُتل ابن عم المصطفى، قُتل علي المرتضى، قتله أشقى الأشقياء». وكان المناذي جبرئيل عليه السلام فأسرع الحسنان عليهما السلام إلى المسجد، فوجدا الإمام عليه السلام غارقاً بدمائه في الحراب، فأخذوه إلى بيته. وقد قبض المسلمون على ابن ملجم وحبسوه حتى يتبين حال أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي اليوم ٢١ من شهر رمضان استشهد أمير المؤمنين عليه السلام بسبب تلك الضربة المسمومة، واستراح من هم الدنيا وغمها، وأيتم العالم بشهادته. فسلام الله عليك يا أبا الحسن يوم ولدت ويوم عشت مظلوماً ويوم تبعث حياً.

قبره الشريف

كان من الوصايا التي أوصى بها أمير المؤمنين عليه السلام الحسنين عليهما السلام قوله: «غسلاني وكفناني وحنطاني واحملاني على سريري، واحملا مؤخره تكفيان مقدمه»^(٣٨١)، لأن جبرائيل وميكائيل هما اللذان يحملان المقدمة.

وفي بعض الأخبار: إن الإمام عليه السلام أمر ولده الحسن عليه السلام أن يحفر له أربعة قبور في أربع مواضع: في المسجد، وفي الرحبة، وفي الغري، وفي دار جعلة بن هبيرة، وإنما

(٣٨١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٠٦ ب ٥٢ ح ٣.

أرد بهذا ألا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره (٣٨٢).

وبقى قبر أمير المؤمنين عليه السلام مخفياً إلى عهد هارون العباسي الذي خرج للصيد يوماً ومعه الفهود، فتعقبوا غزلاً حتى دخل ربوة فرجعت الفهود عن مطاردته أكثر من مرة، فتعجب هارون وسأل عنها، فأخبره رجل من أهل الحيرة وقال: يا أمير! رأيت إن دلتك على قبر ابن عمك علي بن أبي طالب عليه السلام مالي عندك؟ قال: مكرمة.

قال: هذا قبره. فقال له هارون: من أين علمت ذلك؟

قال: كنت أجيء مع أبي فيزور قبره، وأخبرني إنه كان يجيء مع جعفر الصادق عليه السلام، وإن جعفر عليه السلام كان يجيء مع أبيه محمد الباقر عليه السلام فيزوره، وإن محمداً عليه السلام كان يجيء مع أبيه علي زين العابدين عليه السلام فيزوره، وإن علياً عليه السلام كان يجيء مع أبيه الحسين عليه السلام فيزوره، وكان الحسين عليه السلام أعلمهم بمكان القبر. فأمر هارون أن يحجر الموضع، فكان أول حجر أساسي وضع فيه (٣٨٣).

أولاده عليه السلام

قالوا: إنه كان لأمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون ولداً بين ذكر وأنثى، خمسة أو ستة منهم من الصديقة فاطمة عليها السلام وهم: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم و بنت أخرى، والحسن الذي أسقط. أما الحسنان عليهما السلام فهما الإمامان من بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وسيأتي ذكر شيء من أحوالهما إن شاء الله تعالى.

السيدة زينب عليها السلام:

هي صاحبة المقامات الرفيعة والدرجات العالية والعصمة الصغرى، ذات الشأن العظيم التي لم يُخلق مثلها من النساء في المكانة والجلالة بعد أمها عليها السلام، وهي عمّة

(٣٨٢) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٢١٤ ب ١٢٧ ح ١٥.

(٣٨٣) شرح إحقاق الحق: ج ٨ ص ٧٣٦ التجاء الوحوش إلى قبره عليه السلام.

المعصومين عليهم السلام والحامية عن حمى الدين، التي لولاها لمحت الشريعة وهدمت أركان الدين الرفيعة.

زينب وما أدراك من زينب، صاحبة المفخر الجملة وشريكة الأئمة عليهم السلام في إصلاح الأمة، ولولاها لما وصل صوت الإمام الحسين عليه السلام إلى العالم ..
وُلدت عليها السلام في الخامس من شهر جمادى الأولى في السنة الخامسة من الهجرة، وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله بزینب، وهي أول بنت للزهراء عليها السلام فلقت بزینب الكبرى.

كانت عليها السلام عالمة فهمة فقيهة، وكان لها مجلس خاص بالتفسير تعلم النساء القرآن وعلومه، وقد روت عن أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وأُمها الزهراء عليها السلام، وروى عنها الإمام السجاد عليه السلام والسيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وغيرهم.

ماتت السيدة زينب عليها السلام شهيدة مسمومة على يد طغاة بني أمية في ضواحي الشام ودفنت فيها حيث قبرها الشريف الآن وهو مزار الملايين من المؤمنين ^(٣٨٤).

محمد بن الحنفية:

ومن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام من خولة بنت جعفر بن قيس: محمد المكتى بأبي القاسم والمعروف بابن الحنفية، وقد بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله عندما رأى خولة بنت جعفر أم محمد، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي أما أنك تتزوجها من بعدي فتلد لك غلاماً فسمّه باسمي وكنّه بكنيتي» ^(٣٨٥).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما تكلم الحسين عليه السلام بين يدي الحسن عليه السلام إعظاماً

^(٣٨٤) (التفصيل انظر كتاب: السيدة زينب عليها السلام عالمة غير معلمة للإمام الشيرازي رحمته الله).

^(٣٨٥) (بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٩٩ ب ١٢٠ ضمن ح ٣١).

له، ولا تكلم محمد بن الحنفية بين يدي الحسين عليه السلام إعظماً له» (٣٨٦).

ومن أدبه أيضاً أنه لما قيل له: إنَّ أبك يسمح بك في الحرب ويشح بالحسن والحسين عليهما السلام، فقال: هما عيناه وأنا يده، والإنسان يقي عينه بيده. وقال: «أنا ولده وهما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله» (٣٨٧).

وذكر أنَّ عبد الله بن الزبير خطب فنال من الإمام علي عليه السلام فبلغ ذلك محمد بن الحنفية فقصده وهو يخطب، فوضع له كرسي فقطع عليه خطبته، وقال: (يا معشر العرب، شاهدت الوجوه أينتقص علي وأنتم حضوراً! إنَّ علياً عليه السلام كان يد الله على أعداء الله، وصاعقة من أمره، أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم فشنئوه وأبغضوه، وأضمرُوا له الشنف (٣٨٨) والحسد، وابن عمه عليه السلام حي بعد لم يميت، فلما نقله الله إلى جواره، وأحب له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، وشففت أضغانها، فمنهم من ابتز حقه، ومنهم من ائتمر به ليقته، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل، فإن يكن لذريته وناصري دعوته دولة تنشر عظامهم، وتحفر على أجسادهم، والأبدان منهم يومئذ بالية، بعد أن تقتل الأحياء منهم، وتذل رقابهم، فيكون الله عز اسمه قد عذبهم بأيدينا وأحزاهم، ونصرنا عليهم، وشفنا صدورنا منهم، إنه والله ما يشتم علياً إلا كافر يسرَّ شتم رسول الله صلى الله عليه وآله ويخاف أن ييوح به، فيكني بشتم علي عليه السلام عنه.

أما إنه قد تخطت المنية منكم من امتد عمره، وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: «لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)، فعاد ابن الزبير إلى خطبته، وقال: عذرت بني الفواطم يتكلمون، فما بال ابن أم حنيفة!

(٣٨٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٤٠١ فصل في مكارم أخلاقهما عليهما السلام.

(٣٨٧) بحار الأنوار: ج ٤٢ ص ٩٦ ب ١٢٠ ح ٢٧.

(٣٨٨) الشنف: البغض.

فقال محمد: (يا بن أم رومان، وما لي لا أتكلم! وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة! ولم يفتني فخرها، لأنها أم أخوي أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ بن مخزوم، جلة رسول الله ﷺ، وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم، كافلة رسول الله ﷺ، والقائمة مقام أمه، أما والله لولا خديجة بنت خويلد ﷺ ما تركت في بني أسد بن عبد العزى عظماً إلا هشمته! ثم قام فانصرف^(٣٨٩) .

توفي محمد بن الحنفية سنة إحدى وثمانين، وله من العمر خمس وستون سنة، وفي الخبر عن الإمام الباقر ﷺ قال: «أنا دفنت عمي محمد بن الحنفية، ونفقت يدي من تراب قبره»^(٣٩٠) .

وقد اختلف في موضع قبره وأشهر الأقوال فيه أنه دفن بالطائف.

❖ أما أولاد أمير المؤمنين ﷺ من السيدة فاطمة الكلابية المعروفة بأُم البنين ﷺ فأربعة:

١. العباس ﷺ قمر العشيرة، وهو أكبر أخوته وقد تعرضنا لبعض أحواله في كتاب (العباس ﷺ والعصمة الصغرى).

٢. جعفر، ويكنى بأبي عبد الله وقد استشهد في كربلاء.

٣. عبد الله، ويكنى بأبي محمد الأكبر واستشهد في كربلاء.

٤. عثمان، ويكنى بأبي عمرو، استشهد في كربلاء.

❖ وكان لأمر المؤمنين ﷺ أولاد أخر منهم عمرو الأطراف المكنى بأبي القاسم، ولقب بالأطرف لأن شرفه من طرف واحد وهو طرف أمير المؤمنين ﷺ، ومحمد الأوسط، ومحمد الأصغر، وعبيد الله، وإبراهيم، وعمرو الأصغر، وعتيق، ومحمد الأصغر، وعون، وعون الأكبر، وعمران، ويحيى، وعباس الأصغر.

❖ علماً بأنه لم يكن في أولاد أمير المؤمنين ﷺ ولا سائر أولاد الأئمة ﷺ

^(٣٨٩) شرح نهج البلاغة: ج ٤ ص ٦٢ - ٦٣ فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي.

^(٣٩٠) بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٣ ب ٤٩.

من يسمى بعمّر وأبي بكر وعائشة، وما أشبهه، وما ورد في بعض التواريخ فإنه غير صحيح ومن مفتريات بني أمية ومن أشبهه.

من كلام أمير المؤمنين عليه السلام

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الآخرة مرارة الدنيا» (٣٩١).

٢. وقال عليه السلام: «من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب» (٣٩٢).

٣. وقال عليه السلام: «من وضع نفسه مواضع التهمة، فلا يلومن من أساء به الظن» (٣٩٣).

٤. وقال عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه» (٣٩٤).

٥. وقال عليه السلام: «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك» (٣٩٥).

٦. وقال عليه السلام: «طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله» (٣٩٦).

٧. وقال عليه السلام: «ما حار من استخار، ولا ندم من استشار» (٣٩٧).

٨. وقال عليه السلام: «لا غنى مثل العقل، ولا فقر مثل الجهل» (٣٩٨).

٩. وقال عليه السلام: «أحب حبيبك هوناً عسى أن يعصيك يوماً ما، وأبغض بغيضك

(٣٩١) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٥١.

(٣٩٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٤.

(٣٩٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ١٥٩.

(٣٩٤) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ١١.

(٣٩٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٤٩.

(٣٩٦) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٤٥١ ب ٨٨ ح ٩٩٧٢.

(٣٩٧) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٧٨ ب ٥ ح ١٠١٢٥.

(٣٩٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧ ب ١٦ ح ٧.

هوناً عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» (٣٩٩).

١٠. وقال عليه السلام: «قيمة كل امرئ ما يحسن» (٤٠٠).

١١. وقال عليه السلام: «ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم» (٤٠١).

١٢. وقال عليه السلام: «حسن الخلق خير قرين، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه» (٤٠٢).

١٣. وقال عليه السلام: «أفضل العبادة الصبر والصمت وانتظار الفرج» (٤٠٣).

١٤. وقال عليه السلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له لا إيمان له» (٤٠٤).

١٥. وقال عليه السلام: «الصبر ثلاثة: الصبر على المصيبة، والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية» (٤٠٥).

١٦. وقال عليه السلام: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء» (٤٠٦).

١٧. وقال عليه السلام: «من كسه العلم ثوبه اختفى عن الناس عيبه» (٤٠٧).

١٨. وقال عليه السلام: «أهلك الناس اثنان: خوف الفقر وطلب الفخر» (٤٠٨).

(٣٩٩) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٦٨.

(٤٠٠) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٨١.

(٤٠١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٠٥ ب ١٩ ح ٤.

(٤٠٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧ ب ١٦ ح ٢.

(٤٠٣) الإرشاد: ج ١ ص ٣٠٢ ومن كلامه عليه السلام في وصف الإنسان.

(٤٠٤) تحف العقول: ص ٢٠٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤٠٥) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ب ١٩ ح ١٢٩٣٢.

(٤٠٦) تحف العقول: ص ٢١٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤٠٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٥٤ ب ١٦ ح ٩٢.

(٤٠٨) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٩١ ب ٧٥ ح ١٣٦٠٢.

١٩. وقال عليه السلام: «أدوا الأمانة ولو إلى قاتل ولد الأنبياء»^(٤٠٩).
٢٠. وقال عليه السلام: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكته وغيبته ووفاته»^(٤١٠).
٢١. وقال عليه السلام: «إنّ الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتجا بينهما الفقر»^(٤١١).
٢٢. وقال عليه السلام: «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجله»^(٤١٢).
٢٣. وقال عليه السلام: «يا بن آدم، إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره»^(٤١٣).
٢٤. وقال عليه السلام: «إذا كنت في إدبار الموت في إقبال، فما أسرع الملتقى»^(٤١٤).
٢٥. وقال عليه السلام: «اللسان سبع إن خلي عنه عقر»^(٤١٥).
٢٦. وقال عليه السلام: «عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار»^(٤١٦).
٢٧. وقال عليه السلام: «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم»^(٤١٧).
٢٨. وقال عليه السلام: «عظم الخالق عندك، يصغر المخلوق في عينك»^(٤١٨).

^(٤٠٩) الكافي: ج ٥ ص ١٣٣ باب أداء الأمانة ح ٣.

^(٤١٠) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ١٣٤.

^(٤١١) الكافي: ج ٥ ص ٨٦ باب كراهية الكسل ح ٨.

^(٤١٢) تحف العقول: ص ٢١٦ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٤١٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٥.

^(٤١٤) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٩.

^(٤١٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٦٠.

^(٤١٦) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٨٧.

^(٤١٧) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٤١.

^(٤١٨) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ١٢٩.

٢٩. وقال ﷺ: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد»^(٤١٩).

٣٠. وقال ﷺ: «اتقوا معاصي الله في الخلوات؛ فإنَّ الشاهد هو الحاكم»^(٤٢٠).

^(٤١٩) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٢٢١.

^(٤٢٠) نهج البلاغة، قصار الحكم: رقم ٣٢٤.

المعصوم الرابع: الإمام الحسن بن علي

نسبه عليه السلام :

هو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام:

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والدته عليها السلام:

فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

كنيته عليه السلام:

أبو محمد، وأبو القاسم.

ألقابه عليه السلام:

المجتبى، والزكي، والسبط الأول، وسيد شباب أهل الجنة، والأمين، والحجة، والتقي، والولي، والطيب.

ولادته عليه السلام:

وُلد في المدينة المنورة يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر رمضان المبارك سنة اثنتين أو ثلاث من الهجرة.

وفي اليوم السابع من ولادته عتق عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بكبش، وقال للسيدة الزهراء عليها السلام: «أحلقي رأسه، وتصدقي بوزن شعره فضة». فكان الوزن عن شعره بعد حلقه درهماً وشيئاً، فنصدقت به، فصارت العقيقة والتصلق بوزن الشعر سنة مستمرة بما فعله النبي صلى الله عليه وآله في حق الإمام الحسن عليه السلام.

صفته عليه السلام :

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كان الحسن عليه السلام أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين

الرأس إلى الصدر...» (٤٢١).

وعن أنس بن مالك قال: (لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي) (٤٢٢).

وقيل في صفته ﷺ: كان الحسن أبيض اللون مشرباً بجمرة، أدعج العينين (٤٢٣)، سهل الخدين، دقيق المسربة (٤٢٤)، كث اللحية (٤٢٥)، وكان عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس (٤٢٦)، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً.

من أشعاره ﷺ:

نما نسب إلى الإمام الحسن ﷺ من الشعر، قوله:

نحن أناس نواننا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسئل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل (٤٢٧)

نقش خاتمه ﷺ :

كان له ﷺ خاتم عقيق أحمر، نقشه: «العزة لله».

روي أنّ من نقش على فصّ خاتمه ذلك، كان في أمره مهيباً مصدقاً عظيماً،

(٤٢١) العمدة: ص ٤٠٢ فصل في مناقب الحسن والحسين ﷺ ح ٨٢٢.

(٤٢٢) العمدة: ص ٤٠٢ فصل في مناقب الحسن والحسين ﷺ ح ٨٢١.

(٤٢٣) أي شديد سوادهما مع سعتهما.

(٤٢٤) المسربة: ما دقّ من شعر الصدر سائلاً إلى البطن.

(٤٢٥) كث اللحية: قصرها مع كثرة شعرها.

(٤٢٦) الكراديس: رؤوس العظام، وقيل ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين، وأحدهما كُردوس.

(٤٢٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٦ فصل في مكارم أخلاقه ﷺ.

والصلاة فيه بسبعين صلاة^(٤٢٨).

قالوا فيه عليه السلام:

كثر مادحو الإمام الحسن عليه السلام حتى من المخالفين والأعداء، فكل أخذ يعبر بأسلوبه وطريقته عن عظمة هذا الإمام عليه السلام الذي ملأت فضائله الدنيا، منهم:

١. ابن حجر، قال: (وكان الحسن سيدياً كريماً حليماً زاهداً، ذا سكينه ووقار وحشمة جواداً ممدوحاً)^(٤٢٩).

٢. سبط ابن الجوزي، قال: (وكان عليه السلام من كبار الأجداد، وله الخاطر الوقاد، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً)^(٤٣٠).

٣. أبو نعيم، قال: (السيد المحب والحكيم المقرب الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما)^(٤٣١).

٤. ابن شهر آشوب، قال: (قال واصل بن عطاء: كان الحسن بن علي عليه السلام عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك)^(٤٣٢).

٥. ابن أبي الحديد، قال: (وكان رسول الله ﷺ يحبه، سابق يوماً بين الحسين وبينه فسبق الحسن عليه السلام، فأجلسه على فخذه اليمنى، ثم أجلس الحسين على الفخذ اليسرى، ف قيل له: يا رسول الله أيهما أحب إليك؟ فقال ﷺ: أقول كما قال إبراهيم عليه السلام أبونا، وقيل له: أي ابنك أحب إليك؟ قال: أكبرهما وهو الذي يلد ابني محمداً)^(٤٣٣).

^(٤٢٨) دلائل الإمامة: ج ٦٣ أسماؤه عليه السلام.

^(٤٢٩) الصواعق المحرقة: ص ٨٢.

^(٤٣٠) تذكرة الخواص: ص ١٩٤.

^(٤٣١) حلية الأولياء: ج ٢ ص ٣٥.

^(٤٣٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٩ فصل في علمه وفصاحته عليه السلام.

^(٤٣٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٦ ص ٢٧ ترجمة الحسن بن علي وذكر بعض أخباره.

من معاجزه ﷺ

معاجز وكرامات الإمام الحسن المجتبي ﷺ كثيرة، منها:

دعوة ابن نبي

عن أبي عبد الله ﷺ قال: «خرج الحسن بن علي ﷺ في بعض سفره ومعه رجل من ولد الزبير لا يقول بإمامته، فنزلوا في منهل من المناهل، تحت نخل يابس، قد يبس من العطش. قال: ففرش لأبي محمد الحسن ﷺ تحت نخلة، والزييري بجذائه تحت نخلة أخرى.

قال: فقام الزييري ورفع رأسه وقال: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، فقال الحسن ﷺ: «وإنك لتشتهي الرطب؟».

قال: نعم، فرفع ﷺ يده إلى السماء ودعا بدعاء لم يسمع ولم يفهم، فاختضرت النخلة ثم صارت إلى حالتها فأورقت وحملت رطباً.

قال: فقال الجمال الذي اكتروا منه: سحر والله!

فقال الحسن ﷺ: والله ليس بالسحر ولكن دعوة ابن نبي مجابة، فصعدوا إلى النخلة حتى صرموا^(٤٣٤) ما كان فيها، وما كان كفاهم^(٤٣٥).

إننا نعلم المكنون

عن ابن عباس، قال: مرّت بالحسن بن علي ﷺ بقرة، فقال: «هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرة في جبهتها، ورأس ذنبها أبيض». فانطلقنا مع القصاب، فلما ذبحها وجدنا

(٤٣٤) الصرم: القطع البائن.

(٤٣٥) الثاقب في المناقب: ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ف ٣ ح ٢٥٨.

الأمر على ما ذكر. فقلنا له: أ و ليس الله سبحانه يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ﴾^(٤٣٦) ويعلم ما في الأرحام، فكيف علمت هذا؟!
فقال عليه السلام: «إنا نعلم المكنون المخزون المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل، غير محمد عليه السلام وذريته عليهم السلام»^(٤٣٧).

^(٤٣٦) سورة لقمان: ٣٤.

^(٤٣٧) دلائل الإمامة: ص ٦٧ ذكر معجزاته عليه السلام.

مناقبيات

جسد الإمام الحسن عليه السلام كبقية الأئمة الأطهار عليهم السلام خلق الأنبياء عليهم السلام ومكارمهم وسجاياهم الطيبة، فهو عليه السلام من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومن مناقبه عليه السلام الكثيرة:

١. علمه عليه السلام:

كان الإمام الحسن عليه السلام وهو حجة الله على العباد، أعلم الناس بعد أبيه وجده عليهما السلام.

في الخبر أنه عليه السلام وإخوته وعبد الله بن العباس كانوا على مائدة، فجاءت جراحة ووقعت على المائدة. فقال عبد الله للحسن عليه السلام: أي شيء مكتوب على جناح الجراحة؟

فقال عليه السلام: «مكتوب عليه: أنا الله لا إله إلا أنا، ربما أبعث الجراد رحمة لقوم جياع ليأكلوه، وربما أبعثها نقمة على قوم فتأكل أطمعتهم».

فقام عبد الله وقبل رأس الحسن عليه السلام وقال: هذا من مكنون العلم^(٤٣٨).

❖ وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الحسن بن علي عليه السلام كان عنده رجلان. فقال لأحدهما: إنك حدثت البارحة فلاناً بمحدث كذا وكذا. فقال الرجل الآخر: إنه ليعلم ما كان! وعجب من ذلك».

فقال عليه السلام: إنا لنعلم ما يجري بالليل والنهار - ثم قال - إن الله تبارك وتعالى علم رسوله عليه السلام الحلال والحرام، والتنزيل والتأويل، فعلم رسول الله عليه السلام علماً علمه كله^(٤٣٩).

(٤٣٨) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٤١ ب ٣ في معجزات الإمام الحسن بن علي أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤٣٩) الخرائج والجرائح: ص ٥٧٣ ج ٢ ص ٥٧٣ - ٥٧٤ ب ١٤ فصل في أعلام الإمام الحسن بن

٢. عفوه عليه السلام:

كانت أخلاق الإمام الحسن عليه السلام كأخلاق جده رسول الله ﷺ يواجه المسيء بالعمو والصفح ويقابله بالتي هي أحسن، يقول المبرد: إن شامياً رآه عليه السلام راكباً فأخذ يلعنه، والإمام عليه السلام لا يرد عليه، ولما فرغ أقبل الإمام عليه السلام فسلم عليه وضحك. فقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعبتنا أعتبتك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنْتَ ضيفنا إلى وقت ارتحالك، كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

ولما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: كنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ!، والآن أنت أحب خلق الله إليّ. وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم^(٤٤٠).

❖ وروي: أنه لما استشهد الإمام الحسن عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سيره، فقال له سيد الشهداء عليه السلام: «تحمل اليوم جنازته وكنْتَ بالأمس تجرعه الغيظ!».

فقال مروان: نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال^(٤٤١).

❖ وبلغ الإمام الحسن عليه السلام في حلمه وسماحته حتى قيل في حقه: إنه لم يسمع منه عليه السلام قط كلمة مكروه شيئاً.

أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤٤٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٩ فصل في مكارم أخلاقه عليه السلام.

(٤٤١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٤٥ ب ٢٢ ضمن ح ١٣.

٣. جوده وكرمه ﷺ:

بلغ الإمام الحسن ﷺ من الكرم أنه سمي بكريم أهل البيت ﷺ لكثرة عطائه وجوده وسخائه، حتى أن رجلاً سأله فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال له: «أنت بممّال يحمل لك». فأتى بممّال فأعطاه طيلسانه، فقال: «هذا كرى الحمّال»^(٤٤٢).

وجاءه بعض الأعراب فقال: «أعطوه ما في الخزانة». فوجد فيها عشرون ألف درهم فدفعتها إلى الأعرابي، فقال الأعرابي: يا مولاي، ألا تركتني أبوح بجاجتي وأنشر مدحتي؟..

فأنشأ الإمام ﷺ قائلاً:

نحن أناس نواننا خضل	يرتفع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا	خوفاً على ماء وجه من يسئل
لو علم البحر فضل نائلنا	لغاض من بعد فيضه خجل ^(٤٤٣)

ظلامات

عاش الإمام الحسن ﷺ كأبيه أمير المؤمنين ﷺ مظلوماً ومات مسموماً شهيداً، وما زالت ظلامته حتى اليوم قائمة وشاخسة للجميع.
ومن تلك الظلامات:

١. تجرّعه الغصص أيام حياته من شتم أبيه أمير المؤمنين ﷺ بحضوره وتجاسر القوم على علي ﷺ وطعنهم فيه، وهو لا يجد أنصاراً يقفون أمام هذا السباب.
٢. خذلان الأمة له والتفافها حول معاوية وأتباعه، حتى اضطر أن يصلح معاوية بعد أن جند لقتاله الجيوش.
٣. تجاسر حتى بعض الخواص عليه بعد اضطراره للصالح حتى قال له بعضهم:

^(٤٤٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٦ فصل في مكارم أخلاقه ﷺ.

^(٤٤٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٨٢ ج ٤ ص ١٦ فصل في مكارم أخلاقه ﷺ.

ليتك مت ومتنا معك. وقال الآخر: يا مثل المؤمنين.

٤. نكث معاوية لكل العهود والمواثيق التي أعطاها للإمام عليه السلام، ومع ذلك لم تهب الأمة لنصرة ريحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة.
٥. تلفيق بعض التهم الرخصية حول شخصيته عليه السلام أمثال أنه كان مزوجاً مطلقاً.

٦. سمه عليه السلام على يد زوجته جعله بنت الأشعث بأمر من معاوية.
٧. تجاسر القوم على جنازته عليه السلام حتى رميت بالسهام.
٨. عدم السماح بدفنه إلى جنب جده رسول الله ﷺ.
٩. ما شاهده من غضب القوم لخلافة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.
١٠. ما شاهده من الهجوم على الدار، وقتل أخيه المحسن عليه السلام، وكسر ضلع أمه الزهراء عليها السلام، وما جرى عليها من المصائب مما سبب استشهادها، ففقد أمه الطاهرة وهو طفل صغير.
إلى غيرها وغيرها..

حقد معاوية

عمد معاوية بن أبي سفيان إلى تضليل الأمة وإقصائها عن علي أمير المؤمنين عليه السلام عبر أساليب شتى منها:
١. سنّ لعن الإمام عليه السلام وسبّه على منابر المسلمين حتى صارت سنة يلتزم بها القوم، وقد نسي أحد الخطباء اللعن مرة فذكروه في الطريق فوضع له منبراً وأخذ يلعن أمير المؤمنين عليه السلام، فشيّدوا مسجداً في ذلك المكان سُمّي بمسجد الذكر^(٤٤٤).
٢. بعث معاوية إلى عمّاله ومواليه في البلاد أن برئت الذمة ممن ذكر منقبة من مناقب أبي تراب عليه السلام وكان جزاؤه القتل.

(٤٤٤) فرحة الغري: ص ٢٥ المقدمة الثانية في السبب الموجب لإخفاء قبره عليه السلام.

٣. دعا موالیه وعمّالیه أن یأخذوا الموالین لأمیر المؤمنین علیه السلام بالظنة والتهمة ویقتلوهم.

٤. قطع راتب کل موال لأمیر المؤمنین علیه السلام بما فیهم حبر الأمة ابن عباس.

٥. أمر الوضّاعون أن یضعوا الأحادیث المزیفة ضدّ أمیر المؤمنین علیه السلام انتقاصاً منه.

٦. دعا الخطباء و غیرهم أن یضعوا الأحادیث فی فضل من غصب حق علی علیه السلام وینسبوا فضائل الإمام علی علیه السلام إلیهم.

کل هذه الأمور عایشها الإمام الحسن علیه السلام وتجرّع مرارتها وغصصها حتی بلغ الأمر أنّه کان یسبّ أمیر المؤمنین علیه السلام فی المجالس التي کان الإمام الحسن علیه السلام حاضرّاً فیها. ففي الخبر عن أبي مجلز، أن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وبمحضر الإمام الحسن بن علي علیه السلام صعد کل منهما المنبر وذكر علیاً علیه السلام بسوء ووقع فیهِ ^(٤٤٥).

ولما ولي مروان المدينة کان یسب الإمام علی علیه السلام علی المنبر کل جمعة، ثم ولي بعده سعید بن العاص فکان لا یسب، ثم أعید مروان فعاد للسب، وکان الإمام الحسن علیه السلام یعلم ذلك فیسکت ولا یدخل المسجد، فلم یرض بذلك مروان حتی أرسل للإمام الحسن علیه السلام فی بیته بالسب البلیغ لأبیهِ وله ^(٤٤٦).

هذا وکان من ضمن شروط صلح الإمام الحسن علیه السلام مع معاویة أن یترك معاویة سب أمیر المؤمنین علیه السلام، والقنوت علیه بالصلاة، وأن لا یدکره إلا بحیر. فقبل معاویة ذلك ولم یف به وقال: إني منیت الحسن وأعطیته أشياء جعلتها تحت قدمي لا أفي

^(٤٤٥) انظر مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٢٤٧ باب ما جاء فی الصلح وما كان بعده.

^(٤٤٦) وکان مما قاله مروان للإمام علیه السلام: ما وجدت مثلك إلا مثل البغلة یقال لها: من أبوك؟ فتقول: أبي الفرس. فقال للرسول: إرجع إلیه فقل له: «والله لا أحو عنك شيئاً مما قلت بأني أسبک، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة، قد أكرم جدي أن يكون مثلي مثل البغلة». انظر الغدير: ج ٨ ص ٢٦٤-٢٦٥.

بشيء منها له (٤٤٧).

خذلان الأمة

جهز الإمام الحسن عليه السلام جيشاً لمقاتلة معاوية وردعه عن باطله، ولكن الناس خذلوه، فكان من أسباب صلحه معه خذلان الأمة وتباطئهم عن نصرته عليه السلام، حتى قال عليه السلام في كلام له حين اجتمع بمعاوية: «وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قومه وهو يدعوهم إلى الله، حتى فرّ إلى الغار، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية» (٤٤٨).

وقال بعضهم له عليه السلام لما صالح معاوية: يا بن رسول الله، أذلت رقابنا وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً، ما بقي معك رجل. قال: «ومم ذاك؟».

قال: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية. قال: «والله ما سلمت الأمر إليه إلا أنني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم، ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون، ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا» (٤٤٩).

وقال عليه السلام: «أرى الناس يقولون: إن الحسن بن علي بايع معاوية طائعاً غير مكره. وأيم الله ما فعلت حتى خذلني أهل العراق، ولولا ذلك ما بايعته ولا نعمة عين» (٤٥٠).

(٤٤٧) الإرشاد: ج ٢ ص ١٤ باب ذكر الإمام بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤٤٨) كتاب سليم بن قيس: ص ٩٣٨ ح ٧٦.

(٤٤٩) الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٩١ احتجاجه عليه السلام على من أنكروا عليه مصالحة معاوية ونسبه إلى التقصير في طلب حقه.

(٤٥٠) الملاحم والفتن: ص ٢٢٩ ب ١٨ ح ٣٣٢.

تجاسر ما بعده تجاسر

بعد أن صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية، اعترض عليه بعض صحابته ومنهم من تجاسر:

❖ فقال بعضهم لما دخل على الإمام عليه السلام : (السلام عليك يا منلاً المؤمنين)!. فقال عليه السلام : «وعليك السلام، اجلس».

ولما استقر به المجلس، التفت عليه السلام إليه وقال: «لست منلاً للمؤمنين، ولكني معزهم، ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال»^(٤٥١).

❖ وقال بعضهم: (ما ينقضي تعجبنا منك، بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز)!

فقال الإمام الحسن عليه السلام : «قد كان ذلك، فما ترى الآن؟».

فقال: والله أرى أن ترجع؛ لأنه نقض العهد.

فقال عليه السلام : «إن الغدر لا خير فيه، ولو أردت لما فعلت»^(٤٥٢).

❖ وقال بعضهم: (أما والله لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومنتنا معك ولم نر هذا اليوم؛ فإننا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا). فلما خلا به الحسن عليه السلام قال له: «قد سمعت كلامك في مجلس معاوية وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيته كراييك، وإنني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاءً عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن»^(٤٥٣).

وقال عليه السلام :

(٤٥١) الأخبار الطوال: ص ٢٢١.

(٤٥٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٥ فصل في صلحه عليه السلام مع معاوية.

(٤٥٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٥ فصل في صلحه عليه السلام مع معاوية.

أجامل أقواما حياءً ولا أرى
قلوبهم تغلي علي مرضها (٤٥٤)
وقال ﷺ:

لئن ساءني دهر عزمت تصيرا
وإن سرنى لم أبتهج بسروره
وكل بلاء لا يدوم يسير
وكل سرور لا يدوم حقيقير (٤٥٥)

❖ وقال سفيان بن الليل عند ما أتى الإمام ﷺ: السلام عليك يا مثل المؤمنين!
فقال ﷺ: «عليك السلام يا سفيان انزل». يقول: فنزلت فعقلت راحلتي ثم أتته
فجلست إليه، فقال: «كيف قلت يا سفيان!». فقلت: السلام عليك يا مثل رقاب
المؤمنين. فقال: «ما جر هذا منك إلينا؟».

فقلت: أنت والله - بأبي أنت وأمي - أذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية
البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين بن اللعين بن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلهم
يموت دونك. وقد جمع الله لك أمر الناس.

فقال ﷺ: «يا سفيان، إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإني سمعت علياً
ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر
هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا
يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر وإنه لمعاوية وإني عرفت
أن الله بالغ أمره».

ثم أذن المؤذن فقمنا على حالب يجلب ناقة فتناول الإناء فشرب قائماً ثم سقاني
فخرجنا نمشي إلى المسجد فقال لي: «ما جاءنا بك يا سفيان؟». قلت: حبكم والذي
بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق.

قال: «فأبشر يا سفيان فإنني سمعت علياً ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
يرد عليّ الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين - يعني السبابتين - ولو شئت

(٤٥٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٥ فصل في صلحه ﷺ مع معاوية.

(٤٥٥) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٥ فصل في صلحه ﷺ مع معاوية.

لقلت هاتين - يعني السبابة والوسطى - إحداهما تفضل على الأخرى. ابشر يا
سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد ﷺ
(٤٥٦)

دواعي الصلح وأسبابه

بما أنّ قضية الصلح من المسائل المهمة في حياة الإمام الحسن ﷺ فلا بأس
ببيان أهم أسبابه ودواعيه:

إنّ الإمام الحسن ﷺ في بادئ الأمر كان عازماً على مقاتلة معاوية - بعدما بلغه
سير معاوية نحو العراق وأنه وصل إلى جسر منبج وهجم على بعض المناطق وقتل
المسلمين فيها - حيث إن الإمام ﷺ أعدّ العدة وهياً الرجال للحرب. فبعث حجر
بن عدي يأمر العمال بالتهيؤ لمقاتلة معاوية، وصلى ﷺ بالناس جماعة وخطب فيهم
ودعاهم إلى الجهاد والخروج لقتال جيش معاوية.

ولكن هناك عدة عوامل جعلت الإمام الحسن ﷺ يعرض عن مقاتلة معاوية
ويصلحه، منها:

١. خيانة القوم: فمن الذين نصبهم الإمام الحسن ﷺ على جيشه هو عبيد الله
بن العباس، وقد أرسل إليه معاوية: (إنّ الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم
الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن
جتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يعجل لك في هذا الوقت النصف، وإذا
دخلت الكوفة النصف الآخر). فانسل عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية، فوفى له
بما وعده (٤٥٧).

كما ترك النجاشي، ومصقلة بن هبيرة، والققعاق بن شور، وغيرهم الإمام ﷺ

(٤٥٦) مقاتل الطالبين: ص ٤٤ الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٤٥٧) مقاتل الطالبين: ص ٤٢ الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

بعد أن بايعوه، والتحق كل منهم بمعاقبة.

٢. تغلغل المنافقين: كثر المنافقون في جيش الإمام الحسن عليه السلام وقد راسل معاوية بعضهم فكتبوا إليه بالطاعة في السرّ واستحثوه على السير نحوهم وضمنوا له تسليم الإمام الحسن عليه السلام إليه عند ذنوبهم من عسكره، أو الفتك به.

وقد بلغ الإمام عليه السلام بعد أن كتب إليه قيس بن سعد يخبره أنّ القوم قد غدروا، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المصير إليه وضمن له ألف ألف درهم، فالتحق عبيد الله بمعسكر معاوية وفقد الناس قائدهم العسكري.

٣. ارتياب الناس وعصيانهم: فإنّهم لما بايعوا الإمام عليه السلام اشترط عليهم أن يسمعوا له ويطيعوه ويسالموا من سالم ويحاربوا من حارب، فارتابوا في أمرهم وفهموا منه أنه لا يريد قتالاً، فلم يلبث عليه السلام إلا قليلاً حتى طعنه أحدهم طعنة في فخذه، وهذا يكشف عن عصيانهم للإمام عليه السلام وعدم امتثالهم لأوامره.

٤. تخلف القوم: فإنّ الإمام الحسن عليه السلام خرج للقتال وحث الناس على الجهاد وأرسل جيشاً للثغور، وخرج عليه السلام بنفسه بعد أن استخلف على الكوفة ابن عمّه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولكن كثيراً من القوم تخلفوا عنه ولم يخرجوا معه، علماً أنّهم كانوا قد بايعوه على نصرته، فبقي معسكره بالنخيلة عشرة أيام وليس معه سوى أربعة آلاف.

٥. عدم خلو الأمر من المفسدة: فإنّه بعدما أخذ معاوية ينادي بالصلح، فإن كان الإمام الحسن عليه السلام يستمر بمقاتلة معاوية حتى ينتصر عليه، فإن هذا الاحتمال ضعيف كما أشرنا إليه لغدر أصحابه، وعلى فرض الانتصار كان يتذرّع معاوية وجماعته بالظلمية وعدم قبول الإمام عليه السلام الصلح.

والاحتمال الآخر أن الإمام عليه السلام يهزم وحينئذ ينسب إليه الإقدام على التهلكة لعدم قبوله الصلح.

٦. طلاب الدنيا: فإن أكثر الذين بايعوا الإمام الحسن عليه السلام كانوا من طلاب الغنائم والمناصب الذين إن أعطوا رضوا، وإن مُنعوا سخطوا، ولم يكن الإمام عليه السلام يسير إلا بسيرة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وهي السير بالعدل والمساواة، الأمر الذي جعل كثيراً منهم يتفرق عنه ويركن إلى معاوية.

٧. فضح معاوية: فمن خلال الصلح وضع الإمام الحسن عليه السلام معاوية بين أمرين حرجين، فإما أن يلتزم بنود الصلح وهو بعيد جداً، أو ينقض العهد والميثاق فيكشف للناس حقيقته المخفية على الكثيرين، فاختار معاوية الأمر وأبى إلا أن يفضح نفسه بنفسه.

وبالطبع إذا كان يلتزم معاوية بنود الصلح، كان ذلك مكسباً عظيماً للشيعة، وتقييداً واضحاً لمعاوية، فإنه كان من بنود الصلح:

ألف: تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين.

ب: ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده، بل يكون الأمر للإمام الحسن عليه السلام، فإن حدث له حدث فللإمام الحسين عليه السلام.

ج: الأمن العام لعموم الناس، وأن يحتمل عنهم معاوية ما يصدر من هفواتهم ولا يتبع أحداً بما مضى، ولا يأخذ أهل العراق بإحنه.

د: أن لا يتسمى معاوية بأمر المؤمنين.

هـ: أن لا تقام عنده الشهادة.

و: أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام ولا يذكره إلا بخير.

ز: أن يوصل لكل ذي حقّ حقه.

ح: ن يأمن الشيعة ولا يتعرض لهم بمكروه.

ط: أن يمنح أبناء من قتلوا في صفين والجمل ألف ألف درهم.

ي: أن يمنح الإمام الحسن عليه السلام ما في بيت مال الكوفة، ويقضي عنه ديونه ويدفع إليه في كل سنة مائة ألف.

ك: أن لا يبغى للإمام الحسن عليه السلام ولا للإمام الحسين عليه السلام ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق (٤٥٨).

وهكذا فضح الإمام الحسن عليه السلام معاوية بهذه البنود، وسلب الشرعية منه، حيث نقضها بالكامل.

افتراءات لا أصل لها

من الافتراءات المدسوسة التي دسها الوضاعون للتنقيص من شخصية الإمام الحسن عليه السلام ما نسب إليه من كثرة زواجه وطلاقه حتى لقبه البعض بالطلاق، وقال بعضهم: إنَّ عدد زوجاته بلغ المائتين والخمسين! وقيل: ثلاثمائة!، ونسبوا للإمام علي عليه السلام أنه كان يضجر من ذلك ويكره حياءً من أهلها إذا طلقهن، وكان يقول: حسن مطلق فلا تنكحوه!، أو أنه لما استشهد خرجت جمهرة من النسوة حافيات حاسرات خلف جنازته، وهنَّ يقلن: نحن أزواج الإمام الحسن عليه السلام!

ومن تتبَّع التاريخ يرى أن الكثيرين الذين ذكروا أسماء زوجات الإمام الحسن عليه السلام لا تتجاوز الأربعة عشر في مختلف الفترات، والعديد منهن مطلقات قبل الإمام فتزوجها عليه السلام أمثال: أم بشر بنت مسعود عقبه بن عمرو الأنصاري وقد تزوجت قبل الإمام عليه السلام برجلين، وخولة بنت منظور بن زيان الفزارية وكانت زوجة محمد

(٤٥٨) كتاب الفتوح: ج ٤ ص ٢٩٠ - ٢٩١ ذكر بيعة الحسن بن علي لمعاوية كيف كانت.

بن طلحة وولدت له، وأسماء بنت عطار بن حاجب بن زرارة التميمي وقد تزوجت
عبيد الله بن عمر ثم تزوجها الإمام الحسن عليه السلام، وهند بنت سهيل بن عمرو وقد
تزوجت عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ثم تزوجت من عبد الله بن عامر بن كريز،
فطلقها ثم خطبها معاوية ليزيد وفي الوقت نفسه خطبها الإمام الحسن عليه السلام ففضلته
على يزيد وتزوجته.

وعلى فرض صحة هذا المقدار فإنه لم يكن آنذاك أمراً غريباً، حيث كان من
المتعارف الزواج بأربعة، وبعض أمهات الأولاد.

فقد تزوج الإمام علي عليه السلام بتسع، وتزوج ابن الخطاب بعشرة، وتزوج عثمان
بثمان، على ما ذكر.

من جانب آخر كيف يمكن أن يأمر الإمام علي عليه السلام الناس بأن لا يزوجوا الإمام
الحسن عليه السلام لأنه مزواج مطلق؛ فإنه ينافي العصمة فكيف لا يرتضي المعصوم بفعل
المعصوم، والإمام الحسن عليه السلام معصوم بنص آية التطهير.

شهادة الإمام الحسن عليه السلام

بعد أن نقض معاوية الصلح وكشف عن حقيقته المخفية عن كثير من الناس، إذ كان شغله الشاغل أن يدلي بالخلافة لابنه يزيد، والحال أنه جعل ولاية العهد بعده للإمام الحسن عليه السلام. لذا فقد عمد إلى مكيمة وخطط حيلة للتخلص من الإمام عليه السلام عبر طريقته المشهورة: إنَّ لله جنوداً من عسل. فبعث إلى جعدة بنت الأشعث زوجة الإمام: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم، وزوجتك من يزيد (٤٥٩).

وكان الإمام الحسن عليه السلام قد سقي السم مراراً، وإلى ذلك يشير عمير بن إسحاق قائلاً: كُنَّا عند الحسن بن علي عليه السلام فدخل المخرج ثم خرج. فقال: «سقيت السم مراراً وما سقيته مثل هذه المرة، ولقد لفظت طائفة من كبدي، فرأيتني أفلبها بعود معي».

وفي الخبر أن سالم بن أبي الجعد قال: قلت: أفلا تتداوى؟

فقال عليه السلام: «قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء، ولقد رقى إليّ: أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتل شربة. فكتب إليه ملك الروم: إنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا. فكتب إليه: إن هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة، وقد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أريد أن أدس إليه من يسقيه ذلك، فأريح العباد والبلاد منه. ووجه إليه بهدايا وألطف فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس فيها فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً» (٤٦٠).

وعن أبي جعفر عليه السلام: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة بكى، فقيل له: يا بن

(٤٥٩) شرح إحقاق الحق: ج ٢٦ ص ٥٨٠ رسالة معاوية إلى جعدة بنت الأشعث.

(٤٦٠) الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٩١- ٢٩٢ احتجاجه عليه السلام على من أنكر عليه مصالحة معاوية ونسبه إلى التقصير في طلب حقه.

رسول الله تبكي ومكانك من رسول الله ﷺ الذي أنت به، وقد قال فيك ما قال، وقد حججت عشرين حجة ماشياً، وقد قاسمت مالك ثلاث مرّات حتى النعل بالنعل؟!.

فقال ﷺ: «إنما أبكي لخصلتين: لهول المطلع، وفراق الأحبة»^(٤٦١).

وعن رؤبة بن مصقلة قال: لما نزل بالحسن ﷺ الموت قال: «أخرجوا فراشي إلى صحن الدار». فأخرجوه فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إنني أحتسب عندك نفسي؛ فإنها أعزّ الأنفس عليّ لم أصب بمثلها. اللهم ارحم صرعتي، وأنس في القبر وحدتي». ثم توفي ﷺ^(٤٦٢).

ولما بلغ معاوية خبر شهادة الإمام الحسن ﷺ فرح فرحاً شديداً، وإلى ذلك يشير ابن قتيبة قائلاً: فلما كانت سنة إحدى وخمسين، مرض الحسن بن علي ﷺ مرضه الذي مات فيه. فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن، فكتب إليه معاوية: إن استطعت أن لا يمضي يوم يمر بي إلا يأتيني فيه خبره فافعل. فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي. فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً، حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس - وكان بالشام يومئذ - فدخل على معاوية، فلما جلس قال معاوية: يا بن عباس هلك الحسن بن علي. فقال ابن عباس: نعم هلك ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٤٦٣) - ترجيعاً مكرراً - وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته! أما والله ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك. ولقد مات وهو خير منك، ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جده رسول الله ﷺ، فجبر الله مصيبتته، وخلف علينا من بعده أحسن

(٤٦١) الكافي: ج ١ ص ٤٦١ باب مولد الحسن بن علي (صلوات الله عليهما) ح ١.

(٤٦٢) تذكرة الخواص: ص ٢١٣.

(٤٦٣) سورة البقرة: ١٥٦.

تجهيز ودفن

شُيع الإمام الحسن عليه السلام تشييعاً مهيباً، فعن جهم بن أبي جهم قال: لما مات الحسن بن علي عليه السلام بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت الحسن عليه السلام، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحد عنه (٤٦٥).

وفي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لما حضر الحسن بن علي عليه السلام الوفاة. قال للحسين عليه السلام: يا أخي، إني أوصيك بوصية فاحفظها، إذا أنا مت فهيني ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي عليها السلام ثم ردني فادفني بالبقيع. واعلم أنه سيصيبني من عائشة ما يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وعداوتها لنا أهل البيت. فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على السرير ثم انطلقوا به إلى مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلى عليه الحسين عليه السلام وحمل وادخل إلى المسجد. فلما أوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب ذو العوينين (٤٦٦) إلى عائشة، فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوا مع النبي صلى الله عليه وآله. فخرجت مبادرة على بغل بسرج - فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً - فقالت: نحو ابنكم عن بيتي! فإنه لا يدفن في بيتي ويهتك على رسول الله حجابيه. فقال لها الحسين عليه السلام: قديماً هتك أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلت عليه بيته من لا يجب قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة» (٤٦٧).

ثم إنهم رموا جنازة الإمام الحسن عليه السلام حتى سلّ منها سبعون نبلاً (٤٦٨).

(٤٦٤) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١ موت الحسن بن علي (رضي الله عنه).

(٤٦٥) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣ ص ٢٩٧ ترجمة الحسن بن علي عليه السلام تحت رقم ١٣٨٣.

(٤٦٦) المراد به الجاسوس.

(٤٦٧) الكافي: ج ١ ص ٣٠٠ باب الإشارة والنص على الحسين بن علي عليه السلام ح ١.

(٤٦٨) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٤ فصل في وفاته وزيارته عليه السلام.

فقد جاء في الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين: «وأنتم بين صريع في الحراب قد فلق
 السيف هامته، وشهيد فوق الجنازة قد شكّت بالسهم أكفانه» (٤٦٩).
 وقد ذهب المؤرخون إلى أنّ عائشة هي التي أمرت برمي الجنازة (٤٧٠).
 قولها: عن بيتي، مغالطة عظيمة فإنها ليست إلا زوجة من زوجات النبي ﷺ
 ليس لها من الإرث سوى التسع من الثمن، والأرض لا ترث الزوجة منها، ثم ما
 بالها ترث من النبي ﷺ ولا ترث ابنته الصديقة فاطمة عليها السلام؟!.

أولاده عليّ السلام

ذكروا أن الإمام الحسن عليّ السلام خلف خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى، منهم:
 ١. زيد: وهو أول أولاده عليّ السلام وكان جليل القدر، كريم الطبع، كثير البر، وقد
 ولي صدقات رسول الله ﷺ وهو أسن بني الحسن، ولم يذكر أنه شهد معركة
 كربلاء، وربما كان ذلك ببيعاز من الإمام الحسين عليّ السلام.
 ٢. الحسن: المعروف بالمشي، وكان جليلاً ورعاً، وقد ولي صدقات جدّه أمير
 المؤمنين عليّ السلام، وقد شهد الحسن كربلاء وكانت فيه جراحات كثيرة وأسر ضمن من
 أسر، ولكن أسماء بن خارجة الفزازي أخرجه من الأسر وجاء به إلى الكوفة وداواه
 حتى برأ وذهب إلى المدينة.
 وكان الحسن صهر عمه الإمام الحسين عليّ السلام حيث تزوج ابنته فاطمة، وقيل: إنه
 لما خطب إلى عمه إحدى ابنتيه (فاطمة وسكينة). قال له الإمام الحسين عليّ السلام: «اختر يا
 بني أحبهما إليك». فاستحى الحسن ولم يجر جواباً، فقال الإمام الحسين عليّ السلام: «فإني
 اخترت لك ابنتي فاطمة؛ فهي أكثرهما شبهاً بأبي فاطمة بنت رسول الله ﷺ».

(٤٦٩) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ١٦٦ - ١٦٧ ب ٨ ح ٦.

(٤٧٠) انظر ناسخ التواريخ.

وقد ذكر المؤرخون أنه لما طلب عبد الملك بن مروان من واليه على المدينة أن يقيم آل علي عليه السلام ليشتموا آل الزبير، ويقيم آل الزبير ليشتموا آل علي عليه السلام أبى الحسن المثنى ذلك فضرب حتى سال دمه. وأما وفاته فقد مات الحسن المثنى مسموماً بين مكة والمدينة في حجاز.

٣- عبد الله سماه البعض بأبي بكر وليس بصحيح، وأمّه أمّ ولد، وهو أخو القاسم لأبيه وأمّه، وقد حضر مع عمه في كربلاء وقتل، وعمره آنذاك ستة عشر سنة.

٤. القاسم: وقد حضر كربلاء واستشهد بين يدي عمه سيد الشهداء عليه السلام بعد أن قرأ عودة أبيه الذي أوصاه أن يقرأها لما يعتريه الغم الشديد، فوجد فيها أن أباه يوصيه بنصرة عمه الحسين عليه السلام. فقصد عمّه وعرض عليه الوصية، فلما قرأها الحسين عليه السلام تأوه وعلا صوته بالبكاء، ثم أخبره الإمام الحسين عليه السلام بوصية أخرى لأبيه الإمام الحسن عليه السلام. فطلب من أمه أن تلبسه ثيابه الجدد، وقال لأخته السيدة زينب عليها السلام أن تأتيه بعبية أخيه. فأحضروه له ففتح الصندوق وأخرج منه قباء الإمام الحسن عليه السلام وألبسه القاسم، ووضع على رأسه عمامة الإمام الحسن عليه السلام، وأخذ بيد بنته المسماة باسم القاسم، وقال عليه السلام: «إنّ هذه أمانة أبيك التي أوصاك بها، ولقد كانت عندي حتى هذه الساعة سلوة». ثم عقد البنت له، ووضع يدها بيد القاسم وخرج من الخيمة ^(٤٧١).

(٤٧١) روضة الشهداء: ص ٤٠٠.

وقد صارت واقعة عرس القاسم عليه السلام مدار البحث، فلم يقبل بها بعض ونسبها إلى الجعل، ولكن المحققين من العلماء صححوها وقالوا باعتبار أخبارها، وكتبت فيها بحوث مختلفة، منها كتاب: (التقرير الحاسم لعرس القاسم)، وكتاب (قول الصواب)، وكتاب (جواب السؤال عن عرس القاسم)، وغيرها يمكن للقارئ مراجعتها. علماً بأن الإمام الشيرازي رحمته الله يرى ◀ صحتها، وقد ورد ذلك في العديد من كتبه. مضافاً إلى هذا الكتاب. منها: (من حياة الإمام الحسين عليه السلام) وكذلك في بعض الاستفتاءات التي أجاب عليها (أعلى الله مقامه).

حكام عصره ﷺ

عاصر الإمام الحسن ﷺ حكومة جده الرسول الأعظم ﷺ ومن ثم حكومة من غضب الخلافة ومن بعدهم حكومة أبيه أمير المؤمنين ﷺ، وكذلك مقداراً من حكومة معاوية بن أبي سفيان.

أما معاوية، ففي ربيع الأبرار للزخشي قال: إنه يعزى إلى أربعة^(٤٧٢).

وكان معاوية يحمل حقداً عظيماً على رسول الله ﷺ وإلى ذلك يشير المطرف بن المغيرة بن شعبة قائلاً: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه. إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا. فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة!؟

فقال: يا بني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟.

قال: قلت له - وقد خلوت به -: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تميم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: (أشهد أن محمداً رسول الله)، فأبي عملي يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلا دفناً دفناً^(٤٧٣).

وكان معاوية يلبس الحرير ويشرب بأنية الذهب والفضة حتى أنكر عليه أبو

^(٤٧٢) انظر ربيع الأبرار: ج ٣ باب القرباب والأنساب.

^(٤٧٣) شرح نهج البلاغة: ج ٥ ص ١٢٩ - ١٣٠ أخبار متفرقة عن معاوية.

الدرءاء. فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الشاربَ فيهما ليجرجر في جوفه نار جهنم». فقال معاوية: أمّا أنا فلا أرى بذلك بأساً. فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية، أنا أخبره عن رسول الله ﷺ وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أبداً^(٤٧٤).

وهو أول من اتخذ الحرس والبواب، ومن أقبح أفعاله سن لعن وسب أمير المؤمنين ﷺ فوق المنابر حتى صارت سنة يكبر عليها الصغار ويهرم عليها الكبار، وهو الذي قتل الخيرة من صحابة أمير المؤمنين ﷺ أمثال عمار بن ياسر ومالك الأشتر وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم.

(٤٧٤) شرح نهج البلاغة: ج ٥ ص ١٣٠ أخبار متفرقة عن معاوية.

من كلام الإمام الحسن عليه السلام

١. قال الإمام الحسن عليه السلام: «لا تعجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقاً» (٤٧٥).
٢. وقال عليه السلام: «المزاح يأكل الهيبة، وقد أكثر من الهيبة الصامت» (٤٧٦).
٣. وقال عليه السلام: «المصائب مفاتيح الأجر» (٤٧٧).
٤. وقال عليه السلام: «النعمة محنة، فإن شكرت كانت نعمة، فإن كفرت صارت نقمة» (٤٧٨).
٥. وقال عليه السلام: «الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود» (٤٧٩).
٦. وقال عليه السلام: «لا يعرف الرأي إلا عند الغضب» (٤٨٠).
٧. وقال عليه السلام: «كفك من لسانك ما أوضح لك سبيل رشدك من غيك» (٤٨١).
٨. وقال عليه السلام: «تجهل النعم ما أقامت، فإذا ولت عرفت» (٤٨٢).
٩. وقال عليه السلام: «عليكم بالفكر! فإنه حياة قلب البصير، ومفاتيح أبواب الحكمة» (٤٨٣).
١٠. وقال عليه السلام: «أوسع ما يكون الكريم بالمغفرة إذا ضاقت بالذنب

(٤٧٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٥ ب ١٩ ح ١١.

(٤٧٦) العدد القوية: ص ٣٧ اليوم الخامس عشر.

(٤٧٧) مسكن الفؤاد: ص ٤٣ ب ٢ في الصبر وما يلحق به.

(٤٧٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٣ ب ١٩ ضمن ح ٧.

(٤٧٩) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٤٢ ب ٩٠ ضمن ح ١٣٧٣١.

(٤٨٠) العدد القوية: ص ٣٧ اليوم الخامس عشر.

(٤٨١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٤ ب ١٩ ضمن ح ٧.

(٤٨٢) أعلام الدين: ص ٢٩٧ من كلام الإمام الزكي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام.

(٤٨٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٥ ب ١٩ ضمن ح ١٢.

المعذرة» (٤٨٤).

١١. وقال عليه السلام: «صاحبِ الناسِ مثل ما تحب أن يصلحوك به» (٤٨٥).

١٢. وقال عليه السلام: «ابن آدم إنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود، وإن الكافر يتمتع - وكان عليه السلام يتلو بعد هذه الموعدة - ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾» (٤٨٦) (٤٨٧).

١٣. وقال عليه السلام: «اللؤم أن لا تشكر النعمة» (٤٨٨).

١٤. وقال عليه السلام: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة، وأخا مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمةً منتظرة، وكلمةً تدله على هدى، أو ترده عن ردى، وترك الذنوب حباً، أو خشية» (٤٨٩).

١٥. وقال عليه السلام: «البخل جامع للمساوئ والعيوب، وقاطع للمودات من القلوب».

١٦. وقال عليه السلام: «الناس في دار غفلة يعملون ولا يعلمون ويكسبون ويقتربون من حيث لا يدرون، فإذا صاروا إلى دار الآخرة صاروا إلى دار يقين يعلمون ولا يعملون» (٤٩٠).

١٧. وقال عليه السلام: «من عرف الله أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن» (٤٩١).

(٤٨٤) أعلام الدين: ص ٢٩٧ من كلام الإمام الزكي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام.

(٤٨٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٦ ب ١٩ ضمن ح ١٢.

(٤٨٦) سورة البقرة: ١٩٧.

(٤٨٧) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٥٦- ٥٥٧ السابع في عبادته عليه السلام.

(٤٨٨) تحف العقول: ص ٢٣٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤٨٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٠٨ ب ١٩ ضمن ح ٤.

(٤٩٠) دعائم الإسلام: ج ١ ص ١٦٨- ١٦٩ ذكر الدعاء بعد الصلاة.

(٤٩١) مجموعة ورام: ج ١ ص ٥٢ باب الظن.

١٨. وقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله وإدامة التفكر؛ فإن التفكر أبو كل خير وأمه» (٤٩٢).

١٩. وقال ﷺ لبيه: «تعلموا العلم؛ فإنكم صغار القوم وكبارهم غداً، ومن لم يحفظ منكم فليكتب».

٢٠. وقال ﷺ: «علم الناس علمك وتعلم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم» (٤٩٣).

٢١. وقال ﷺ: «هالك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد. فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم ﷺ من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هايبيل» (٤٩٤).

٢٢. وقال ﷺ: «لا تأت رجلاً إلا أن ترجو نواله وتخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجو بركة دعائه، أو تصل رحماً بينك وبينه» (٤٩٥).

٢٣. وقال ﷺ: «من عبد الله عبد الله له كل شيء» (٤٩٦).

٢٤. وقال ﷺ: «ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد» (٤٩٧).

٢٥. وقال ﷺ: «إن من طلب العبادة تزكى لها» (٤٩٨).

٢٦. وقال ﷺ: «أحسن الحسن الخلق الحسن» (٤٩٩).

٢٧. وقال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (٥٠٠).

(٤٩٢) مجموعة ورام: ج ١ ص ٥٢ باب الظن.

(٤٩٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١١ ب ١٩ ضمن ح ٦.

(٤٩٤) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٧١ - ٥٧٢ التاسع في كلامه ﷺ ومواعظ وما يجري معها.

(٤٩٥) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٧١ - ٥٧٢ التاسع في كلامه ﷺ ومواعظ وما يجري معها.

(٤٩٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٠٨ ط بيروت مؤسسة الأعلمي.

(٤٩٧) كشف الغمة: ج ١ ص ٥٧٢ التاسع في كلامه ﷺ ومواعظ وما يجري معها.

(٤٩٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٠٩ ب ١٩ ضمن ح ٤.

(٤٩٩) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٥٣ ب ١٠٤ ح ١٥٩٢٩.

٢٨. وقال ﷺ: «من تذكر بعد السفر اعتد»^(٥٠١).
٢٩. وقال ﷺ: «إذا أضرت النوافل بالفريضة فافضوها»^(٥٠٢).
٣٠. وقال ﷺ: «التفكر حياة قلب البصير»^(٥٠٣).

(٥٠٠) إرشاد القلوب للدليمي: ج ١ ص ٧٩، الباب التاسع عشر في القرآن. وج ١ ص ١٦١ ط دار الأسوة.

(٥٠١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٠٩ ب ١٩ ضمن ح ٤.

(٥٠٢) تحف العقول: ص ٢٣٦ وروي عنه ﷺ في قصار هذه المعاني.

(٥٠٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٥ ب ١٩ ضمن ح ١١.

المعصوم الخامس:
الإمام الحسين بن علي

نسبه عليه السلام :

هو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

والدته عليها السلام :

الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام.

كنيته عليه السلام :

أبو عبد الله.

ألقابه عليه السلام :

الرشيد، الطيب، الوفي، السيد، الزكي، المبارك، الشهيد، التابع لمرضات الله، المطهر، البر، سيد الشهداء. وأشهر ألقابه ما لقبه به جدّه رسول الله ﷺ وهو: «سيد شباب أهل الجنة»، فيكون لقب (السيد) أشرف ألقابه.

ولادته عليه السلام :

في الثالث من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة.

صفته عليه السلام :

كان الإمام الحسين عليه السلام أبيض اللون، له جمال عظيم ونور يتلألأ في جبينه وخطه. وكان أشبه الناس بالنبي ﷺ، وكانت أمّه الصديقة فاطمة عليها السلام لما تلّعبه تقول:

أنت شبيه بأبي
نسبت شبيهها بعلي
وروي أنه عليه السلام إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس ببياض جبينه

ونحرة؛ حيث كان رسول الله ﷺ يكثر من تقبيله في نحرة وجبينه (٥٠٤).
وينقل أن ابن زياد لما رأى رأسه الشريف قال: ما رأيت مثل هذا الرأس
حسناً (٥٠٥).

نقش خاتمه ﷺ :

كان له ﷺ خاتم فضّه عقيق نقشه: «إن الله بالغ أمره».
وخاتم نقشه: «لا إله إلا الله عنة للقاء الله».
عن محمد بن مسلم، قال: سألت الصادق جعفر بن محمد ﷺ عن خاتم الحسين
بن علي ﷺ إلى من صار؟. وذكرت له أنني سمعت أنه أخذ من إصبغه فيما أخذ.
أقول: قصد الراوي خاتم الإمامة الخاص بالمعصوم ﷺ.
قال ﷺ: «ليس كما قالوا. إن الحسين ﷺ أوصى إلى ابنه علي بن الحسين
ﷺ وجعل خاتمه في إصبغه وفوض إليه أمره، كما فعله رسول الله ﷺ بأمر
المؤمنين ﷺ وفعله أمير المؤمنين بالحسن عليه السلام، وفعله الحسن بالحسين عليه السلام، ثم
صار ذلك الخاتم إلى أبي ﷺ بعد أبيه ﷺ، ومنه صار إليّ فهو عندي. وإنني لألبسه
كل جمعة وأصلي فيه».

قال محمد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة وهو يصلي، فلما فرغ من الصلاة
مدّ إليّ يده، فرأيت في إصبغه خاتماً نقشه: لا إله إلا الله عنة للقاء الله. فقال: «هذا خاتم
جدي أبي عبد الله الحسين بن علي، ﷺ» (٥٠٦).

ومن هنا يتضح أنّ الخاتم الذي قطعوا إصبغ الإمام الحسين ﷺ وسلبوه يوم
الطف غير هذا الخاتم الذي توارثه الأئمة عليهم السلام إماماً بعد إمام.

(٥٠٤) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٨٧ - ١٨٨ ب ٢٥ ضمن ح ١٦.

(٥٠٥) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٧٥ فصل في معالي أموره ﷺ.

(٥٠٦) أمالي الصدوق: ص ١٤٤ المجلس التاسع والعشرون ح ١٣.

علاقة النبي ﷺ بالحسين ﷺ

ليس هناك من شك أنّ النبي ﷺ يختلف عن سائر الناس العاديين الذين يجبون ويبغضون لأحاسيسهم وعواطفهم وميولاتهم فحسب، فهو ﷺ المعصوم الكامل الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولا يفعل إلا حسب ما يرضي الرب عزّ وجلّ.

ومن يتتبع سيرة النبي ﷺ مع الإمام الحسين ﷺ يجد أنّ هناك علاقة وطيدة وحميمة بينهما تتجلى خلال المواقف المختلفة التي كان يتخذها نبي الإسلام ﷺ تجاه الإمام الحسين ﷺ ومن ذلك:

عن يعلي العامري: إنه خرج من عند رسول الله ﷺ إلى طعام دُعي إليه، فإذا هو بحسين ﷺ يلعب مع الصبيان. فاستقبل النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه، فظفر الصبي ها هنا مرة وها هنا مرة، وجعل رسول الله ﷺ يضحكه حتى أخذه. فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفائه، ووضع فاه على فيه وقبله، ثم قال: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط» (٥٠٧).

وروي أنّ النبي ﷺ مرّ على بيت فاطمة عليها السلام، فسمع الحسين ﷺ يبكي، فقال ﷺ: «ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني» (٥٠٨).

وروي أنّ رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة من أصحابه ماراً في بعض الطريق، وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق. فجلس النبي ﷺ عند صبي منهم وجعل يقبل ما بين عينيه ويلاطفه، ثم أقعده على حجره وكان يكثر تقبيله. فسئل عن علة ذلك؟ فقال ﷺ: «إني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين ﷺ، ورأيت يرفع

(٥٠٧) كامل الزيارات: ص ٥٢ - ٥٣ ب ١٤ ح ١٢.

(٥٠٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٧١ فصل في محبة النبي إياه ﷺ.

التراب من تحت قدميه، ويمسح به وجهه وعينيه، فأنا أحبه لحبه لولدي الحسين عليه السلام،
ولقد أخبرني جبرئيل أنه يكون من أنصاره في وقعة كربلاء» ^(٥٠٩).

من شعره عليه السلام

نسب للإمام الحسين عليه السلام بعض الأبيات، منها:

يا دهر أف لك من خليل كم لك في الإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك السبيل

من معاجزه عليه السلام

معاجز الإمام الحسين عليه السلام كثيرة جداً، وهي مستمرة إلى يومنا هذا، كان منها:

ما عند الله لأوليائه أكثر

يقول كثير بن شاذان: شهدت الحسين بن علي عليه السلام وقد اشتهد عليه ابنه علي
الأكبر عليه السلام عنياً في غير أوانه، فضرب يده إلى سارية المسجد فأخرج له عنباً وموزاً
فأطعمه، وقال: «ما عند الله لأوليائه أكثر» ^(٥١٠).

لا تخرجوا يوم كذا

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال الحسين عليه السلام لغلمانه: لا تخرجوا يوم كذا وكذا
- اليوم قد سماه - واخرجوا يوم الخميس؛ فإنكم إن خالفتموني قطع عليكم الطريق
فقتلتم وذهب ما معكم. وكان قد أرسلهم إلى ضيعة له فخالفوه وأخذوا طريق الحرّة،
فاستقبلهم لصوص فقتلوهم كلهم. فدخل على الحسين عليه السلام والي المدينة من

^(٥٠٩) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٤٢ ب ٣٠ ح ٣٦.

^(٥١٠) دلائل الإمامة: ص ٧٥ ذكر ولده عليه السلام.

ساعته، فقال له: قد بلغني قتل غلمانك ومواليك، فأجرك الله فيهم. فقال: أما إنني أدلك على من قتلهم، فاشدد يدك بهم. قال: وتعرفهم؟! قال: نعم كما أعرفك، وهذا منهم. لرجل جاء معه. فقال الرجل: يا بن رسول الله، كيف عرفتني وما كنت فيهم؟! قال: إن صدقتك تصدق؟! قال: نعم، والله لأصدقن. قال: أخرجت معك فلاناً وفلاناً - فسماهم بأسمائهم كلهم - وفيهم أربعة من موالي الأسود، والبقية من سائر أهل المدينة. قال الوالي: وربّ القبر والمنبر، لتصدقني أو لأنثرن لحمك بالسيط. قال: والله ما كذب الحسين عليه السلام كأنه كان معنا. قال: فجمعهم الوالي فأقروا جميعاً^(٥١١).

إحياء الميت بإذن الله

عن يحيى بن أم الطويل، قال: كنا عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه شاب يبكي. فقال له الحسين عليه السلام: «ما يبكيك؟». قال: إنّ والدتي توفيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مال وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئاً حتى أعلمك خبرها. فقال الحسين عليه السلام: «قوموا حتى نصير إلى هذه الحرة». فقمنا معه حتى انتهينا إلى باب البيت الذي توفيت فيه المرأة مسجّة. فأشرف عليه السلام على البيت، ودعا الله ليحييها حتى توفي بما تحب من وصيتها، فأحيهاها الله وإذا المرأة جلست وهي تتشهد، ثم نظرت إلى الحسين عليه السلام. فقالت: ادخل البيت يا مولاي ومرني بأمرك. فدخل وجلس على مخدة ثم قال لها: «وصّي يرحمك الله». فقالت: يا ابن رسول الله، لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا فقد

(٥١١) دلائل الإمامة: ص ٧٦ ذكر ولده عليه السلام.

جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك، والثلاثان لابني هذا إن علمت أنه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذنه إليك فلا حق في المخالفين في أموال المؤمنين، ثم سألته أن يصلي عليها وأن يتولى أمرها، ثم صارت المرأة ميتة كما كانت^(٥١٢).

مناقبات

الإمام الحسين عليه السلام كبقية المعصومين عليهم السلام في قمة الفضائل والمناقب، فهو من آل بيت الوحي ومعدن الرسالة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

١. العلم:

من أهم ما بلغنا من علوم الإمام الحسين عليه السلام هي خطبه البليغة والمليئة بالمعارف والحكم والمواعظ، وكذا أدعيته ومنها دعاؤه المعروف بدعاء عرفة وهو بحر من العلوم والمعارف. فمما ورد في ذلك الدعاء:

«إلهي أنا الفقير في غنائي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري. إلهي أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي.

إلهي إنَّ اختلاف تديرك وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء. إلهي مني ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك.

إلهي وصفتَ نفسك باللطف والرأفة لي قبل وجود ضعفي، أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي. إلهي إن ظهرت الحاسن مني فبفضلك ولك المنة عليّ، وإن ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة عليّ.

إلهي كيف تكلني وقد تكفلت لي، وكيف أضام وأنت الناصر لي، أم كيف

(٥١٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٨٠ - ١٨١ ب ٢٥ ح ٣.

أخيب وأنت الحفي بي. ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك، أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك، أم كيف أترجم بمقالي وهو منك برز إليك، أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت إليك، أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت.

إلهي ما أطفك بي مع عظيم جهلي، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي. إلهي ما أقربك مني وأبعدني عنك، وما أرفك بي فما الذي يجبني عنك. إلهي كلما أحرصني لؤمي أنظقي كرمك، وكلما آيستني أوصافي أطمعتني منك. إلهي من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي. ومن كانت حقائقه دعاوى، فكيف لا تكون دعاويه دعاوى. إلهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا، ولا لذي حال حالا^(٥١٣).

٢. الخلق السماوي:

يكفي أن يطلع الإنسان على خلق الإمام الحسين عليه السلام في قصة كربلاء ليعرف مدى عظمة أخلاقه السماوية التي حيرت العقول وأدهشت العقلاء على مر العصور.

فهو عليه السلام الذي سقى عسكر أعدائه الذين قدموا لقتله وقتل عياله، وهو لا يقبل أن يبدأ بمقاتلة الأعداء قبل أن يبدؤه بالقتال، وهو الذي لا يحمل على فار ولا جريح.

وهو الذي يحن على أعدائه ويبالغ في نصيحتهم ويبكي عليهم رغم تحاملهم عليه وشلة بغضهم له ولأبيه. وكذلك في غير واقعة كربلاء فقد نقل عن خلقه العظيم الكثير منها:

(٥١٣) بحار الأنوار: ج ٩٥ ح ٢٢٥ ب ٢.

روي أنّ غلاماً له جنى جناية توجب العقوبة. فقال الغلام: يا مولاي
﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

فقال عليه السلام: «خلّوا عنه».

فقال: يا مولاي ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

فقال عليه السلام: «قد عفوت عنك».

قال: يا مولاي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال عليه السلام: «أنت حرٌّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك»^(٥١٤).

❖ وروي أنّ أعرابياً جاءه، فقال: يا ابن رسول الله ﷺ قد ضمنت دية كاملة
وعجزت عن أدائه، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل
بيت رسول الله ﷺ.

فقال الحسين عليه السلام: «يا أبا العرب أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن
واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن
الكل أعطيتك الكل».

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله أمثلك يسأل عن مثلي وأنت من أهل العلم
والشرف؟

فقال الحسين عليه السلام: «بلى سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: المعروف بقدر
المعرفة».

فقال الأعرابي: سل عمّاً بدا لك، فإن أجبت وإلاً تعلمت منك، ولا قوة إلا بالله.
فقال الحسين عليه السلام: «أي الأعمال أفضل؟».

فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين عليه السلام: «فما النجاة من المهلكة؟».

(٥١٤) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٥ ب ٢٦ ح ٩.

فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين عليه السلام: «فما يزين الرجل؟».

فقال الأعرابي: علم معه حلم.

فقال عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟».

فقال: مال معه مروعة.

فقال: «فإن أخطأه ذلك؟».

فقال: فقر معه صبر.

فقال الحسين عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟».

فقال الأعرابي: فصاعة تنزل من السماء وتحرقه فإنه أهل لذلك.

فضحك الحسين عليه السلام ورمى بصره إليه فيه ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فص

قيمته مائتا درهم. وقال: «يا أعرابي، أعط الذهب إلى غرمائك واصرف الخاتم في

نفقتك».

فأخذ الأعرابي وقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ^(٥١٥) ^(٥١٦).

الإمام الحسين عليه السلام وأصحاب السقيفة

عايش الإمام الحسين عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل ما جرى على أهل البيت

عليهم السلام من ظلم وجور، ورأى كيف انقلبت الأمة على أعقابها وأعرضت عن الحق

واتبعت من يعترفون بأنهم ليسوا بخير الناس.

فقد عايش عليه السلام أحداث بيعة الأمة لابن أبي قحافة وكيف تخلّوا عن بيعة أبيه

أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير، ورأى كيف هجم القوم على دارهم وقادوا أباه حاسراً

(٥١٥) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٥١٦) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٦ - ١٩٧ ب ٢٦ ح ١١.

للمسجد كي يبائع قهراً.

ورأى ﷺ أيضاً ما جرى على أمه الصديقة الشهيذة فاطمة ؑ من ويلات ومأس لو أنها صبّت على الأيام صرن لياليا، وشهد أحداث غضب فذك ومطالبة أمه الزهراء ؑ بحققها وكيف كانت تناشد المهاجرين والأنصار فلم تجد ناصرأ.

❖ عندما بوبع أبو بكر بالخلافة وغضب فذك، كان الحسنان ؑ صغيرين ومع ذلك فقد شاركوا في الاعتراض على غضب فذك، وشهدا عنده بأنها ملك لأمهها فاطمة ؑ قد ملكها رسول الله ﷺ في حياته وأقبضها.

كما شارك الحسنان ؑ أباهما ﷺ في الاعتراض على حكومة ابن أبي قحافة عندما حمل أمير المؤمنين ﷺ الصديقة الزهراء ؑ على حمار وطاف بيوت المهاجرين والأنصار وناشدهم ببيعتة.

يقول سلمان: لما كان الليل حمل علي فاطمة ؑ على حمار وأخذ بيد ابنه الحسن والحسين ؑ، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتى منزله وذكر حقه ودعاه إلى نصرته، فما استجاب له من جميعهم إلا أربعة^(٥١٧).

❖ ولم يتخلف الإمام الحسين ﷺ أيام حكومة ابن الخطاب عن النهج الذي كان عليه أيام حكومة الأول، حيث كان يصرح أمام الملأ العام بأن أباه أمير المؤمنين ﷺ أحق بالخلافة منه، ومن ذلك أنه شاهد يوماً عمر على المنبر، فخاطبه قائلاً: «انزل من منبر أبي واجلس على منبر أبيك».

فقال عمر: ما كان لأبي منبر. ثم أجلسه إلى جنبه وأخذه بعد ذلك إلى بيته، وسأله من علمك هذا؟.

(٥١٧) كتاب سليم بن قيس الهالبي: ص ٥٨٠ ح ٤.

فقال عليه السلام: «لا أحد» (٥١٨).

❖ وبقي الإمام الحسين عليه السلام أيام حكومة عثمان أيضاً يظهر اعتراضاته عليه ولا يرى له شرعية أبداً. فلما نفى عثمان الصحابي الجليل أباذر الغفاري رضي الله عنه إلى الربذة، ومنع عثمان الناس من توديعه ومشايعته، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج برفقة الحسينين عليهما السلام لتوديعه ومشايعته. وكان مما قاله الإمام الحسين عليه السلام لأبي ذر: «يا عمّه، إن الله تبارك وتعالى قادر أن يغير ما ترى، وهو كل يوم في شأن. إن القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وما أحوجهم إلى ما منعتهم. فعليك بالصبر! فإن الخير في الصبر، والصبر من الكرم، ودع الجزع فإن الجزع لا يغنيك» (٥١٩).

مع أمير المؤمنين عليه السلام

وقف الإمام الحسين عليه السلام إلى جانب أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته وقبل ذلك، في جميع الأحداث السياسية والعسكرية وغيرها، فقد شارك في كل من واقعة الجمل وصفين والنهروان. ففي واقعة الجمل تصدى لقيادة ميسرة عسكر أمير المؤمنين عليه السلام، وكان علي عليه السلام يقول دائماً: «أملكوا عني هذين الغلامين؛ فإني أنفس بهما عن القتل لئلا ينقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» (٥٢٠).

وفي المقابل كان أمير المؤمنين عليه السلام يحرّض ولده محمد بن الحنفية للقتال، فقال له رجل: إنك تعرّض محمداً للقتال وتقذف به في نحور الأعداء دون أخويه؟ أي الحسن والحسين عليهما السلام.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لأنهما عيني ومحمد يداي، وأنا أدفع عن عيني

(٥١٨) مناقب الإمام أمير المؤمنين: ج ٢ ص ٢٥٦ ح ٧٢٢.

(٥١٩) الكافي: ج ٨ ص ٢٠٧ حديث قوم صالح عليه السلام ح ٢٥١.

(٥٢٠) كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٥ السابع في كرمه وجوده عليه السلام.

بيدي» (٥٢١).

❖ وفي واقعة صفين كان للإمام الحسين عليه السلام دور عظيم فهو من القادة الذين جعلهم الإمام علي عليه السلام على ميمنة عسكريه، وكانت له عليه السلام خطابات مهمة في حث المقاتلين ودفعهم إلى القتال، ومن ذلك قوله عليه السلام: «يا أهل الكوفة، أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار. جدّوا في إطفاء ما وتر بينكم، وتسهيل ما توعر عليكم» (٥٢٢).

ومن أهم ما قام به الإمام الحسين عليه السلام في واقعة صفين استرجاعه الشريعة بعد أن سيطر عليها جيوش معاوية بقيادة أبي أيوب الأعور، حيث هزمه الإمام عليه السلام واسترجع الشريعة.

وفي بعض المعارك التي دارت في صفين برز مولى لبني أمية يدعى بالأحمر، وقد أقسم أن يقتل أمير المؤمنين عليه السلام. فانبرى إليه مولى للإمام عليه السلام يدعى بكيسان فصرعه الأحمر.

ثم عاود الأحمر هجومه على الإمام علي عليه السلام، فتناوله الإمام بيده وحمله على عاتقه، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه، وشدّ عليه كل من الإمام الحسين عليه السلام ومحمد بن الحنفية فقتلاه (٥٢٣).

في عهد معاوية

بالرغم أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعرّي معاوية بين الفترة والأخرى ويقف له بالمرصاد، إلا أنه عليه السلام لم ينهض ضده كما نهض في عاشوراء ضد يزيد بن معاوية، فلماذا كان ذلك؟.

(٥٢١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٤٤ محمد بن الحنفية ونسبه وبعض أخباره.

(٥٢٢) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ١٨٦ خروج علي ل حرب معاوية وما دار بينه وبين أصحابه.

(٥٢٣) نفائس الأخبار: ص ٤١٨.

في البدء ينبغي الالتفات إلى أنّ الإمام الحسن عليه السلام صالح معاوية بأمر من الله ورسوله ﷺ ورعاية لمصلحة الدين والأمة، ممّا ألزم الإمام الحسين عليه السلام دون أن ينهض بنهضته ضده، فلو أنه عليه السلام نهض لاستفاد معاوية من ذلك وشوّه صورة النهضة.

ففي بعض التواريخ أنّ حجر بن عدي وعبيدة بن عمرو دخلا على الإمام الحسين عليه السلام - بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام - يقترحان عليه الثورة على معاوية. فقال عليه السلام لهما: «إنّا قد بايعنا» ^(٥٢٤) وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا» ^(٥٢٥).

وروي أنه عليه السلام قال لبعض من راجعه في ذلك: «ليكن كل رجل منكم جلساً» ^(٥٢٦) من أحلاس بيته مادام هذا الإنسان حياً، أي معاوية ^(٥٢٧). ونقل الذهبي: أنّ أهل الكوفة كانوا يكتبون إلى الحسين عليه السلام يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية، كل ذلك يابى ^(٥٢٨).

وأشار الشيخ المفيد رحمته الله إلى هذا المعنى قائلاً: فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة ^(٥٢٩).

من جانب آخر كان معاوية يتظاهر بالصلاح والدين وقد خدع الناس بذلك، وكان هذا الأمر يحول دون القيام عليه، فهو على انحرافه كان ملتزماً بالظواهر الدينية بخلاف ولده يزيد حيث كان يتجاهر بالفسوق ومحاربة الدين.

ومع ذلك لم يقف سيد الشهداء عليه السلام إزاء الأعباء معاوية وانحرافاته مكتوف

^(٥٢٤) لا يخفى أن المراد بالبيعة هو الصلح، وليست البيعة الشرعية.

^(٥٢٥) الأخبار الطوال: ص ٢٢٠.

^(٥٢٦) الرجل الحلس: الملازم.

^(٥٢٧) الأخبار الطوال: ص ٢٢١.

^(٥٢٨) سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ١٩٧.

^(٥٢٩) الإرشاد: ج ٢ ص ٣٢ فصل فمن مختصر الأخبار التي جاءت بسبب دعوته عليه السلام وما أخذه على الناس في الجهاد من بيعته.

الأيدي بل كان بين الفترة والأخرى يعرّيه للملأ العام ومن ذلك:

١. خطبته ﷺ أيام الحج:

لاشك أنّ من خصوصيات شعيرة الحج هي اجتماع المسلمين من مختلف أنحاء العالم ليحجوا البيت ويشهدوا منافع لهم، وكان المعصومون عليهم السلام يستفيدون من هذه الاجتماعات بما يمكن ويتاح لهم، وهذا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام .. فقبل موت معاوية بسنتين حج الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس معه، وقد جمع بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حج منهم ومن لم يحج، ومن بالأمصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم. فاجتمع إليهم بمنى أكثر من ألف رجل، والحسين بن علي عليهما السلام في سرادقه عامتهم التابعون وأبناء الصحابة.

فقام الإمام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أمّا بعد فإنّ هذا الطاغية، قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم. وإنني أريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قلبي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، من أمنتهم ووثقتهم به فادعوهم إلى ما تعلمون؛ فإنني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متم نوره ولو كره الكافرون».

فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره، ولا شيئاً قاله الرسول صلى الله عليه وآله في أبيه وأمّه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعناه، شهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدثناه من نصده ونأتمنه، حتى لم يترك شيئاً إلا قاله.

ثم قال: «أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به»، ثم نزل وتفرق

الناس عن ذلك^(٥٣٠).

٢. وقوفه عليه السلام ضد تعيين يزيد:

عندما عزم معاوية على تعيين يزيد ابنه كخليفة من بعده على المسلمين قصد المدينة المنورة وزار وجهاءها كي يقنعهم بالأمر، ويضمن منهم الإقرار بالبيعة بالترغيب والترهيب، ومن ضمن الذين زارهم معاوية هو الإمام الحسين عليه السلام وكان عبد الله بن عباس موجوداً، فأجابه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

«ولقد فضلت حتى أفرطت، وأستأثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى محلت، وجزت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل. وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وآله، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السيق لأتراهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول. فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه. فو الله! ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص»^(٥٣١).

انتقال الحكم إلى يزيد

قبل أن يموت معاوية عمل على تهيئة الأمور لابنه يزيد كي يقوم بأمر الخلافة من بعده على خلاف ما عاهد عليه الإمام الحسن عليه السلام بأن الخلافة من بعده تكون

^(٥٣٠) كتاب سليم بن قيس: ص ٣٢٠ ص ٧٨٨ - ٧٩٣ ح ٢٦.

^(٥٣١) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٦٠ - ١٦١ قدوم معاوية المدينة.

للإمام الحسن عليه السلام وإن لم يكن فللإمام الحسين عليه السلام .

ولكي نفهم أبعاد النهضة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ينبغي أن نعرف شيئاً عن يزيد بن معاوية ونتتبع ما جاء في حقه في التاريخ:

كان يزيد شاباً مستهتراً مولعاً بالطرب والخمرة واللعب بالكلاب والقروء، فهو لا يعرف من الدين شيئاً، ويكفي في حقه ما نقل من أن وفداً من أهل المدينة وفدوا عليه وفيهم: عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة الأنصاري، وعبد الله بن أبي عمرو المخزومي، والمنذر بن الزبير، ورجال كثير من أشرف أهل المدينة. فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، فأعطى عبد الله بن حنظلة وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيدها مائة ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين فأعطى كل ولد عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم.

فلما رجعوا قدموا المدينة وأظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطناير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخراب والفتيان! وإنا نشهدكم أننا خلعناه!

وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل، فقال: جئتم من عند رجل لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم. قالوا: قد بلغنا أنه أجداك وأعطاك وأكرمك، قال: قد فعل وما قبلت منه عطاءه إلا لأتقوى به. فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد وولوه عليهم.

أما المنذر بن الزبير فكان قد أجازته بمائة ألف وكان قوله لما قدم المدينة: إن يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم، وأنه لا يعني ما صنع إليّ أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه. والله إنه ليشرب الخمر وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة! وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشد^(٥٣٢).

(٥٣٢) تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ سنة اثنتين وستين مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية.

بل عنه المؤرخون في عداد الأوائل فقالوا عنه: كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والاستهزاء بالغناء، والصيد واتخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القروء، والمعافرة بالكلاب والديكة^(٥٣٣).

وقد حكم يزيد ثلاث سنين انتهك خلالها حرمة الدين حيث قام بـ:

١. قتل الإمام الحسين عليه السلام وسبى نسائه وعياله من بلد إلى بلد.
٢. أباح مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام بعد واقعة الحرّة، فجالت خيل أهل الشام في المدينة ينتهبون ويقتلون وينتهكون. قال اليعقوبي: (وأباح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ولدت الأبقار لا يُعرف من أولدهن)^(٥٣٤).

وقال ابن قتيبة: (فقتل الناس وفُضحت النساء ونهبت الأموال)^(٥٣٥).

وقال ياقوت الحموي: (ودخل جنده المدينة، فنهبوا الأموال، وسبوا الذرية، واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمائة حرّة وولدن، وكان يقال لأولئك أولاد الحرّة)^(٥٣٦).

وفي كثير من المصادر أنه أفتضت يومئذ ألف بكر^(٥٣٧)، وفي بعضها أنه حملت ألف بكر من أهل المدينة ممن ليس هن أزواج^(٥٣٨)، فيقال: إنّ الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها، ويقول: لعلها أفتضت في وقعة الحرّة^(٥٣٩).

(٥٣٣) أنساب الأشراف: ج ٤ ص ١.

(٥٣٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٥٠ مقتل الحسين بن علي.

(٥٣٥) الإمامة والسياسة: ج ٢ ص ٨ إخراج بني أمية عن المدينة.

(٥٣٦) معجم البلدان: ج ٢ ص ٢٤٩ حرة وأقم.

(٥٣٧) راجع تاريخ الاسلام: ج ٥ ص ٢٦، تاريخ دمشق: ج ٥٨ ص ١٠٨، السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٦٧.

(٥٣٨) وفيات الأعيان: ج ٦ ص ٢٧٦، البداية والنهاية: ج ٨ ص ٢٤١، عمدة القاري: ج ١٧

ص ٢٢١.

(٥٣٩) الآداب السلطانية: ص ١١٦.

ونقل ابن الجوزي: عن خالد الكندي، عن عمته أم الهيثم بنت يزيد، قالت: رأيت امرأة من قريش تطوف، فعرض لها أسود فعانقته وقبّلته. فقلت: يا أمة الله، أ تفعلين هذا بهذا الأسود؟! قالت: هذا ابني، وقع عليّ أبوه يوم الحرّة فولدت هذا^(٥٤٠).

ولكثر من ولد من السفاح ولتعذر معرفة أبناء الزنا من غيرهم كان الأنصار يعرضون على أولادهم محبة الإمام علي عليه السلام فمن أبغضه نفوه، وإلى ذلك يشير الحاكم الحسكاني عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (كنا نبور أولادنا في وقعة الحرّة بحبّ علي عليه السلام، فمن أحبّه علمنا أنه من أولادنا ومن أبغضه أشفينا منه)^(٥٤١).

ولم يراع جيش يزيد حتى حرمة النبي صلى الله عليه وآله فدخلوا مسجده بجيولهم، وتركوها حتى راثت، واختلى المسجد حتى دخلته الكلاب وبالت على منبره صلى الله عليه وآله. يقول ابن حزم: (وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر، ولم تصل جماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ولا كان فيه أحد)^(٥٤٢).

وقال الحلبي: (وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وراثت بين القبر الشريف والمنبر، واختفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره)^(٥٤٣).

وقال السبط ابن الجوزي نقلاً عن المدائني: (وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وامتألت الروضة والمسجد)^(٥٤٤).

(٥٤٠) المنتظم: ج ٦ ص ١٥ حوادث سنة ٦٣ هـ.

(٥٤١) شواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٤٩ ومن سورة بني إسرائيل ح ٤٧٥.

(٥٤٢) رسائل ابن حزم: ج ٢ ص ١٤٠.

(٥٤٣) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٦٨.

(٥٤٤) تذكرة الخواص: ص ٢٥٩.

على أعتاب النهضة الحسينية

بعد هذه الجولة السريعة حول يزيد تُعرف بعض أبعاد النهضة التي قام بها سيد الشهداء عليه السلام حيث كان الدين على خطر المحو بالكامل، ويتضح أنه لماذا لم يلزم الإمام الحسين عليه السلام الصمت كما في عهد معاوية.

وكان من الأسباب العامة التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى الخروج على يزيد: ١. رفض البيعة ليزيد: ينقل المؤرخون أن يزيد بعد هلاك أبيه بعث إلى واليه على المدينة كي يأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام له، إلا أنه عليه السلام رفض وأصر على ذلك. فأخذوا بالتضييق عليه مما دعاه أن يترك مسقط رأسه وقبر جدّه ويقصد مكة برفقة أهل بيته وجماعة من بني هاشم، فدخل مكة في الثالث من شهر شعبان المعظم.

٢. استدعاء أهل الكوفة: كانت الكوفة محطاً ومقراً للشيعية والموالين لأهل البيت عليهم السلام، وقد عرفوا بولائهم لهم ومعاداتهم لمعاوية وأتباعه.

ولما رأى أهل الكوفة مخالفة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد ورفضه عن بيعته كتبوا إليه وراسلوه وطلبوا منه أن يقدم العراق، وقد وصلت أول رسالة في العاشر من شهر رمضان المبارك. واستمرت الرسائل تترى عليه حتى بلغ عددها اثني عشر ألف رسالة أو أكثر.

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لم تكن دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام السبب الوحيد لنهضته ضد يزيد بن معاوية، بل انتشار المنكر في البلاد وقلة الأمر بالمعروف لهما أثر عظيم في نهضته. وبذلك يصرح الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنه قائلاً: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي وأبي. أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي هذا أصبر

حتى يحكم الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين» (٥٤٥).

وفي موضع آخر بين الإمام الحسين عليه السلام عاملاً مهماً في نهضته وهو تسلط السلطان الجائر على الأمة وسكوت الرعية عن ذلك، فقال عليه السلام في خطبة له:

«أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري» (٥٤٦).

الهجرة إلى مكة المكرمة

ربما يسأل البعض فيقول: لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وقصد مكة؟

أليس من الأفضل أنه كان يبقى في المدينة بجوار قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وبالقرب من عشيرته وأهله؟

وهل كان يجراً يزيد بقتل الإمام الحسين عليه السلام في المدينة وهو في موطنه وبين أهله مع وجود الكثير ممن يعرفون مقامه ومكانته؟

كل من يعرف شيئاً عن سيرة يزيد بن معاوية يعلم بأنه لا مانع لديه من قتل الإمام الحسين عليه السلام أو اغتياله ولو كان في المدينة، فهو فعل ما فعل بأهل المدينة في واقعة الحرة.

بل إن اغتيال الإمام الحسين عليه السلام هو الأرجح ليزيد إذ باغتياله يلتبس الأمر

(٥٤٥) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ب ٣٧.

(٥٤٦) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٨٢ ب ٣٧.

على الناس وتخفى الحقائق ويضيع دمه وتخمد أنفاس الثوار دون أن يفتضح يزيد أو يتهم بقتل ريحانة رسول الله ﷺ.

وقد بعث يزيد بكتاب لواليه على المدينة جاء فيه: (من عبد الله يزيد أمير المؤمنين! إلى الوليد بن عتبة، أما بعد فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذو عبد الله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً مادام حياً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإذا فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام) (٥٤٧).

من هنا آثر الإمام الحسين ﷺ ترك مدينة جدّه رسول الله ﷺ والخروج إلى مكة حاملاً معه أهل بيته وجماعة من بني هاشم. وكان كل ذلك بأمر من الله ورسوله ﷺ كما ورد في التاريخ.

وقد يعترض على ذلك بأنّ والي يزيد على المدينة لم يكن موافقاً على قتل الإمام الحسين ﷺ، حيث قال لما بلغه كتاب يزيد: لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها. ومع ذلك كيف يتسنى ليزيد قتل الإمام الحسين ﷺ؟.

وفي جوابه يقال: إنّ ليزيد الكثير من الأمويين وغيرهم ممن رخصوا ضمائرهم وتخلّوا عن المبادئ والقيم ينفذون له قتل الإمام الحسين ﷺ ولو كان لائذاً بقبر جدّه رسول الله ﷺ.

لماذا حمل الإمام ﷺ النساء معه؟

خرج الإمام الحسين ﷺ من مدينة جدّه رسول الله ﷺ بعدما ودّع القبر

(٥٤٧) كتاب الفتوح: ج ٥ ص ١٨.

الشريف وبكى ورأى جده في المنام وهو يقول له: «بني أخرج إلى العراق إن الله شاء أن يراك قتيلاً». خرج الإمام عليه السلام وحمل معه النساء والعيال والأطفال، الأمر الذي أثار تعجب أهل المدينة فتساءل منه مرة محمد بن الحنفية قائلاً: ما حداك على الخروج عاجلاً؟.

فقال عليه السلام: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك فقال: يا حسين، أخرج فإن الله شاء أن يراك قتيلاً». فقال محمد بن الحنفية: ما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟. فقال عليه السلام: «قد قال صلى الله عليه وآله لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا» (٥٤٨).

وفي كلام دار بين الإمام عليه السلام وبين ابن عباس، سأله ابن عباس، فقال: جعلت فداك يا حسين، إن كان لابد من المسير إلى الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك، فو الله إني لخائف أن تقتل.

فقال عليه السلام: «يا بن العم، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهم معي، إنهن ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا آمن عليهن أحداً، وهن أيضاً لا يفارقني» (٥٤٩).

وفي كلام للإمام عليه السلام مع أم سلمة (رضوان الله عليها)، قال عليه السلام: «يا أمه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين وأطفالي مذبحين مظلومين مأسورين مقيدين يستغيثون فلا يجدون نصراً ولا معيناً» (٥٥٠).

ومنه يظهر أن الإمام الحسين عليه السلام حمل عياله وحرمه معه لأمر، منها:
١: إراحة الرب اقتضت ذلك.

(٥٤٨) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٦٤ ب ٣٧.

(٥٤٩) مدينة المعاجز: ج ٣ ص ٤٨٥ الثاني والأربعون استجابة دعائه عليه السلام في الخيرة.

(٥٥٠) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٣١ - ٣٣٢ ب ٣٧.

٢: أمر رسول الله ﷺ بذلك.

٣: خوفه ﷺ عليهن أن يتعرضن للأذى.

٤: إصرارهن على الخروج معه.

بالإضافة إلى ذلك كان الإمام الحسين ﷺ علماً بما ستقوم به النساء من بعده وكيف أنهن سيوصلن للعالم على مرّ العصور صوت النهضة الحسينية ويفضحن بني أمية ويحافظن على أهداف الثورة سالمة.

فأول دور للنساء في كربلاء هو إيصال مظلومية الإمام الحسين ﷺ الذي قُتل ظلماً وعدواناً، وقد قامت كل من النساء بدور خاص، فالسيدة زينب ؓ بخطبتها ومواقفها الحاسمة، والسيدة أمّ كلثوم ؓ بتأجيج الضغائن ضد الطاغية، والسيدة سكينه ورملة وليلى وغيرهن (عليهن السلام) بتعميق المأساة. ولولا هذه المواقف الخالدة للنساء في كربلاء لكانت كربلاء غير ما هي عليه اليوم.

لماذا اختار الإمام ﷺ العراق؟

اختار الإمام الحسين ﷺ العراق؛ لأنّ فيها شيعة أبيه أمير المؤمنين ﷺ فضلاً عن سنخ أهل الكوفة على بني أمية الذين حملوهم أنواع العذاب.

من جانب آخر العراق أرض الشهادة التي وُعد بها سيد الشهداء ﷺ، فلما عزم الإمام ﷺ على الخروج من المدينة قالت له أمّ سلمة: (بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول: يُقتل ولدي الحسين ﷺ بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء) (٥٥١).

نعم اختار الله البقعة المباركة من أرض العراق وهي كربلاء المقدسة لتضم

(٥٥١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٣١ ب ٣٧.

الأجساد الطاهرة التي حلّت بها، وكل من مرّ بكربلاء من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام تذكر مصرع الإمام الحسين عليه السلام والخيرة من أهل بيته وصحابته وبكى عليهم وواساهم بدمه أو غير ذلك.

وفي الخبر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما نزل كربلاء في مسيره إلى صفين، أخذ من تربتها المباركة وشمّها، وقال: «واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب - ثم قال - طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة» (٥٥٢).

(٥٥٢) أمالي الصدوق: ص ١٣٦- ١٣٧ المجلس الثامن والعشرون ح ٦.

الخروج من مكة

بينما كان الناس يؤدون مناسك الحج وسط ذلك الجمع الغفير إذا بالإمام الحسين عليه السلام يحرم بالعمرة المفردة من البداية دون أن يحرم لعمرة التمتع، فينهى عمرته ويخرج يوم التروية! مما لفت انتباه الناس وأثار انتباههم.

خرج الإمام عليه السلام من مكة كما خرج من المدينة خائفاً؛ لأن أتباع يزيد ترصدوه ليقتلوه، وإلى ذلك يشير الإمام عليه السلام في كلام له مع محمد بن الحنفية رضي الله عنه قائلاً: «والله يا أخي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلونني»^(٥٥٣).

ومع ذلك فقد عرف الناس في مكة أنّ الإمام عليه السلام ماض إلى الشهادة وذلك من خطابه لما عزم على الخروج حيث قال:

«الحمد لله، وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله وآله وسلم، خُطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه. كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيما لأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً. لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وتنجز لهم وعده. من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصباحاً إن شاء الله»^(٥٥٤).

دروس من النهضة الخالدة

إن نهضة الإمام الحسين عليه السلام الخالدة حوت على الكثير من الدروس والعبر

^(٥٥٣) شرح الأخبار: ج ٣ ص ١٤٥ المسير إلى كربلاء ح ١٠٨٧.

^(٥٥٤) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ب ٣٧.

المهمّة، التحقيق بكل إنسان أن يتبعها ويأخذها بعين الاعتبار، كان منها:

١. أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فمنذ البدء أعلن الإمام الحسين عليه السلام أن من أهدافه في نهضته هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عليه السلام: «أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(٥٥٥).

٢. أهمية الإصلاح في المجتمع: وعلى الإنسان أن يكون مصلحاً في الأمة، وهذا يحتاج إلى توفيق من الله عزّ وجلّ وهمّة عالية. قال الإمام الحسين عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٥٥٦).

٣. التضحية من أجل الدين: حيث ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وعياله وكل ما يملك من أجل الدين.

٤. الصرامة في الحق: قلما ورد في التاريخ حادثة تدل على الصرامة في الحق كما في واقعة كربلاء، حيث استمات الإمام الحسين عليه السلام هو ومن معه من أجل الدين وقدموا صوراً نادرة وفريدة في الصرامة والدفاع عن الدين.

٥. الوفاء: ففي يوم عاشوراء تجسّد الوفاء حياً أمام ناظر الجميع ورأوا كيف وفا الإمام الحسين عليه السلام الله تعالى، وكذلك وفاء أهل بيته وأصحابه لإمامهم، وقد صار وفاؤهم مضرِباً للمثل حتى قال الإمام الحسين عليه السلام في حقّهم: «إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي»^(٥٥٧).

٦. الرحمة: حيث تجسّدت الرحمة في كربلاء في أروع صورها وصارت أحاديث البشرية على مرّ العصور، فالإمام الحسين عليه السلام رحمة الله الواسعة، وفي أكثر من مرّة حاول الإمام الحسين عليه السلام أن يصرف الأمة عن نار جهنم ويمنعهم عن انتهاك حرمة

(٥٥٥) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٩ ب ٣٧.

(٥٥٦) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٩ ب ٣٧.

(٥٥٧) الإرشاد: ج ٢ ص ٩١ فصل.

الله وحرمة رسوله فيه رحمة لهم ولكن القوم أبوا إلا أن يذهبوا بعار الدنيا ونار الآخرة.

٧. الشجاعة: حيث جسدت وقائع عاشوراء خير النماذج عن البطولة والشجاعة. وقد قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد: ويحكم أقتلتم ذرية رسول الله ﷺ؟ فقال: عضضت بالجنديل، أنك لو شهدت ما شهدنا لفلعت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورد على حياض الميتة أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على العسكر بكامله، فما كنا فاعلين لا أم لك (٥٥٨).

٨. الإيثار: حيث أثر سبط رسول الله ﷺ بنفسه الطاهرة من أجل الإسلام، وآثر أهل البيت عليه السلام والصفوة من الصحابة بنفوسهم دون نفس إمامهم عليه السلام.

٩. الصبر: ففي الخبر عن حميد بن مسلم، قال: لما قتل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته: فو الله ما رأيت مكثوراً قط قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناهاً منه عليه السلام (٥٥٩).

١٠. العبادة: ففي يوم التاسع لما أراد عمر بن سعد أن يشرع بمقاتلة الإمام الحسين عليه السلام، بعث الإمام عليه السلام إليهم أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام ليستمهلهم سواد الليلة قائلاً: «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتدفعهم عنا العشية؛ لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار» (٥٦٠).

(٥٥٨) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٢٦٣ أبوة الضيم وأخبارهم.

(٥٥٩) الإرشاد: ج ٢ ص ١١١ فصل.

(٥٦٠) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٩٢ ب ٣٧.

قصة عاشوراء

وقد ذكرنا في بعض كتبنا قصة عاشوراء ببعض التفصيل الممكن^(٥٦١).
يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وأما يوم عاشوراء فهو يوم أصيب فيه الحسين عليه السلام
صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله عراة... وما هو إلا يوم حزن ومصيبة
دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين... وذلك يوم بكت عليه جميع
بقاع أهل الأرض»^(٥٦٢).

أولاده عليهم السلام

خلف الإمام الحسين عليه السلام من الأولاد الذكور:

١. الإمام علي بن الحسين عليه السلام: المعروف بـ (زين العابدين).
٢. علي الأكبر عليه السلام: المكنى بأبي الحسن، وكان أشبه الناس خلقاً وخلقاً بجده
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أول قتيل من أهل البيت عليهم السلام يوم عاشوراء.
٣. عبد الله الرضيع عليه السلام: وأمه الرباب، وكان قد وُلد في المدينة وقتل يوم
عاشوراء وله من العمر ستة أشهر.

وفي الخبر عن عقبة بن بشير الأسدي، قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي بن
الحسين عليه السلام: «إن لنا فيكم يا بني أسد دمًا». قال: قلت: فما ذنبي أنا في ذلك رحمك الله
يا أبا جعفر وما ذلك؟.

قال: «أتى الحسين عليه السلام بصبي له فهو في حجره إذ رمه أحدكم يا بني أسد بسهم
فذبجه فتلقى الحسين عليه السلام دمه، فلما ملأ كفيه صبه في الأرض ثم قال: رب إن تكن
حيست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم لنا من هؤلاء

^(٥٦١) انظر كتاب (جهاد الحسين عليه السلام ومصرعه)، وكتاب (من حياة الإمام الحسين عليه السلام).

^(٥٦٢) الكافي: ج ٤ ص ١٤٧ باب صوم عرفة وعاشوراء ح ٧.

الظلمين» (٥٦٣).

وفي بعض التواريخ ذكر له عليه السلام أولاد آخر، كمحسن السقط المدفون في جبل حلب، والطفل الرضيع الذي ولد يوم عاشوراء ودُبح على يد والده.

• أما الإناث فله عليه السلام :

١. فاطمة الكبرى عليها السلام، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار، وكانت مستودعة. ففي الكافي الشريف عن أبي جعفر عليه السلام: «إنَّ الحسين عليه السلام لما حضره الذي حضره، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليها السلام فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين عليه السلام مبطوناً معهم لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا» (٥٦٤).

٢. سكينه عليها السلام، وكان سيد الشهداء عليه السلام يحبها حباً جماً حتى نسب إليه أنه قال:

لعمرك إنني أحب داراً فيها سكينه والرياب
وهي التي بلغت رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى الشيعة:

شيعتي ما أن شريتم ماء عذب فاذكروني
أو سمعتم بغريب أوقتي ل فانـدبوني

٣. فاطمة الصغرى المعروفة بفاطمة العليلة، وتركها الإمام الحسين عليه السلام في المدينة لعلتها ومشقة السفر عليها.

٤. رقية، التي ماتت في الشام على رأس أبيها، وقبرها مزار المؤمنين هناك في

المنطقة المعروفة بشارع العمارة.

وقد ناداها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عند الوداع فقال:

(يا أم كلثوم، يا سكينه، يا رقية، يا عاتكة، يا زينب، يا أهل بيتي، عليكن مني

السلام) (٥٦٥).

وغيرها من البنات.

(٥٦٣) الإرشاد: ج ٢ ص ١٠٨ فصل.

(٥٦٤) الكافي: ج ١ ص ٢٩١ باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً

ح ٦.

(٥٦٥) مقتل أبي مخنف: ص ١٣١.

من كلام الإمام الحسين عليه السلام

١. قال الإمام الحسين عليه السلام: «اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عزوجل عليكم، فلا تملّوا النعم فتتحول إلى غيركم»^(٥٦٦).
٢. وقال عليه السلام: «من جاد ساد، ومن بخل رذل، ومن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً»^(٥٦٧).
٣. وقال عليه السلام: «الصدق عزّ، والكذب عجز، والسر أمانة، والجوار قرابة، والمعونة صدقة، والعمل تجربة، والخلق الحسن عبادة، والصمت زين، والشح فقر، والسخاء غنى، والرفق لب»^(٥٦٨).
٤. وقال عليه السلام: «الحلم زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والاستكثار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدنيا شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة»^(٥٦٩).
٥. وقال عليه السلام: «إن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب، ويرزقه من حيث لا يحتسب»^(٥٧٠).
٦. وقال عليه السلام: «إن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»^(٥٧١).

^(٥٦٦) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٦٩ ب ١٥ ح ١٤٣٢٢.

^(٥٦٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢١ - ١٢٢ ب ٢٠ ح ٤.

^(٥٦٨) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٤٦ مقتل الحسين بن علي.

^(٥٦٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢٢ ب ٢٠ ح ٥.

^(٥٧٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢١ ب ٢٠ ح ٣.

^(٥٧١) تحف العقول: ص ٢٤٦ وعنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

٧. وقال ﷺ: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم» (٥٧٢).

٨. وقال ﷺ: «ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله» (٥٧٣).

٩. وقال ﷺ: «من أتانا لم يعدم خصلة من أربع: آية محكمة، وقضية عادلة، وأخ مستفاد، ومجالسة العلماء» (٥٧٤).

١٠. وقال ﷺ: «دراسة العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل، والشرف التقوى، والقنوع راحة الأبدان» (٥٧٥).

١١. وقال ﷺ: «السؤدد اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة، والغنى قلة أمانيك والرضا بما يكفيك» (٥٧٦).

١٢. وقال ﷺ: «للسلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدئ وواحدة للراد» (٥٧٧).

١٣. وقال ﷺ: «أعفى الناس من عفا عن قدرة» (٥٧٨).

١٤. وقال ﷺ: «اعمل عمل رجل يعلم أنه مأخوذ بالإجرام، مجزي

(٥٧٢) (التهوف: ص ٢٣ المسلك الأول في الأمور المتقدمة على القتال.

(٥٧٣) (الإرشاد: ج ٢ ص ٣٩ فصل فمن مختصر الأخبار التي جاءت بسبب دعوته ﷺ وما أخذه على الناس في الجهاد من بيعته.

(٥٧٤) (بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٥ ب ٢٦ ح ٩.

(٥٧٥) (بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢٨ ب ٢٠ ضمن ح ١١.

(٥٧٦) (معاني الأخبار: ص ٤٠١ باب نوادر المعاني ح ٦٢.

(٥٧٧) (تحف العقول: ص ٢٤٨ وعنه ﷺ في قصار هذه المعاني.

(٥٧٨) (كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٠ الثامن في ذكر شيء من كلامه ﷺ).

بالإحسان» (٥٧٩).

١٥. وقال عليه السلام: «من دلائل علامات القبول الجلوس إلى أهل العقول، ومن علامات أسباب الجهل المماراة لغير أهل الكفر، ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بمقائق فنون النظر» (٥٨٠).

١٦. وقال عليه السلام: «اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق، واصبر على ما تحب مما يدعوك إليه الهوى» (٥٨١).

١٧. وقال عليه السلام: «لا يكمل العقل إلا بإتباع الحق» (٥٨٢).

١٨. وقال عليه السلام: «صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن رده» (٥٨٣).

١٩. وقال عليه السلام: «صن وجهك عن بذلة المسألة» (٥٨٤).

٢٠. وقال عليه السلام: «رب ذنب أحسن من الاعتذار منه» (٥٨٥).

٢١. وقال عليه السلام: «لا تقولن في أخيك المؤمن إذا توارى عنك إلا مثل ما تحب أن يقول فيك إذا تواريت عنه» (٥٨٦).

٢٢. وقال عليه السلام: «من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو، وأسرع لحجيء ما يجذر» (٥٨٧).

٢٣. وقال عليه السلام: «من طلب رضى الله بسخط الناس كفه الله أمور الناس، ومن

(٥٧٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢٧ ب ٢٠ ح ١٠.

(٥٨٠) تحف العقول: ص ٢٤٧ - ٢٤٨ وعنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٥٨١) شرح احقاق الحق: ج ١٩ ص ٤٢٢ نبذة من كلمات الإمام الحسين عليه السلام وأدعيته.

(٥٨٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢٧ ب ٢٠ ضمن ح ١١.

(٥٨٣) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٢ الثامن في ذكر شيء من كلامه عليه السلام.

(٥٨٤) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١١٨ ب ٢٠ ضمن ح ٢.

(٥٨٥) أعلام الدين: ص ٢٩٨ ومن كلام الحسين عليه السلام.

(٥٨٦) كنز الفوائد: ج ٢ ص ٣٢ فصل من عيون الحكم ونكت من جواهر الكلام.

(٥٨٧) الكافي: ج ٢ ص ٣٧٣ باب من أطاع المخلوق في معصية الخالق ح ٣.

- طلب رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»^(٥٨٨).
٢٤. وقال عليه السلام: «إياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه؛ فإن الله تبارك وتعالى لا يخدع عن جنته، ولا ينال ما عنده إلا بطاعته»^(٥٨٩).
٢٥. وقال عليه السلام: «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»^(٥٩٠).
٢٦. وقال عليه السلام: «من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك»^(٥٩١).
٢٧. وقال عليه السلام: «من أحجم عن الرأي وعييت به الحيل كان الرفق مفتاحه»^(٥٩٢).
٢٨. وقال عليه السلام: «مجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسق ريبة»^(٥٩٣).
٢٩. وقال عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»^(٥٩٤).
٣٠. وقال عليه السلام: «لا تمارين حليماً ولا سفيهاً؛ فإن الحليم يقلبك، والسفيه يؤذيك»^(٥٩٥).

^(٥٨٨) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٠٩ ب ١٠ ح ١٣٩٠٢.

^(٥٨٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢١ ب ٢٠ ح ٣.

^(٥٩٠) الكافي: ج ٢ ص ٣٣١ باب الظلم ح ٥.

^(٥٩١) أعلام الدين: ص ٢٩٨ ومن كلام الحسين عليه السلام.

^(٥٩٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢٨ ب ٢٠ ضمن ح ١١.

^(٥٩٣) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٠ الثامن في ذكر شيء من كلامه عليه السلام.

^(٥٩٤) تحف العقول: ص ٢٤٥ وعنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٥٩٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٢٧ ب ٢٠ ح ١٠.

المعصوم السادس:
الإمام علي بن الحسين

نسبه عليه السلام :

هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

والدته عليها السلام :

(شهر بانو) من بنات ملوك الفرس، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما أقدمت بنت يزيدجرد على عمر أشرف لها عذارى المدينة وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته. فلما نظر إليها عمر غطت وجهها وقالت: أف يروج بادا هرمز.

فقال عمر: أ تشتمني هذه وهمّ بها. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيرها رجلاً من المسلمين واحسبها بفيئه. فخيرها فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الإمام الحسين عليه السلام. فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟
فقالت: جهان شاه.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: بل شهر بانويه.

ثم قال للإمام الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، لتلدنّ لك منها خير أهل الأرض.
فولدت علي بن الحسين عليه السلام^(٥٩٦).

وكان يقال للإمام زين العابدين عليه السلام: ابن الخيرتين، إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: «لله عز وجل من عباده خيرتان: فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس»^(٥٩٧).

(٥٩٦) الكافي: ج ١ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ باب مولد علي بن الحسين عليه السلام ح ١.

(٥٩٧) أسد الغابة: ج ٣ ص ١٥٦.

وقد أنشد أبو الأسود الدؤلي^(٥٩٨) في ذلك قائلاً:

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم
لأكرم من نيطت عليه التمام
والمراد بكسرى هو ملك الفرس معرب خسراوي أي واسع الملك، والنوط
التعليق، والتمام جمع تيمة وهي خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم يتقون
بها العين.

ويروى أنّها عليها السلام ماتت في نفاسها به، وإنّما اختارت الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّها
رأت الصديقة الزهراء عليها السلام في النوم وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين.
ولها قصة عجيبة وهي أنّها قالت: رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين علينا
كأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله دخل دارنا وقعد ومعه الإمام الحسين عليه السلام وخطبني له
وزوجني أبي منه.

فلما أصبحت كان ذلك يؤثّر في قلبي وما كان لي خاطب غير هذا، فلما كان في
الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد عليها السلام وقد أتتني وعرضت عليّ الإسلام
فأسلمت.

ثمّ قالت عليها السلام: إنّ الغلبة تكون للمسلمين وإنّك تصلين عن قريب إلى ابني
الحسين عليه السلام سالمة لا يصيبك بسوء أحد. قالت: وكان من الحال أن أخرجت إلى
المدينة^(٥٩٩).

ولادته عليه السلام :

ولد عليه السلام في المدينة المنورة في الخامس من شهر شعبان المعظم، عام ٣٨ هـ .

^(٥٩٨) أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي البصري. ولد في أيام النبوة، وكان فقيهاً شاعراً قاضياً
بالبصرة. وهو أول من وضع النحو بأمر الإمام علي عليه السلام، وكان من أصحاب الإمام علي
والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام، روى عن الإمام علي عليه السلام، مات سنة ٦٩
هـ. راجع سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٨١.

^(٥٩٩) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٧٥١ الباب الخامس عشر في الدلالات والبراهين على صحة
إمامة الاثني عشر إماماً عليهم السلام.

كنيته عليه السلام :

أبو محمد، ويكنى بأبي الحسن أيضاً، وأبي القاسم.

لقبه عليه السلام :

سيد العابدين، وزين العابدين، والمتهجّد، والسجّاد، وذو الثننات. وإنّما لقب بذي الثننات؛ لأنّ مواضع سجوده كانت كثفنة البعير من كثرة السجود. وفي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «كان لأبي في موضع سجوده آثار ناتئة»^(٦٠٠)، وكان يقطعها في السنة مرتين، في كلّ مرّة خمس ثننات فسمّي ذا الثننات لذلك، وقد أوصى أن تدفن معه في قبره»^(٦٠١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام في وجه تلقيب أبيه عليه السلام بالسجّاد، قال: «إنّ أبا علي بن الحسين عليه السلام ما ذكر نعمة الله عليه إلّا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ وفيها سجود إلّا سجد، ولا دفع الله تعالى عنه سوء يخشاه أو كيد كابد إلّا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلّا سجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلّا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمّي السجّاد لذلك»^(٦٠٢).

أمّا وجه تلقيبه بزین العابدين فله أكثر من وجه، منها: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أشار إلى هذا اللقب في حديث له فقال صلّى الله عليه وآله: «ينادي مناد يوم القيامة: أين زين العابدين؟» فكأنّي أنظر إلى علي بن الحسين عليه السلام يخطو الصفوف»^(٦٠٣).

صفته عليه السلام :

كان عليه السلام وسيماً جميلاً، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة، بين عينيه

(٦٠٠) أي بارزة.

(٦٠١) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٣٧٧ ب ٢١ ح ٨٢٢٦.

(٦٠٢) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ب ١٦٦ ح ١.

(٦٠٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ب ١٦٥ ح ١.

سجّادة، أي أثر السجود^(٦٠٤).

شاعره عليه السلام :

أبو فراس همام بن غالب المعروف بالفرزدق، صاحب القصيدة المعروفة التي ارتجلها أمام هشام بن عبد الملك عندما رام هشام استلام الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر وجلس ينظر إلى الناس. وبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين عليه السلام يطوف بالبيت، ولما كان يبلغ موضع الحجر تنحّى الناس عنه حتى يستلمه هيبة له وإجلالاً. فاغتاظ هشام وتساءل منه أحد أهل الشام قائلاً: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرجوا له الطريق عند الحجر؟!.

فقال هشام: لا أعرفه. كي لا يرغب فيه أهل الشام.

فقال الفرزدق - وكان حاضراً - : لكنّي أعرفه.

فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟.

فقال الفرزدق:

يا سائلي أين حل الجود والكرم	عندي بيان إذا طلابه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا علي رسول الله والده	أمست بنور هداه تهتدي الأمم
إذا رأته قریش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
والقصيدة طويلة ومعروفة.	

ولما فرغ الفرزدق من أبياته أمر هشام بحبسه، فسجن بعسفان بين مكة والمدينة.

ولما بلغ ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام بعث إليه باثني عشر ألف درهم، فردّها إلا أنّ الإمام عليه السلام أقسم عليه بحقّه لما قبلها فقبلها.

(٦٠٤) كما ورد في (بحار الأنوار): إنّما سمّي عليه السلام بذلك لكثرة سجوده إذ كان في جبهته عليه السلام مثل

ثفنة البعير. بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١٩٥ ب ٨.

وكان هشام قد أمر بمحو اسم الفرزدق من الديوان، وحبس عنه العطاء، وتوعده بالقتل. فشكا ذلك إلى الإمام زين العابدين عليه السلام وقال له: إنَّ هشام حذف اسمي من الديوان. فقال عليه السلام: «كم كان عطاؤك؟».

فأخبره بما كان يتقاضاه منه، فقدم له الإمام عليه السلام عطاء أربعين سنة، وقال له: «لو علمت أنك تحتاج أكثر من ذلك أعطيناك». فمات الفرزدق بعد مضي أربعون سنة^(٦٠٥).

(٦٠٥) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٩٥ ب ٨٤ ح ١٢٢٤٧.

قالوا فيه ﷺ :

أُتِّفقت الأمم عبر العصور المختلفة على جلالة الإمام زين العابدين ﷺ وأفضليته على الناس كافة، حتى أقرَّ مخالفيه أيضاً بقداسته، فممنَّ أشاد بمقامه ﷺ الشامخ:

١. سعيد بن المسيَّب، قال: (ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين ﷺ، وما رأيت قط إلاَّ مقتُ نفسي، ما رأيتُه ضاحكاً قط) (٦٠٦).
٢. الزهري، قال: (ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين ﷺ) (٦٠٧).
٣. يحيى بن سعيد، قال: (كان علي بن الحسين ﷺ أفضل هاشمي أدركته) (٦٠٨).
٤. يحيى بن سعيد، قال: (كان أفضل هاشمي رأيتُه في المدينة) (٦٠٩).
٥. عمر بن عبد العزيز: قال لأصحابه بعد أن انصرف الإمام السجَّاد ﷺ من مجلسه: من أشرف الناس؟

فقالوا له: أنتم.

- فقال لهم: (كلاً، إنَّ أشرف الناس هذا القائم - يعني الإمام زين العابدين ﷺ - من أحبَّ الناس أن يكونوا منه، ولم يجب أن يكون من أحد) (٦١٠).
٦. يزيد بن معاوية: حينما طلب منه الإمام السجَّاد ﷺ أن يرتقي المنبر وكان يرفض بشلَّة، فأصرَّ عليه بعض الحضور أن يسمح، فأجابهم قائلاً: (إنَّه من أهل بيت قد زُفوا العلم زقاً، إنَّه لا ينزل إلاَّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان) (٦١١).

(٦٠٦) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٣٠٣ وفاة علي بن الحسين ﷺ.

(٦٠٧) تاريخ مدينة دمشق: ج ٤١ ص ٣٧١ ترجمة رقم ٤٨٧٥.

(٦٠٨) الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٢١٤ بقية الطبقة الثانية من التابعين علي بن الحسين ﷺ.

(٦٠٩) شرح إحقاق الحق: ج ٣٣ ص ٧٢٢ الاختلاف في مدفن الرأس.

(٦١٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٦٧ فصل في سيادته ﷺ.

(٦١١) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٨ ب ٣٩.

من معاجزه عليه السلام

معاجز الإمام زين العابدين عليه السلام كثيرة، وهي تدل على كونه حجة الله على الأرض، وتوجب التفاف الناس حوله والاستفادة من هديه.

ما تقول هذه الظبية؟

بيننا علي بن الحسين عليه السلام مع أصحابه إذ أقبل ظبية من الصحراء حتى قامت حذاه وصوتت. فقال بعض القوم: يا ابن رسول الله ﷺ، ما تقول هذه الظبية؟ قال: تزعم أن فلاناً القرشي أخذ خشفها^(٦١٢) بالأمس، وأنها لم ترضعه من أمس شيئاً. فبعث إليه علي بن الحسين عليه السلام: أرسل إليّ بالخشفة. فلما رأت صوتت وضربت بيديها ثم أرضعته. قال: فوهبه علي بن الحسين عليه السلام لها، وكلمها بكلام نحواً من كلامها وانطلقت في الخشف معها. فقالوا: يا ابن رسول الله ﷺ، ما الذي؟ قال: قال: دعت الله لكم وجزاكم بخير^(٦١٣).

إخبار الزهري برؤياه

عن الزهري، قال: كان لي أخ في الله تعالى، وكنت شديد الحبة له، فمات في جهاد الروم، فاغبتت به وفرحت أن استشهد وتمنيت أنني كنت استشهدت معه، فمات ذات ليلة، فرأيت في منامي.

فقلت له: ما فعل بك ربك؟

فقال: غفر الله لي بجهادي وحبِّي محمداً وآل محمد (صلى الله عليهم أجمعين)، وزادني في الجنة مسيرة مائة ألف عام من كل جانب من الممالك بشفاعة علي بن الحسين

(٦١٢) الخشف: ولد الضبي.

(٦١٣) بصائر الدرجات: ص ٣٥٠ ب ١٥ ح ١٠.

(صلوات الله عليهما).

فقلت له: قد اغتبطت أن استشهد بمثل ما أنت عليه؟.

قال: فوقي من مسيرة ألف ألف عام.

فقلت: بماذا؟.

فقال: أ لست تلقى علي بن الحسين عليه السلام في كل جمعة مرة وتسلم عليه، فإذا رأيت وجهه صليت على محمد وآل محمد ثم تروي عنه، وتذكر في هذا الزمان النكد - زمان بني أمية - فتعرض للمكروه ولكن الله يقيك.

فلما انتهت قلت: لعله أضغاث أحلام. فعاودني النوم فرأيت ذلك الرجل، يقول: أ شككت! لا تشك فإنّ الشك كفر، ولا تحب بما رأيت أحداً فإن علي بن الحسين عليه السلام يجبرك بمنامك هذا كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر بمنامه في طريقه من الشام.

فانتهت وصليت فإذا رسول علي بن الحسين عليه السلام فصرت إليه. فقال: يا زهري، رأيت البارحة كذا وكذا، المنامين جميعاً على وجههما^(٦١٤).

حياة تحول دون بناء الكعبة

عن أبان بن تغلب، قال: لما هدم الحجاج الكعبة فرق الناس ترابها. فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها خرجت عليهم حية فمنعت الناس البناء حتى هربوا، فأتوا الحجاج فأخبروه فخاف أن يكون قد منع بناءها. فصعد المنبر ثم نشد الناس وقال: أنشد الله عبداً عنده مما أبتلينا به علم لما أخبرنا به.

قال: فقام إليه شيخ، فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيتته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى. فقال الحجاج: من هو؟.

(٦١٤) مدينة المعاجز: ج ٤ ص ٤٢٠ - ٤٢٢ ح ١٤٠٥.

قال: علي بن الحسين عليه السلام. فقال: معدن ذلك. فبعث إلى علي بن الحسين (صلوات الله عليهما)، فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يا حجاج، عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته كأنك ترى أنه تراث لك. اصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلا رده».

قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلا رده، قال: فردّوه. فلما رأى جمع التراب أتى علي بن الحسين عليه السلام فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا. قال: فتغييت عنهم الحية وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، قال لهم علي بن الحسين عليه السلام: «تنحوا» فتنحوا. فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ثم دعا الفعلة، فقال: «ضعوا بناءكم» فوضعوا البناء، فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفه، فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج^(٦١٥).

مناقبات

مناقب ومعالي الإمام زين العابدين عليه السلام لا تكاد تعد أو تحصى، وقد اتفق المسلمون قاطبة على فضائله ومناقبه، كان منها:

١. عبادته عليه السلام:

كان الإمام السجاد عليه السلام كثير العبادة شديد الخوف من الله تعالى، إذا توضأ اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يغشاك؟. فيقول عليه السلام: «أ تدرّون لمن أتأهب للقيام بين يديه»^(٦١٦).

^(٦١٥) الكافي: ج ٤ ص ٢٢٢ باب ورود تبع وأصحاب الفيل البيت ح ٨.

^(٦١٦) الارشاد: ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ باب ذكر طرف من الأخبار لعلي بن الحسين عليه السلام.

❖ وكان عليه السلام يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة^(٦١٧)، وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة^(٦١٨)، وله خمسمائة نخلة يصلي عند كل نخل ركعتين^(٦١٩)، وإذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبداً.

❖ وروي أنه كان عليه السلام إذا قام إلى الصلاة تغير لونه وأصابته رعدة وحال أمره، فرجما سأله عن حاله من لا يعرف أمره في ذلك، فيقول: «إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم». وكان إذا وقف في الصلاة لم يشغل بغيرها ولم يسمع شيئاً لشغله بالصلاة^(٦٢٠).

❖ ووقع حريق في بيت هو عليه السلام فيه ساجد. فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار النار! فما رفع رأسه حتى أطفيت. فقيل له بعد قعوده: ما الذي أهلك عنها؟ قال: «أهتني عنها النار الكبرى»^(٦٢١).

❖ وعن الزهري قال: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان - قال - فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين. فقال: يا أبا محمد، لقد بان عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله ﷺ، وقريب النسب وكيد السبب، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم

(٦١٧) البداية والنهاية: ج ٩ ص ١٢٣ علي بن الحسين.

(٦١٨) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٩٧ مجلس في ذكر إمامة أبي محمد علي بن الحسين زين العابدين ومناقبه.

(٦١٩) الخصال: ج ٢ ص ٥١٧ ذكر ثلاث وعشرين خصلة من الخصال المحمودة التي وصف بها علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ح ٤.

(٦٢٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٠ فصل في زهده عليه السلام.

(٦٢١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٠ فصل في زهده عليه السلام.

يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه. قال:
فقال علي بن الحسين عليه السلام: «كلما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأيدته وتوفيقه،
فأين شكره على ما أنعم؟»^(٦٢٢).

(٦٢٢) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ ب ١٨ ح ١٦٥.

دروس في النهج العبادي

النهج العبادي الذي خلفه الإمام زين العابدين عليه السلام خير نهج للارتباط بالله عز وجل، فإنه يتضمن الأمور التالية:

ألف: الجد في العبادة

الجد والنشاط في العبادة والتقرب إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة وعدم الاتكال على الحسب أو النسب. فعن الصادق عليه السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه. فقلت له: يا أباه كم هذا الدؤب؟. فقال له عليه السلام: «أحبب إلى ربي لعله يزلني»^(٦٢٣).

وقال طاوس الفقيه: إنه رأى الإمام زين العابدين عليه السلام يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد. فلما لم ير أحداً رمق إلى السماء بطرفه، وقال: «إلهي غارت نجوم سمواتك، وهجعت عيون أنامك، وهدأت أصوات عبادك، وغلقت الملوك أبوابها، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمي وتريني وجه محمد عليه وآله في عرصات القيامة».

ثم بكى وقال: «وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سؤلت لي نفسي، وأعاني على ذلك سترك المرخى به علي، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني؟، ومجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني. فوا سواته غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا. أم مع المخفين أجوز، أم مع المثقلين أخط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطيائي ولم أتب، أما أن لي أن أستحي من ربي».

ثم بكى وأنشأ يقول:

(٦٢٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٥ فصل في زهده عليه السلام.

أ تحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم أين محبتي!
أتيت بأعمال قباح رديئة وما في الوري خلق جنى كجنايتي
ثم بكى وقال: «سبحانك تُعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تُعص، تتودد إلى
خلقك بحسن الصنيع كأن لك الحاجة إليهم، وأنت ياسيدي الغني عنهم»، ثم خرَّ إلى
الأرض ساجداً.

قال: فدنوت منه وثلت رأسه، فوضعت على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي
على خده، فاستوى جالساً وقال: «من الذي أشغلني عن ذكر ربِّي؟»
فقلت له: أنا طاوس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفرع؟ نحن يلزمننا أن
نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون؟ أبوك الحسين بن علي عليه السلام وأمك فاطمة
الزهراء عليها السلام وجدك رسول الله ﷺ!

قال: فالتفت إليّ وقال: «هيهات هيهات - يا طاووس - دع عني حديث أبي وأمي
وجدِّي، خلق الله الجنة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه
ولو كان ولداً قرشياً، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ
يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٦٢٤)، والله لا ينفعك غداً إلاّ تقدمة تقدّمها من عمل
صالح»^(٦٢٥).

ب: عدم استكثار الأعمال:

كان الإمام السجاد عليه السلام يربّي الناس عملياً على عدم الغرور بالأعمال
واستكثارها، لذا كان عليه السلام كثيراً ما يذكر عبادة أجداده الأطهار عليهم السلام ويستصغر
عبادته أمامها، ويردّد قائلاً: «أين عبادتي عن عبادة جدّي رسول الله ﷺ أو عبادة جدّي
أمير المؤمنين عليه السلام، ففي الخبر:

(٦٢٤) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٦٢٥) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥١ فصل في زهده عليه السلام.

إنَّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام أتت إلى جابر بن عبد الله، فقالت له: يا صاحب رسول الله إنَّ لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه، اجتهاداً أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقية على نفسه، وهذا علي بن الحسين عليه السلام بقيّة أبيه الحسين عليه السلام قد المحرم أنفه ونقبت جبهته وركبته وراحته أذاب نفسه في العبادة.

فأتى جابر إلى بابه واستأذن، فلما دخل عليه وجده في محرابه قد أنصبت العبادة، فنهض علي عليه السلام فسأله عن حاله سؤالاً خفياً أجلسه بجانبه. ثم أقبل جابر يقول: يا ابن رسول الله، أما علمت أن الله خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟!.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الاجتهاد وتعبّد هو بأبي وأمي حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أ تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟! قال صلّى الله عليه وآله: أفلا أكون عبداً شكوراً».

فلما نظر إليه جابر وليس يغني فيه قول قائل، قال: يا ابن رسول الله، البقية على نفسك فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف الأواء، وبهم تستمسك السماء.

فقال عليه السلام: «يا جابر، لا أزال على منهاج أبوي مؤتسماً بهما حتى ألقاهما». فأقبل جابر على من حضر، فقال لهم: ما رئي من أولاد الأنبياء عليهم السلام مثل علي بن الحسين عليه السلام إلا يوسف بن يعقوب، والله لذرية علي بن الحسين أفضل من ذرية يوسف ^(٦٢٦).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «دخل أبو جعفر عليه السلام على أبيه عليه السلام فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، وقد اصفرّ لونه من السهر، ورمضت عيناه من

(٦٢٦) أمالي الطوسي: ص ٦٣٦ - ٦٣٧ المجلس ٣١ ح ١٣١٤.

البكاء، ودبرت جبهته من السجود، وورمت قدمه من القيام في الصلاة.
قال عليه السلام: فقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيتك بتلك الحال من البكاء فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكر فالتفت إليّ بعد هنيهة من دخولي. فقال: يا بني، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي عليه السلام. فأعطيته، فقرأ فيها يسيراً ثم تركها من يده تضجراً: وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام (٦٢٧).

ت. الشعور بالتقصير:

من صفات عباد الله أنهم يشعرون بتقصيرهم أمام الله وعدم أداء حق الله عزوجل.

يقول الزهري: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان، قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام - إلى أن قال - فقال علي بن الحسين عليه السلام: «كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم يا أمير؟. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى ترم قدمه، ويظماً في الصيام حتى يعصب فوه. فقيل له: يا رسول الله، ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيقول صلى الله عليه وآله: أفلا أكون عبداً شكوراً؟.

الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى، والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي على صدري لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حدّ نعمة منها على جميع حمد الحامدين.

لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سرّ ولا علانية، ولولا أنّ لأهلي عليّ حقاً ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً، لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤدّيها إليهم، لرميت

(٦٢٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٤٩ فصل في زهده عليه السلام.

بطرفي إلى السماء وبقلي إلى الله ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين». وبكى وبكى عبد الملك^(٦٢٨).

٢. عفوه عليه السلام :

من الأمور المهمة التي كانت واضحة في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام التأكيد على الأخلاقيات، ومنها: العفو عن الآخرين لدى إساءتهم، وعدم الردّ بالمثل. ففي دعائه عليه السلام المعروف بدعاء (مكارم الأخلاق) يقول:

«اللهم صلّ على محمد وآله، وحلّني بحلّية الصالحين، وألبسني زينة المتّقين، في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضمّ أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح»^(٦٢٩).
وهكذا كان عليه السلام في مواقفه الكريمة:

روي أنه كان عنده عليه السلام قوم أضياف. فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود^(٦٣٠) منه على رأس بني لعلي بن الحسين تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله. فقال علي للغلام - وقد تحير الغلام واضطرب -: «أنت حر؛ فإنك لم تعتمده». وأخذ في جهاز ابنه ودفنه^(٦٣١).

❖ وعن سفيان، قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له: إن فلاناً قد وقع فيك وأذاك. قال عليه السلام: «فانطلق بنا إليه». فانطلق معه وهو يرى أنه سيتنصر لنفسه، فلما أنه قال عليه السلام له: «يا هذا، إن كان ما قلت في حقّ الله تعالى يغفره لي،

^(٦٢٨) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ ب ١٨ ح ١٦٥.

^(٦٢٩) الصحيفة السجادية: الدعاء رقم ٢٠ وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

^(٦٣٠) السفود: حديد يشوى بها اللحم.

^(٦٣١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٨١ وأما مناقبه ومزاياه وصفاته.

وإن كان ما قلت فيّ باطلاً فالله يغفر لك» (٦٣٢).

❖ ونادى علي بن الحسين عليه السلام يوماً مملوكاً له فلم يجبه وهو يسمعه.

فقال: «يا بني، أناديك فلا تجيبني، أ ما تخاف أن أعاقبك؟».

قال: لا والله ما أخافك؛ وذلك الذي حملني على أن لم أجبك.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل مملوكي آمناً مني» (٦٣٣).

❖ وجعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة،

فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه. فرفع علي بن الحسين عليه السلام رأسه

إليها.

فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ (٦٣٤).

فقال لها: «قد كظمت غيظي». قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (٦٣٥).

قال: «قد عفى الله عنك».

قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٣٦).

قال: «اذهي فأنت حرة» (٦٣٧).

❖ وكسرت جارية له قصعة فيها طعام فاصفر وجهها. فقال عليه السلام: «اذهي فأنت

حرة لوجه الله» (٦٣٨).

❖ وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: إن فلاناً

ينسبك إلى أنك ضال مبتدع!». فقال له علي بن الحسين عليه السلام: ما رعيت حق مجالسة

(٦٣٢) كشف الغمة: ج ٢ ص ٧٥ وأما مناقبه ومزاياه وصفاته.

(٦٣٣) شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٦٠ ح ١١٦٣.

(٦٣٤) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٦٣٥) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٦٣٦) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٦٣٧) أمالي الصدوق: ص ٢٠١ المجلس السادس والثلاثون ح ١٢.

(٦٣٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٨ فصل في علمه وحلمه وتواضعه عليه السلام.

الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقِّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه. إنَّ الموت يعمّنا، والبعث محشرنا، والقيامة موعدنا، والله يحكم بيننا. إياك والغيبة! فإنها إدام كلاب أهل النار. واعلم إنَّ من أكثر عيوب الناس شهد عليه الإكثار إنه إنما يطلبها بقدر ما فيه» (٦٣٩).

٣. حلمه ﷺ :

كان الإمام زين العابدين ﷺ آية في الحلم وكظم الغيظ حتى مع ألد خصومه. فهو من أهل بيت شيمتهم الحلم، وخلقهم الصفح، وردَّ السيئة بالحسنة.

❖ ففي الخبر أنه ﷺ قال: «ما تجرّعت جرعة غيظ أحبَّ إليَّ من جرعة غيظ أعقبها صبراً، وما أحبُّ أنَّ لي بذلك حمر النعم» (٦٤٠).

❖ وذات مرّة سبّه رجل فسكت عنه. فقال الرجل: إياك أعني. فقال ﷺ: «وعنك أغضي» (٦٤١).

❖ وروي أنَّ رجلاً وقف وأسمعه وشتمه، فلم يكلمه. فلما انصرف قال ﷺ لجلسائه: «قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحبُّ أن تببلغوا معي إليه حتى تسمعوا متي ردِّي عليه» - وهذا بقصد تعليم أصحابه -

فأتى منزل الرجل وصرخ به فخرج الرجل متوتّباً للشرِّ. فقال علي بن الحسين ﷺ: «يا أخي، إن كنت قد قلت ما فيّ فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك».

قال: فقبّل الرجل بين عينيه وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقُّ به (٦٤٢).

وشتمه بعضهم، فقال ﷺ: «يا فتى إنَّ بين أيدينا عقبة كؤوداً فإن جرت منها فلا

(٦٣٩) مشكاة الأنوار: ص ٣٢٣ الفصل العاشر في كتمان السر وما يتصل به.

(٦٤٠) أمالي الطوسي: ص ٦٧٣ مجلس ٣٦ ح ١٤١٩.

(٦٤١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٧ فصل في علمه وحلمه وتواضعه ﷺ.

(٦٤٢) الإرشاد: ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ باب ذكر طرف من الأخبار لعلي بن الحسين ﷺ.

أبالي بما تقول، وإن أتحير فيها فأنا شرٌّ مما تقول» (٦٤٣).

❖ وشمته بعضهم فقصدته غلمانته. فقال عليه السلام: «دعوه فإن ما خفي منّا أكثر ممّا قالوا - ثمّ قال له - أ لك حاجة يا رجل؟». فنجّل الرجل فأعطاه ثوبه وأمر له بألف درهم. فانصرف الرجل صارخاً: أشهد أنّك ابن رسول الله (٦٤٤).

❖ وروي أنّ هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان. وقد أساء جوار الإمام عليه السلام ولحقه منه أذى، فلما مات عبد الملك عزله الوليد بن عبد الملك وأوقفه للناس لكي يقتصوا منه. فقال: والله إنني لا أخاف إلاّ علي بن الحسين. فمر عليه الإمام عليه السلام وسلّم عليه، وأمر خاصته أن لا يتعرض له أحد بسوء. وأرسل له: «إن كان أعجزك مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك ويسد حاجتك، فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا». فقال له هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته (٦٤٥).

الإمام زين العابدين عليه السلام والمجتمع

كان للإمام زين العابدين عليه السلام دور هام في المجتمع الإسلامي الذي أبتلي ببني أمية الذين لم يكن لهم همّ سوى الملذات والشهوات الشيطانية دون أن يفكروا بهموم الرعية ويسعوا لحل مشاكلهم.

بالطبع لا يمكن حصر دور الإمام عليه السلام في بعد خاص؛ لأنه كان المرجع للمجتمع في جميع أموره، وكان منها:

(٦٤٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٧ فصل في علمه وحلمه وتواضعه عليه السلام.

(٦٤٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٧ فصل في علمه وحلمه وتواضعه عليه السلام.

(٦٤٥) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٩٤ ب ٥ ح ٨٤.

١ . كفاة المحتاجين:

تكفل الإمام زين العابدين عليه السلام أيام حياته العديد من الناس، فكان يؤمنهم ويقضي حوائجهم في العيش. فعن محمد بن إسحاق أنه كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل ^(٦٤٦).

وعن شيبه بن نعام: أن الإمام عليه السلام كان يقوت مائة أهل بيت، وقيل: كان في كل بيت جماعة من الناس ^(٦٤٧).

وقيل: إنه عليه السلام كان يتصلق بالسكر واللوز. فسئل عن ذلك، فقرأ قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ^(٦٤٨)، ^(٦٤٩).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «إنه عليه السلام كان يعول مائة بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان منهم له عيال حمل له إلى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصلق به» ^(٦٥٠).

ولما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية، كلم مروان بن الحكم - المعروف ببغضه ومواقفه المعادية لأهل البيت عليهم السلام - ابن عمر في أن يغيب أهله عنده فلم يفعل. فكلم الإمام زين العابدين عليه السلام، فقال: إن لي حرماً وحرماً مع حرملك. فقال عليه السلام: «أفعل». فبعث بامراته - وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان - وحرمه

^(٦٤٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٣ فصل في زهده عليه السلام.

^(٦٤٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٣ فصل في زهده عليه السلام.

^(٦٤٨) سورة آل عمران: ٩٢.

^(٦٤٩) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٨٩ ب ٥ ضمن ح ٧٧.

^(٦٥٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٤ فصل في زهده عليه السلام.

إليه ﷺ. فخرج بجرمه وحرّم مروان حتى وضعهم بينبع^(٦٥١)، وقد تحوّلت داره ﷺ أيام إبّاحة المدينة ملجأً آمناً ضمّ أربعمئة امرأة، وقد أولاهم الإمام ﷺ عناية خاصة حتى استتبت الأوضاع في المدينة.

فعن الزمخشري، قال: لما وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لاستباحة المدينة، ضمّ علي بن الحسين ﷺ إلى نفسه أربعمئة منافية^(٦٥٢) بحشمتهم يعولهن إلى أن تقوِّض جيش مسلم. فقالت امرأة منهن: ما عشت والله بين أبويّ بمثل هذا الشريف^(٦٥٣).

٢. صدقة السر:

تضافرت الأخبار الشريفة عن أهل البيت ﷺ في فضل صدقة السرّ ومن ذلك:

ما عن عمّار الساباطي، قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: «يا عمّار، الصدقة والله في السرّ أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله العبادة في السرّ أفضل منها في العلانية»^(٦٥٤).

وقال رسول الله ﷺ: «صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ تبارك وتعالى، فإذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله»^(٦٥٥).

وعن أبي عبد الله ﷺ، قال: «صدقة العلانية تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء،

(٦٥١) ينبع: حصن وقرية غناء على يمين رضوى لمن كان منحدراً من أهل المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى، وهو لبني حسن بن علي بن أبي طالب، وفيها عيون عذاب. مرصد الإطلاع: ج ٣ ص ١٣٨٥.

(٦٥٢) نسبة إلى عبد المناف جدّ الهاشميين.

(٦٥٣) ربيع الأبرار: ج ١ ص ١٠٩.

(٦٥٤) الكافي: ج ٤ ص ٨ باب فضل صدقة السرح ٢.

(٦٥٥) دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٣٣٠ ف ٤ ح ١٢٤٧.

وصدقة السرّ تطفئ غضب الربّ» (٦٥٦).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «البر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان تسعين ميئة السوء» (٦٥٧).

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً ما يتصدق على المحتاجين بصدقة السر: فعن - ابن - عائشة (٦٥٨) سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين (٦٥٩).

وعن محمد بن إسحاق: أنه كان في المدينة كذا وكذا بيتاً يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه لا يدرون من أين يأتيهم، فلما مات زين العابدين عليه السلام فقدوا ذلك، فصرخوا صرخة واحدة (٦٦٠).

وعن أبي جعفر عليه السلام: «أنه عليه السلام كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي باباً فيقرعه ثم يناول من كان يخرج إليه وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه» (٦٦١).

وفي خبر أنه عليه السلام كان إذا جنّ الليل وهدأت العيون قام إلى منزله فجمع ما يبقى فيه من قوت أهله، وجعله في جراب ورمى به على عاتقه، وخرج إلى دور الفقراء وهو متلثم ويفرق عليهم. وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه فإذا

(٦٥٦) بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ١٧٩ ب ٢١ ح ٢٠.

(٦٥٧) الكافي: ج ٤ ص ٢ باب فضل الصدقة ح ٢.

(٦٥٨) جاء في كتاب حلية الأولياء: ج ٤ ص ١٣٦ أن سند الحديث ينتهي إلى محمد بن زكريا، قال: سمعت ابن عائشة يقول: قال أبي: سمعت أهل المدينة... الخ، وهو الصواب، وقد سقط من بعض الروايات لفظ (ابن) قبل عائشة و(قال أبي) بعد ذلك. وفي تاريخ ابن كثير الشامي: ج ٩ ص ١١٤ ذكر الحديث عن ابن عائشة.

(٦٥٩) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٨٨ ب ٥ ضمن ح ٧٧.

(٦٦٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٣ فصل في زهده عليه السلام.

(٦٦١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٣ فصل في زهده عليه السلام.

رأوه تباشروا به، وقالوا: جاء صاحب الجراب (٦٦٢).

وعن سفیان بن عیینة: رأى الزهري علي بن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب وهو يمشي. فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا؟ قال: «أريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز».

فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك. فأبى عليه السلام فقال: فأحمله عنك فأبى أن أرفعه عن حملي. فقال علي بن الحسين عليه السلام: «لكني لا أرفع نفسي عما ينجيني في سفري ويحسن ورودي على ما أريد عليه. سألتك بالله لما مضيت في حاجتك وتركتني»، فانصرف عنه. فلما كان بعد أيام قال له: يا ابن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً؟ قال عليه السلام: «بلى - يا زهري - ليس ما ظننت ولكنه الموت وله كنت أستعد» (٦٦٣).

وعن الزهري: لما مات زين العابدين عليه السلام فغسلوه وجد على ظهره محل، فبلغني أنه كان يستقي لضعفة جيرانه بالليل (٦٦٤).

ولما مات علي بن الحسين عليه السلام وغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره. فقالوا: ما هذا؟! قيل: كان يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سرّاً (٦٦٥).

وفي بعض الأخبار: أنه عليه السلام لما وُضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء (٦٦٦).

وقال أبو حمزة الثمالي: كان زين العابدين عليه السلام يحمل جراب الخبز على ظهره

(٦٦٢) شرح الأخبار: ج ٣ ص ٢٥٤ عبادته عليه السلام ح ١١٥٢.

(٦٦٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٣ فصل في زهده عليه السلام.

(٦٦٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٤ فصل في زهده عليه السلام.

(٦٦٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ٧٧ وأما مناقبه ومزايه وصفاته.

(٦٦٦) الخصال: ج ٢ ص ٥١٧ ذكر ثلاث وعشرين خصلة من الخصال الحمودة التي وصف بها علي

بن الحسين زين العابدين عليه السلام ح ٤.

بالليل فيتصلّق به ويقول: إنّ صدقة السرّ تطفىء غضب الربّ^(٦٦٧).

٣. تربية العبيد:

من الأمور المهمّة التي قام بها الإمام زين العابدين عليه السلام هي: تربيته للعبيد وتحريرهم بعد ملة من ذلك.

يقول السيد ابن طاووس رحمه الله في (الإقبال): كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب. حتى إذا كان آخر الليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب، ثم قال: «يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟». فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً. ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: «ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إنّ ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا... فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعفو عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٦٦٨) - قال - وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: «رب إنك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا... - ثم يقبل عليهم ويقول - قد عفوت عنكم فهل عفوتم عنّي ومّا كان منّي إليكم من سوء ملكة؟ فإني مليك سوء لئيم ظالم، مملوك للمليك كريم جواد عادل محسن متفضّل». فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت.

فيقول لهم: «قولوا: اللهم أعف عن علي بن الحسين كما عفى عنّا، وأعتقه من

(٦٦٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٣ فصل في زهده عليه السلام.

(٦٦٨) سورة النور: ٢٢.

النار كما أعتق رقابنا من الرق». فيقولون ذلك، فيقول: «اللهم آمين يا رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم».

فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلاّ وكان يعتق فيها آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر^(٦٦٩).

(٦٦٩) إقبال الأعمال: ص ٢٦٠ - ٢٦١ ب ٣٤ فصل.

الإمام عليّ عليه السلام بعد واقعة عاشوراء

عاش الإمام زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين، قضاها بالحزن والبكاء على أبيه سيّد الشهداء عليه السلام حتى عدّ عليه السلام من البكّائين الخمسة. ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد ﷺ، وعلي بن الحسين عليه السلام» (٦٧٠).

وكان عليه السلام لا يوضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة» (٦٧١).

وكان عليه السلام كلما تذكّر عطش أبيه الإمام الحسين عليه السلام بكى. يقول الراوي: كان إذا أخذ ماء ليشرب بكى. فقيل له في ذلك، فقال: «كيف لا أبكي، وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش» (٦٧٢).

وقيل له: إنك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا. فقال: «نفسي قتلتها، وعليها أبكي» (٦٧٣).

وأشفق عليه جماعة من مواليه وأهل بيته من كثرة بكائه على أبيه. فقال له بعضهم: أما أن حزنتك أن ينقضي؟!.

فقال عليه السلام: «ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي، وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين

(٦٧٠) الخصال: ص ٢٧٢ البكاءون خمسة ح ١٥.

(٦٧١) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٥١ مجلس في ذكر الحزن والبكاء من خشية الله.

(٦٧٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٦٦ فصل في كرمه وصبره وبكائه عليه السلام.

(٦٧٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٦٦ فصل في كرمه وصبره وبكائه عليه السلام.

حولي فكيف ينقضي حزني!»^(٦٧٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا كان وقت إفطاره أتاه غلامه بطعامه وشرابه. فيقول: قُتل أبو عبد الله عليه السلام جائعاً، قُتل أبو عبد الله عليه السلام عطشاناً، ويبكي حتى يبيل طعامه بدموعه ويمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل»^(٦٧٥).

على أبواب المدينة

لما رجع الإمام عليه السلام بالنسوة من الشام والعراق إلى المدينة وأصبحوا بقربها، أمر الإمام بحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل النساء فيه. وكان معه بشير بن حذلم، فقال له: «يا بشير، رحم الله أبك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟».

قال: بلى يا ابن رسول الله.

قال: «فادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام».

قال بشير: فركبت فرسي ومضيت حتى دخلتها، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله

رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدار
الجسم منه بكريلاء مخرج والرأس منه على القناة يدار
ثم قلت: يا أهل المدينة، هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عمّاته وأخواته قد حلّوا
بساحتكم وأنزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه^(٦٧٦).

^(٦٧٤) (بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٠٨ ب ٦ ضمن ح ١.

^(٦٧٥) وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٢٧٨ ب ٣٥ ح ٣١٩٠٦.

^(٦٧٦) (اللهوف: ص ١٩٧ - ١٩٨ المسلك الثالث في الأمور المتأخرة عن قتله عليه السلام).

ثورات في عصر الإمام عليّ عليه السلام

بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام تناوبت الانتفاضات والثورات على بني أمية وبني مروان واحدة بعد الأخرى، وشهد العالم الإسلامي مآسي ومجازر شديدة من بني أمية راح ضحيتها كثير من المسلمين، ومن أهم هذه الانتفاضات التي عاصرها الإمام السجّاد عليه السلام هي:

١. ثورة أهل المدينة: بعد أن رجع أهل البيت عليه السلام من الشام إلى مدينة جدّهم رسول الله ﷺ وحدثوا الناس بما جرى عليهم من مآسي وويلات .. علم أهل المدينة بمدى خبث يزيد. ومن جانب آخر بعث أهل المدينة إلى يزيد وفداً فيهم عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير، ورجال كثيرة من أشرف أهل المدينة. فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم إلا أنّهم لما رجعوا أظهروا شتم يزيد وعيبه. وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب الكلاب، ويسمر عنده الخراب وهم اللصوص، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه.

فثار أهل المدينة ضدّ يزيد، وأخرجوا عامل يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وحاصروا بني أمية في دار مروان، وبايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد.

فأرسل إليهم يزيد جيشاً كبيراً بقيادة مسلم بن عقبة - الذي سمّي فيما بعد بمسرف لإسرافه في القتل - وأمره بإباحة المدينة ثلاث ليال، ولما بلغ جيشه الحرّة - وهي موضع خارج المدينة - خرج أهل المدينة لقتاله بقيادة عبدالله بن حنظلة، فاقتتل الجيشان قتالاً شديداً حتى انتصر جيش الشام.

وقد قتل في هذه الواقعة خلق كثير من أهل المدينة، حتى أنّ الزهري سئل: كم

كان القتلى يوم الحرّة؟.

فقال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأما من لم يعرف من حرّ أو عبد أو امرأة فعشرة آلاف. وخاض الناس في الدماء حتّى بلغ قبر رسول الله ﷺ وامتألت الروضة الشريفة والمسجد منه (٦٧٧).

وقال مجاهد: التجأ الناس إلى حجرة الرسول ﷺ ومنبره والسيف يعمل فيهم (٦٧٨).

وقال المدائني: أباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيّام يقتلون الناس ويأخذون الأموال ووقعوا على النساء حتّى قيل: إنّه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام (٦٧٩).
وعن هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة من غير زوج (٦٨٠).
وعن الأعرج أنّه قال: كان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرّة، فلمّا قتل الناس بالحرّة استحَبُّوا أن يلبسوها وقالوا: لقد مكث النوح في الدور على أهل الحرّة سنة لا يهدؤون (٦٨١).

وقال عبدالله بن أبي بكر: كان أهل المدينة أعزّ الناس وأهيبهم، حتّى كانت الحرّة فاجترأ الناس عليهم فهانوا (٦٨٢).

وعن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما كان أيّام الحرّة لم يؤدّن في مسجد رسول الله ﷺ ثلاثاً، ولم يقيم ولم يبرح سعيد بن المسيّب المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة

(٦٧٧) عمدة القاري: ج ١٧ ص ٢٢١ ح ٤١٦٧.

(٦٧٨) الرد على المتعصب العنيد: ص ٥٥.

(٦٧٩) عمدة القاري: ج ١٧ ص ٢٢١ ح ٤١٦٧.

(٦٨٠) عمدة القاري: ج ١٧ ص ٢٢١ ح ٤١٦٧.

(٦٨١) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٨٨ فضائل قتلى أهل الحرّة.

(٦٨٢) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٨٨ فضائل قتلى أهل الحرّة.

إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ (٦٨٣).

٢. ثورة التوابين:

بعد واقعة عاشوراء ثار أهل الكوفة ضد يزيد، فقصده ما يقارب أربعة آلاف رجل منهم قبر سيّد الشهداء ﷺ، فأقاموا عنده يوماً وليلة وهم يبكون ويستغفرون الله ويطلبون منه المغفرة والتوبة، ثم انصرفوا عن القبر الشريف إلى عين الوردة يسبقهم عبدالله بن عوف الذي أخذ ينشدهم من أبياته ويجرّك فيهم روح الثورة والانتقام لدم الحسين المظلوم ﷺ.

وفي عين الوردة^(٦٨٤) التقى التوابون بجيش الشام وتطاحن الطرفان، فقاتل التوابون قتال الشجعان إلى أن استشهد قادتهم، ومنهم: سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، وعبدالله بن سعد وغيرهم. وأحسّوا بأن لا قدرة لهم على مقاومة جيش الشام، فتركوا ساحة القتال، وآووا في ظلمة الليل إلى الكوفة.

٣. ثورة المختار الثقفي:

كان المختار من الشيعة الموالين وقد ترحم عليه الإمام الباقر ﷺ. فعن عبد الله بن شريك، قال: دخلنا على أبي جعفر ﷺ يوم النحر وهو متكئ، وقد أرسل إلى الحلاق. فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة، فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال: «من أنت؟».

قال: أبو محمّد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي. وكان متباعداً من أبي جعفر، فمدّ ﷺ يده إليه حتّى كاد يقعله في حجره بعد منعه يده، ثم قال: أصلحك الله إنّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك.

(٦٨٣) سنن الدارمي: ج ١ ص ٤٤ باب ما أكرم الله نبيه ﷺ بعد موته.

(٦٨٤) عين الوردة: هي المكان المعروف اليوم برأس عين في الجزيرة.

قال أبو جعفر: «وأي شيء يقولون؟».

قال: يقولون: كذاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته.

فقال عليه السلام: «سبحان الله! أخبرني أبي والله إن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أ ولم بين دورنا، وقتل قاتلينا، وطلب بدمائنا فرحمه الله» (٦٨٥).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «لا تسبوا المختار؛ فإنه قتل قتلنا، وطلب بئراننا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة» (٦٨٦).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما امتشطت فينا هاشمية، ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام» (٦٨٧).

ومن الطبيعي أن تثار من قبل الأمويين ومن أشبه ضد المختار شبهات تسيء إليه وتحط من منزلته وشأنه؛ لأنه قتل أعداء أهل البيت عليهم السلام، وأدخل السرور على الشيعة على مدى التاريخ.

أما هدفه من ثورته ضد بني أمية فهو الآخذ بثارات سيد الشهداء عليه السلام والنيل منهم، وقد تتبّعهم في البلاد وحاول أن يستقصيهم كافة حتى قتل منهم وفي آن واحد مائتين وثمانية وأربعين شخصاً. وفرّ ثمر بن ذي الجوشن فطارده أتباع المختار وقتلوه، ثم أكلت الكلاب جثته.

كما قتل أيضاً عبد الله بن أسيد الجهني، ومالك بن بشير البدي، وزياد بن مالك الضبعي، وعمران بن خالد القشيري، وعبدالرحمن بن أبي خشارة البجلي، وعبد الله بن قيس الخولاني، وعمر بن سعد، وابن زياد، وحرملة قاتل عبد الله الرضيع الذي أحرق قلوب أهل البيت عليهم السلام بقتله الرضيع.

يقول المنهال بن عمرو: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام عند منصرفي من

(٦٨٥) إختيار معرفة الرجال: ج ١ ص ٣٤٠ المختار بن أبي عبيدة ح ١٩٩.

(٦٨٦) إختيار معرفة الرجال: ج ١ ص ٣٤٠ المختار بن أبي عبيدة ح ١٩٧.

(٦٨٧) إختيار معرفة الرجال: ج ١ ص ٣٤١ المختار بن أبي عبيدة ح ٢٠٢.

مكة. فقال لي: «يا منهال، ما صنع حرملة بن كاهلة الأسدي؟»
فقلت: تركته حياً بالكوفة - قال - فرفع يديه جميعاً فقال: «اللهم أذقه حرّ الحديد،
اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار».

قال المنهال: فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيد، وكان لي صديقاً -
قال - فكنت في منزلي أياماً حتى انقطع الناس عني، وركبت إليه فلقيته خارجاً من
داره. فقال: يا منهال، لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تهننا بها، ولم تشركنا فيها؟

فأعلمته أنني كنت بمكة، وأني قد جئتك الآن، وسأيرته ونحن نتحدث حتى أتى
الكناس. فوقف وقوفاً كأنه ينتظر شيئاً، وقد كان أخبر بمكان حرملة بن كاهلة، فوجه
في طلبه. فلم نلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدون حتى قالوا: أيها الأمير
البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهلة. فما لبثنا أن جيء به، فلما نظر إليه المختار قال
لحرملة: الحمد لله الذي مكّني منك - ثم قال - الجزار الجزار.

فأتي بجزار، فقال له: اقطع يديه. فقطعنا، ثم قال له: اقطع رجله. فقطعنا، ثم ألقاه
الناس في النار.

فقلت: سبحان الله!

فقال لي: يا منهال، إن التسبيح لحسن، ففيم سبّحت؟
فقلت: أيها الأمير، دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة على علي بن
الحسين عليه السلام فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهلة الأسدي؟
فقلت: تركته حياً بالكوفة؟

فرفع يديه جميعاً فقال: «اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه
حرّ النار».

فقال لي المختار: أ سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول هذا؟

فقلت: والله لقد سمعته.

قال: فنزل عن دابته وصلى ركعتين، فأطال السجود ثم قام فركب. وقد احترق

حرملة، وركبت معه وسرنا، فحاذيت داري. فقلت: أيها الأمير، إن رأيت أن تشرّفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي.

فقال: يا منهال، تعلمني أنّ علي بن الحسين عليه السلام دعا بأربع دعوات فأجابه الله على يدي ثمّ تأمرني أن آكل! هذا يوم صوم شكراً لله عزّ وجلّ على ما فعلته بتوفيقه ^(٦٨٨).

٤ . ثورة ابن الزبير:

اشتدّ عداء أهل المدينة لبني أمية بعد واقعة الحرّة، وحرّق الكعبة الشريفة. فاستغلّ ابن الزبير ذلك ودعاهم لمبايعته ونصرته، فاستجاب له كثير منهم، ولكنه لم يكن مخلصاً في ثورته ولم تكن أهدافه سليمة، بل كلّ ما كان يطمح إليه في ثورته هو الملك والمادّة، حتّى قال عبدالله بن عمر لزوجته - التي كانت تلحّ عليه أن يبايعه -: أ ما رأيت بغلات معاوية التي كان يحجّ إليها الشهباء، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ. وكان ابن الزبير يبغض آل النبي صلّى الله عليه وآله بشدّة، وقد بلغ به الأمر أن ترك الصلاة على النبي وآله في خطبته. فقيل له في ذلك، فقال: إنّ له أهل سوء يشربون لذكوره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به!! ^(٦٨٩).

وقال ذات مرّة لابن عباس: إنّني لأكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة ^(٦٩٠).

حكايم عصر الإمام عليّ عليه السلام

عاش الإمام زين العابدين عليه السلام بعد أبيه سيّد الشهداء عليه السلام عشرين أو أربعين

^(٦٨٨) أمالي الطوسي: ص ٢٣٨- ٢٣٩ المجلس التاسع ح ٤٢٣.

^(٦٨٩) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٢٦١ أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير.

^(٦٩٠) شرح نهج البلاغة: ج ٤ ص ٦٢ فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي، شرح نهج

البلاغة: ج ٢٠ ص ١٤٨ عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره.

سنة، وكان في أيام إمامته: بقية ملك يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان.

❖ أما معاوية بن يزيد: فقد تسلّم الحكم في ريعان شبابه، إلاّ أنّه زهد في الحكم لما رآه من أفعال أبيه وجده. فصعد المنبر وخطب في الناس وصرّح أمامهم إنّّه ليس أهل للخلافة، وأنّها حقّ لآل البيت عليهم السلام، ممّا أغاض الأمويين وشد من غضبهم عليه حتّى إنّ أمّه خاطبته قائلة: ليتك كنتَ حيضة. فعمدوا إلى معلّمه الذي اتّهموه إنّّه علّمه محبة أهل البيت عليهم السلام فدفنوه حيّاً، ثمّ دبّروا له مؤامرة اغتالوه فيها فمات.

❖ أما مروان بن الحكم: فهو اللعين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد اشتهر بالغدر حتّى جيء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليبايعه من جديد بعد بيعته الأولى ونكثها في حرب الجمل. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أ و لم يبايعني بعد قتل عثمان! لا حاجة لي في بيعته؛ إنّها كف يهودية لو بايعني بيده لغدر. أما إنّ له إمرة كعلقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحر» (٦٩١).

❖ أما عبد الملك بن مروان: فهو الذي مسخ وزعاً بعد موته (٦٩٢). وكان يقال له: أبو الذباب؛ لشدة بخره فكان إذا مر الذباب بفمه سقط ومات (٦٩٣). وهو الذي ولّى الحجاج حتّى قال فيه الحسن البصري: ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته (٦٩٤).

وقال السيوطي: لو لم يكن من مساويء عبد الملك إلاّ الحجاج وتوليته إيّاه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويذلّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من

(٦٩١) نهج البلاغة، الخطب: رقم ٧٣ ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة.

(٦٩٢) انظر (الحداثق الناصرة) للمحقق البحراني: ج ٤ ص ١٩٥ غسل قتل الوزغ، وكتاب الطهارة للشيخ الأنصاري: ج ٢ ص ٣٣١ في الأغسال المستحبة.

(٦٩٣) الوافي بالوفيات: ج ١٩ ص ١٤٠ عبد الملك بن مروان، وانظر الكنى والألقاب: ج ١ ص ٧٣ أبو الذبان.

(٦٩٤) النجوم الزاهرة: ج ١ ص ١٨١.

الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً، يريد بذلك ذلهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه^(٦٩٥).

رسالة الحقوق

إحدى الرسائل المهمة المباركة للإمام زين العابدين عليه السلام هي وصيته المعروفة بـ (رسالة الحقوق)، حيث إنه عليه السلام بين فيها مختلف الحقوق وأهمها. ومما يؤسف له أن العالم اليوم غافل عن هذه الرسالة العظيمة. وهذه بعض الحقوق التي ذكرها الإمام (سلام الله عليه) في رسالته:

حق الله:

«فأما حقَّ الله الأكبر فإنَّك تعبدُه لا تشركُ به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحبُّ منها.

حق نفسك:

«وأما حقَّ نفسك عليك فإن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدِّي إلى لسانك حقَّه، وإلى سمعك حقَّه، وإلى بصرك حقَّه، وإلى يدك حقَّه، وإلى رجلك حقَّه، وإلى بطنك حقَّه، وإلى فرجك حقَّه، وتستعين بالله على ذلك».

حق الأم:

«فحقُّ أمك فإن تعلم أنَّها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحداً. وأنها وقَّتكَ بسمعها وبصرها، ويدها ورجلها، وشعرها وبشرها، وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة موابلة، محتملة لما فيه مكروها وألمها وثقلها وغمها، حتَّى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض. فرضيت أن تشبع وتجوِّع هي، وتكسوك وتعري، وترويك وتظمأ، وتظلك وتضحى، وتنعمك ببؤسها،

^(٦٩٥) تاريخ الخلفاء: ص ٢٢٠ عبد الملك بن مروان.

وتلدُّذكَ بالنوم بأرقها. وكان بطنها لك وعاءً، وحجرها لك حواءً، وثديها لك سقاءً، ونفسها لك وقاءً. تباشر حرَّ الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه».

حق الأب:

«وأما حقَّ أبيك فتعلم أنه أصلك وأنتك فرعه، وأنتك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممَّا يعجبك فاعلم أنَّ أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوَّة إلاّ بالله».

حق الولد:

«وأما حقَّ ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنتك مسؤول عمًّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب. فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه ولا قوَّة إلاّ بالله».

حق الأخ:

«وأما حقَّ أخيك فتعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجئ إليه، وعزك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها، فلا تتخذ سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظلم بحقّ الله، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوه، والحول بينه وبين شياطينه، وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله، فإن انقاد لربّه وأحسن الإجابة له وإلاّ فليكن الله آثر عندك، وأكرم عليك منه».

حق الجار:

«وأما حقَّ الجار فحفظه غائباً، وكرامته شاهداً، ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً، لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك

ولا تكلف كنت لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثت الأسنّة عنه ضميراً لم تتصل إليه لانطوائه عليه. لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلّمه عند شديده، ولا تحسده عند نعمة، تقيل عشرته، وتغفر زلّته، ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلماً له، تردّ عنه لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة، وتعاشره معاشره كريمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

شهادة الإمام عليّ عليه السلام

كانت شهادة الإمام علي بن الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) بسبب السم الذي دسه له هشام بن عبد الملك، وكان في ملك الوليد بن عبد الملك^(٦٩٦).
وقيل: إن الذي سمه الوليد بن عبد الملك^(٦٩٧)، وذلك في شهر محرم الحرام عام ٩٥هـ، ودفن بالبقيع مع عمه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في القبة التي فيها العباس.
وكان يقال لهذه السنة: سنة الفقهاء؛ لكثرة من مات منهم فيها^(٦٩٨)، وكان الإمام عليّ عليه السلام سيدهم.

عن الحسن بن علي بن بنت إلياس، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إن علي بن الحسين عليه السلام لما حضرته الوفاة أغمي عليه، ثم فتح عينيه وقرأ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، و﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٦٩٩)، ثم قبض من ساعته ولم يقل شيئاً^(٧٠٠).

(٦٩٦) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٥٢ - ١٥٣ ب ١٠ ضمن ح ١٤.

(٦٩٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٧٦ فصل في أحواله وتاريخه عليه السلام.

(٦٩٨) كشف الغمة: ج ٢ ص ٩١ وثبت له الإمامة من وجوه.

(٦٩٩) سورة الزمر: ٧٤.

(٧٠٠) الكافي: ج ١ ص ٤٦٨ باب مولد علي بن الحسين عليه السلام ح ٥.

أولاد الإمام عليّ عليه السلام

- قالوا: إنه وُلد للإمام زين العابدين عليه السلام خمسة عشر ذكوراً واثناً منهم:
- ١ . الإمام محمد الباقر عليه السلام: وهو أفضلهم وأشرفهم.
 - ٢ . عبد الله: وأمه هي أمّ الإمام الباقر عليه السلام كما ذهب جماعة إلى ذلك، توفي وهو ابن سبع وخمسين.
 - ٣ . الحسن: المعروف بالناصر الكبير والأطروش والأصم، قتل على يد المقتدر عن عمر ٧٩ سنة في بلاد الديلم سنة ٣٠٤هـ بآمل إحدى أعمال طبرستان.
 - ٤ . حسين الأصغر: أمّه أمّ ولد تدعى سعادة، سُمي بالأصغر نسبة إلى أخيه الأكبر المسمّى بحسين، توفي في يثرب سنة سبع وخمسين ومائة عن عمر سبع وخمسين سنة، ودفن بالبقيع إلى جوار أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام.
 - ٥ . زيد الشهيد: المكنّى بأبي الحسين، ولد سنة ٧٨هـ، واستشهد على يد هشام بن عبد الملك، وصلب بعد أن نصب رأسه الشريف مدّة على باب دمشق، ثمّ أرسل إلى المدينة ونصب عند قبر النبي ﷺ يوماً وليلة، ثمّ أرسل إلى مصر. وبعد أن هلك هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد الحكم كتب إلى حاكم الكوفة كتاباً أمره فيه أن يحرق جسد زيد الشريف بالنار.
 - ٦ . عمرو الأشرف: قال الشيخ المفيد في حقه: كان فاضلاً جليلاً، ولي صدقات النبي ﷺ وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام وكان ورعاً سخياً، توفي عن خمس وستين سنة. واسمه عمرو وليس عمر. فإنه لم يكن في أسماء أولاد الأئمة عليهم السلام أسماء أعدائهم.
 - ٧ . علي الأصغر: وهو أصغر أبناء الإمام زين العابدين عليه السلام سمّاه الإمام السجّاد باسم أخيه علي شهيد كربلاء.
 - ٩ . سليمان.
 - ١٠ . حسين الأصغر.

١١. محمد الأصغر.

١٢. فاطمة.

١٣. عليّة.

١٤. أمّ كلثوم.

١٥. خديجة.

وكثير من أولاد الأئمة عليهم السلام ماتوا بسم من بني أمية وبني العباس، هذا غير
من قُتل منهم بالسيف.

من كلام الإمام السجاد عليه السلام

١. قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «من كرمته عليه نفسه هانت عليه الدنيا» (٧٠١).

٢. قال عليه السلام: «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس» (٧٠٢).

٣. قال عليه السلام: «كفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك» (٧٠٣).

٤. قال عليه السلام: «طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة، ومذهبة للحياة، واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر. وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر» (٧٠٤).

٥. قال عليه السلام: «المؤمن من دعائه على ثلاث: إما أن يدخر له، وإما أن يعجل له، وإما أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيب» (٧٠٥).

٦. قال عليه السلام: «يقول الله: يا ابن آدم، ارض بما آتيتك تكن من أزهد الناس. ابن آدم، اعمل بما افترضت عليك تكن من أعبد الناس. ابن آدم، اجتنب مما حرمت عليك تكن من أروع الناس» (٧٠٦).

٧. قال له عليه السلام رجل: إني لأحبك في الله حباً شديداً. فنكس عليه رأسه ثم قال: «اللهم إني أعوذ بك أن أحبّ فيك وأنت لي مبغض - ثم قال له - أحبّك للذي

(٧٠١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٣٥ ب ٢١ ضمن ح ٣.

(٧٠٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٥٨ ب ٢٣ ح ٢٠٤٤٣.

(٧٠٣) تحف العقول: ص ٢٧٨ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧٠٤) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٣٥ ب ٢١ ضمن ح ٣.

(٧٠٥) تحف العقول: ص ٢٨٠ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧٠٦) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٣٩ ب ٢١ ضمن ح ٣.

تَجَنَّبِي فِيهِ» (٧٠٧).

٨. قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لِيُبْغِضَ الْبَخِيلَ السَّائِلَ الْمَلْحَفَ» (٧٠٨).

٩. قال عليه السلام: «رَبٌّ مَغْرُورٌ مَفْتُونٌ يَصْبِحُ لَاهِيًا ضَالِحًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَهُوَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ سَخِطَةٌ يَصَلِي بِهَا نَارَ جَهَنَّمَ» (٧٠٩).

١٠. قال عليه السلام: «ثَلَاثٌ مَنْجِيَّاتٌ لِلْمُؤْمِنِ: كَفٌّ لِسَانِهِ عَنِ النَّاسِ وَاجْتِيَابُهُمْ، وَإِشْغَالُهُ نَفْسَهُ بِمَا يَنْفَعُهُ لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَطَوْلُ الْبِكَاءِ عَلَى خَطِيئَتِهِ» (٧١٠).

١١. قال عليه السلام: «نَظَرُ الْمُؤْمِنِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ لِلْمَوْتَةِ وَالْحُبَّةُ لَهُ عِبَادَةٌ» (٧١١).

١٢. قال عليه السلام: «ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ فِي كِنْفِ اللَّهِ وَأُظْلَمَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ وَآمَنَهُ مِنْ فِرْعَ الْيَوْمِ الْأَكْبَرِ: مَنْ أَعْطَى مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ سَائِلُهُمْ لِنَفْسِهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يَقْدَمْ يَدًا وَلَا رَجُلًا حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ قَدَمَهَا أَوْ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْزَبْ أَخَاهُ بَعِيبٌ حَتَّى يَتْرَكَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ. وَكَفَى بِالْمَرْءِ شِغْلًا بَعِيْبِهِ لِنَفْسِهِ عَنِ عِيُوبِ النَّاسِ» (٧١٢).

١٣. قال عليه السلام لابنه مُحَمَّدَ عليه السلام: «أَفْعَلِ الْخَيْرَ إِلَى كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنْكَ، فَإِنْ كَانَ أَهْلُهُ فَقَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلٍ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلُهُ» (٧١٣).

١٤. قال عليه السلام: «مَجَالِسُ الصَّالِحِينَ دَاعِيَةٌ إِلَى الصَّلَاحِ، وَأَدَابُ الْعُلَمَاءِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ، وَطَاعَةُ الْوَالِيَةِ الْأَمْرِ تَمَامُ الْعِزِّ، وَاسْتِنْمَاءُ الْمَالِ تَمَامُ الْمَرْوَةِ، وَإِرْشَادُ الْمُسْتَشِيرِ قِضَاءُ

(٧٠٧) تحف العقول: ص ٢٨٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧٠٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٤٠ ب ٢١ ضمن ح ٣.

(٧٠٩) تحف العقول: ص ٢٨٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧١٠) معدن الجواهر: ص ٣٤ باب ذكر ما جاء في ثلاثة.

(٧١١) تحف العقول: ص ٢٨٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧١٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٤٠ - ١٤١ ب ٢١ ضمن ح ٣.

(٧١٣) الكافي: ج ٨ ص ١٥٢ - ١٥٣ حديث من ولد في الإسلام ح ١٤١.

- لحَقِّ النعمة، وكفَّ الأذى من كمال العقل، وفيه راحة للبدن عاجلاً وآجلاً» (٧١٤).
١٥. قال عليه السلام: «لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل» (٧١٥).
١٦. قال عليه السلام: «أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله» (٧١٦).
١٧. قال عليه السلام: «إن المعرفة بكمال دين المسلم: تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة المرء، وحلمه وصبره وحسن خلقه» (٧١٧).
١٨. قال عليه السلام: «واستح منه - من الله - لقربه منك» (٧١٨).
١٩. قال عليه السلام: «إياك والغيبة! فإنها إدام كلاب أهل النار» (٧١٩).
٢٠. قال عليه السلام: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق» (٧٢٠).
٢١. قال عليه السلام: «إن أفضل الاجتهاد عفة البطن والفرج» (٧٢١).
٢٢. قال عليه السلام: «الرضا بمكروه القضاء ارفع درجات اليقين» (٧٢٢).
٢٣. قال عليه السلام: «إنما التوبة العمل والرجوع عن الأمر، وليست التوبة بالكلام» (٧٢٣).
٢٤. قال عليه السلام: «كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر

(٧١٤) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٤١ ب ٤.

(٧١٥) تحف العقول: ص ٢٧٨ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧١٦) الكافي: ج ٨ ص ٢٣٤ حديث القباب ح ٣١٢.

(٧١٧) الخصال: ج ١ ص ٢٩٠ يعرف كمال دين المسلم بخمس خصال ح ٥٠.

(٧١٨) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٠٨ وثبت له الإمامة من وجوه.

(٧١٩) مشكاة الأنوار: ص ٣٢٣ الفصل العاشر في كتمان السر وما يتصل به.

(٧٢٠) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ باب حسن الخلق ح ٢.

(٧٢١) مشكاة الأنوار: ص ٢٤٥ ب ٦ الفصل الأول في عيوب النفس ومجاهدتها.

(٧٢٢) تحف العقول: ص ٢٧٨ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧٢٣) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٠١ وثبت له الإمامة من وجوه.

عليه، وكم من مستدرج بالإحسان إليه»^(٧٢٤).

٢٥. قال عليه السلام: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسى في الأجل، ويجبب إلى الأهل، ويدخل الجنة»^(٧٢٥).

٢٦. قال عليه السلام: «التارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي ثقة.. قيل له: وما يتقي ثقة وما ثقاته؟. قال عليه السلام: «يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى»^(٧٢٦).

٢٧. قال عليه السلام: «ضمنت على ربي عز وجل أن لا يسأل أحد من غير حاجة إلا اضطرتة المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة»^(٧٢٧).

٢٨. قال عليه السلام: «عجباً كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار الآخرة»^(٧٢٨).

٢٩. قال عليه السلام: «إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره»^(٧٢٩).

٣٠. قال عليه السلام: «أبما مؤمن ذرفت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده بؤاه الله بها في الجنة غرماً يسكنها أحقاباً»^(٧٣٠).

(٧٢٤) تحف العقول: ص ٢٨١ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٧٢٥) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٨٦ ب ١١٧ ح ١٦٠٣٨.

(٧٢٦) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٠٣ وثبت له الإمامة من وجوه.

(٧٢٧) الكافي: ج ٤ ص ١٩ باب من سأل من غير حاجة ح ١.

(٧٢٨) الزهد: ص ٥٢ ب ٨ ح ١٤٠.

(٧٢٩) الكافي: ج ٨ ص ١٥٢- ١٥٣ حديث من ولد في الإسلام ح ١٤١.

(٧٣٠) مشير الأحران: ص ١٤ المقدمة.

المعصوم السابع:
الإمام محمد بن علي الباقر

نسبه عليه السلام :

هو الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

والدته عليها السلام :

السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، وكنيتها أمّ عبد الله. وكان الإمام السجاد عليه السلام يسميها الصديقة، وقد وصفها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها»^(٧٣١).

وكانت ذات كرامة على الله تعالى، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدّع الجدار، وسمعنا هتّة شديدة، فقالت بيدها^(٧٣٢): لا وحق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط. فبقي معلقاً في الجو حتى جازته، فتصلّق أبي عنها بمائة دينار»^(٧٣٣).

ولادته عليه السلام :

وُلد الإمام محمد الباقر عليه السلام بالمدينة المنورة في الثالث من شهر صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جدّه الإمام الحسين عليه السلام بثلاث سنين.

(٧٣١) الكافي: ج ١ ص ٤٦٩ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ح ١.

(٧٣٢) أي أشارت بيدها.

(٧٣٣) الكافي: ج ١ ص ٤٦٩ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ح ١.

كنيته عليه السلام :

أبو جعفر.

ألقابه عليه السلام :

الشاعر، والهادي، والأمين، والشبيه - لشبهه برسول الله ﷺ - والباقر وهو أشهرها لقبه العلم، ففي الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله ﷺ وهو معتجراً^(٧٣٤) بعمامة سوداء وكان ينادي: يا باقر العلم، يا باقر العلم. فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر. فكان يقول: لا والله ما أهجر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائي، يبقر العلم بقراً. فذاك الذي دعاني إلى ما أقول - قال - فينا جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مرَّ بطريق في ذاك الطريق كتّاب فيه محمد بن علي. فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل، فأقبل ثم قال له: أدبر، فأدبر - ثم قال - شمائل رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده، يا غلام ما اسمك؟.

قال: اسمي محمد بن علي بن الحسين. فأقبل عليه يقبل رأسه ويقول: بأبي أنت وأمي، أبوك رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول ذلك. قال: فرجع محمد بن علي بن الحسين عليه السلام إلى أبيه عليه السلام وهو ذعر فأخبره الخبر. فقال له: يا بني وقد فعلها جابر. قال: نعم. قال: ألزم بيتك يا بني. فكان جابر يأتيه طرفي النهار، وكان أهل المدينة يقولون: وا عجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار، وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ. فلم يلبث أن مضى علي بن الحسين عليه السلام، فكان محمد بن علي عليه السلام يأتيه على وجه الكرامة لصحبته لرسول الله ﷺ. قال: فجلس عليه السلام يحدثهم عن الله تبارك وتعالى، فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً أجراً من هذا. فلما رأى ما

(٧٣٤) الاعتجار: لف العمامة على الرأس.

يقولون حدثهم عن رسول الله ﷺ، فقال أهل المدينة: ما رأينا أحداً قط أكذب من هذا يحدثنا عن من لم يره. فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله - قال - فصدقوه وكان جابر بن عبد الله يأتيه فيتعلم منه^(٧٣٥).

صفته ﷺ:

قيل: إنه ﷺ اسمر معتدل، ربع القامة، رقيق البشرة، جعد الشعر، أسمر، له خال على خده، وخال أحمر في جسده، ضامر الكشح، حسن الصوت، مطرق الرأس^(٧٣٦).

شاعره ﷺ:

السيد الحميري والكميت الشاعر الموالي المعروف، وكان الإمام الباقر ﷺ يكرمه. ففي الخبر عن جابر، عن أبي جعفر ﷺ، قال: دخلت عليه فشكوت إليه الحاجة. قال: فقال: «يا جابر، ما عندنا درهم». فلم ألبث أن دخل عليه الكميت. فقال له: جعلت فداك، إن رأيت أن تأذن لي حتى أنشدك قصيدة. قال: فقال: «أنشد». فأنشده قصيدة، فقال: «يا غلام، اخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إلى الكميت». قال: فقال له: جعلت فداك، إن رأيت أن تأذن لي أنشدك قصيدة أخرى؟. قال: «أنشد». فأنشدته أخرى، قال: «يا غلام، اخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إلى الكميت». قال: فخرج بدرة فدفعتها إليه. قال: فقال له: جعلت فداك، إن رأيت أن تأذن لي أنشدك الثالثة؟.

قال له: «أنشد». فقال: «يا غلام، أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إليه». قال: فخرج بدرة فدفعتها إليه. فقال الكميت: جعلت فداك، والله ما أحبكم لغرض الدنيا وما أردت بذلك إلا صلة رسول الله ﷺ وما أوجب الله عليّ من الحق. قال: فدعا له أبو جعفر ﷺ ثم قال: «يا غلام، ردها مكانها». قال: فوجدت في

(٧٣٥) الكافي: ج ١ ص ٤٦٩ - ٤٧٠ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي ﷺ ح ٢.

(٧٣٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢١٠ فصل في أحواله وتاريخه ﷺ.

نفسى وقلت: قال: ليس عندي درهم وأمر للكमित بثلاثين ألف درهم. قال: فقام الكमित وخرج. قلت له: جعلت فداك، قلت: ليس عندي دراهم وأمرت للكमित بثلاثين ألف درهم!.

فقال لي: «يا جابر، قم وادخل البيت». قال: فقمت ودخلت البيت فلم أجد منه شيئاً فخرجت إليه. فقال لي: «يا جابر، ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم». فقام فأخذ بيدي وأدخلني البيت ثم قام وضرب برجله الأرض فإذا شبيه بعنق البعير قد خرجت من ذهب.

ثم قال لي: «يا جابر، انظر إلى هذا ولا تخبر به أحداً إلا من تثق به من إخوانك. إن الله أقدرا على ما نريد ولو شئنا أن نسوق الأرض بأذمتها لسقناها»^(٧٣٧).

من شعره عليه السلام :

من الشعر المنسوب إلى الإمام الباقر عليه السلام:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم لم يبق إلا شامت أو حاسد

نقش خاتمه عليه السلام :

قيل: إن نقش خاتمه: «رب لا تذرني فرداً».

ونقل أنه كان نقش خاتمه عليه السلام الأبيات التالية:

ظنني بالله حسن وبالنبي المـؤتمن
وبالوصي ذي المنن وبالْحَسَنِ وَالْحَسَنِ

قالوا فيه عليه السلام :

كثر ثناء المادحون على الإمام الباقر عليه السلام حتى من المخالفين، منهم:

١. قال الذهبي: (محمد بن علي بن الحسين، الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني

^(٧٣٧) بصائر الدرجات: ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ب ٢ ح ٥.

أحد الأعلام) (٧٣٨).

٢. قال ابن منظور: (التبقر: التوسع في العلم والمال، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر رضوان الله عليهم؛ لأنه بقر العلم، وعرف أصله، واستنبط فرعه، وتبقر في العلم) (٧٣٩).

٣. قال الفيروز آبادي: (والباقر محمد بن علي بن الحسين لتبحره في العلم) (٧٤٠).

٤. قال ابن خلكان: (وكان الباقر عالماً سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر؛ لأنه تبقر في العلم أي توسع. والتبقر التوسع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبي على الأجل (٧٤١)

٥. قال الطريحي: (وتبقر في العلم: توسع، ومنه سمي أبو جعفر الباقر عليه السلام؛ لأنه بقر العلم بقرأ، وشقّه وفتحه) (٧٤٢).

٦. قال ابن عنبه: (وكان واسع العلم، وافر الحلم، وجلالة قدره أشهر من ينبه عليها) (٧٤٣).

٧. قال ابن كثير: (أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمي بالباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، كان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحساب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء

(٧٣٨) تذكرة الحفاظ: ج ١ ص ١٢٤ ترجمة رقم ١٠٩ أبو جعفر الباقر.

(٧٣٩) لسان العرب: ج ٤ ص ٧٤ فصل الباء الموحدة، مادة بقر.

(٧٤٠) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٧٦.

(٧٤١) وفيات الأعيان: ج ٤ ص ١٧٤ ترجمة رقم ٥٦٠ محمد الباقر.

(٧٤٢) مجمع البحرين: ص ٢٢٨ باب ب مادة ب ق ر.

(٧٤٣) عمدة الطالب: ص ١٩٥ المقصد الأول في ذكر عقب محمد الباقر.

والعبرات، معرضاً عن الجدل والخصومات^(٧٤٤).

٨. قال ابن حجر: (سُمِّيَ بذلك لأنه من بقر الأرض أي شقها، وإثارة خبآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من خبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منظمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه)^(٧٤٥).

من معاجزه عليه السلام

كانت للإمام الباقر عليه السلام معاجز كثيرة، تدل على كونه حجة الله على الأرض وخليفة رسول الله ﷺ حقاً، منها:

وارث الأنبياء عليه السلام

عن أبي بصير، قال: (دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقلت له: أنتم ورثة رسول الله ﷺ؟)

قال: «نعم».

قلت: ورسول الله ﷺ وارث الأنبياء على ما علموا؟

قال: «نعم».

قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمه والأبرص؟

قال: «نعم، بإذن الله».

ثم قال: «أذن مني يا أبا محمد»، فمسح يده على عيني ووجهي، فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في الدار.

قال: فقال: «تحب أن تكون على هذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم

^(٧٤٤) البداية والنهاية : ج ٩ ص ٣٣٩ فصل أبو جعفر محمد بن علي.

^(٧٤٥) الصواعق المحرقة : ص ٢٠١.

القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصة؟».

قال: أعود كما كنت قال: فمسح يده على عيني فعدت كما كنت^(٧٤٦).

ردوا إليه روحه

قال ابن شهر آشوب: وقد سمعت شيخي أبا جعفر محمد بن الحسين الشوهاني بمشهد الرضا عليه السلام في داره - وهو يقرأ في كتابه، وقد ذهب عني اسم الراوي - أن فتى من أهل الشام كان يكثر الجلوس عند أبي جعفر عليه السلام. فقال ذات يوم: والله ما أجلس إليك حباً لك، وإنما أجلس إليك لفصاحتك وفضلك.

فتبسّم عليه السلام ولم يقل شيئاً، ثم فقد بعد ذلك بأيام. فسأل عنه فقيل له: مريض، فدخل عليه إنسان وقال له: يا بن رسول الله، إنّ الفتى الشامي الذي كان يكثر الجلوس إليك قد توفي وأوصى إليك أن تصلي عليه.

فقال عليه السلام: «إذا غسلتموه فدعوه على السرير ولا تكسوه حتى آتيكم». ثم قام فتطهر وصلى ركعتين ودعا، وسجد بعده فأطال السجود، ثم قام فلبس نعليه، وتردى برداء رسول الله صلى الله عليه وآله ومضى إليه.

فلما وصل دخل البيت الذي يغسل فيه وهو على سريره، وقد فرغ من غسله وناداه باسمه. فقال: «يا فلان» فأجابته ولبّاه، ورفع رأسه وجلس، فدعا عليه السلام بشرية سويق فسقاه، ثم سأله: «ما لك؟».

فقال: إنه قد قبض روعي بلا شك منّي، وإني لما قبضت سمعت صوتاً ما سمعت قط أطيب منه: ردّوا إليه روحه؛ فإنّ محمد بن علي عليه السلام قد سأله^(٧٤٧).

^(٧٤٦) الكافي: ج ١ ص ٤٧٠ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ح ٣.

^(٧٤٧) الثاقب في المناقب: ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ب ٨ ف ١ ح ٣٠٥.

أيتها النخلة اليابسة أطعمينا

عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: خرجت مع أبي جعفر عليه السلام إلى الحج وأنا زميله، إذ أقبل ورشان^(٧٤٨) فوقع على غرارة^(٧٤٩) محمله، فترنم. فذهبت لأخذه فصاح بي: «مه يا جابر، فإنه استجار بنا أهل البيت». فقلت: وما الذي شكاك إليك؟.

قال: «شكاك إليّ أنه يفرخ في هذا الجبل منذ ثلاث سنين، وأن حية تأتيه تأكل أفراخه، فسألني أن أدعو الله عليها ليقتلها، ففعلت وقد قتلها الله». ثم سرنا حتى إذا كان وقت السحر، قال لي: «انزل يا جابر». فنزلت، فأخذت بحطام^(٧٥٠) الجمل، فنزلت فتحنى يمينه ويسرة وهو يقول: «اللهم اسقنا، وأظهر لنا ماء». فإذا حجر مربع أبيض بين الرمل فاقتلعه، فبيع له عين ماء صاف، فتوضأنا وشربنا منه. ثم ارتحلنا فأصبحنا دون قريات ونخل، فعمد أبو جعفر عليه السلام إلى نخلة يابسة فدنا منها وقال: «أيتها النخلة اليابسة أطعمينا». فلقد رأيت النخلة تنحني حتى جعلنا نتناول من ثمرها ونأكل، وإذا أعرابي يقول: ما رأيت ساحراً كالليوم؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا أعرابي، لا تكذب علينا أهل البيت، فإنه ليس منا ساحر ولا كاذب، ولكن علمنا اسماً من أسماء الله تعالى، نسأل الله به فنعطى، وندعو به فنجاب»^(٧٥١).

^(٧٤٨) الورشان: طائر من فصائل الحمام.

^(٧٤٩) غرارة: وعاء من مشاقة الجوت، يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه، ويعرف بالجوالق والخرج أيضاً. أنظر المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٦٤٨ مادة غرر.
^(٧٥٠) أي زمامه.

^(٧٥١) الثاقب في المناقب: ص ٣٩٠ - ٣٩١ ب ٨ ف ٧ ح ٣٢٠.

مناقبيات

جمعت في الإمام الباقر عليه السلام جميع الخصال الحميدة والسجايا المحمودة التي يعجز البيان عن استيعابها، فأنتى للقاصر أن يعرف أهل الكمال، وكيف للمحدود أن يستوعب اللا محدود، منها:

١. عبادته عليه السلام:

على غرار عبادة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام كانت عبادة الإمام الباقر عليه السلام فهو أعبد أهل زمانه.

يقول الذهبي: (كان عليه السلام يصلي في اليوم واللييلة مائة وخمسين ركعة) ^(٧٥٢).

❖ وقال أبو نعيم: قال عبد الله بن يحيى: (رأيت على أبي جعفر محمد بن علي إزاراً أصفر، وكان يصلي كل يوم ولييلة خمسين ركعة بالمكتوبة) ^(٧٥٣).

❖ وقال الحافظ ابن كثير: (كان ذاكرًا خاشعًا صابراً، من سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحساب) ^(٧٥٤).

❖ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه: أمرتني فلم أتم، ونهيتني فلم أنزجر، فها أنا عبدك بين يديك ولا أعتذر» ^(٧٥٥).

ولا يخفى أن مثل هذه الكلمات تدل على شدة العبودية لله عزوجل بأن يرى الإنسان نفسه مقصراً دائماً وأبداً وإن لم يصدر منه أي ذنب.

❖ وعن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إني كنت أمهد لأبي

^(٧٥٢) تاريخ الإسلام: ج ٧ ص ٤٦٤ حرف الميم، محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

^(٧٥٣) تاريخ دمشق: ج ٥٤ ص ٢٨٠ ترجمة رقم ٦٧٨١ محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

^(٧٥٤) البداية والنهاية: ج ٩ ص ٣٣٩ فصل أبو جعفر محمد بن علي.

^(٧٥٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ١١٨ وأما مناقبه الحميدة وصفاته الجميلة.

فراشه فانتظره حتى يأتي. فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وإنه أبطأ عليّ ذات ليلة، فأتيت المسجد في طلبه وذلك بعدما هداً الناس، فإذا هو في المسجد ساجد وليس في المسجد غيره، فسمعت حنينه وهو يقول: سبحانك اللهم أنت ربي حقاً حقاً، سجدت لك يا رب تعبداً ورقاً. اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم» (٧٥٦).

❖ وعن أبي عبيدة الخذاء، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول - وهو ساجد -: «أسألك بحق حبيبيك محمد عليه السلام إلا بدلت سيئاتي حسنات، وحاسبي حساباً يسيراً». ثم قال في الثانية: «أسألك بحق حبيبيك محمد عليه السلام إلا كفيتني مؤنة الدنيا وكل هول دون الجنة». وقال في الثالثة: «أسألك بحق حبيبيك محمد عليه السلام لما غفرت لي الكثير من الذنوب والقليل وقبلت من عملي اليسر». وقال في الرابعة: «أسألك بحق حبيبيك محمد عليه السلام لما أدخلتني الجنة وجعلتني من سكانها ولما نجيّتني من سعفات النار برحمتك وصلى الله على محمد وآله» (٧٥٧).

❖ وعن أفلح مولاة عليها السلام قال: (خرجت مع محمد بن علي عليه السلام حاجاً، فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته. فقلت: بأبي أنت وأمّي، إن الناس ينظرون إليك، فلو رفقت بصوتك قليلاً. فقال لي: «ويحك يا أفلح! ولم لا أبكي! لعل الله تعالى أن ينظر إليّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً». ثم طاف بالبيت، ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده، فإذا موضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينيه» (٧٥٨).

(٧٥٦) الكافي: ج ٣ ص ٣٢٣ باب السجود والتسبيح والدعاء فيه في الفرائض والنوافل وما يقال بين السجدين ح ٩.

(٧٥٧) الكافي: ج ٣ ص ٣٢٢ باب السجود والتسبيح والدعاء فيه في الفرائض والنوافل وما يقال بين السجدين ح ٤.

(٧٥٨) مطالب السؤول: ص ٤٢٩ وأما مناقبه الحميدة وصفاته الجليلة.

❖ وكان الإمام عليه السلام يدعو لشيعته ومحبيه بالغفران والرضوان، وقضاء ديونهم وستر عوراتهم، ففي حرزه عليه السلام لشيعته، قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا دان غير متوان، يا أرحم الراحمين، اجعل لشيعتي من النار وقاءً، ولهم عندك رضاً، واغفر ذنوبهم، ويسر أمورهم، واقض ديونهم، واستر عوراتهم، وهب لهم الكبائر التي بينك وبينهم، يا من لا يخاف الضيم، ولا تأخذ سنة ولا نوم، اجعل لي من كل غم فرجاً ومخرجاً، إنك على كل شيء قدير»^(٧٥٩).

٢. جوده وكرمه عليه السلام :

على غرار بقية المعصومين الأطهار عليهم السلام حيث كانوا يتكفلون بإعانة المحتاجين والفقراء والمساكين، كان الإمام الباقر عليه السلام كذلك:

روي عن سلمى مولاته عليها السلام، قالت: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم. فأقول له في ذلك ليقبل منه فيقول: «يا سلمى، ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف».

وكان الإمام عليه السلام يميز بخمسائة والستمائة إلى الألف، عن الأسود بن كثير، قال: شكوت إلى أبي جعفر عليه السلام الحاجة وجفاء الإخوان. فقال: «بئس الأخ أخ يركعك غنياً ويقطعك فقيراً». ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم، فقال: «استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني»^(٧٦٠).

وعن عمرو بن دينار وعبد الله بن عبيد، قالوا: ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام إلا وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة، وقال: «هذه معة لكم قبل أن

(٧٥٩) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٦٨ ب ٤٣ ح ٢.

(٧٦٠) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢٠٤ مجلس في ذكر إمامة أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ومناقبه.

تلقوني» (٧٦١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «دخلت على أبي يوماً وقد تصدق على فقراء المدينة بثمانية آلاف دينار، وأعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر» (٧٦٢).

الحركة العلمية

الظروف التي أتاحت للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ساهمت بشكل كبير في نشرهما للعلوم ما ملأ الأفق، وقد تصديا عليهما السلام للتيارات الضالة وأرباب الشبهات والبدع في عصرهما.

وفي الواقع التراث العلمي الموجود بين أيدينا اليوم أكثره من هذين الإمامين الهمامين عليهما السلام حتى بلغ الأمر أن عدد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام بلغوا عشرين ألفاً.

المناظرات:

للإمام الباقر عليه السلام مناظرات علمية مع أهل الشبهات، ففي أحد الأيام سأل الأبرش الكلي هشام بن الحكم قائلاً: من هذا الذي احتوشه أهل العراق ويسألونه؟

قال: هذا نبي الكوفة، وهو يزعم أنه ابن رسول الله، وباقر العلم، ومفسر القرآن، فاسأله مسألة لا يعرفها.

فأته وقال: يا بن علي، قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟

قال: «نعم».

قال: فإني سألك عن مسائل.

(٧٦١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٠٧ فصل في معالي أموره عليه السلام.

(٧٦٢) مستدرک الوسائل: ج ٥ ص ٧٨ ب ٢٢ ح ٥٣٩٢.

قال: «سل؛ فإن كنت مسترشداً فستنتفع بما تسأل عنه، وإن كنت متعنتاً فتضل بما تسأل عنه».

قال: كم الفترة التي كانت بين محمد ﷺ وعيسى ﷺ؟.

قال ﷺ: «أما في قولنا فسبعمائة، وأما في قولك فستمائة سنة».

قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ (٧٦٣) ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟.

قال: «يحشر الناس على مثل فرضة الأرض فيها أنهار متفجرة يأكلون حتى يفرغ من الحساب».

فقال هشام: قل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ.

قال ﷺ: «هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا: أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله».

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ (٧٦٤) كان في أيامه من يسأل عنه فيسألهم فأخبروه؟.

فأجاب عن ذلك مثل ما تقدم من فصل الميثاق من هذا الكتاب، قال: فنهض الأبرش وهو يقول: أنت ابن بنت رسول الله ﷺ حقاً.

ثم صار إلى هشام فقال: دعونا منكم يا بني أمية فإن هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء والأرض، فهذا ولد رسول الله ﷺ (٧٦٥).

المرجع للجميع:

(٧٦٣) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٧٦٤) سورة الزخرف: ٤٥.

(٧٦٥) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٩٨ فصل في علمه ﷺ.

كان أرباب المخالفين ممن طرحتهم السلطات كأئمة مقابل الإمام الباقر عليه السلام عندما يرجون أمام الناس يلجئون إلى الإمام عليه السلام. فقد نقل أن ابن عمر سأل عن مسألة فلم يدر بما يجيب، فقال: اذهب إلى ذلك الغلام فسأله، وأعلمني بما يجيبك، وأشار إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام. فأثاه وسأله، فأجابه فرجع إلى ابن عمر فأخبره، فقال: إنهم أهل بيت مفهمون^(٧٦٦).

بل كان العلماء من سائر الفرق يرجعون إلى تلامذة الإمام الباقر عليه السلام ويستفيدون من علومهم، دون أن يخبروا الناس بذلك. ففي الخبر أن امرأة أتت إلى محمد بن مسلم في منتصف الليل وقالت: لي بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتى ماتت والولد يتحرك في بطنها ويذهب ويجيء، فما أصنع؟ فقال: يا أمة الله، سئل الباقر عليه السلام عن مثل ذلك فقال: «يشق بطن الميت ويستخرج الولد»، افعلي مثل ذلك يا أمة الله أنا في ستر من وجهك إليّ. قالت: سألت أبا حنيفة فقال: عليك بالثقفي، فإذا أفتاك فأعلمينيّه. فلما أصبح محمد بن مسلم ودخل المسجد رأى أبا حنيفة يسأل عن أصحابه، ففتح محمد بن مسلم، فقال: اللهم غفراً دعنا نعيش^(٧٦٧).

تربية الفقهاء والعلماء:

قام الإمام الباقر عليه السلام بتربية الفقهاء والعلماء، وذلك عند ما فرجت الظروف نسبياً للإمام عليه السلام، كان منهم:

◆ ١. أبان بن تغلب:

وهو أبرز تلامذة الإمام الباقر عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام يأمره بالفتوى. فقال له:

^(٧٦٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٩٧ فصل في علمه عليه السلام.

^(٧٦٧) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٠٠ فصل في علمه عليه السلام.

«اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس؛ فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك»^(٧٦٨).
 وكفاه فضلاً تصديق العامة بفضله مع اعترافهم بتشييعه، قال الذهبي في ميزان
 الاعتدال عند ترجمته: (شيعي، جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه، وعليه بدعته)^(٧٦٩).
 وعن إبراهيم النخعي: (وكان أبان رضي الله عنه مقدماً في كل فن من العلوم: في القرآن
 والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو، وله كتب منها: تفسير غريب القرآن،
 وكتاب الفضائل)^(٧٧٠).

❖ ٢ . محمد بن مسلم:

كان فقيهاً عالماً ورعاً، وكفاه فضلاً قول الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن أبي
 يعفور الذي اشتكى للإمام عليه السلام عدم القدرة على الوصول إليه في كل وقت مع
 سؤال الناس منه، فقال له عليه السلام: «فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي! فإنه قد سمع
 من أبي وكان عنده وجيهاً»^(٧٧١).

❖ ٣ . مؤمن الطاق:

كان من فطاحل الشيعة وعلمائها المدافعين عن أهل البيت عليهم السلام بالبيان والحجة
 والمجادلة والتي هي أحسن، وقد دفعه الأئمة عليهم السلام إلى مناظرة مخالفينهم وإفحامهم ورد
 شبهاتهم.

فعن أبي خالد الكابلي، قال: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق في الروضة وقد
 قطع أهل المدينة أزراره وهو دائم يجيبهم ويسألونه. فدنوت منه وقلت له: إن أبا

^(٧٦٨) رجال النجاشي: ص ١٠ ترجمة رقم ٧ أبان بن تغلب بن رباح.

^(٧٦٩) ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٥ ترجمة رقم ٢ أبان بن تغلب.

^(٧٧٠) رجال النجاشي: ص ١١ ترجمة رقم ٧ أبان بن تغلب بن رباح.

^(٧٧١) رجال الكشي: ص ١٦١ - ١٦٢ محمد بن مسلم الطائفي الثقفي ح ٢٧٣.

عبد الله نهانا عن الكلام.

فقال: لقد أمرك أن تقول لي؟.

فقال: لا والله ولكنه أمرني أن لا أكلم أحداً.

قال: فاذهب وأطعه فيما أمرك.

قال الكابلي: فدخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب

الطاق وما قلت له وما أجابني به. فتبسّم أبو عبد الله عليه السلام وقال: «يا أبا خالد، إنَّ

صاحب الطاق يكلم فيطير وينقض، وأنت إذا قصوك لن تطير»^(٧٧٢).

وكان مؤمن الطاق متخصصاً في المناظرة والملاعبة والنقض والإبرام على

المخالفين، حتى أنهم كانوا يتحاشونه لشدة محاججته، وقد سجل له كثير من

المناظرات منها:

سأله أبو حنيفة قائلاً: ما تقول في المتعة، أ تزعم أنها حلال؟.

قال: نعم.

قال: فما منعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك؟.

فقال له أبو جعفر الطاق: ليس كل الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً،

وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم. ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أ

تزعم أنه حلال؟.

قال: نعم.

قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكسبن عليك؟.

فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة، وسهمك أنفذ... إلخ^(٧٧٣).

^(٧٧٢) رجال الكشي: ص ١٨٥ - ١٨٦ في أبي جعفر الأحول محمد بن علي بن النعمان مؤمن

الطاق ح ٣٢٧.

^(٧٧٣) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ٤١١ ب ١٢ ح ١٧.

وفي خبر آخر أنّ أبا حنيفة كان يتهم مؤمن الطاق بالرجعة، وكان مؤمن الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ. فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق، فاستقبله مؤمن الطاق ومعه ثوب يريد بيعه.

فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع علي عليه السلام.
فقال: إن أعطيتني كفيلاً أن لا تمسخ قرداً بعثك.
فبهت أبو حنيفة ^(٧٧٤).

ونقل أنه لما توفي الإمام الصادق عليه السلام كان مؤمن الطاق عند المهدي العباسي هو وأبو حنيفة.

فقال أبو حنيفة: قد مات إمامك.

فقال الطائي: وإمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ^(٧٧٥).

◆ ٤. جابر بن يزيد الجعفي:

وهو من خيرة صحابة الإمام الباقر عليه السلام، ومن أصحاب سره. ففي الخبر أنه قال: حدثني أبو جعفر عليه السلام بسبعين ألف حديث، لم أحدث بها أحداً أبداً.
يقول رحمته الله: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك، إنك حملتني وقرأ عظيمًا بما حدثتني به من سرّكم الذي لا أحدث به أحداً، وربما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبيه الجنون.

فقال الإمام عليه السلام: «يا جابر، فإذا كان ذلك فإخرج إلى الجبان فاحضر حفيرة ودلّ رأسك فيها، ثم قل: حدثني محمد بن علي كذا وكذا» ^(٧٧٦).

وكان جابر رحمته الله إذا روى حديثاً عن الإمام الباقر عليه السلام يرويه بكل إجلال

^(٧٧٤) (قاموس الرجال: ج ٩ ص ٣٨٢- ٣٨٣ ترجمة رقم ٧٩٩٤ النعمان بن ثابت).

^(٧٧٥) (مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٧٧ فصل في معالي أمره عليه السلام).

^(٧٧٦) (بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٣٤٠ ب ٨ ح ٣٠).

واحترام، فيقول: حدّثني وصي الأوصياء، وولي الأولياء، ووارث علم الأنبياء، محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ^(٧٧٧).

وفي الخبر أنه قال: خدمت سيدنا الإمام أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ثمانية عشر سنة، فلما أردت الخروج ودعته وقلت له: أفدني.

فقال: «بعد ثمانية عشر سنة يا جابر!».

قلت: نعم، إنكم بحر لا ينزف ولا يبلغ قعره.

قال عليه السلام: «يا جابر، بلغ شيعتي عني السلام وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عزّ وجلّ، ولا يتقرب إليه إلاّ بالطاعة له.

يا جابر، من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا.

يا جابر، من هذا الذي يسأل الله فلم يعطه، أو توكل عليه فلم يكفه. أو وثق به فلم ينجه!».

يا جابر، أنزل الدنيا منك كمنزل نزلته تريد التحويل عنه، وهل الدنيا إلاّ دابة ركبها في منامك فاستيقظت وأنت على فراشك غير راكب ولا آخذ بعنانها. أو كثوب لبسته أو كجارية وطئتها.

يا جابر، إن الدنيا عند ذوي الألباب كفيء الظلال. لا إله إلاّ الله إعزاز لأهل دعوته، الصلاة تثبيت الإخلاص وتنزيه عن الكبر، والزكاة تزيّد في الرزق، والصيام والحج تسكين القلوب، والقصاص والحدود حقن الدماء، وحبنا أهل البيت عليهم السلام نظام الدين، وجعلنا الله وإياكم من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون» ^(٧٧٨).

^(٧٧٧) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢٠٣ مجلس في ذكر إمامة أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ومناقبه.

^(٧٧٨) الأملالي للطوسي: ص ٢٩٦ المجلس ١١ ح ٥٨٢.

وقد أمره الإمام الباقر عليه السلام بالتظاهر بالجنون؛ وذلك لما همّ الطاغوت بقتله فأمره عليه السلام بذلك حفظاً له من القتل. يقول النعمان بن بشير: كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي، فلما أن كنا بالمدينة دخل على أبي جعفر عليه السلام فودعه وخرج من عنده وهو مسرور، حتى وردنا الأخرجة^(٧٧٩) أول منزل نعدل من فيد^(٧٨٠) إلى المدينة يوم جمعة فصلينا الزوال، فلما نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم معه كتباً فناوله جابراً. فتناوله فقبله ووضع على عينيه، وإذا هو من محمد بن علي عليه السلام إلى جابر بن يزيد وعليه طين أسود رطب. فقال له: متى عهدك بسيدي؟ فقال: الساعة. فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة؟

فقال: بعد الصلاة. ففك الخاتم وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره، ثم أمسك الكتاب فما رأته ضاحكاً ولا مسروراً حتى وافى الكوفة. فلما وافينا الكوفة ليلاً بت ليلتي، فلما أصبحت أتيته إعظاماً له فوجدته قد خرج عليّ وفي عنقه كعاب قد علقها وقد ركب قصبة وهو يقول: أجد منصور بن جمهور أميراً غير مأمور، وأبياتاً من نحو هذا. فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً ولم أقل له، وأقبلت أبكي لما رأيته واجتمع عليّ وعليه الصبيان والناس. وجاء حتى دخل الرحبة وأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون: جنّ جابر بن يزيد جنّ. فوالله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلى وإليه أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه. فالتفت إلى جلسائه فقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟

قالوا: أصلحك الله، كان رجلاً له علم وفضل وحديث، وحج فجن وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. قال: فأشرف عليه فإذا هو مع

^(٧٧٩) أخاريج وأخرجة، وهو اسم موضع بالمدينة.

^(٧٨٠) قلعة في طريق مكة.

الصبيان يلعب على القصب. فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله. قال: ولم تمض الأيام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفة وصنع ما كان يقول جابر^(٧٨١).

دفع الشبهات:

إلى جانب تربية الإمام عليه السلام لتلامذته على المحاججة والمناظرة، كان هو عليه السلام بنفسه أيضاً يتصدى للشبهات ويرد حجج المغرضين ممن يثرون الشبهات في أذهان البسطاء من الناس.

ففي التاريخ أنّ عبد الله بن نافع الأزرق كان يقول: لو عرفت أنّ أحداً بين قطريها تبلغي إليه الإبل يخصمني بأنّ علياً قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لرحلتها إليه.

قيل له: ائت ولد محمد الباقر عليه السلام. فأناه فسأله، فقال عليه السلام بعد كلام: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته، واختصنا بولايته. يا معشر أولاد المهاجرين والأنصار من كان عنده منقبة في أمير المؤمنين عليه السلام فليقم فليحدث». فقاموا ونشروا من مناقبه، فلما انتهوا إلى قوله: لأعطين الراية (الخبر)، سأله أبو جعفر عليه السلام عن صحته؟.

فقال: هو حق لا شك فيه، ولكن علياً أحدث الكفر بعدا! فقال أبو جعفر عليه السلام: «أخبرني عن الله أحبّ علي بن أبي طالب يوم أحبه، وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ إن قلت: لا، كفرت».

فقال: قد علم.

قال: «فأحبه علي أن يعمل بطاعته أو علي أن يعمل بمعصيته؟».

قال: علي أن يعمل بطاعته.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «قم مخصوماً». فقام وهو يقول: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

(٧٨١) الكافي: ج ١ ص ٣٩٦ - ٣٩٧ باب أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في

أمرهم ح ٧.

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴿٧٨٢﴾، الله يعلم حيث يجعل رسالاته (٧٨٣).

❖ وقال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأينا العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر عليه السلام يعني الباقر، ولقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته وسنه عنده كأنه صبي بين يدي معلم يتعلم منه (٧٨٤).

ضرب الدراهم

نقل الكسائي أنه دخل على هارون ذات يوم، وهو في إيوانه وبين يديه مال كثير، قد شق عنه البدر (٧٨٥) شقاً، فأمر هارون بتفريق ذلك المال الكثير في خدمه الخاصة.

قال: وكان بيده درهم تلوح كتابته، وهو يتأمله، وكان كثيراً ما يحدثني. فقال: هل علمت أول من سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضة؟

قلت: يا سيدي هو عبد الملك بن مروان.

قال: فما كان السبب في ذلك؟

قلت: لا علم لي غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة.

فقال هارون: سأخبرك.. كانت القراطيس للروم (القرطاس: برد مصري كانوا يحملون به الآنية والثياب). قال: وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين ملك الروم، وكانت تلك القراطيس المصرية تطرز بالرومية (الخط اللاتيني)، وكان طرازها: باسم

(٧٨٢) سورة البقرة: ١٨٧.

(٧٨٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٠١ فصل في علمه عليه السلام.

(٧٨٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٠٤ فصل في علمه عليه السلام.

(٧٨٥) البدر: جمع بدرة وهي القطعة من الذهب أو كمية عظيمة من المال، تقدر بعشرة آلاف درهم. وشق: أفرز.

(الأب والابن وروح القدس). فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان قبله حتى أيام عبد الملك بن مروان ففتنه له وكان فطناً.

فبينما هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه، فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل فيها الأواني والثياب وهما يعملان بمصر، وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله، والبلد يخرج منه هذه القراطيس تدور في الآفاق والبلاد وقد طرزت بهذا الطراز!

فكتب عبد الملك إلى عامله على مصر عبد العزيز بن مروان يأمره بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأمر صناع القراطيس أن يطرزوها بصورة التوحيد: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت (أيام هارون) لم ينقص ولم يزد ولم يتغير، وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل.

فلما ثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد، وحمل إلى بلاد الروم ومنها انتشر الخبر ووصل إلى ملكهم، وترجم له ذلك الطراز الإسلامي أنكره الملك وغلظ عليه، واستشاط غيظاً. فكتب إلى عبد الملك: إن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطئوا. اختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الأغلاق حاجة أشكرك عليها.

فلما قرأ عبد الملك كتابه ردّ الرسول وأعلمه أن لا جواب له ورد الهدية، فانصرف بها إلى صاحبه.

فلما وافاه، أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك، وقال: إنني ظننت أنك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي فأضعفت الهدية، وإني أرغب إليك إلى مثل ما رغبت فيه من رد الطراز إلى ما كان عليه أولاً.

فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية. فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بجاجتي، فتوهمتك أنك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه، أو لأمرن بنقش الدراهم والدنانير، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، فينقش عليها شتم نبيك فإذا قرأته أرفض جبينك عرقاً، فأحب أن تقبل هديتي وترد الطراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها ونبقي على الحال بيني وبينك.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه الأمر وغلظ وضاق به الأرض، وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام؛ لأنني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم. فجمع عبد الملك أهل الإسلام واستشارهم، فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به. فقال له روح بن زبناح: إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر، ولكنك تتعمد تركه. فقال: ويحك من؟!

فقال: عليك بالباقر من أهل بيت النبي ﷺ.

قال: صدقت، ولكنه ارتج عليّ الرأي فيه. فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص إليّ محمد بن علي بن الحسين ﷺ مكرماً، وتمع به مائة ألف درهم لجهازه، وبثلاثمائة ألف درهم لنفقته، وأرح عليه في جهازه من يخرج معه من أصحابه. وحبس رسول ملك الروم عنده إلى موافاة محمد بن علي ﷺ، فلما وافاه أخبره الخبر.

قال الإمام الباقر ﷺ: «لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين:

إحداهما: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله

ﷺ

والأخرى: وجود الحيلة فيه.

فقال عبد الملك: وما هي؟.

قال الإمام عليه السلام: «تدعو في هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله ﷺ: أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والآخر في الوجه الثاني. وتجعل مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعتمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة التي تكون العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً إحدى وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين، كل عشرة وزن سبعة مثاقيل.

وتصّب صنجات (قوالب) من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن الأجزاء العشرة التي تعادل سبعة مثاقيل، وتضرب الدنانير على وزن سبعة مثاقيل التي تعادل عشرة دراهم فتكون كل عشرة دراهم يعادل وزنها سبعة دنانير فيصير وزن كل درهم نصف مثقال وخمسة». ٧/١٠ ففعل ذلك عبد الملك. وأمره محمد بن علي الباقر عليه السلام أن تكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن تتقدم إلى الناس في التعامل بها وأن يتهدّد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك الإسلامية.

ففعل ذلك عبد الملك، ورد رسول ملك الروم، وقال له: إنَّ الله عزَّ وجلَّ مانعك ممّا قد أردت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال

السكك والطروز الرومية.

فقبل لملك الروم: افعل ما كنت تهدد به ملك العرب. فقال: إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه؛ لأنني كنت قادراً عليه، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام. وامتنع من ذلك وثبت ما أشار به الإمام الباقر عليه السلام إلى اليوم (أيام هارون) ثم رمى هارون بالدرهم إلى بعض الخدم^(٧٨٦).

(٧٨٦) حياة الحيوان الكبرى للدميري: ج ١ ص ٩٠ - ٩٢ خلافة عبد الملك بن مروان.

مع طواغيت العصر

عاصر الإمام الباقر عليه السلام عدداً من طغاة بني أمية وبني العباس، وكان الإمام عليه السلام في موافقه لم يعبأ بجبروتهم. ففي إحدى المرات عين الحاكم والياً جديداً على المدينة فأخذ الناس ينساقون نحو داره ليهنئوه بالولاية، يقول محمد بن مسلم: كنا عند أبي جعفر عليه السلام على باب داره بالمدينة، فنظر إلى الناس يميرون أفواجا. فقال عليه السلام لبعض من عنده: «حدث بالمدينة أمر؟».

فقال: جعلت فداك، ولي المدينة وال فغدا الناس يهنئونه. فقال عليه السلام: «إنَّ الرجل لِيُغْدَى عليه بالأمر تَهَنُّأً به، وأنه لباب من أبواب النار» (٧٨٧).

وكان عليه السلام يذكر المختار ويترحم عليه وهو قاتل الظلمة من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وكان يترحم على زيد الشهيد رضي الله عنه. وهذا مما يسخط الظلمة وينكد عليهم رغد عيشهم، كما أنه عليه السلام كان يغدق على الكميت الشاعر الشهير ويثني عليه بكلماته، علماً أنه من المغضوبين عليهم لدى السلطات آنذاك.

وكلما حاول الطغاة آنذاك أن ينقصوا من مكانة الإمام الباقر عليه السلام، أو يمجروه أمام الناس كي لا يؤخذ بكلامه ويتخلّى الناس عنه لم يوقفوا لذلك. ففي الخبر عن عمارة بن زيد الواقدي، قال: حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر عليهما السلام. فقال جعفر عليه السلام في بعض كلامه: «الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من اتبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا. ومن الناس من يقول إنه يتولانا وهو يوالي أعداءنا، ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربنا ولم يعمل به».

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «فأخبر مسيلمة أخاه بما سمع، فلم يعرض

(٧٨٧) الكافي: ج ٥ ص ١٠٧ باب عمل السلطان وجوائزهم ح ٦.

لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة. فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بشخص أبي وإشخاصي معه فأشخصنا. فلما وردنا دمشق حجبتنا ثلاثة أيام، ثم أذن لنا في اليوم الرابع، فدخلنا وإذا هو قد قعد على سرير الملك، وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سباطين متسلحين، وقد نصب البرجاس (٧٨٨) حذاءه، وأشياخ قومه يرمون.

فلما دخل أبي وأنا خلفه ما زال يستدنيا منه حتى حاذينه وجلسنا قليلاً. فقال لأبي: يا أبا جعفر، لو رميت مع أشياخ قومك الغرض.

وإنما أراد أن يهتك بأبي ظناً منه أنه يقصر ويخطئ ولا يصيب إذا رمى، فيشتفي منه بذلك. فقال عليه السلام له: إني قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني. فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد صلى الله عليه وآله لا أعفيك.

ثم أوماً إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك. فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ، ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشق فوق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر، وأنت أرمى العرب والعجم، كلا زعمت أنك قد كبرت عن الرمي.

ثم أدركته ندامة على ما قال. وكان هشام لا يكني أحداً قبل أبي ولا بعده في خلافته. فهم به وأطرق إطراقة يرتأي فيه رأياً، وأبي واقف بجذائه مواجهاً له، وأنا وراء أبي، فلما طال وقوفنا بين يديه غضب أبي فهم به، وكان أبي إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يتبين للناظر الغضب في وجهه. فلما نظر هشام ذلك من أبي قال له: يا محمد، اصعد. فصعد أبي إلى سريره وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه

(٧٨٨) البرجاس: هو الهدف.

فاعتقه وأقعه عن يمينه، ثم اعتنقني وأقعدني عن يمين أبي، ثم أقبل على أبي بوجهه فقال له: يا محمد، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك. والله درك، من علمك هذا الرمي؟!.

وفي كم تعلمته؟.

فقال له أبي: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه، فتعاطيته أيام حدثي ثم تركته، فلما أراد الأمير مني ذلك عدت إليه. فقال له: ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت، وما ظننت أن في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي، أين رمي جعفر من رميك؟.

مجمل هذه الأمور جعلت هشام بن الحكم يخطط لقتل الإمام عليه السلام، والخلص منه فدمس إليه السم الفتاك وقتله مسموماً مظلوماً.

حكام الجور

عاصر الإمام الباقر عليه السلام أكثر من حاكم من بني أمية الظلمة، الذين عاثوا في الأرض الفساد وتسلطوا على رقاب العباد. ففي أيام طفولته حضر واقعة كربلاء وشاهد ظلم الطاغية يزيد وأعوانه، وكيف أنهم انتهكوا الحرمات وسودوا صفحات التاريخ بجرائمهم النكراء التي لم يشهد لها نظير. قال الإمام الباقر عليه السلام: «قتل جدِّي الحسين عليه السلام ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت»^(٧٨٩).

وشاهد الإمام عليه السلام كيف جرع حكام بني أمية أباه السجاد عليه السلام الغصص إلى أن استشهد عليه السلام مظلوماً مسموماً، ولما آلت الإمامة إليه عاصر خمسة من خلفاء بني أمية، وهم:

(٧٨٩) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٢٠ وفاة أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام.

◆ ١. الوليد بن عبد الملك:

وقد مر بعض الشيء عنه في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام.

٢. سليمان بن عبد الملك:

وقد تسلّم الخلافة بعد هلاك أخيه الوليد بوصية من أبيه، وهو أيضاً من المولعين بمجالس الغناء واللهو والطرب، وكان ينفق آلاف الدنانير والدراهم على المغنين والمغنيات. ففي التاريخ أنّه كان في متنزه له ومعه حرمه فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنى، فدعا صاحب شرطته فقال: عليّ بصاحب الصوت. فأُتِيَ به، فلما مثل بين يديه قال له: ما حملك على الغناء وأنت إلى جنبي ومعني حرمي، أما علمت أن الرماك إذا سمعت صوت الفحل حنّت إليه، يا غلام جبه.

فجب الرجل، فلما كان في العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المتنزه فجلس مجلسه الذي فيه فذكر الرجل وما صنع به. فقال لصاحب شرطته: عليّ بالرجل الذي كنا جبيناه.

فأحضره، فلما مثل بين يديه قال له: إما بعت فوفيناك وإما وهبت فكافأناك. قال: فوالله ما دعاه بالخلافة ولكنه قال له: يا سليمان، الله إنك قطعت نسلي فذهبت بماء وجهي وحرمتني لذتي، ثم تقول: إما وهبت فكافأناك وإما بعت فوفيناك، لا والله حتى أقف بين يدي الله (٧٩٠).

وكان أيضاً قسي القلب فظ جداً بحيث إنه مرّ ذات يوم بالمجذومين في طريق مكة فأمر بإحراقهم، وقال: لو كان الله يريد بهؤلاء خيراً ما ابتلاهم بهذا البلاء (٧٩١).

(٧٩٠) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٤٢٩ ذكر بعض أخباره وسيره.

(٧٩١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٩٨ أيام سليمان بن عبد الملك.

وكان أيضاً أكولاً لا يشبع من الأكل، حتى قيل إنه أكل ذات مرة سبعين رمانة وجدياً وست دجاجات وكثيراً من الزبيب ثم نام وانتبه فأتوه بالغداء فأكل على عادته (٧٩٢).

وقال لديراني كان صديقه قبل الخلافة: ويحك! لا تقطعني أطفك التي كنت تلتفني بها على عهد الوليد أخي. قال: فأتيته يوماً بزنبيلين كبيرين أحدهما بيض مسلوق والآخر تين. فقال: لقمنيه، فكنت أقشر البيضة وأقرنها بالتينة وألقمه، حتى أتى على الزنبيلين (٧٩٣).

وذكر ابن عبد ربه: أن سبب هلاك سليمان بن عبد الملك أن نصرانياً أتاه وهو بدابق (٧٩٤) بزنبيل مملوء بيضاً وآخر مملوء تيناً. قال: قشروا. فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أتى على الزنبيلين، ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فأكله، فأتخم فمرض فمات (٧٩٥).

◆ ٣. عمر بن عبد العزيز:

المشتهر بين بعض الناس بالسيرة الحمودة، وربما كان ذلك لقلّة مساويه نسبة للحكام الذين سبقوه، وإلا فهو من الطغاة الظالمين، ويلعنه أهل السماء كما في الحديث الشريف (٧٩٦).

وقد حكم مدة سنتين ونصف، رفع فيها السب عن علي أمير المؤمنين عليه السلام حيث رأى أن المجتمع لا يتحمل ذلك، وهذا مما ينقلب على حكومة الأمويين. وكان

(٧٩٢) الوافي بالوفيات: ج ١٥ ص ٢٤٥ الأموي سليمان بن عبد الملك.

(٧٩٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ٣٩٩ نوادر المكثرين من الأكل.

(٧٩٤) دابق: قرية بجلب من عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

(٧٩٥) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ٣٩٩ نوادر المكثرين من الأكل.

(٧٩٦) بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٢٥١ ب ٥ ح ٤٤.

يخطب يوماً على المنبر، فقام إليه رجل ذمّي فخطب إليه ابنته. فقال له عمر: أنت كافر والكافر لا يزوج في ديننا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩٧).

فقال الذمي: فلم زوج رسولكم ابنته من كافر؟

قال عمر: ومن الكافر؟!

قال: علي!

فصرخ به عمر: من قال إن علياً كافر؟

قال الذمي: إن لم يكن كافراً فلم تلعنونه؟

فخجل عمر ونزل من على المنبر، ثم إنه جمع وزراءه في اليوم التالي وقال لهم: قد تأملت أمس في أمر معاوية بن أبي سفيان فوجدته قد مضى ولم يبق منه أثر، وأظن أن ذلك بسبب عداوته لعلي عليه السلام وبنيه، ولست أرى لعنه صواباً، وأريد أن أرفع لعنه.

فقال الوزراء: أصبت.

فقال عمر: إذا كان يوم الجمعة فليرافقني إلى المسجد خمسمائة من الرجال المسلحين، وليخفوا أسلحتهم تحت ثيابهم، حتى إذا صار إلى المسجد وخطب، لم يلعن في آخر خطبته كالعادة الجارية، بل قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٧٩٨).

فصاح به الناس: غيرت السنّة وبدلت السنّة، ونادوا: كفر الأمير، ورجموا من كل صوب بالحجارة حتى نزل عن المنبر. فشهر الرجال سيوفهم واستنقذوه من أيديهم إلى أن انتهوا به إلى داره، فلما أصبح أمر كاتبه فكتب إلى أنحاء المملكة: إن الأمير قد

(٧٩٧) سورة البقرة: ٢٢١.

(٧٩٨) سورة النحل: ٩٠.

رفع لعن علي، وعلى الجميع أن يقتدوا به (٧٩٩).

وروي أيضاً في سبب رفعه سب أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذ أمير المدينة. فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقائقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجتمجم^(٨٠٠)، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك. فقلت له يوماً: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عيباً؟!.

فقال: يا بني، إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا أحد. فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرنه، فلما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلت مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠١) وكتبت في الآفاق فصار سنة (٨٠٢).

توفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان من أرض حمص يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة ١٠١هـ.

❖ ٤. يزيد بن عبد الملك:

المشهور بالاستهتار والجون والخلاعة والفساد، وهو صاحب الجاريتين حياطة

(٧٩٩) تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار: ص ٨٧ - ٨٨.

(٨٠٠) يقال: جتمجم عن الأمر أي لم يقدم عليه.

(٨٠١) سورة النحل: ٩٠.

(٨٠٢) شرح نهج البلاغة: ج ٤ ص ٥٨ - ٥٩ فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي.

وسلامة. وله أخبار مفصلة معهن حتى بلغ أمره معهن أنه ترك الصلاة واعتكف بجوار جواريه، وكان مغرماً في الغناء، وكثير ما كان يتغنى بحبابة ويطرب، حتى نقل أنه طرب يوماً فأخذ وسادة فجعلها على رأسه ويدور في الدار ويرقص ويصيح وينشد الأبيات فيها^(٨٠٣).

وكان من شدة غرامه بحبابة أنها إذا غنت له يقول لها: أظير؟.

فتجيبه قائلة: فألى من تدع الناس؟. فيقول: إليك^(٨٠٤).

وذاث يوم لأمه مسلمة بن عبد الملك على الإلحاح على الغناء والشرب ... وفي يوم الجمعة تعرضت له حبابة عند خروجه إلى الصلاة فلقيته والعود في يدها فغنت البيت الأول... ثم غنت.. فعدل إليها وقال: صدقت قبح الله من لامني فيك، يا غلام مر مسلمة فليصل بالناس وأقام معها يشرب وهي تغنيه^(٨٠٥). وفي بعض الأيام نزل ببيت رأس بالشام ومعه حبابة. فقال: زعموا أنه لا يصفو لأحد عيشه يوماً إلى الليل... وسأجرب ذلك... وخلا هو وحبابة... فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت. فأقام لا يدفنها ثلاثاً وهو يبكي عليها ويفعل بها ما يفعل، حتى تغيرت وانتفت وهو يشمها ويرشفها ويفعل بها... فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها^(٨٠٦).

وروى المدائني أن يزيد بن عبد الملك اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها، فقال: لا بد من أن تنبش فنبشت وكشفت له عن وجهها وقد تغير تغيراً قبيحاً... فقال: ما رأيتها قط أحسن منها اليوم...

^(٨٠٣) الأغاني: ج ١٥ ص ١٣٧.

^(٨٠٤) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٧٤ ذكر بعض سيره وأموره.

^(٨٠٥) الأغاني: ج ١٥ ص ١٢٨.

^(٨٠٦) انظر الأغاني: ج ١٥ ص ١٤٣.

وعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: خرجت مع أبي إلى الشام في زمن يزيد بن عبد الملك. فلما ماتت حبابة... قال: لم أصل عليها، انبشوا عنها... فلم يأذن للناس بعد حبابة إلا مرة واحدة... ولم ينشب يزيد أن مات كمدأ... (٨٠٧).

❖ ٥. هشام بن عبد الملك:

المعروف بالبخل والجبن حتى عدّ من بخلاء التاريخ، فكان من شدة بخله يمنع المسلمين عطاءهم حتى عاب عليه بعض بني مروان ذلك قائلين: أ تطمع في الخلافة وأنت بجيل جبان^(٨٠٨).

وهو الذي قتل زيد الشهيد رضي الله عنه وصلبه، فلما مات هشام أمر به الوليد فأنزل وأحرق^(٨٠٩).

وكان هشام يتجاسر على الإمام الباقر عليه السلام حتى قال لزيد الشهيد ذات يوم: ما فعل أخوك البقرة!

فقال زيد رضي الله عنه: سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله باقر العلم، وأنت جالس مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وتدّعي الخلافة^(٨١٠).

^(٨٠٧) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٧٥ ذكر بعض سيره وأموره.

^(٨٠٨) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥١٧ ذكر بعض سير هشام.

^(٨٠٩) تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٠٥ ذكر الخبر عن مقتل زيد بن علي.

^(٨١٠) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٢٨٦ أباة الضميم وأخبارهم، شرح نهج البلاغة: ج ٧ ص ١٣٢

أخبار متفرقة في انتقال الملك من بني أمية إلى بني العباس.

أولاده عليه السلام

خلف الإمام الباقر عليه السلام - على ما نقل - سبعة أولاد، ثلاثة من الذكور وبناتان، أما الذكور فهم:

١. عبد الله: وهو أخو الإمام الصادق عليه السلام من أمه وأبيه، وكان يشار إليه بالفضل والصلاح، وعده الشيخ الطوسي رحمه الله في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، استشهد في المدينة بعد أن دعا إلى أخيه الإمام الصادق عليه السلام.
٢. علي: الملقب بأبي طاهر لطهارة نفسه، وله مرقد في مدينة كاشان ويعرف هناك بـ (شاه زاده سلطان علي)، ومقامه يعرف بمشهد أردهال. وقد قتله الأعداء وقطعوا رأسه الشريف.

٣. عبيد الله: وأمّه أم ولد تدعى بأم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية. ومن البنات كان له عليه السلام :

٤. أم سلمة: زوجة محمد الأرقط بن عبد الله الباهر بن الإمام السجاد عليه السلام، وهي التي علمها الإمام الصادق عليه السلام دعاء حين مرض ولدها ففعلت وعافاه الله تعالى.

٥. خديجة: وقد عدها الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام^(٨١).

من كلام الإمام الباقر عليه السلام

كلام الإمام عليه السلام إمام الكلام؛ لما فيه من الفصاحة والبلاغة والمواعظ المفيدة والحكم المهمة، فكلامهم عليهم السلام فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، وما أكثر الروايات المروية عن الإمام الباقر عليه السلام في مختلف العلوم:

١. قال عليه السلام: «الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان فيه

(٨١) رجال الطوسي: ص ١٥٤ باب النساء ترجمة رقم ١٦٩٥.

التوكل أقطناه» (٨١٢).

٢. قال عليه السلام - في قوله: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (٨١٣) - قال: «بما صبروا على الفقر ومصائب الدنيا» (٨١٤).

٣. قال عليه السلام: «إنما شيعتنا من أطاع الله عزَّ وجلَّ» (٨١٥).

٤. قال عليه السلام: «إياكم والخصومة! فإنها تفسد القلب، وتورث النفاق» (٨١٦).

٥. قال عليه السلام: «من أُعطي الخُلُقَ والرفق فقد أُعطي الخير والراحة، وحسُن حاله في دينه وآخرته. ومن حُرِمَ الخُلُقَ والرفق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبليّة إلا من عصمه الله» (٨١٧).

٦. قال عليه السلام: «شيعتنا ثلاثة أصناف: صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج ينم، وصنف كالذهب الأحمر كلما أُدخل النار ازداد جودة» (٨١٨).

٧. قال عليه السلام لابنه: «يا بني إياك والكسل والضجر! فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق» (٨١٩).

(٨١٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٦ ب ٢٢ ح ١٧.

(٨١٣) سورة الإنسان: ١٢.

(٨١٤) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٣٢ باب ذكر ولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وعددهم وأسمائهم.

(٨١٥) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٥٦- ٢٥٧ ب ١٨ ح ١٢٩٢٠.

(٨١٦) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٦ ب ٢٢ ح ٢٢.

(٨١٧) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٣٣ باب ذكر ولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وعددهم وأسمائهم.

(٨١٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٦- ١٨٧ ب ٢٢ ح ٢٤.

(٨١٩) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٣٣ باب ذكر ولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وعددهم وأسمائهم.

٨. قال عليه السلام: «أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، وإنصافك الناس من نفسك، ومواساة الأخ في المال»^(٨٢٠).

٩. قال عليه السلام: «إن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»^(٨٢١).

١٠. قال عليه السلام لابنه: «يا بني إذا أنعم الله عليك بنعمة فقل: الحمد لله، وإذا حزنك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا أبطأ عنك رزق فقل: أستغفر الله»^(٨٢٢).

١١. قال عليه السلام: «توقى الصرعة خير من سؤال الرجعة»^(٨٢٣).

١٢. قال عليه السلام: «إن الله خبياً ثلاثة في ثلاثة: خبياً رضاه في طاعته، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً؛ فلعل رضاه فيه. وخبياً سخطه في معصيته، فلا تحقرن من المعصية شيئاً؛ فلعل سخطه فيه. وخبياً أوليائه في خلقه، فلا تحقرن أحداً؛ فلعله الولي»^(٨٢٤).

١٣. قال عليه السلام: «الغلبة بالخير فضيلة، وبالشر قبيحة»^(٨٢٥).

١٤. قال عليه السلام: «ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم»^(٨٢٦).

١٥. قال عليه السلام: «من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه»^(٨٢٧).

١٦. قال عليه السلام: «كن لما لا ترجو أرجا منك لما ترجو؛ فإن موسى عليه السلام خرج ليقتبس ناراً فرجع نبياً مرسلًا»^(٨٢٨).

(٨٢٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٧ ب ٢٢ ح ٢٦.

(٨٢١) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٥٠ باب ذكر ولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وعددهم وأسمائهم.

(٨٢٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٧ ب ٢٢ ح ٣٠.

(٨٢٣) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٥١ باب ذكر ولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وعددهم وأسمائهم.

(٨٢٤) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٨ ب ٢٢ ح ٣٤.

(٨٢٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٨ ب ٢٢ ح ٣٥.

(٨٢٦) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٨ ب ٢٢ ح ٣٧.

(٨٢٧) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ ب ١١ ح ١٥٢.

(٨٢٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٨ ب ٢٢ ح ٣٩.

١٧. قال عليه السلام: «إذا علم الله تعالى حسن نية من أحد اكتنفته بالعصمة»^(٨٢٩).

١٨. قال عليه السلام: «صانع المنافق بلسانك وأخلص ودك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته»^(٨٣٠).

١٩. قال عليه السلام: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه. إنَّ على كل حق نوراً، وما خالف كتاب الله فدعوه. إنَّ أسرع الخير ثواباً البر، وإنَّ أسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن ينظر إلى ما يعمي عنه من نفسه، ويعير الناس بما لا ينفيه عن نفسه، أو يتكلم بكلام لا يعنيه»^(٨٣١).

٢٠. قال عليه السلام: «من عمل بما يعلم علّمه الله ما لم يعلم»^(٨٣٢).

٢١. قال عليه السلام: «تعلموا العلم! فإن تعلّمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعلّمه صدقة، وبذله لأهله قرينة. والعلم ثمار الجنة، وأنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، ودين عند الأخلاء، وسلاح عند الأعداء، يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الخير سادة، وللناس أئمة، يقتدى بفعالهم، ويقتص آثارهم، ويصلي عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه»^(٨٣٣).

٢٢. وقيل له عليه السلام: «من أعظم الناس قدراً؟». قال عليه السلام: «من لم ير الدنيا لنفسه قدراً»^(٨٣٤).

٢٣. قال عليه السلام: «قم بالحق واعتزل ما لا يعينك، وتجنب عدوك، واحذر صديقك

^(٨٢٩) أعلام الدين: ص ٣٠١ من كلام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

^(٨٣٠) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣١٦ ب ٢ ح ٩٥٣٧.

^(٨٣١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٩ ب ٢٢ ح ٤٣.

^(٨٣٢) أعلام الدين: ص ٣٠١ من كلام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

^(٨٣٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٩ - ١٩٠ ب ٢٢ ح ٤٨.

^(٨٣٤) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٥١ باب ذكر ولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وعددهم وأسمائهم.

من الأقوام إلا الأمين من خشي الله، ولا تصحب الفاجر ولا تطلعه على شرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله»^(٨٣٥).

٢٤. قال عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾^(٨٣٦) - قال:

«الغرفة: الجنة، بما صبروا على الفتن في الدار الدنيا»^(٨٣٧).

٢٥. قال عليه السلام: «إن استطعت أن لا تعامل أحداً إلا ولك الفضل عليه

فافعل»^(٨٣٨).

٢٦. قال عليه السلام: «في كل قضاء الله خير للمؤمن»^(٨٣٩).

٢٧. قال عليه السلام: «صحة عشرين سنة قرابة»^(٨٤٠).

٢٨. قال عليه السلام: «الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر على النائبة،

وتقدير المعيشة»^(٨٤١).

٢٩. قال عليه السلام: «الكبر رداء الله، والمتكبر ينافع الله رداءه»^(٨٤٢).

٠. قال عليه السلام: «إنَّ العبد ليزنب الذنب فيزوي عنه الرزق»^(٨٤٣).

^(٨٣٥) تحف العقول: ص ٢٩٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٨٣٦) سورة الفرقان: ٧٥.

^(٨٣٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٦ ب ٢٢ ح ١٩.

^(٨٣٨) تحف العقول: ص ٢٩٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٨٣٩) تحف العقول: ص ٢٩٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٨٤٠) تحف العقول: ص ٢٩٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٨٤١) تحف العقول: ص ٢٩٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٨٤٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٩ باب الكبر ح ٤.

^(٨٤٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٠١ ب ٤٠ ح ٢٠٥٧٣.

المعصوم الثامن:
الإمام جعفر بن محمد

نسبه عليه السلام :

هو الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

والدته عليها السلام :

فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وتكنى أم فروة.

وقد قال الإمام عليه السلام في حقها: «كانت أُمِّي مِّنْ آمَنَتِ وَاتَّقَتِ وَأَحْسَنَتِ، وَاللَّهِ يَجِبُ الْحُسَيْنِ»^(٨٤٤).

وعن عبد الأعلى، قال: (رأيت أم فروة تطوف بالكعبة عليها كساء متكرة، فاستلمت الحجر بيدها اليسرى. فقال لها رجل: يا أمة الله، أخطأت السنة. فقالت: إننا لأغنياء عن علمك)^(٨٤٥).

وقال المسعودي في إثبات الوصية: (وكان أبوها القاسم من ثقات أصحاب علي بن الحسين عليه السلام. وكانت من أتقى نساء زمانها، وروت عن علي بن الحسين عليه السلام أحاديث، منها قوله لها: «يا أم فروة، إنني لأدعو لمذنب شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة - يعني الاستغفار - لأننا نصبر على ما نعلم، وهم يصبرون على ما لا يعلمون»^(٨٤٦).

ولادته عليه السلام :

ولد الإمام الصادق عليه السلام في المدينة المنورة يوم الاثنين في السابع عشر من شهر

^(٨٤٤) الكافي: ج ١ ص ٤٧٢ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ح ١.

^(٨٤٥) الكافي: ج ٤ ص ٤٢٨ باب نوادر الطواف ح ٦.

^(٨٤٦) إثبات الوصية: ص ١٥٤.

ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين.

أقام مع جده الإمام علي بن الحسين عليهما السلام اثنتي عشرة سنة، ومع أبيه الإمام الباقر عليه السلام تسع عشرة سنة، وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة.

كنيته عليه السلام :

أبو عبد الله، وأبو إسماعيل، وأبو موسى.

لقبه عليه السلام :

الصادق، والعاطر، والطاهر، والفاضل، والكافل، والمنجي، والقائم. وأشهرها هو الصادق حيث شاع هذا اللقب وصار بديلاً عن اسمه، وذكر بعض المؤرخين وجوهاً لهذا اللقب منها: أنه لُقّب بالصادق لصدقه في مقالته، أو لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ^(٨٤٧).

صفته عليه السلام :

ذكروا أنه عليه السلام معتدل آدمي اللون، ربع القامة، أزهر الوجه، حالك الشعر، جعد، أشم الأنف، أنزع رقيق البشرة، على خده خال أسود، وعلى جسده خيلان حمرة.

نقش خاتمه عليه السلام :

الله ربي عصمني من خلقه.
وقيل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله استغفر الله.
وربما كان له عليه السلام أكثر من خاتم، ولكل نقش.

شاعره عليه السلام :

من شعرائه إسماعيل الحميري رحمته الله. قالوا: وكان أبواه ناصبيين، وقد أنكر الحميري عليهما في بعض أشعاره، وبلغ بهما الأمر أن سعيا به إلى سلطان عصره

(٨٤٧) راجع وفيات الأعيان: ج ١ ص ٣٢٧ ترجمة رقم ١٣١ جعفر الصادق.

فأنجاه الله بفضل دعاء الإمام الصادق عليه السلام.

وكان لما يُسأل: إنك مع انتسابك إلى قبيلة حمير أنصار معاوية، وكونك من أهل الشام كيف تركت التسنن واعتنقت التشيع؟! يقول في جوابهم: صببت عليّ الرحمة صبباً، كما صببت عليّ مؤمن آل فرعون ^(٨٤٨).

سمّاه الإمام الصادق عليه السلام بالسيد إكراماً له، حيث قال له حينما التقى به: سمتك أمك سيداً ووفقت في ذلك، فأنت سيد الشعراء، فنظم أبياتاً افتخاراً بذلك قال فيها:

ولقد عجبت لقائل لي مرة علامة فهم من الفقهاء
سماك قومك سيذا صدقوا به أنت الموفق سيد الشعراء
ما أنت حين تخص آل محمد بالمدح منك وشاعر بسواء
وعن محمد بن النعمان، قال: دخلت عليه - الحميري - في مرضه بالكوفة. فرأيته وقد أسود وجهه، وازرقت عيناه، وعطش كبده. فدخلت على الإمام الصادق عليه السلام وهو يومئذ بالكوفة راجعاً من عند الخليفة. فقلت له: جعلت فداك، إنني فارقت السيد بن محمد الحميري وهو - لما به - على أسوأ حال من كذا وكذا.

فأمر عليه السلام بالإسراج وركب، ومضينا معه حتى دخلنا عليه، وعنده جماعة محدقون به، ففعد الإمام الصادق عليه السلام عند رأسه. فقال: «يا سيد». ففتح عينيه ينظر إليه ولا يطيق الكلام، فحرك الإمام عليه السلام شفتيه، ثم قال له: «يا سيد، قل بالحق يكشف الله ما بك ويرحمك، ويدخلك جنته التي وعد أوليائه».

فقال في ذلك:

تجعضرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت داينا به ونهاني سيد الناس جعفر
❖ وعن الحسين بن علوان، قال: دخلت على السيد إسماعيل الحميري عائداً في علته التي مات فيها، فوجدته يساق به وعنده جماعة من العثمانية من خزانة، وكان السيد جميل الوجه رحب الجبهة حسن الصورة، فبدت في وجهه نكتة سوداء وزادت

^(٨٤٨) مجالس المؤمنين: ج ٢ ص ٥٠٣.

حتى أطبقت وجهه.

فاغتم من حضر من الشيعة وفرح النواصب، فلم يلبث إلا قليلاً حتى بدت من ذلك المكان لمعة بيضاء حتى أشرق وجهه نوراً. فضحك السيد وقال:

لا ينجي محبه من هنات	كذب الزاعمون أن عليا
وعفا لي الإله عن سيئاتي	قد وريي دخلت جنة عدن
وتولوا عليا حتى الممات	فأبشروا اليوم أولياء علي
واحد بعد واحد بالصفات ^(٨٤٩)	ثم من بعده تولوا بنييه

قالوا في الإمام عليّ السلام

بلغ مقام الإمام الصادق عليه السلام من المنزلة أن المخالف والمؤلف أشاد بمقامه الرفيع وأثنى عليه، ومنهم:

أبو العوجاء، قال: (ما هذا ببشر، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا)^(٨٥٠).

وقال مالك بن أنس: (جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن. وما رأيته يحدث إلا على طهارة)^(٨٥١).

وقال: (وما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً)^(٨٥٢).

وقال المنصور الدوانيقي: (إن جعفرأ كان ممن قال الله فيه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

^(٨٤٩) شجرة طوبى: ج ١ ص ١١٧ المجلس ٤١.

^(٨٥٠) الكافي: ج ١ ص ٧٥ باب حدوث العالم وإثبات المحدث ح ٢.

^(٨٥١) تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٨٨ ترجمة رقم ١٥٦ جعفر الصادق عليه السلام.

^(٨٥٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٢٨ فصل في علمه عليه السلام.

الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿٨٥٣﴾، وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات) (٨٥٤).

وعن مالك بن أنس، قال: (كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم. فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اخضر واصفر، ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً وإما قائماً وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على الطهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد والزهاد الذين يخشون الله) (٨٥٥).

وقال أبو حنيفة النعمان بن ثابت: «لولا الستان لهلك النعمان» (٨٥٦).

من معاجزه ﷺ

معاجز الإمام الصادق ﷺ كثيرة، وهي تدل على كونه ﷺ حجة الله على الأرض، ووصي رسول الله ﷺ حقاً، منها:

إبطال سحر السحرة

عن محمد بن سنان، قال: وجه المنصور إلى سبعين رجلاً من أهل كابل فدعاهم. فقال لهم: ويحكم إنكم تزعمون أنكم ورثتم السحر عن آبائكم أيام موسى ﷺ، وأنكم تفرقون بين المرء وزوجه، وأن أبا عبد الله جعفر بن محمد ﷺ ساحر مثلكم، فاعملوا شيئاً من السحر، فإنكم إن أبهتموه أعطيتكم الجائزة العظيمة والمال الجزيل. فقاموا إلى المجلس الذي فيه المنصور، وصوروا له سبعين صورة من صور السباع

(٨٥٣) سورة فاطر: ٣٢.

(٨٥٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٣٨٣ وفاة أبي عبد الله جعفر بن محمد وآدابه.

(٨٥٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ج ٢ ص ٤٢ فصل واعلم أن حرمة النبي.

(٨٥٦) التحفة الأثني عشرية، للآلوسي: ص ٨.

لا يأكلون ولا يشربون وإنما كانت صور. وجلس كل واحد منهم تحت صورته، وجلس المنصور على سريره، ووضع إكليله على رأسه، ثم قال لحاجبه: ابعث إلى أبي عبد الله عليه السلام ..

قال: فدخل عليه السلام عليه، فلما أن نظر إليه وإليهم وبما قد استعدوا له رفع يده إلى السماء ثم تكلم بكلام بعضه جهراً وبعضه خفياً، ثم قال: «ويحكم أنا الذي أبطل سحركم». ثم نادى برفيع صوته: «قسورة خذهم». فوثب كل سبع منها على صاحبه فافترسه في مكانه، ووقع المنصور عن سريره وهو يقول: يا أبا عبد الله، أقلني فو الله لا عدت إلى مثلها أبداً. فقال له: «قد أقلتك». قال: يا سيدي، فرد السباع إلى ما أكلوا. قال عليه السلام: «هيهات إن عادت عصا موسى فستعود السباع»^(٨٥٧).

إني قد أجرته

يقول رفيد مولى يزيد بن عمرو بن هبيرة: سخط عليّ ابن هبيرة وحلف عليّ ليقتلني، فهربت منه وعدت بأبي عبد الله عليه السلام فأعلمته خبري. فقال عليه السلام لي: «انصرف واقراءه مني السلام وقل له: إني قد أجرتك عليك مولاك رفيداً فلا تهجه بسوء». فقلت له: جعلت فداك، شامي خبيث الرأي.

فقال عليه السلام: «اذهب إليه كما أقول لك». فأقبلت فلما كنت في بعض البوادي استقبلني أعرابي. فقال: أين تذهب إني أرى وجه مقتول - ثم قال لي - أخرج يدك. ففعلت فقال: يد مقتول - ثم قال لي - أبرز رجلك. فأبرزت رجلي، فقال: رجل مقتول - ثم قال لي - أبرز جسدك. ففعلت، فقال: جسد مقتول - ثم قال لي - أخرج لسانك. ففعلت، فقال لي: امض، فلا بأس عليك؛ فإن في لسانك رسالة لو أتيت بها الجبال الرواسي لانقادت لك.

قال: فجئت حتى وقفت على باب ابن هبيرة فاستأذنت، فلما دخلت عليه قال:

^(٨٥٧) مدينة المعاجز: ج ٥ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ الثالث والعشرون إبطاله عليه السلام لسحر السحرة بمحضرة المنصور ح ١٦٠٨.

أنتك بجائن رجلاه، يا غلام النطع والسيف. ثم أمر بي فكتفت وشد رأسي وقام عليّ السيّاف ليضرب عنقي. فقلت: أيها الأمير، لم تظفر بي عنوة وإنما جئتك من ذات نفسي، وههنا أمر أذكره لك ثم أنت وشأنك. فقال: قل. فقلت: أخلني. فأمر من حضر فخرجوا. فقلت له: جعفر بن محمد عليه السلام يقرئك السلام ويقول لك: قد آجرت عليك مولاك رفيداً فلا تهجه بسوء.

فقال: والله لقد قال لك جعفر بن محمد هذه المقالة وأقراني السلام!.

فحلفت له، فردها عليّ ثلاثاً ثم حل أكتافي، ثم قال: لا يقنعني منك حتى تفعل لي ما فعلت بك. قلت: ما تنطلق يدي بذاك ولا تطيب به نفسي. فقال: والله ما يقنعني إلاّ ذاك. ففعلت به كما فعل بي وأطلقتته فناولني خاتمه، وقال: أموري في يدك فدبر فيها ما شئت^(٨٥٨).

(٨٥٨) الكافي: ج ١ ص ٤٧٣ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ح ٣.

إحياء البقرة

روي عن المفضل بن عمر، قال: كنت أمشي مع أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام بمكة إذ مررنا بامرأة بين يديها بقرة ميتة، وهي مع صبية لها تبكيان. فقال عليه السلام لها: «ما شأنك؟».

قالت: كنت أنا وصبياني نعيش من هذه البقرة وقد ماتت، لقد تحيرت في أمري.

قال: «أفتحبن أن يحييها الله لك؟».

قالت: أ و تسخر مني مع مصيبي؟!.

قال عليه السلام: «كلاً ما أردت ذلك». ثم دعا عليه السلام بدعاء، ثم ركضها برجله، وصاح

بها، فقامت البقرة مسرعة سوية.

فقالت: عيسى بن مريم ورب الكعبة^(٨٥٩).

فدخل الصادق عليه السلام بين الناس فلم تعرفه المرأة.

(٨٥٩) الخرائج والجرائح: ج ١: ص ٢٩٤ الباب السابع في معجزات الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

مناقبيات

لا تكاد فضائل الإمام الصادق عليه السلام تحصى أو تعد، فهو من أهل بيت معدنهم الفضل والكرامة، وإلى ذلك يشير الشبلنجي ^(٨٦٠) في قوله:
(ومناقبه كثيرة تكاد تفوت الحاسب، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب) ^(٨٦١).
وقال ابن أبي العوجاء للمفضل الذي تهجم عليه في إحدى المناظرات:
(إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما أفحش خطابنا، ولا تعدى في جوابنا. وأنه الحلیم الرزین، العاقل الرصین، لا يعتریه خرق، ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا ويتعرف حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننا قطعناه، دحض حجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمننا الحجة ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه) ^(٨٦٢).

عفوه عليه السلام :

روي أن سفيان الثوري دخل على الإمام الصادق عليه السلام، فراه متغير اللون فسأله عن ذلك. فقال عليه السلام : «كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت فإذا جارية من جواربي ممن تُربي بعض ولدي قد سعدت في سلم والصبي معها، فلما بصرت بي

^(٨٦٠) ولد السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي عام ١٢٥٠هـ في شبلنجا وهي من قرى مصر. شرع بالدراسة في الجامع الأزهر عام ١٢٦٧هـ وأقام في جواره وكان يميل إلى العزلة عن الناس. وبعد أخذه قسطاً من العلم شرع بمطالعة التاريخ والأدب والكتب الرجالية. له عدة مؤلفات منها: مختصر عجائب الآثار للجبرتي، فتح المنان بتفسير جمل القرآن، نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، وقد طبع ببولاق سنة ١٢٩٠هـ في حياة المؤلف، توفي بعد عام ١٣٠٨هـ.
^(٨٦١) نور الأبصار: ص ١٤٥ فصل في مناقب سيدنا جعفر الصادق عليه السلام، الطبعة الثامنة ١٣٨٤هـ.
^(٨٦٢) توحيد المفضل: ص ٤٢ محاوراة المفضل مع ابن أبي العوجاء.

ارتعدت وتحيرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغير لوني لموت الصبي وإنما تغير لوني لما أدخلت عليها من الرعب». وكان عليه السلام قال لها: «أنت حرّة لوجه الله، لا بأس عليك» مرتين (٨٦٣).

❖ وعن حماد اللحام، قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إن فلاناً ذكرك، فما ترك شيئاً من الوقعة والشتيمة إلاّ قاله فيك!. فقال أبو عبد الله عليه السلام للجارية: «إيتيني بوضوء». فتوضأ ودخل فقلت في نفسي: يدعو عليه. فصلى ركعتين، فقال: «يا رب، هو حقي قد وهبته له وأنت أجود مني وأكرم، فهبه لي ولا تؤاخذني بي ولا تقايسه». ثم رق فلم يزل يدعو فجعلت أتعجب (٨٦٤).

❖ ولما حضرته عليه السلام الوفاة قال: «أعطوا فلاناً سبعين ديناراً». فقيل له: أ تعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة!.

قال: «ويحك أما تقرأ القرآن: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٨٦٥)» (٨٦٦).

❖ ونقل أنه عليه السلام كان يدعو في سجوده قائلاً: «اللهم اغفر لي ولأصحاب أبي؛ فإنني أعلم أن فيهم من ينتقصني» (٨٦٧).

عطاؤه عليه السلام:

قال الهياج بن بسطام: (كان جعفر الصادق عليه السلام يُطعم حتى لا يبقى لعياله

(٨٦٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ فصل في معالي أموره عليه السلام.

(٨٦٤) مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ٣٩٦ ب ٤٤ ح ٧٧٧٠٧٧.

(٨٦٥) سورة الرعد: ٢١.

(٨٦٦) الكافي: ج ٧ ص ٥٥ باب صدقات النبي عليه السلام وفاطمة والأئمة عليهم السلام ووصاياهم ح ١٠.

(٨٦٧) قرب الإسناد: ص ٧٧ الجزء الأول من قرب الإسناد لعبد الله بن جعفر الحميري قريب الإسناد.

شيء) (٨٦٨).

❖ وقال هشام بن سالم: كان أبو عبد الله عليه السلام إذا أعتم وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم فحمله على عنقه، ثم ذهب إلى أهل المدينة فقسّمه فيهم ولا يعرفونه. فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان أبو عبد الله عليه السلام (٨٦٩).

❖ وعن معلى بن خنيس قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشت وهو يريد ظلة بني ساعدة، فأتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء. فقال: «بسم الله اللهم ردّ علينا». قال: فأتيته فسلمت عليه.

قال: فقال: «معلى!».

قلت: نعم جعلت فداك.

فقال عليه السلام لي: «التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه إلي».

فإذا أنا بجزب منتشر كثير، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب أعجز عن حملة من خبز.

فقلت: جعلت فداك، أحمله على رأسي.

فقال عليه السلام: «لا أنا أولى به منك، ولكن امض معي».

قال: فأتينا ظلة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدس الرغيف والرغيفين حتى أتى على آخرهم ثم انصرفنا.

فقلت: جعلت فداك، يعرف هؤلاء الحق؟!.

فقال: «لو عرفوه لواسيناهم بالدقة» (٨٧٠).

❖ وقال أبو جعفر الخثعمي: أعطاني الصادق عليه السلام صرة. فقال لي: «ادفعها إلى

(٨٦٨) حلية الأولياء: ج ٣ ص ١٩٤ ترجمة رقم ٢٤٢ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

(٨٦٩) الكافي: ج ٤ ص ٨ باب صدقة الليل ح ١.

(٨٧٠) الكافي: ج ٤ ص ٨ - ٩ باب صدقة الليل ح ٣.

رجل من بني هاشم ولا تعلمه أني أعطيتك شيئاً». قال: فأتيته. قال: جزاه الله خيراً ما يزال كل حين يبعث بها فنعيش به إلى قابل، ولكني لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله^(٨٧١).

علمه عليه السلام :

شهد عهد الإمام الصادق عليه السلام وبركته ازدهاراً واسعاً في العلم ونشر المعارف، حيث عكف الإمام عليه السلام على نشر العلوم المختلفة للناس.

يقول سالم بن أبي حفصة: لما هلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قلت لأصحابي: انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فأعزيه. فدخلت عليه فعزيته ثم قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله من كان يقول: قال رسول الله ﷺ فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله ﷺ، والله لا يرى مثله أبداً.

قال: فسكت أبو عبد الله عليه السلام ساعة، ثم قال: «قال الله تبارك وتعالى: إن من عبادي من يتصلق بشقّ تمرّة فأربيها له فيها كما يربي أحدكم فلوه حتى أجعلها له مثل أحد». فخرجت إلى أصحابي، فقلت: ما رأيت أعجب من هذا!

كنا نستعظم قول أبي جعفر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ بلا واسطة، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: «قال الله تعالى» بلا واسطة!^(٨٧٢).

وقد عمد الإمام الصادق عليه السلام إلى نشر علوم محمد وآل محمد عليهم السلام حتى قال الشيخ المفيد رحمته الله في الإرشاد: ونقل الناس عنه - أي عن الإمام عليه السلام - من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من

(٨٧١) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٧٣ فصل في معالي أموره عليه السلام.

(٨٧٢) أمالي الطوسي: ص ١٢٥ المجلس الخامس ح ١٩٥.

الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل^(٨٧٣).

وقال المحقق رحمته الله في المعبر: فإنه انتشر عنه من العلوم الجمة ما بهر به العقول، وروى عنه جماعة من الرجال ما يقارب أربعة آلاف رجل^(٨٧٤).

وقال ابن فثال في روضة الواعظين: وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنهم من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل^(٨٧٥).

وقال ابن شهر آشوب في المناقب: ينقل عنه عليه السلام من العلوم ما لا ينقل عن أحد، وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات وكانوا أربعة آلاف رجل^(٨٧٦).

وقال الشهيد^(٨٧٧) في الذكرى: إن أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب من أجوبة مسائله أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف، ودون من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجل من أهل العراق والحجاز وخراسان والشام^(٨٧٨).

^(٨٧٣) الإرشاد: ج ٢ ص ١٧٩ باب ذكر الإمام القائم بعد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام من ولده.

^(٨٧٤) المعبر: ج ١ ص ٢٦ الفصل الثاني.

^(٨٧٥) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢٠٧ مجلس في ذكر أبي عبد الله جعفر بن محمد وإمامته ومناقبه عليه السلام.

^(٨٧٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٤٧ فصل في علمه عليه السلام.

^(٨٧٧) الشهيد السعيد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مكي بن أحمد بن حامد العاملي الجزيني،

ولد رحمته الله عام ٧٣٤ هـ. كان رحمته الله فقيهاً أصولياً مجتهداً مشاركاً في العلوم العقلية والنقلية. سكن

جزين بلبنان ثم رحل إلى العراق والحجاز ومصر ودمشق وفلسطين في طلب العلم. أتمهم في أيام

السلطان برقوق على التشيع فلفقت له تهمة جاهزة وشهد عليه شهود الزور، فسجن في قلعة

دمشق ثم ضربت عنقه في يوم الخميس ٩ جمادى الأولى عام ٧٨٦ هـ فلقب بالشهيد الأول

قدس الله روحه. من تصانيفه: جامع العين من فوائد الشرحين، كتاب القواعد، الدروس

الشرعية في فقه الامامية، غاية المراد في شرح نكت الارشاد، وذكرى الشيعة في أحكام الشريعة.

^(٨٧٨) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ج ١ ص ٥٩ الإشارة السابعة.

هذا وقد أحصاهم بعض العلماء بستة آلاف رجل، علماً بأن تلامذة الإمام الصادق عليه السلام كانوا أكثر من عشرين ألفاً.

ومن المعروف أنّ الإمام عليه السلام كان يحثُّ أصحابه على التفقه ونشر العلوم حتى قال: «ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام»^(٨٧٩)، كناية عن أهمية العلم وضرورة التعلّم.

وعن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تفقهوا في دين الله ولا تكونوا أعراباً؛ فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يترك له عملاً»^(٨٨٠).

وقد نقل أهل الرجال أنّ أبان بن تغلب وحده روى عن الإمام الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث، ومحمد بن مسلم ستة عشر ألف حديث^(٨٨١).

وإلى اليوم آثار الإمام عليه السلام موجودة في كل العالم، وما زالت البشرية تستفيد من علوم تلامذته في شتى الأمور، ومنهم جابر بن حيان الذي كان من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام حتى قال ابن خلكان لدى ترجمة للإمام عليه السلام:

(له كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق عليه السلام وهي خمسمائة رسالة)^(٨٨٢).

وفي روضات الجنات:

(أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي كان من مشاهير قدماء العلماء

^(٨٧٩) المحاسن: ج ١ ص ٢٢٩ ب ١٥ ح ١٦٥.

^(٨٨٠) المحاسن: ج ١ ص ٢٢٨ ب ١٥ ح ١٦٢.

^(٨٨١) راجع رجال ابن داود: ص ١٠ ترجمة رقم ٤ أبان بن تغلب، والرسائل الرجالية: ج ٤

ص ٣٩٤ - ٣٩٥ السابع والتسعون في بعض الرواة المدودة رواياتهم.

^(٨٨٢) وفيات الأعيان: ج ١ ص ٣٢٧ ترجمة رقم ١٣١ جعفر الصادق عليه السلام.

بالأفانين الغربية من الكيمياء والليمياء والهييمياء والسييمياء والريمياء وسائر علوم السر والجفر الجامع وأمثال ذلك).

صبره عليه السلام :

تجرع الإمام الصادق عليه السلام كبقية أجداده الغصص والويلات التي تشيب الرأس من قبل الحكومات الظلمة، إلا أنه عليه السلام كان يصبر ويصبر عياله وأهله على البلاء ويبشروهم بما للصابرين من الأجر والثواب. فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «نُعي إلى جعفر بن محمد عليه السلام إسماعيل بن جعفر - وهو أكبر أولاده - وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه فتبسم. ثم دعا بطعامه وقعد مع ندماؤه، وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام ويحث ندماؤه، ويضع بين أيديهم ويعجبون منه لا يرون للحزن في وجهه أثراً. فلما فرغ قالوا: يا بن رسول الله، لقد رأينا عجباً أصبت بمثل هذا الابن وأنت كما نرى؟! قال: وما لي لا أكون كما ترون! وقد جاء في خبر أصلق الصادقين أني ميت وإياكم. إن قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم، فلم ينكروا ما يخطفه الموت منهم وسلموا لأمر خالقهم عز وجل»^(٨٨٣).

❖ وكان له ابن بينما هو يمشي بين يديه إذ غص فمات. فبكى عليه السلام وقال: «لئن أخذت لقد بقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت». ثم حمل إلى النساء، فلما رأته صرخن فأقسم عليهن أن لا يصرخن. فلما أخرجه للدفن قال: «سبحان من يقتل أولادنا ولا نزداد له إلا حباً». فلما دفنه قال: «يا بني، وسّع الله في ضريحك وجمع بينك وبين نبيك»^(٨٨٤).

^(٨٨٣) وسائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ب ٧٥ ح ٣٥٥٧.

^(٨٨٤) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١٨ ب ٤ ح ٨، بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ١٣٣ ب ١٨ ضمن ح ١٦.

المناظرات:

من الأساليب المهمة التي راجت في عهد الإمام الصادق عليه السلام بالخصوص هو أسلوب المناظرة، وإبراز المعارف عبر المحاججة والبحث العلمي والجدال والتي هي أحسن. وقد شاعت المناظرات في عهد الإمام عليه السلام حتى أن البعض كانوا يقصدونه من البلدان الأخرى لينظروه ويحاججوه ويستفيدوا من علمه عليه السلام.

وقد ربي الإمام عليه السلام العديد من تلامذته على هذا الفن، فكانوا متخصصين في المناظرة والبحث، كهشام بن الحكم ومؤمن الطاق، إذ كانوا يقصدون أهل البدع والضلال ويتصدون لهم ويفحسونهم أمام الملأ العام.

وهكذا كان الإمام عليه السلام ينظر الجميع وفي شتى المجالات العلمية والعملية سواء في الكلام أم الفقه أم الحديث أم الطب أم غيرها من العلوم. كما ناظر عليه السلام أرباب الفرق الضالة ومنهم:

❖ الزنادقة: حيث أخذ مجموعة من الملحدين يروجون الشبهات وينشرون المغالطات بين عوام الناس؛ ليصدوهم عن الإسلام وعبادة الله عزّ وجل. ومن أشهر هؤلاء هم عبد الله بن المقفع^(٨٨٥) وابن أبي العوجاء^(٨٨٦) وأمثالهما من الزنادقة.

^(٨٨٥) واسمه قبل إسلامه روزبه، ويكنى أبا عمرو. فلما أسلم تسمى عبد الله واكتنى بأبي محمد؛ وإنما تقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجته من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتففعت يده. ولد في العراق عام ١٠٩هـ ونشأ بالبصرة، أصله من بلاد فارس. كان في نهاية الفصاحة والبلاغة، كما كان كاتباً وشاعراً فصيحاً. فكان يكتب أولاً لداود بن عمر بن هبيرة، ثم كتب لعيسى بن علي على كرمان. قتله سفيان بن معاوية عامل المنصور بالبصرة في عام ١٤٣هـ حرقاً بالنار بأمر المنصور، فلم يطلب بثاره وطل دمه. نقل عدة كتب إلى اللغة العربية، وأشهرها كتاب (كليلة ودمنة). له كتاب (الأدب الكبير)، و(الأدب الصغير)، و(البيضة في الرسائل) و(الجوهرة الثمينة في طاعة السلطان).

^(٨٨٦) واسمه عبد الكريم أحد الزنادقة الذين عاصروا الإمام الصادق عليه السلام، وقد جرى بينه وبين الإمام الصادق عليه السلام مناظرات ومحاججات كثيرة، وكذلك بينه وبين تلامذة الإمام الصادق

وبعض هذه المناظرات المذكورة في: الكنى والألقاب للقمي، واختيار معرفة الرجال للطوسي، وجامع الرواة للأردبيلي، والاحتجاج للطبرسي، وغيرها.

كان (لعنه الله) ممن يتستر بإظهار الإسلام ولكن كان في الباطن زنديقاً ملحداً وكافراً مشركاً يسعى بكل ما أوتي لنشر الإلحاد والتشكيك في عقائد الناس وإبعادهم عن الدين، وخصوصاً الأحداث والشباب منهم.

درس (لعنه الله) عند الحسن البصري وتلمذ على يديه، ثم انحرف عنه. فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت في ما لا أصل له ولا حقيقة؟.

فقال: إن صاحبي كان مخلطاً، كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه.

قدم (لعنه الله) مكة تمرداً وإنكاراً على من يحج، وله مناظرة مع الإمام الصادق عليه السلام بهذا الخصوص، أبطل فيها الإمام عليه السلام كل أوهامه وخرافاته وجعله حقيراً حائراً أبكماً منقطعاً.

فقال قولته المشهورة لأصحابه: من ألقاني في بحر هذا! سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة! ▶ فألقتموني على جمرة.

كان (لعنه الله) قد تربى في بيت زوج أمه حماد بن سلمة المحدث المعروف، فكان يدس الأحاديث في كتبه. وكان (لعنه الله) ممن تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه وفساد ضميره. وقد كثر الكلام عنه وعن زندقته وإلحاده، فألقى القبض عليه محمد بن سليمان عامل المنصور العباسي على الكوفة وأودعه في السجن.

فتشفع له ممن له تأثير على المنصور، فقد كان الملعون خال معن بن زائدة الشيباني - من أكبر ولاية المنصور، وهو الذي أنقذه من الموت يوم الرواندية وأبلى وأهله بنو شيبان أعظم البلاء في الدفاع عن بني العباس - مما اضطر المنصور إلى الكتابة إلى عامله محمد بالكف عنه.

ثم إن الملعون كان يتوقع ورود مثل الكتاب فيه، فقال لأبي الجبار - وكان منقطعاً إليه -: إن أخرنني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف درهم.

فأعلم أبو الجبار محمداً، فقال: ذكرتيه وكنت نسيتيه، فإذا انصرفت من الجمعة فاذكرنيه.

فلما انصرف ذكره إياه فدعا به فأمر بضرب عنقه، فلما أيقن الملعون أنه مقتول لا محالة قال تزلفاً: لن يقتلوني فلقد وضعت أربعة آلاف حديث أحللت فيها الحرام وحرمت الحلال.

ظناً منه أن ذلك ينفعه ويدفع عنه القتل، وعندما آيس من الحياة قال بكل صلافة وخبث: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل به الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم، وصومتكم في يوم فطركم.

وبالرغم أنهم كانوا يعملون ليل نهار لتضعيف عقائد الناس، ولا يبعد أنه كان من وراء ذلك الحكومة العباسية، إلا أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان لهم بالمرصاد، فكان يبطل إدعاءاتهم ويفند شبهاتهم ويكشف زيفها للناس حتى أقر الزنادقة أنفسهم بفضيلته عليه السلام وتفوقه:

نقل أحمد بن محسن الميثمي، قال: كنت عند أبي منصور المتطبب. فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفع: ترون هذا الخلق - وأوماً بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك الشيخ الجالس - يعني جعفر بن محمد عليه السلام - فأما الباكون فرعاع وبهائم.

فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟!.

قال: لأني رأيت عنده ما لم أر عندهم.

فقال ابن أبي العوجاء: ما بد من اختبار ما قلت فيه منه.

فقال له ابن المقفع: لا تفعل؛ فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك.

فقال: ليس ذا رأيك، ولكنك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحل الذي وصفت.

فقال ابن المقفع: أما إذا توهمت على هذا فقم إليه، وتحفظ ما استطعت من الزلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال يسلمك إلى عقل، وسمه ما لك أو عليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء، وبقيت أنا وابن المقفع، فرجع إلينا.

فقال: يا ابن المقفع، ما هذا ببشر! وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا.

فقال له: وكيف ذاك؟.

ثم قدم فضربت عنقه سنة ١٦١هـ، وبعدها ورد كتاب المنصور متأخراً بالكف عنه.

فقال: جلست إليه، فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال ﷺ: «إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتهم، وإن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم أنتم وهم» .

فقلت له: يرحمك الله، وأي شيء نقول وأي شيء يقولون! ما قولي وقولهم إلا واحداً.

قال ﷺ: «فكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأن للسماء إلهاً وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد».

قال: فاغتمتها منه فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر خلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان، ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟! ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به!؟

فقال ﷺ لي: «وبلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك، نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحننك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبك بعد بغضك، وبغضك بعد حبك، وعزمك بعد إباءك، وإباءك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراحتك، وكراحتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك».

وما زال يعد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه^(٨٨٧).

(٨٨٧) التوحيد: ص ١٢٥ - ١٢٧ ب ٩ ح ٤.

❖ الغلاة الذين ادعوا الإلوهية لبعض الأئمة عليهم السلام، وقد تبرأ الإمام الصادق

عليه السلام منهم.

فقد كان من أبرز زعماء هذه الطائفة محمد بن مقلاص الأسدي المعروف بابن الخطاب، إذ كان يقول بالوهية الإمام الصادق عليه السلام ويدعو الناس إلى ذلك. إلا أن الإمام (صلوات الله عليه) وقف إزائهم موقفاً صارماً، فعن سدير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون عليها بذلك قرآناً ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ ^(٨٨٨).

فقال عليه السلام: «يا سدير، سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء برئ، وبرئ الله منهم ورسوله. ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم».

قال: قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرؤون علينا بذلك قرآناً ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ^(٨٨٩).

فقال عليه السلام: «يا سدير، سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء برئ، وبرئ الله منهم ورسوله. ما هؤلاء على ديني ودين آبائي، لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم».

قال: قلت: فما أنتم؟

قال: «نحن خزّان علم الله، نحن تراجمه أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض» ^(٨٩٠).

^(٨٨٨) سورة الزخرف: ٨٤.

^(٨٨٩) سورة المؤمنون: ٥١.

^(٨٩٠) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ج ١ ص ٢١ - ٢٢.

❖ وعن حنان بن سدير، عن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام وميسر عنده، ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة. فقال له ميسر بياع الزطي: جعلت فداك، عجبت لقوم كانوا يأتون هنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم!
قال عليه السلام: «ومن هم؟».

قلت: أبو الخطاب وأصحابه. وكان عليه السلام متكئاً فجلس ورفع إصبعه إلى السماء ثم قال: «على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٨٩١).
وقد استمر الإمام (صلوات الله عليه) في محاربتهم حتى فضحهم بين الناس، وخابت آمالهم وذهبت أتعابهم أدراج الرياح فلم يبق لهم ذكر أبداً.

❖ أهل القياس: وهؤلاء وإن لم يكونوا في عهد الإمام الصادق عليه السلام كفرقة وجماعة يعتنى بهم، ولكنهم بمرور الزمن صاروا طائفة كبيرة. ومن أبرز شخصيات هذه الطائفة هو أبو حنيفة الذي كان يذهب إلى القياس، وقد انتدب أبو جعفر المنصور أبا حنيفة كي يناظر الإمام الصادق عليه السلام علّه يوفق في محاجته.
يقول الحسن بن زياد اللؤلؤي: سمعت أبا حنيفة - وقد سُئل -: من أفقه من رأيت؟

قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهبّ له من المسائل الشداد، فهيات له أربعين مسألة.

ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد عليه السلام جالس عن يمينه. فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق عليه السلام ما لم يدخلني لأبي المنصور فسلمت عليه.

(٨٩١) خاتمة المستدرک: ج ٥ ص ٤٢٨.

وأوماً عليه السلام إليّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله، هذا أبو حنيفة. فقال: «نعم - ثم أتبعها - قد أتانا، كأنه كره ما يقول فيه قوم: إذا رأى الرجل عرفه.

قال: ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة، ألق على أبي عبد الله مسائلك.

فجعلت ألقى فيجيبني فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فرجما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أحرم منها مسألة. ثم قال أبو حنيفة: أ ليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ^(٨٩٢).

وربما كان الإمام (صلوات الله عليه) يتقي من أبي حنيفة لعلاقته بالسلطان. ففي الخبر عن محمد بن مسلم، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة. فقلت له: جعلت فداك، رأيت رؤيا عجيبة. فقال لي: «يا ابن مسلم، هاتها فإنّ العالم بها جالس»، وأوماً بيده إلى أبي حنيفة. قال: فقلت: رأيت كأنني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت عليّ فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليّ، فتعجبت من هذه الرؤيا. فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لثاماً في مواريث أهلك، فبعد نصب شديد تنال حلجتك منها إن شاء الله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أصبت والله يا أبا حنيفة». قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده. فقلت: جعلت فداك، إني كرهت تعبير هذا الناصب. فقال: «يا ابن مسلم، لا يسوءك الله، فما يواطى تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبره. قال: فقلت له: جعلت فداك، فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ!.

قال: «نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ». قال: فقلت له: فما تأوليها؟.

قال: «يا ابن مسلم، إنك تتمتع بامرأة فتعلم بها أهلك فتمزق عليك ثياباً جدداً؛ فإن القشر كسوة اللب». قال ابن مسلم: فو الله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا

(٨٩٢) سير أعلام النبلاء: ج ٦ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ترجمة رقم ١١٧ جعفر بن محمد عليه السلام.

إلا صبيحة الجمعة، فلما كان غداة الجمعة أنا جالس بالباب إذ مرت بي جارية فأعجبني، فأمرت غلامي فردّها ثم أدخلها داري فتمتعت بها، فأحست بي وبها أهلي فدخلت علينا البيت، فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا، فمزقت عليّ ثياباً جديداً كنت ألبسها في الأعياد^(٨٩٣).

ومع ذلك فإنّ الإمام عليه السلام كان أحياناً يجالج أبا حنيفة، ويتصدى لانحرافاته قدر الإمكان. يقول ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لأبي حنيفة: «اتق الله ولا تقس في الدين برأيك - إلى أن قال - ويحك أيهما أعظم، قتل النفس أو الزنا؟».

قال: قتل النفس. قال: «فإن الله قد قبل في النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة. ثم أيهما أعظم الصلاة أو الصوم؟».

قال: الصلاة. قال: «فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فكيف يقوم لك القياس، فاتق الله ولا تقس»^(٨٩٤).

أيام المحنة

عاش الإمام الصادق عليه السلام ظروفاً حرجة أيام حياته، وقد لاقى كثيراً من الحن من حكام الجور الذين عاصروه وتربصوا به الدواهي ليل نهار، حتى مضى (صلوات الله عليه) من الدنيا مسموماً شهيداً مظلوماً.

ويكفيينا في إثبات شدة تضيقهم عليه ما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «دخلت على أبي العباس بلخيرة. فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في الصيام اليوم؟. فقلت: ذاك إلى الإمام، إن صمت صمنا وإن أفطرت أفطرتنا. فقال: يا غلام، عليّ بالمائة. فأكلت معه وأنا أعلم والله إنه يوم من شهر رمضان، فكان إفطاري يوماً

(٨٩٣) الكافي: ج ٨ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ حديث نوح عليه السلام يوم القيامة ح ٤٤٧.

(٨٩٤) الفصول المهمة: ج ١ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ ب ١٧ ح ٧٨٥.

وقضاؤه أيسر عليّ من أن يضرب عنقي ولا يعبد الله» (٨٩٥).

وقد كثر الوشاة على الإمام عليه السلام إلى السلاطين الذين كانوا يسخطون عليه ويسئون إليه ويحقدون عليه. يقول محمد بن الربيع الحجاب: قعد المنصور يوماً في قصره في القبة الخضراء، وكان له يوم يقعد فيه يسمّى ذلك اليوم يوم الذبح، وقد كان أشخص جعفر بن محمد عليه السلام من المدينة. قال: ثم دعا أبي الربيع فقال له: يا ربيع، إنك تعرف موضعك مني، وأني يكون لي الخبر ولا تظهر عليه أمهات الأولاد، وتكون أنت المعالج له. فقال: قلت: يا أمير، ذلك من فضل الله عليّ وفضل الأمير، وما فوقي في النصح غاية.

قال: كذلك أنت، سر الساعة إلى جعفر بن محمد بن فاطمة فأنتي به على الحال الذي تجده عليه، لا تغير شيئاً مما هو عليه. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا والله هو العطب إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله وذهبت الآخرة، وإن لم آت به وادهنت في أمره قتلتني وقتل نسلي وأخذ أموالني، فخيرت بين الدنيا والآخرة، فمالت نفسي إلى الدنيا!

قال محمد بن الربيع: فدعاني أبي وكنت أفض ولد وأغلظهم قلباً. فقال لي: امض إلى جعفر بن محمد بن علي فتسلق على حائطه، ولا تستفتح عليه باباً فيغير بعض ما هو عليه، ولكن انزل عليه نزولاً فأنت به على الحال التي هو فيها. قال: فأتيته وقد ذهب الليل إلا أقله، فأمرت بنصب السلايم، وتسلفت عليه الحائط، فنزلت عليه داره، فوجدته قائماً يصلي، وعليه قميص ومنديل قد ائتزر به، فلما سلّم من صلاته. قلت له: أجب الأمير!

فقال: «دعني أدعو وألبس ثيابي». فقلت له: ليس إلى تركك وذلك سبيل. قال: «وأدخل المغتسل فأطهر».

(٨٩٥) الكافي: ج ٤ ص ٨٢ - ٨٣ باب اليوم الذي يشك فيه من شهر رمضان ح ٧.

قال: قلت: وليس إلى ذلك سبيل، فلا تغسل نفسك؛ فاني لا أدعك تغير شيئاً.
قال: فأخرجته حافياً حاسراً في قميصه ومنديله، وكان عليه السلام قد جاوز السبعين،
فلما مضى بعض الطريق ضعف الشيخ فرحمته. فقلت له: اركب، فركب بغل
شاكري كان معنا، ثم صرنا إلى الربيع فسمعته وهو يقول له: ويلك يا ربيع قد أبطأ
الرجل، وجعل يستحثة استحاثاً شديداً.

فلما أن وقعت عين الربيع على جعفر بن محمد عليه السلام وهو بتلك الحال بكى،
وكان الربيع يتشيع. فقال له جعفر عليه السلام: «يا ربيع، أنا أعلم ميلك إلينا، فدعني أصلي
ركعتين وأدعو». قال: شأنك وما تشاء. فصلى ركعتين خففهما ثم دعا بعدهما بدعاء
لم أفهمه إلا أنه دعاء طويل، والمنصور في ذلك كله يستحث الربيع. فلما فرغ من
دعائه على طوله أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور، فلما صار في صحن
الإيوان وقف ثم حرك شفتيه بشيء ما لم أدر ما هو، ثم أدخلته فوقف بين يديه.

فلما نظر إليه قال: وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وإفسادك على أهل
هذا البيت من بني العباس، وما يزيدك الله بذلك إلا شدة حسد ونكد ما يبلغ به ما
تقدره! فقال له: «والله يا أمير ما فعلت شيئاً من هذا، ولقد كنت في ولاية بني أمية
وأنت تعلم أنهم أعدى الخلق لنا ولكم، وأنهم لا حق لهم في هذا الأمر فوالله ما
بغيت عليهم ولا بلغهم عني سوء مع جفاهم الذي كان بي. وكيف يا أمير أصنع
الآن هذا وأنت ابن عمي، وأمس الخلق بي رحماً، وأكثرهم عطاءً وبراً، فكيف أفعل
هذا؟!»

فأطرق المنصور ساعة، وكان على لبد وعن يساره مرفقة جرمقانية وتحت لبد
سيف ذو فقار كان لا يفارقه إذا قعد في القبة، قال: أبطلت وأثمت ثم رفع ثني الوسادة،
فأخرج منها اضبارة كتب فرمى بها إليه وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان، تدعوهم
إلى نقض بيعتي وأن يبائعوك دوني!

فقال: «والله يا أمير ما فعلت ولا أستحل ذلك، ولا هو من مذهبي، وإنني لمن يعتقد طاعتك على كل حال»^(٨٩٦)، وقد بلغت من السن ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته، فصيرني في بعض جيوشك^(٨٩٧) حتى يأتيني الموت فهو مني قريب. فقال: لا ولا كرامة. ثم أطرق وضرب يده إلى السيف فسل منه مقدار شبر وأخذ بمقبضه فقلت: إنا لله، ذهب والله الرجل، ثم رد السيف.

ثم قال: يا جعفر، أما تستحيي مع هذه الشبية ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين، تريد أن تريق الدماء وتطرح الفتنة بين الرعية والأولياء؟! فقال عليه السلام: «لا والله يا أمير، ما فعلت، ولا هذه كتي ولا خطي ولا خادمي». فانتضى من السيف ذراعاً فقلت: إنا لله، مضى الرجل. ثم أغمد السيف وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: أظنك صادقاً، يا ربيع هات العيبة من موضع كانت فيه في القبة فأتيته بها. فقال: أدخل يدك فيها - فكانت مملوءة غالية - وضعها في لحيته، وكانت بيضاء فاسودت. وقال لي: احمله على فاره من دوابي التي أركبها، وأعطه عشرة آلاف درهم وشيعة إلى منزله مكرماً وخيره إذا أتيت به إلى المنزل بين المقام عندنا فنكرمه والانصراف إلى مدينة جده رسول الله ﷺ، فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرح بسلامة جعفر عليه السلام، ومتعجب مما أراد المنصور وما صار إليه من أمره. فلما صرنا في الصحن. قلت له: يا ابن رسول الله، إنني لأعجب مما عمد إليه هذا في بابك وما أشارك الله إليه من كفايته ودفاعه، ولا عجب من أمر الله عز وجل، وقد سمعتك تدعو في عقيب الركعتين بدعاء لم أدر ما هو إلا أنه طويل، ورأيتك قد حركت شفتيك بشيء لم أدر ما هو؟.

(٨٩٦) هذه كلمات في ظروف التقية الشديدة كما هو واضح حيث أراد المنصور قتل الإمام الصادق عليه السلام، فقال له الإمام بأنه يعتقد بطاعته أي تقية، أو قصد بالطاعة عدم الخروج عليه.
(٨٩٧) أي اجعلني في وسط: جيوشك حتى يكونوا رقباء علي، لكي تطمئن من كذب هذه الافتراءات.

فقال عليه السلام لي: «أما الأول فدعاء الكرب والشدائد لم أدع به على أحد قبل يومئذ، جعلته عوضاً من دعاء كثير أدعو به إذا قضيت صلاتي؛ لأنني لم أترك أن أدعو ما كنت أدعو به، وأما الذي حركت به شفتي فهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب» (٨٩٨).

عن الربيع، قال: دعاني المنصور يوماً. فقال: يا ربيع، أحضر لي جعفر بن محمد الساعة والله لأقتلنه. فوجهت إليه، فلما وافى قلت: يا ابن رسول الله، إن كان لك وصية أو عهد تعهده إلى أحد فافعل. قال: «فاستأذن لي عليه». فدخلت إلى المنصور فأعلمته موضعه. فقال: أدخله. فلما وقعت عين جعفر عليه السلام على المنصور رأيته يحرك شفتيه بشيء لم أفهمه، فلما سلم على المنصور نهض إليه فأعتقه وأجلسه إلى جانبه. فقال له: ارفع حوائجك. فأخرج رقاعاً لأقوام وسأل في آخرين فقضيت حوائجه. فقال المنصور: ارفع حوائجك في نفسك. فقال له جعفر عليه السلام: «لا تدعني حتى آتيك». فقال له المنصور: ما إلى ذلك سبيل وأنت تزعم للناس يا أبا عبد الله أنك تعلم الغيب. فقال جعفر عليه السلام: «من أخبرك بهذا؟»، فأوماً المنصور إلى شيخ قاعد بين يديه. فقال جعفر عليه السلام للشيخ: «أنت سمعتني أقول هذا القول؟». قال الشيخ: نعم. قال جعفر عليه السلام للمنصور: «أيحلف يا أمير؟». فقال له المنصور: احلف. فلما بدأ الشيخ في اليمين قال جعفر عليه السلام للمنصور: «حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن العبد إذا حلف باليمين التي ينزه الله عز وجل فيها وهو كاذب امتنع الله من عقوبته عليها في عاجلته لما نزه الله عز وجل. ولكني أنا أستحلفه». فقال المنصور: ذلك لك. فقال جعفر عليه السلام للشيخ: «قل: أبرأ إلى الله من حوله وقوته، وأجأ إلى حولي وقوتي، إن لم أكن سمعتك تقول هذا القول». فتلكأ الشيخ فرفع المنصور عموداً كان في يده وقال: والله لئن لم تحلف لأعلنوك بهذا العمود. فحلف الشيخ، فما أتم اليمين

(٨٩٨) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١٩٥ - ١٩٨ ج ٦ ص ٤٧، بحار الأنوار: ج ٩١ ص ٢٨٨ - ٢٩١ ص ٤٤٦.

حتى دلع لسانه كما يدلع الكلب و مات لوقته. ونهض جعفر عليه السلام. قال الربيع: فقال لي المنصور: ويملك اكتمها الناس لا يفتنون. قال الربيع: فشيعت جعفرأ عليه السلام وقلت له: يا ابن رسول الله، إن المنصور كان قد هم بأمر عظيم، فلما وقعت عينك عليه وعينه عليك زال ذلك. فقال: «يا ربيع، إني رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم. فقال لي: يا جعفر خفته!». فقلت: نعم يا رسول الله. فقال لي: إذا وقعت عينك عليه فقل: بسم الله أستفتح، وبسم الله أستنجح، وبمحمد صلى الله عليه وآله أتوجه. اللهم ذلل لي صعوبة أمري وكل صعوبة، وسهل لي حزنه أمري وكل حزنه، واكفي مؤنة أمري وكل مؤنة» (٨٩٩).

❖ وكان من شدة التضيق على الإمام عليه السلام أن الشيعة والموالين لا يتمكنون من التشرف بحضور الإمام عليه السلام للسؤال عن أحكام دينهم، ولذا فإنهم كانوا يتنكرون حتى يصلوا إليه ويسألوه. ومن ذلك ما نقله هارون بن خارجة قال: كان رجل من أصحابنا طلق امرأته ثلاثاً. فسأل أصحابنا فقالوا: ليس بشيء. فقالت امرأته: لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله عليه السلام. وكان بلخيرة إذ ذاك أيام أبي العباس، قال: فذهبت إلى الخيرة ولم أقدر على كلامه؛ إذ منع الخليفة الناس من الدخول على أبي عبد الله عليه السلام، وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه، فإذا سواحي عليه جبة صوف يبيع خياراً. فقلت له: بكم خيارك هذا كله؟.

قال: بدرهم. فأعطيته درهماً وقلت له: أعطني جبتك هذه، فأخذتها ولبستها وناديت: من يشتري خياراً، ودنوت منه. فإذا غلام من ناحية ينادي: يا صاحب الخيار. فقال عليه السلام لي لما دنوت منه: «ما أجود ما احتلت، أي شيء حاجتك؟».

قلت: إني ابتليت فطلقت أهلي في دفعة ثلاثاً فسألت أصحابنا فقالوا: ليس بشيء وإن المرأة قالت: لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله عليه السلام. فقال: «ارجع إلى أهلك

(٨٩٩) الأمالي للطوسي: ص ٤٦١ - ٤٦٢ المجلس السادس عشر ح ١٠٢٩.

فليس عليك شيء»^(٩٠٠).

كما أنه سجن الإمام الصادق عليه السلام فترة من قبل الحكام الظلمة. في ظروف كهذه كان الشيعة يفتشون عن متنفس ومخلص ينقذهم من جور الحكومات الجائرة وبطشها، ومن هناك كانت تلك الثورات من قبل العلويين بين الفترة والأخرى ضد السلطات الجائرة، ومن أهمها:

ثورة زيد الشهيد:

حدد زيد الشهيد عليه السلام السبب في خروجه وثورته المباركة عبر خطابين، قال في أحدهما:

«إني أدعو إلى كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإحياء السنن، وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل»^(٩٠١).

وقال عليه السلام للبابكي الذي خرج معه إلى مكة، في منتصف الليل حيث استوت الثريا: «يا بابكي، أما ترى هذه الثريا، أ ترى أحداً ينالها؟ قلت: لا. قال: والله لو ددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فانقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم»^(٩٠٢).

نقل عبد الأعلى بن عبد الله الشامي، قال: لما قدم زيد بن علي إلى الشام كان حسن الخلق حلو اللسان. فبلغ ذلك هشام بن عبد الملك فاشتد عليه، فشكا ذلك إلى مولى له فقال له: ائذن للناس إذناً عاماً واحجب زيدا ثم ائذن له في آخر الناس، فإذا دخل عليك فسلم فلا ترد عليه ولا تأمره بالجلوس، فإذا رأى أهل الشام هذا سقط من أعينهم. ففعل فأذن للناس إذناً عاماً وحجب زيدا وأذن له في آخر الناس فدخل.

^(٩٠٠) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ١٧١ ب ٦ ح ١٦، بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ١٥٤ ب ١ ح ٦٢.

^(٩٠١) البداية والنهاية: ج ٩ ص ٣٦١ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة.

^(٩٠٢) مقاتل الطالبين: ص ٨٧ زيد بن علي عليه السلام.

فقال: السلام عليك يا أمير. فلم يرد عليه، فقال: السلام عليك يا أحول، إذ لم تر نفسك أهلاً لهذا الاسم.

فقال له هشام: أنت الطامع في الخلافة وأمك أمة. فقال: إن لكلامك جواباً، فإن شئت أجبت. قال: وما جوابك؟.

قال: لو كان في أم الولد تقصير لما بعث الله إسماعيل عليه السلام نبياً وأمه هاجر، فالخلافة أعظم أم النبوة؟.

فأفحم هشام ولما خرج قال لجلسائه: أنتم القائلون إن رجالات بني هاشم هلكت، والله ما هلك قوم هذا منهم. فرده وقال: يا زيد، ما كانت أمك تصنع بالزوج ولها ابن مثلك. قال: أرادت آخر مثلي. قال: ارفع إليّ حوائجك. فقال: أما وأنت الناظر في أمور المسلمين فلا حاجة لي. ثم قام فخرج فأتبعه رسولاً وقال: اسمع ما يقول. فتبعه فسمعه يقول: من أحب الحياة ذل. ثم أنشأ يقول:

مهلا بني عمننا عن نحت أثلتنا سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أننا لا نحبكم ولا نلـومكم ألا تحبوننا
كل امرئ مولى في بغض صاحبه نحمد الله نقلوكم وتقلونا^(٩٠٣)

على كل فقد ثار زيد الشهيد عليه السلام ضد هشام الأموي، وقاتل عسكره حتى استشهد وصلب ثم أُحرق. وقد ألم الإمام الصادق عليه السلام خبر شهادة عمه زيد فاستعبر باكياً، وقرأ قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٩٠٤). ثم قال: «ذهب والله عمي زيد وأصحابه على ما ذهب عليه جده علي والحسن والحسين عليهم السلام شهداء من أهل

(٩٠٣) تاريخ دمشق: ج ١٩ ص ٤٧١ ترجمة رقم ٢٣٤٤ زيد بن علي عليه السلام.

(٩٠٤) سورة الأحزاب: ٢٣.

الجنة، التابع لهم بإحسان مؤمن، والشاك فيهم ضال، والراد عليهم كافر، وإنهم ليحشرون يوم القيامة أحسن الخلق زينة وهيئة ولباساً. تقول الملائكة: هؤلاء خلف الخلف ورعاة الحق، ولا يزالون كذلك حتى ينتهي بهم إلى الفردوس الأعلى، فويل لقاتلهم من جبار الأرض والسماء»^(٩٠٥).

وكما في الخبر أن الحسين بن زيد بن علي الملقب بنبي الدمعة كان مقيماً في بيت الإمام الصادق عليه السلام، وقد ربه ونشأ في حجره منذ قتل أبوه، وأخذ عنه علماً كثيراً^(٩٠٦).

^(٩٠٥) كتاب الفتوح: ج ٨ ص ٢٩٤ ابتداء خبر زيد بن بن الحسين عليه السلام.

^(٩٠٦) مقاتل الطالبين: ص ٢٥٧ الحسين بن زيد بن علي عليه السلام.

ثورة يحيى بن زيد:

كان يحيى حين استشهد والده شاباً في مطلع شبابه، وهو أكبر إخوانه وقد شارك في ثورة أبيه، وبعد مقتل أبيه (رضوان الله عليه) أقام بجانته السبيع، وتفرق الناس عنه فلم يبق معه إلا عشرة نفر.

ثم خرج (رضوان الله عليه) إلى المدائن وهي إذ ذاك طريق الناس إلى خراسان. فبلغ ذلك يوسف بن عمر فسرح في طلبه حريث بن أبي الجهم الكلبي، فورد المدائن وقد فاته يحيى ومضى حتى أتى الري.

ثم خرج (رضوان الله عليه) من الري حتى أتى سرخس وأتاه ناس من الحكمة يسألونه أن يخرج معهم فيقاتلون بني أمية، فلم يطمئن إليهم غير أنه قال لهم جميلاً.

ثم خرج (رضوان الله عليه) فنزل ببلخ على الحريش بن عبد الرحمان الشيباني فلم يزل عنده حتى هلك هشام بن عبد الملك، وولي الوليد بن يزيد. فكتب يوسف إلى نصر بن سيار - وهو عامل على خراسان - حين أخبر أن يحيى بن زيد نازل بها وقال: ابعث إلى الحريش حتى يأخذ بيحيى أشد الأخذ.

فبعث نصر إلى عقيل بن معقل الليثي - وهو عامله على بلخ - أن يأخذ الحريش فلا يفارقه حتى تزهق نفسه أن يأتيه بيحيى بن زيد. فدعى به فضربه ستمائة سوط وقال: والله لأزهقن نفسك أو تأتيني به. فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فاصنع ما أنت صانع.

فوثب قريش بن الحريش فقال لعقيل: لا تقتل أبي وأنا أتيك بيحيى. فوجه معه جماعة فدلهم عليه وهو في بيت جوف بيت فأخذوه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى لعبد القيس كان معه من الكوفة. فبعث به عقيل إلى نصر بن سيار فحبسه وقيده وجعله في سلسلة، وكتب إلى يوسف بن عمر فأخبره بحبره.

ولما أطلق يحيى بن زيد وفك حديده، صار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحداد الذي فك قيده من رجله فسألوه أن يبيعهم إياه، وتنافسوا فيه وتزايدوا حتى بلغ عشرين ألف درهم، فخاف أن يشيع خبره فيؤخذ منه المال. فقال لهم: بعوا ثمنه بينكم. فرضوا بذلك وأعطوه المال فقطعه قطعة قطعة، وقسمه بينهم فاتخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبركون بها.

ثم إن يوسف بن عمر كتب إلى الوليد يعلمه ذلك. فكتب إليه يأمره أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه. فكتب يوسف بذلك إلى نصر بن سيار. فدعى به نصر فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة.

فقال له يحيى: وهل في أمة محمد فتنة أعظم مما أنتم فيه من سفك الدماء، وأخذ ما لستم له بأهل! فلم يجبه نصر بشيء.

فكتب عمرو إلى نصر بن سيار بذلك، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس بن عباد البكري عامله بسرخس والحسن بن زيد عامله بطوس أن يمضيا إلى عامله عمرو بن زرارة وهو على أبرشهر وهو أمير عليهم، ثم يقاتلوا يحيى بن زيد. فأقبلوا إلى عمرو وهو مقيم بأبرشهر فاجتمعوا معه فصار في زهاء عشرة آلاف. وخرج يحيى بن زيد وما معه إلا سبعين فارساً، فقاتلهم يحيى فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة واستباح عسكره وأصاب منه دواب كثيرة.

ثم أقبل حتى مر بهراة وعليها المغلس بن زياد، فلم يعرض أحد منهما لصاحبه وقطعها يحيى حتى نزل بأرض الجوزجان، فسرح إليه نصر بن سيار سلم بن أحوز في ثمانية آلاف فارس من أهل الشام وغيرهم، فلحقه بقرية يقال لها: ارغوى، وعلى الجوزجان يومئذ حماد بن عمرو السعدي.

وقد لحق بيحيى بن زيد أبو العجارم الحنفي والخشخاش الأزدي. فأخذ الخشخاش بعد ذلك نصر فقطع يديه ورجليه وقتله. وعبأ سلم (لعنه الله) أصحابه

فجعل سورة بن محمد الكندي على ميمنته، وحماد بن عمرو السعدي على ميسرته. وعبأ يحيى أصحابه على ما كان عبأهم عند قتال عمرو بن زرارة فاقتتلوا ثلاثة أيام ولياليها أشد قتال، حتى قتل أصحاب يحيى كلهم، وأتت يحيى نشابة في جبهته رماه رجل من موالي عنزة يقال له: عيسى، فوجده سورة بن محمد قتيلاً فاحتز رأسه. وأخذ العنزي الذي قتله سلبه وقميصه، فبقيا بعد ذلك حتى أدركهما أبو مسلم فقطع أيديهما وأرجلها وقتلها وصلبها.

وصلب يحيى بن زيد على باب مدينة الجوزجان في وقت قتله (صلوات الله عليه ورضوانه). يقول جعفر الأحمر: رأيت يحيى بن زيد مصلوباً على باب الجوزجان. ثم بعث برأس يحيى (رضوان الله عليه) إلى نصر بن سيار فبعث به نصر إلى الوليد بن يزيد، فلم يزل مصلوباً حتى إذا جاءت المسودة فأنزلوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ثم دفنوه، فعل ذلك خالد بن إبراهيم أبو داود البكري وحازم بن خزيمة وعيسى بن ماهان.

وأراد أبو مسلم أن يتبع قتلة يحيى بن زيد فقبل له: عليك بالديوان. فوضعه بين يديه وكان إذا مر به رجل ممن أعان على يحيى قتله، حتى لم يدع أحداً قدر عليه ممن شهد قتله^(٩٠٧).

❖ ومن تلك الثورات أيضاً التي عاصرها الإمام الصادق عليه السلام:

١. ثورة عيسى بن زيد، وله قبر معروف بين الحلة والكوفة.

٢. ثورة محمد ذي النفس الزكية.

٣. ثورة إبراهيم بن عبد الله المعروف بقتيل باخمري.

(٩٠٧) مقاتل الطالبين: ص ١٠٤ - ١٠٩ يحيى بن زيد.

حكام عصره

عاصر الإمام الصادق عليه السلام أكثر من حاكم جائر من حكام الأمويين وكذلك الحكام العباسيين، أما الأمويون فهم:

١. هشام بن عبد الملك:

وكان أحولاً شرساً حريصاً على المال وزخارف الدنيا، وكانت ثياب طهره تنقل إلى الحج يحملها ستمائة جمل، وقيل: إنه لما مات ترك اثني عشر ألف قميص وعشرة آلاف تكة حرير.

ولهشام مساوئ كثيرة أهمها قتله الإمام الباقر عليه السلام بالسهم، قيل: إنه لم ير زمان أصعب من زمانه على الشيعة.

٢. الوليد بن يزيد:

كان الوليد رجلاً فاسقاً متجاهراً بالفسوق والفجور، لم يماثله من بني أمية في شرب الخمر أحد. فكان يأمر بملء بركة بالشراب إذا ما غلبه الطرب، فينزل فيها ويعب منها حتى يتبين النقص في أطرافها، ونقل ابن أبي الحديد في (همقى قريش) سليمان بن يزيد بن عبد الملك، حيث قال يوماً: لعن الله الوليد أخي! فلقد كان فاجراً أرادني على الفاحشة. فقال له قائل من أهله: أسكت ويحك فو الله إن كان همّ لقد فعل! ^(٩٠٨).

ونقل أن مؤذناً أذن للصبح يوماً، فما كان من الوليد إلا أن قام إلى الشراب فشرب، ثم قارب جارية كانت ثملة، ثم ألبسها ملابس وبعث الجارية وهي على جنابة إلى المسجد لتؤم الناس وأمتهم!

وفي أحد الأيام استفتح بالقرآن فخرجت له الآية التالية: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ

^(٩٠٨) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ١٦٣ أقوال وحكايات حول الحمقى.

كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ^(٩٠٩)، فجمع علة مصاحف جعلها فوق بعض وأخذ يرميها بالسهام وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد
وقال الذهبي عنه: اشتهر الوليد بالخمير والتلوط فخرجوا عليه لذلك^(٩١٠). ونقم عليه الناس لانتهاك ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيه، وأراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة^(٩١١).

قتل الوليد سنة ١٢٦ هـ حيث ثار الناس ضده وبايعوا يزيد ابنه النبي عين جائزة مقدارها ألف درهم لمن يأتيه برأس أبيه، فقتله الناس وعلقوا رأسه على سور دمشق. وفي عهده ثارت الكوفة بقيادة يحيى بن زيد، وقد بكاه بكى الإمام الصادق عليه السلام يحيى وترحم عليه وقال: «رحم الله ابن عمي وألحقه بأبائه وأجداده»^(٩١٢).

٣. يزيد بن الوليد:

ويسمى يزيد الناقص؛ لأنه نقص الناس الزيادة التي زادها الوليد بن يزيد، وقيل: لأنه أنقص جعلالات الجند. ونقل أن أول من سماه بالناقص هو مروان بن محمد حيث شتمه بكونه الناقص فسماه الناس بالناقص. استمر حكمه خمسة شهور، حيث مات يوم الأحد أول ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ.

٤. إبراهيم بن الوليد:

ولي الملك بعد وفاة أخيه يزيد، وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج

^(٩٠٩) سورة إبراهيم: ١٥.

^(٩١٠) تاريخ الإسلام: ج ٨ ص ٢٩٤ ترجمة الوليد بن يزيد.

^(٩١١) تاريخ الخلفاء: ص ٢٥٠ الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

^(٩١٢) مدينة المعاجز: ج ٦ ص ١٣٨ الثاني والأربعون ومائتان علمه عليه السلام بما يكون.

والاختلاط، واختلاف الكلمة، وسقوط الهيبة.

وقد خرج هارباً من دمشق بعد أن دخلها مروان الذي قدمها من الجزيرة، ثم ظفر مروان به فقتله وصلبه وذلك في سنة ١٢٧ هـ. وقيل: إنه قتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح.

٥. مروان الحمار:

وهو آخر ملوك بني أمية، لقب بالحمار لكثرة حمقه وقلة عقله^(٩١٣) وكثرة حروبه على من خرج عليه.

وقد خاض مروان حروباً كثيرة حتى خرج عليه بنو العباس بقيادة عبد الله بن علي، ففر مروان إلى الشام فتبعه عبد الله بن علي وفتح دمشق بعد حصار قصير، ففر مروان ثانية إلى مصر وقتل فيها. ويذكر أنه لما قتل قطع رأسه وقدم إلى عبد الله بن علي، فغفل عنه، وإذا بهرة تقتلع لسانه وتمضغه. فقال عبد الله: لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا ذلك.

أما العباسيون الذين عاصروهم الإمام عليه السلام فهم:

١. أبو العباس السفاح:

وهو أول ملوك بني العباس، تسلّم الحكم يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول، أو في منتصف جمادى الآخرة، سنة اثنتين وأربعين ومائة هـ، وقد قتل من الأمويين من لا يحصى، وأمر بنبش قبورهم وإخراج قتلاهم وموتاهم وإحراقهم. توفي يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأندلس، التي شيدها بنفسه وسماها بالهاشمية.

وكان سريعاً في سفك الدماء، فتبعه في ذلك عماله بالشرق والمغرب.

(٩١٣) انظر الثقات لابن حبان: ج ٢ ص ٣٢٢ ترجمة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم.

٢. أبو جعفر المنصور:

تسلم الحكم بعد وفاة أخيه وكان في الحج، وكان بخيلاً بحيث إنه لما مات ترك ستمائة ألف ألف درهم، وأربعة عشر ألف ألف دينار، ومع ذلك كان يلقب بالدوانيقي لتشدده في محاسبة العمال والصناع على الدوانيقي والحبات. وذكر السيوطي أنه قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه... وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام، وقيل: إنه قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه^(٩١٤).

وهو الذي أمر بسجن عبد الله بن الحسن ومن معه من أصحابه وقتل بعضهم، وأشرف على تعذيبهم، وقتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعن جمرة العطار، قالت: لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي، وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزان وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان لا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً إلا المهدي ولا هي إلا أن يصح عندها موته. فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة، فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه أن لا يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته، فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولى الخلافة فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبين وفي آذانهم رقع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكاناً^(٩١٥).

^(٩١٤) تاريخ الخلفاء: ص ٢٥٩ ترجمة المنصور أبو جعفر.

^(٩١٥) تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ذكر الخبر عن وصاياه.

وقد تهادى المنصور العباسي في ظلمه وطغيانه حتى وصفه البعض^(٩١٦) فقال: (إن ما وقع على الناس من المظالم أيام بني العباس كان أهول وأبشع، ولقد قتل أبو العباس السفاح وأعمامه ألوفاً، وجاء أخوه أبو جعفر المنصور فقتل من الناس أكثر، وكان في جملة المقتولين أعمامه، وهانت الدماء على رجال بني العباس حتى أن الإنسان لترحم على أيام الجاهلية)^(٩١٧). وأكبر جناية ارتكبها المنصور هو تجاسره على الإمام الصادق عليه السلام واستدعائه إليه أكثر من مرة بحالة مأساوية إلى أن اغتاله بالسم على يد عامله بالمدينة حيث دس إليه السم في العنب كما في الإقبال لابن طاووس^(٩١٨).

أولاد الإمام عليه السلام

ذكروا أنه كان للإمام الصادق عليه السلام عشرة أولاد وهم:

١. إسماعيل: وهو أكبر أولاده، وكان الإمام عليه السلام يحبه حباً شديداً حتى ظن قوم من الشيعة أنه الخليفة والإمام من بعده، لكبر سنه وشدة إكرام الإمام عليه السلام ومعزته له، إلا أن توفي في حياة الإمام عليه السلام بالعريض ودُفن بالبقيع.
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين، فسألت الله تعالى رفعه عنه فرفعه». ولما مات حزن عليه الإمام عليه السلام حزناً شديداً، وتقدم سريره من غير حذاء أو رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً، وفي كل مرة كان يكشف عن وجهه، دفعاً لشبهة خلافته من بعده.
- وروي أن الإمام الصادق عليه السلام كتب على كفته: «إسماعيل يشهد أن لا إله إلا الله».

^(٩١٦) وصفه طه حسين.

^(٩١٧) مجلة أكتوبر القاهرية: عدد ٣٣٤.

^(٩١٨) إقبال الأعمال: ص ٩٧ الصلاة على النبي ﷺ في كل يوم من شهر رمضان.

ولما فرغ من دفنه جلس والناس حوله وهو مطرق، ثم رفع رأسه فقال: «أيها الناس، إن هذه الدنيا دار فراق، ودار التواء لا دار استواء، على أن لفراق المألوف حرقه لا تدفع ولوعة لا ترد، وإنما يتفاضل الناس بحسن العزاء وصحة الفكرة، فمن لم يثكل أخه ثكله أخوه، ومن لم يقدم ولداً كان هو المقدم دون الولد». ثم تمثّل بقول أبي خراش الهذلي، وهي وهو:

ولا تحسبن أني تناسيت عهدہ ولكن صبري يا أميم جميل
ثم إنه دفع عليه السلام إلى أحد الشيعة دراهم ليحج بها عنه.

٢. عبد الله: الملقب بالأفطح، وهو أخو إسماعيل من أم واحدة لأمه، وهي فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام.

لقب بالأفطح لكونه أفضح في الرأس أو الرجلين، أي عريضهما. وقد ذهب البعض إلى إمامته إلا أن كثيراً منهم تخلوا عنه بعد اختبارهم له واطلاعهم على براهين الإمام الكاظم عليه السلام في الإمامة، وبقي قليل منهم يعتقدون بإمامة عبد الله وهم ما يسمون بالفطحية.

وتوفي عبد الله بعد سبعين يوماً من شهادة الإمام الصادق عليه السلام في بلدة بسطام وله قبر معروف فيها، مقابل قبر علي بن عيسى بن آدم البسطامي.

٣. إسحاق المؤمن: وكان يكنى بأبي محمد ويلقب بالمؤمن، وأمه حميدة والدة الإمام الكاظم عليه السلام، وقد وُلد إسحاق بالعريض وتمرض مدة. وكان جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المرتبة. روى الناس عنه الروايات ومنهم سفيان بن عيينة، وابن كاسب، وغيرهما، وقد ذهب بعض الزيدية إلى إمامته والحال أنه لم يدع ذلك.

ولم يعقب إسحاق سوى ثلاثة رجال وهم: محمد وحسين وحسن.

وزوجة إسحاق هي السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن

أبي طالب عليه السلام صاحبة الشأن الرفيع والمقام العظيم، المتوفاة بمصر سنة ٢٠٨هـ والتي يعظمها المصريون ويقصدون مزارها للدعاء.

نقل أنها لما توفيت أراد زوجها أن ينقلها إلى المدينة ليدفنها في البقيع، فطلب أهل مصر منه أن يتركها عندهم ليتبركوا بها، وبدلوا له مالا كثيراً فلم يقبل. فرأى النبي ﷺ وهو يقول له: يا إسحاق، لا تعارض أهل مصر؛ فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها.

٤. علي العريضي: كنيته أبو الحسن، أمه أم ولد، وهو أصغر ولد أبيه. ولما مات الإمام الصادق عليه السلام كان علي طفلاً صغيراً، ولقب بالعريضي لولادته في العريض التي تقع على أربعة أميال من المدينة مما يلي الشرق، وذريته معروفون يسمون بالعريضيين.

وكان علي بن جعفر علماً جليلاً فقيهاً راوياً، وقد روى عنه الرواة الكثير من الأحاديث، وقد تربى في حجر أخيه الإمام الكاظم عليه السلام، وروى عنه وعن الإمام الرضا والإمام الجواد عليهما السلام، وله مصنفات عديدة منها: (كتاب المناسك) في مسائل سألها من أخيه الكاظم عليه السلام، و(كتاب الحلال والحرام)، و(كتاب الفقه)، وكتاب يشتمل على روايات.

وهو مع جلالته هذه كان يقدر الإمام الجواد عليه السلام ويحترمه أكبر الاحترام، حيث دخل عليه فتلقيه العريضي وأجلسه في موضعه وقبل يد الإمام عليه السلام، ولم يتكلم حتى مضى عليه السلام، فقال له أصحابه: ماذا فعلت وأنت عم أبيه، وأكبر منه سناً؟.

فضرب يده على خيته وقال: سبحان الله! ماذا أقول في إرادة الله عز وجل إذا لم ير لهذه الشبية أهلاً للإمامة، فكيف أنا أراها أهلاً وهي للنار أهل؟.

توفي العريضي في عهد الإمام الهادي عليه السلام، وله قبر بالعريض، وربما كان المزار الموجود في قم لبعض أحفاده المسمى باسمه.

٥. محمد الديباج: هو والإمام الكاظم عليه السلام من أم واحدة، وهي حميدة، ويكنى بأبي جعفر وأبي القاسم، ويلقب بالديباج لحسن وجهه وشدة جماله وشرفه. وكان من العباد المتجهدين، قائم الليل صائم النهار، سخيّاً شجاعاً، يذبح كل يوم كبشاً لضيوفه، وقد وافق عمه زيد الشهيد عليه السلام في الخروج بالسيف على العباسيين. خرج في عهد المأمون وبايعه الناس وجميع الطالبين في مكة وجرت بينهم وبين هارون بن المسيب معارك شديدة أدت في النهاية إلى استسلامه بعد أن بقي وحيداً، وأرسل إلى خراسان عند المأمون الذي تظاهر بإكرامه.

توفي محمد الديباج بجرجان سنة ٢٠٣هـ عن عمر يناهز ٥٩ سنة، والظاهر أنه كان المأمون من وراء قتله بالسم. وقبره في جرجان زاهر عليه قبة عظيمة شيدها السلطان أوجليتون، كما في كتاب مجالس المؤمنين.

أما بقية أولاد الإمام الصادق عليه السلام من الذكور فهم:

❖ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

❖ والعباس، وصفه المفيد رحمته الله في إرشاده فقال: (فاضلاً نبياً)^(٩١٩).

وبناته من الإناث هن: أم فروة، وأسماء، وفاطمة.

(٩١٩) الإرشاد: ج ٢ ص ٢١٤ باب ذكر أولاد أبي عبد الله عليه السلام وعددهم وأسمائهم وطرف من أخبارهم.

من كلام الإمام الصادق عليه السلام

١. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان الزمان زمان جور وأهله أهل غدر فالطمأنينة إلى كل أحد عجز»^(٩٢٠).
٢. وقال عليه السلام: «إذا أضيف البلاء إلى البلاء كان من البلاء عافية»^(٩٢١).
٣. وقال عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم صحة ما عند أخيك فأغضبه، فإن ثبت لك على المودة فهو أخوك وإلا فلا»^(٩٢٢).
٤. وقال عليه السلام: «لا تعتد بمودة أحد حتى تغضبه ثلاث مرات»^(٩٢٣).
٥. وقال عليه السلام: «لا تثقن بأخيك كل الثقة، فإن صرعة الاسترسال لن تستقل»^(٩٢٤).
٦. وقال عليه السلام: «الإسلام درجة، والإيمان على الإسلام درجة، واليقين على الإيمان درجة، وما أوتي الناس أقل من اليقين»^(٩٢٥).
٧. وقال عليه السلام: «إزالة الجبال أهون من إزالة قلب عن موضعه»^(٩٢٦).
٨. وقال عليه السلام: «الإيمان في القلب واليقين خطرات»^(٩٢٧).
٩. وقال عليه السلام: «الرغبة في الدنيا تورث الغم والحزن، والزهد في الدنيا راحة القلب والبدن»^(٩٢٨).

^(٩٢٠) تحف العقول: ص ٣٥٧ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٩٢١) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٣٤ ب ٦٥ ح ٢٣٨٨.

^(٩٢٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٣٩ ب ٢٣ ضمن ح ١٠٨.

^(٩٢٣) تحف العقول: ص ٣٥٧ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٩٢٤) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٤٧ ب ١٠٢ ح ١٥٨٩٨.

^(٩٢٥) تحف العقول: ص ٣٥٨ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(٩٢٦) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٤٠ ب ٢٣ ضمن ح ١٠٨.

^(٩٢٧) التمهيد: ص ٦٤ ب ٨ ح ١٤٦.

^(٩٢٨) تحف العقول: ص ٣٥٨ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

١٠. وقال عليه السلام: «من العيش دار يكرى وخبز يشرى» (٩٢٩).
١١. وقال عليه السلام: «لرجلين تخاصما بحضرتي: «أما إنه لم يظفر بخير من ظفر بالظلم، ومن يفعل السوء بالناس فلا ينكر السوء إذا فعل به» (٩٣٠).
١٢. وقال عليه السلام: «التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور، وفي السفر التكاثر» (٩٣١).
١٣. وقال عليه السلام: «لا يصلح المؤمن إلا على ثلاث خصال: الفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائية» (٩٣٢).
١٤. وقال عليه السلام: «المؤمن لا يغلبه فرجه، ولا تفضحه بطنه» (٩٣٣).
١٥. وقال عليه السلام: «صحبة عشرين سنة قرابة» (٩٣٤).
١٦. وقال عليه السلام: «لا تصلح الصنعة إلا عند ذي حسب أو دين، وما أقل من يشكر المعروف» (٩٣٥).
١٧. وقال عليه السلام: «إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ، أو جاهل فيتعلم، فأما صاحب سوط أو سيف فلا» (٩٣٦).
١٨. وقال عليه السلام: «إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عالم بما يأمر عالم بما ينهى، عادل فيما يأمر عادل فيما ينهى، رفيق بما يأمر رفيق

(٩٢٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٤٠ ب ٢٣ ضمن ح ١٠٨.

(٩٣٠) تحف العقول: ص ٣٥٨ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٩٣١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ١٣٥ ب ٩٣ ح ١٥٨٦٥.

(٩٣٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٨٩ ب ٦ ح ١٢٧٠٨.

(٩٣٣) تحف العقول: ص ٣٥٨ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٩٣٤) الكافي: ج ٦ ص ١٩٩ باب ح ٥.

(٩٣٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٤٠ ب ٢٣ ضمن ح ١٠٨.

(٩٣٦) الكافي: ج ٥ ص ٦٠ باب إنكار المنكر بالقلب ح ٢.

بما ينهى» (٩٣٧).

١٩. وقال عليه السلام: «من تعرض لسُلطان جائر فأصابته منه بلية لم يؤجر عليها ولم يرزق الصبر عليها» (٩٣٨).

٢٠. وقال عليه السلام: «ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر» (٩٣٩).

٢١. وقال عليه السلام: «من عمل بما علم كفي ما لم يعلم» (٩٤٠).

٢٢. وقال عليه السلام: «الغضب مفتاح كل شر» (٩٤١).

٢٣. وقال عليه السلام: «حب الدنيا رأس كل خطيئة» (٩٤٢).

٢٤. وقال عليه السلام: «إني لأملق أحياناً فأتاجر الله بالصدقة» (٩٤٣).

٢٥. وقال عليه السلام: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء» (٩٤٤).

٢٦. وقال عليه السلام: «لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضرّ من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب» (٩٤٥).

٢٧. وقال عليه السلام: «من أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله» (٩٤٦).

(٩٣٧) تحف العقول: ص ٣٥٨ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٩٣٨) الكافي: ج ٥ ص ٦٠ - ٦١ باب إنكار المنكر بالقلب ح ٣.

(٩٣٩) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٤ فضل القصد ح ١٧٢١.

(٩٤٠) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٦٤ ب ١٢ ح ٣٣٤٩٨.

(٩٤١) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٣ باب الغضب ح ٣.

(٩٤٢) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٩ ب ٦١ ح ٢٠٨٢٤.

(٩٤٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٠٦ ب ٢٣ ح ٥٤.

(٩٤٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٨ باب الخوف والرجاء ح ٣.

(٩٤٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ١٨٥ ذكر من روى من أولاده عليه السلام.

(٩٤٦) الكافي: ج ٢ ص ١٢٥ باب الحب في الله والبغض في الله ح ٢.

٢٨. وقال ﷺ: «ثلاثة من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى: من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(٩٤٧).

٢٩. وقال ﷺ: «عليك بالنصح لله في خلقه؛ فلن تلقاه بعمل أفضل منه»^(٩٤٨).

٣٠. وقال ﷺ: «برّوا آباءكم يبركم أبناءكم، وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم»^(٩٤٩).

^(٩٤٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٢٩ ب ٢٣ ح ١٠٧.

^(٩٤٨) الكافي: ج ٢ ص ١٦٤ باب الاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم ورفعتهم ح ٣.

^(٩٤٩) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢١ باب ما جاء في الزنا ح ٤٩٨٥.

المعصوم التاسع:
الإمام موسى بن جعفر

نسبه عليه السلام :

هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

والدته عليها السلام :

حميدة البربرية، وهي من أشرف النساء، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في حقها: «حميدة مصفاة من الأذناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدت إلي؛ كرامة من الله وللحجة من بعدي»^(٩٥٠).

وكانت عليها السلام عالمة بالأحكام، ويشهد لذلك إرجاع الإمام الصادق عليه السلام النساء إليها في المسائل الشرعية. فعن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إن معنا صبياً مولوداً فكيف نصنع به؟

فقال عليه السلام: «مر أمه تلقى حميدة فتسألها كيف تصنع بصبيانها».

فأنتتها فسألتها كيف تصنع. فقالت: إذا كان يوم التروية فأحرموا عنه، وجردوه وغسلوه كما يجرد المحرم، وقفوا به المواقف، فإذا كان يوم النحر فارموا عنه واحلقوا رأسه، ثم زوروا به البيت، ومُري الجارية أن تطوف به بين الصفا والمروة^(٩٥١).

وهي صاحبة الرواية المعروفة التي نقلها أبو بصير، قال: دخلت على حميدة المصفاة أعزيتها بأبي عبد الله عليه السلام، فبكت وبكيت لبكائها. ثم قالت: يا أبا محمد، لو رأيت أبا عبد الله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه ثم قال: «اجمعوا كل من بيني وبينه قرابة».

^(٩٥٠) الكافي: ج ١ ص ٤٧٧ باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ح ٢.

^(٩٥١) الكافي: ج ٤ ص ٣٠١ باب حج المجاورين وقطان مكة ح ٥.

قالت: فما تركنا أحداً إلاّ جمعناه، فنظر إليهم ثم قال: «إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»^(٩٥٢).

ولادته ﷺ:

وُلد ﷺ يوم الأحد لسبع خلون من شهر صفر المظفر سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة في الأبواء بين المدينة ومكة.

كنيته ﷺ:

أبو الحسن، وأبو إبراهيم. ويعرف بأبي الحسن الأول.

ألقابه ﷺ:

الصابر، والصالح، والأمين، والزاهر، والوفي، والصابر، والأمين، وأشهرها (الكاظم)؛ لُقّب به لفرط حلمه، وكظمه الغيظ، وتجاوزه عن المسيئين إليه. وفي ذلك يقول ربيع بن عبد الرحمن: (كان والله موسى بن جعفر ﷺ من المتوسّمين، يعلم من يقف عليه بعد موته، ويحدد الإمام بعد إمامته، فكان يكظم غيظه عليهم، ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم، فسُمّي الكاظم لذلك)^(٩٥٣).

صفته ﷺ:

ذكروا أنه ﷺ كان أزهر، أسمر غميق، ربع القامة أي متوسطها، كث اللحية.

نقش خاتمه ﷺ:

الملك لله وحده.

وفي خبر عن الإمام الرضا ﷺ: «كان نقش خاتم أبي الحسن ﷺ: حسبي الله، وفيه وردة، وهلال في أعلاه»^(٩٥٤).

من أشعاره ﷺ:

^(٩٥٢) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ٢٦ - ٢٧ ب ٦ ح ٤٤٢٣.

^(٩٥٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٣٥ ب ١٧٠ ح ١.

^(٩٥٤) الكافي: ج ٦ ص ٤٧٣ باب نقش الخواتيم ح ٤.

نسب للإمام الكاظم عليه السلام بعض الأشعار منها:

أنا ابن منى والمشعرين وزمزم
وجدي النبي المصطفى وأبي
وأمي بتول المستضاء بنورها
وسبطا رسول الله عمي ووالدي
متى تتعلق منهم بحبل ولاية
أئمة هذا الخلق بعد نبينهم
أنا العلوي الفاطمي الذي ارتمى
فضاقت بي الأرض الفضاء
فألهمت بالدار التي أنا كاتب
وسلم لأمر الله في كل حالة

ومكة والبيت العتيق المعظم
ولايته فرض على كل مسلم
إذا ما عددناها عديلة مريم
وأولاده الأظهار تسعة أنجم
تفزي يوم يجز الضائرون وتنعم
فإن كنت لم تعلم بذلك فاعلم
به الخوف والأيام بالمرء ترتمي
ولم أستطع نيل السماء بسلم
عليها بشعري فاقر إن شئت والمم
فليس أخو الإسلام من لم يسلم

قالوا في الإمام عليه السلام

كما هو الحال بالنسبة إلى بقية الأئمة الأطهار عليهم السلام فقد أشار المؤلف والمخالف إلى فضائله وأشادوا بمقاماته الرفيعة.

فمن كلام للمأمون العباسي، عن أبيه هارون، أنه قال له: (يا بني هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا) (٩٥٥).

وقال كمال الدين الشافعي عنه عليه السلام:

هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً؛ ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً. كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق باب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله

(٩٥٥) أمالي الصدوق: ص ٣٧٦ المجلس الستون ح ١.

تعالى به. كرامته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صلح لا تزل ولا تزول^(٩٥٦).

وقال الخطيب البغدادي: (كان سخياً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصره فيها ألف دينار. وكان يصير الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرة فقد استغنى)^(٩٥٧).

وقال ابن حجر: (موسى الكاظم وهو وارثه - أي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سمي بالكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسماهم)^(٩٥٨).

وقال الذهبي: (وكان موسى من أجواد الحكماء، ومن العباد الأتقياء، وله مشهد معروف ببغداد)^(٩٥٩).

وقال ابن خلكان: (كان سخياً كريماً، وكان يسمع عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصره فيها ألف دينار، وكان يصير الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار ثم يقسمها بالمدينة)^(٩٦٠).

^(٩٥٦) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليه السلام: ص ٤٤٧ ب ٧ في أبي الحسن موسى جعفر عليه السلام.

^(٩٥٧) تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٢٩ باب الميم ترجمة رقم ٦٩٨٧ موسى بن جعفر عليه السلام.

^(٩٥٨) الصواعق المحرقة: ص ١٢١.

^(٩٥٩) ميزان الاعتدال: ج ٤ ص ٢٠٢ ترجمة رقم ٨٨٥٥ موسى بن جعفر عليه السلام.

^(٩٦٠) وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٣٠٨ ترجمة رقم ٧٤٦ موسى الكاظم عليه السلام.

من معاجزه عليه السلام

معاجز الإمام الكاظم عليه السلام كثيرة جداً، وهي تدل على كونه حجة الله على الخلق.

سبع يشكو إليه

يقول علي بن أبي حمزة البطائني: خرج أبو الحسن موسى الكاظم عليه السلام في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها فصحبته، وكان عليه السلام راكباً بغلة وأنا على حمار لي. فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد فأحجمت خوفاً، فأقدم أبو الحسن موسى عليه السلام غير مكترث به، فرأيت الأسد يتدلل لأبي الحسن عليه السلام. فوقف له أبو الحسن عليه السلام كالمصغي إلى هممته ووضع الأسد يديه على كفل بغلته، وقد هممتني نفسي من ذلك وخفت خوفاً عظيماً، ثم تنحى الأسد إلى جانب الطريق، وحوّل أبو الحسن موسى عليه السلام وجهه إلى القبلة وجعل يدعو ويحرك شفتيه بما لم أفهمه.

ثم أوماً إلى الأسد بيده أن امض، فهمهم الأسد هممة طويلة، وأبو الحسن عليه السلام يقول: «آمين، آمين». وانصرف الأسد حتى غاب من أعيننا، ومضى أبو الحسن عليه السلام لوجهه واتبعته. فلما بعدنا عن الموضع لحقته، فقلت له: فذاك نفسي ما شأن هذا الأسد؟! فلقد خفته عليك، والله وعجبت من شأنه معك!.

فقال لي أبو الحسن عليه السلام: «إنه خرج يشكو عسر الولادة على لبوته، وسألني أن أسأل الله عز وجل أن يفرج عنها، ففعلت ذلك. وألقى في روعي أنها تلد ذكراً فخبرت به بذلك، فقال لي: امض في حفظ الله فلا سلط الله عليك، ولا على ذريتك ولا على أحد من شيعتك شيئاً من السباع، فقلت: آمين، آمين»^(٩٦١).

(٩٦١) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ مجلس في ذكر إمامة أبي الحسن موسى بن جعفر ومناقبه عليه السلام.

سوار العروس

عن إسحاق بن أبي عبد الله، قال: كنت مع أبي الحسن موسى عليه السلام حين قدم من البصرة، فبينما نحن نسير في البطائح في هول أرياح إذ سايرنا قوم في السفينة، فسمعنا لهم جلبة^(٩٦٢). فقال عليه السلام: «ما هذا؟».

ف قيل: عروس تهدي إلى زوجها.

قال: ثم مكثنا ما شاء الله تعالى، فسمعنا صراخاً وصيحة. فقال عليه السلام: «ما هذا؟».

ف قيل: العروس أرادت تغرف ماء فوق سوارها في الماء.

فقال: «أحبسوا وقولوا لملاحهم يحبس، فحبسنا وحبس ملاحهم، فجلس ووضع أبو الحسن عليه السلام صدره على السفينة وتكلم بكلام خفي، وقال للملاح: انزل، فنزل الملاح بفوطة^(٩٦٣) فلم يزل في الماء نصف ساعة وبعض ساعة فإذا هو بسوارها، فجاء به^(٩٦٤).

خذ عدو الله

قال علي بن يقطين: استدعى هارون رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس، فانتدب له رجل معزم. فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً^(٩٦٥) على الخبز، فكان كلما رام أبو الحسن عليه السلام - وقيل خادمه - تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه واستفز هارون الفرح والضحك لذلك.

فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور،

فقال له: «يا أسد خذ عدو الله!».

(٩٦٢) أي سمعنا لهم: صوتاً، راجع لسان العرب مادة: جلب.

(٩٦٣) الفوطة ثوب قصير غليظ يكون مئزراً، راجع لسان العرب مادة فوط.

(٩٦٤) الثاقب في المناقب: ص ٤٥٩ ب ١٠ ف ٦ ح ٣٨٧.

(٩٦٥) الناموس: ما يتنمس به من الاحتيال.

قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافترس ذلك المعزم فخرّ هارون وندمائه على وجوههم مغشياً عليهم وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه. فلما أفاقوا من ذلك بعد حين قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: أسألك بحقي عليك لما سألت هذه الصورة أن تردّ الرجل.

فقال: «إنّ كانت عصا موسى ردّت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيتهم فإنّ هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل»^(٩٦٦).

(٩٦٦) الثاقب في المناقب: ص ٤٣٢ ب ١٠ ف ١ ح ٣٦٤.

مناقبيات

جمع الإمام الكاظم عليه السلام في شخصيته العظيمة خصال الأنبياء عليهم السلام وسجايا الأوصياء والصدّيقين عليهم السلام ، فقدّم للبشرية جمعاء صوراً خالدة في مجالات مختلفة ومنها:

١ . عبادته عليه السلام:

كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أعبد أهل زمانه، واشتهر عند الجميع بالعبد الصالح، وقد وصفه المأمون العباسي لما دخل على أبيه هارون قائلاً: (إذ دخل شيخ مسخّد^(٩٦٧) قد أنهكته العبادة، كأنه شن بال، قد كلم^(٩٦٨) السجود وجهه وأنفه)^(٩٦٩).

وعن الشيخ المفيد رحمته الله قال: (كان عليه السلام يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، ويخر الله ساجداً، فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس)^(٩٧٠).

ومن زيارة أوردتها السيد ابن طاووس رحمته الله في المصباح: «وصل على موسى بن جعفر وصي الأبرار... الذي كان يحيي الليل بالسهر إلى السحر بمواصلة الاستغفار، حليف السجدة الطويلة، والدموع الغزيرة، والمناجاة الكثيرة والضراعات المتصلة»^(٩٧١).

^(٩٦٧) المسخّد: الرجل المصفر الوجه.

^(٩٦٨) الكلم: الجرح.

^(٩٦٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٨٩ ب ٧ ح ١١.

^(٩٧٠) الإرشاد: ج ٢ ص ٢٣١ باب ذكر طرف من فضائله ومناقبه وخلالها التي بان بها في الفضل من غيره.

^(٩٧١) مصباح الزائر: ص ٣٨٢.

وكان للإمام عليه السلام غلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده ^(٩٧٢).

وعن شقيق البلخي، قال: خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلنا القادسية. فبينما أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف، فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً. فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنّه، فدنوت منه فلما رأني مقبلاً. قال: «يا شقيق، ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ^(٩٧٣)»، ثم تركني ومضى.

فقلت في نفسي: إنَّ هذا الأمر عظيم، قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلا عبد صالح، لألحقنّه ولأسألنّه أن يحالني، فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن عيني. فلما نزلنا واقصة، وإذا به يصلي وأعضائه تضطرب ودموعه تجري. فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلما رأني مقبلاً. قال: «يا شقيق أتل: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ^(٩٧٤)»، ثم تركني ومضى.

فقلت: إنَّ هذا الفتى لمن الأبدال، لقد تكلم على سري. فلما نزلنا زباله إذا بالفتى قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماءً، فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه، فرأيتّه وقد رمق السماء وسمعته يقول:

«أنت ربي إذا ظمئت إلى الماء
وقوتني إذا أردت الطعام»
اللهم سيدي ما لي غيرها فلا تعلمنيها.

^(٩٧٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٧٧ ب ٧ ح ٥.

^(٩٧٣) سورة الحجرات: ١٢.

^(٩٧٤) سورة طه: ٨٢.

قال شقيق: فو الله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد يده وأخذ الركوة وملؤها ماء، فتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كئيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب. فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد عليّ السلام. فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك.

فقال: «يا شقيق، لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك». ثم ناولني الركوة، فشربت منها فإذا هو سويق وسكر، فوالله ما شربت قط ألد منه ولا أطيب ريحاً، فشبت ورويت وبقيت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شرباً. ثم إنني لم أره حتى دخلنا مكة، فرأيت له ليلة إلى جنب قبة الشراب في نفس الليل قائماً يصليّ بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل. فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح، ثم قام فصلّى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً فخرج، فتبعته وإذا له حاشية وموال، وهو على خلاف ما رأيت في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيت يقرب منه: من هذا الفتى؟!.

فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد ^(٩٧٥).

٢. سخاؤه عليه السلام:

بلغ من كرم الإمام الكاظم عليه السلام وسخائه أن صرره صارت مضرِباً للمثل، حتى قيل: (عجباً لمن جاءته صرة موسى عليه السلام فشكا القلّة).

وذات مرة أهداه عبد عصيدة، فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار، وأعتقه ووهب له المزرعة ^(٩٧٦).

وكان يتفقّد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الأموال والتمور، وهم لا

^(٩٧٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥ وأما مناقبه.

^(٩٧٦) البداية والنهاية: ج ١٠ ص ١٩٧ موسى بن جعفر عليه السلام.

يعلمون من يأتيهم به.

عن عيسى بن محمد بن مغيث القرظي، قال: زرعت بطيخاً وقشاً وقرعاً في موضع بالجوانية^(٩٧٧) على بئر يقال لها: أمّ عظام. فلما قرب الخير واستوى الزرع، بغتني الجراد فأتى على الزرع كله، وكنت غرمت على الزرع وفي ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً. فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام فسلم، ثم قال: «أيش حالك؟».

فقلت: أصبحت كالصريم، بغتني الجراد فأكل زرعي.

قال: «وكم غرمت فيه؟».

قلت: مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فقال عليه السلام: «يا عرفة، زن لأبي المغيث مائة وخمسين ديناراً فربحك ثلاثين ديناراً والجملين».

فقلت: يا مبارك، ادخل وادع لي فيها. فدخل ودعا، وحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «تمسكوا ببقايا المصائب». ثم علقت عليه الجملين وسقيته، فجعل الله فيها البركة، زكت فبعت منها بعشرة آلاف^(٩٧٨).

ونقل أبو الفرج الأصفهاني: (أنه عليه السلام إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرةً دنانير، وكانت صراره ما بين الثلاثمائة إلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلاً^(٩٧٩)).

وفي عملة الطالب: (كان أهله يقولون: عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكا

^(٩٧٧) الجوانية: قرية قرب المدينة.

^(٩٧٨) تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٣٠ - ٣١ باب الميم ترجمة رقم ٦٩٨٧ موسى بن جعفر عليه السلام.

^(٩٧٩) مقاتل الطالبين: ص ٣٣٢ موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام.

٣. حلمه ﷺ:

في الكافي الشريف قال: كان أبو الحسن موسى ﷺ في حائط له يصرم، فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته وأخذته وذهبت به إليه. فقلت: جعلت فداك، إني وجدت هذا وهذه الكارة. فقال للغلام: «يا فلان».

قال: لبيك.

قال: «أ تجوع؟».

قال: لا يا سيدي.

قال: «فتعري؟».

قال: لا يا سيدي.

قال: «فلأي شيء أخذت هذه؟».

قال: اشتهيت ذلك.

قال: «اذهب فهي لك - وقال - خلّوا عنه» (٩٨١).

وقيل: إنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي الإمام موسى بن جعفر ﷺ ويشتم علياً ﷺ، فطلب بعض حاشيته منه أن يقتلوه، فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم أشد الزجر. وسأل عن العمري فذكر له أنه يزدرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه في مزرعته فوجده فيها. فدخل المزرعة بجماره فصاح به العمري: لا تطأ زرعنا... فجلس الإمام ﷺ عنده وضاحكه، وقال له: «كم غرمت في زرعك هذا؟».

قال له: مائة دينار.

(٩٨٠) عمدة الطالب: ص ١٩٦ عقب الإمام موسى الكاظم ﷺ.

(٩٨١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٨ باب العفوح ٧.

قال: «فكم ترجو أن يصيب؟».

قال: أنا لا أعلم الغيب.

قال: «إنما قلت لك كم ترجو أن يجيئك فيه؟».

قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار.

فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: «هذا زرعك على حاله».

فقام العمري فقبل رأسه وانصرف، فذهب الإمام عليه السلام إلى المسجد فوجد العمري جالساً، ولما نظر إليه قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٩٨٢)، فوثب أصحابه فقالوا له: ما قصتك! قد كنت تقول خلاف هذا!.

فخاصمهم وشاتمهم، وجعل يدعو لأبي الحسن موسى عليه السلام كلما دخل وخرج. فقال أبو الحسن موسى عليه السلام لحاشيته الذين أرادوا قتل العمري: «أيا كان خيراً، ما أردتم، أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار»^(٩٨٣).

❖ ونقل أن عبداً للإمام الكاظم عليه السلام قدم إليه صحيفة فيها طعام حار، فعجل فصبها على رأسه ووجهه، فغضب.

فقال له: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾. قال عليه السلام: «قد كظمت».

قال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. قال: «قد عفوت».

قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٩٨٤).

قال: «أنت حر لوجه الله، وقد نحللتك ضيعتي الفلانية»^(٩٨٥).

^(٩٨٢) سورة الأنعام: ١٢٤.

^(٩٨٣) انظر تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٣٠ باب الميم ترجمة رقم ٦٩٨٧ موسى بن جعفر عليه السلام.

^(٩٨٤) سورة آل عمران: ١٣٤.

^(٩٨٥) شرح نهج البلاغة: ج ١٨ ص ٤٦ نبذ من الأقوال الحكيمة.

٤. علمه عليه السلام:

يعتبر عصر الإمام الكاظم عليه السلام من أشد العصور الصعبة على الشيعة، حيث كانت السلطات تمارس ضد الإمام وأهل بيته وشيعته أشد الضغوط، وكان الشيعة في التقية الشديدة، ومع ذلك تمكن الإمام عليه السلام من نشر علوم آل محمد عليهم السلام ومعارفهم سيما للخواص من الشيعة.

قال السيد ابن طاووس رحمته الله: إنه كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميل، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك^(٩٨٦).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «خرج أبو حنيفة ذات يوم من عند الصادق عليه السلام، فاستقبله موسى بن جعفر عليه السلام. فقال له: يا غلام ممن المعصية؟»

قال: لا تخلو من ثلاث: إما أن تكون من الله تعالى وليست منه، ولا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لا يكتسبه. وإما أن تكون من الله عز وجل ومن العبد، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإما أن تكون من العبد وهي منه، فإن عاقبه الله تعالى فبذنبه، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده^(٩٨٧).

وعن عثمان بن عيسى، عن أصحابه، قال: قال أبو يوسف للمهدي — وعنده موسى بن جعفر عليه السلام —: تأذن لي أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء؟ فقال له: نعم.

فقال لموسى بن جعفر عليه السلام: أسألك؟

^(٩٨٦) مهج الدعوات: ص ٢١٩ - ٢٢٠ فمن ذلك الدعاء المعروف بدعاء الجوشن.

^(٩٨٧) التوحيد: ص ٩٦ ب ٦٦ ح ٢.

قال: «نعم».

قال: ما تقول في التظليل للمحرم؟.

قال: «لا يصلح».

قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟. قال: «نعم».

قال: فما الفرق بين هذين؟.

قال أبو الحسن عليه السلام: «ما تقول في الطامث أ تقضي الصلاة؟».

قال: لا.

قال عليه السلام: «فتقضي الصوم؟». قال: نعم.

قال: «ولم؟».

قال: هكذا جاء.

قال أبو الحسن عليه السلام: «وهكذا جاء هذا».

فقال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً!

قال: رمانى بججر دامغ^(٩٨٨).

❖ وعن هشام بن الحكم قال: قال موسى بن جعفر عليه السلام لأبرهة النصراني:

«كيف علمك بكتابك؟».

قال: أنا عالم به وبتأويله.

قال: فابتدأ موسى يقرأ الإنجيل، فقال أبرهة: والمسيح لقد كان يقرأها هكذا، وما

قرأ هكذا إلا المسيح وأنا كنت أطلبه منذ خمسين سنة. فأسلم على يديه^(٩٨٩).

^(٩٨٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢١ ص ٧٨ - ٧٩ ب ٧ ح ٦.

^(٩٨٩) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣١٠ فصل في علمه عليه السلام.

٥. تواضعه ﷺ :

مر الإمام ﷺ برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً، ثم عرض ﷺ عليه نفسه في القيام بمجاجة إن عرضت له. فقبل له: يا ابن رسول الله، أ تنزل إلى هذا ثم تسأله عن حوائجك وهو إليك أحوج؟! فقال ﷺ: «عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله. يجمعنا وإياه خير الآباء آدم ﷺ، وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر يرد من حلجاتنا إليه، فيرانا - بعد الزهو عليه - متواضعين بين يديه» (٩٩٠).

(٩٩٠) تحف العقول: ص ٤١٣ وروي عنه ﷺ في قصار هذه المعاني.

عصر التقية

شهد عهد الإمام الكاظم عليه السلام ظلمات كثيرة صبّت عليه وعلى ذويه وعلى الشيعة والموالين، حيث كشف بنو العباس عن واقعهم وصبّوا بغضهم الدفين على الشيعة خاصة العلويين والأئمة الأطهار عليهم السلام.

ولعل السر في عدم تصريح الرواة في عهد الإمام الكاظم عليه السلام باسمه والتزامهم بذكر كناه وألقابه وما أشبه يرجع لشدة التقية، فكانوا يقولون: روى أبو إبراهيم، أو قال أبو الحسن، أو عن العبد الصالح، أو حدثني الرجل، أو كتبت إليه، وما شابه ذلك.

وكان الحكام يتصيّدون الفرص على الشيعة خاصة المبرزين منهم كي يلاحظوا منهم علة أو موقفاً مع الإمام عليه السلام ليكون مبرراً في الانتقام منهم. فعن ابن سنان قال: حمل هارون في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها، وكان في جملتها دراعة خزّ سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب.

فأنفذ ابن يقطين جل تلك الثياب إلى موسى بن جعفر عليه السلام، وأنفذ في جملتها تلك الدراعة، وأضاف إليها مالاً كان أعده على رسم له فيما يحمله إليه من خمس ماله. فلما أوصل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام قبل المال والثياب، وردّ الدراعة على يد الرسول إلى علي بن يقطين، وكتب إليه احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه، فارتاب علي بن يقطين بردها إليه ولم يدر ما سبب ذلك واحتفظ بالدراعة.

فلما كان بعد أيام تغير على غلام له كان يختص به فصرفه عن خدمته، وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى عليه السلام، ويقف على ما يحمله إليه في كل وقت من مال وثياب وألطف وغير ذلك. فسعى به إلى هارون، فقال: إنه يقول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام، ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة، وقد حمل إليه

الدراعة التي أكرمه بها الأمير في وقت كذا وكذا.

فاستشاط هارون لذلك وغضب غضباً شديداً، وقال: لأكشفن عن هذه الحال؛ فإن كان الأمر كما تقول أزهقت نفسه. فأنفذ في الوقت بإحضار علي بن يقطين، فلما مثل بين يديه، قال له: ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها؟.

قال: هي يا أمير عندي في سفظ مختوم فيها طيب قد احتفظت بها، وكلما أصبحت فتحت السفظ ونظرت إليها تتركاً بها وقبلتها ورددتها إلى موضعها، وكلما أمسيت صنعت مثل ذلك. فقال: أحضرها الساعة. قال: نعم يا أمير. فاستدعى بعض خدمه، فقال له: امض إلى البيت الفلاني من داري وخذ مفتاحه من خازني فافتحه، ثم افتح الصندوق الفلاني فجئني بالسفظ الذي فيه بختمه.

فلم يلبث الغلام أن جاء بالسفظ مختوماً فوضع بين يدي هارون، فأمر بكسر ختمه وفتحه، فلما فتح نظر إلى الدراعة فيها بحالها مطوية مدفونة بالطيب. فسكن هارون من غضبه ثم قال لعلي بن يقطين: ارددها إلى مكانها وانصرف راشداً، فلن أصدق عليك بعدها ساعياً. وأمر أن يتبع بجائزة سنوية، وتقدم بضرب الساعي ألف سوط، فضرب نحو الخمسمائة سوط فمات في ذلك^(٩٩١).

❖ وعن محمد بن الفضل، قال: اختلفت الرواية بين أصحابنا في مسح الرجلين في الوضوء هو من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع؟. وكتب علي بن يقطين إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن ذلك. فكتب إليه: «فهمت ما ذكرت من الاختلاف في الوضوء، والذي أمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً، وتستنشق ثلاثاً، وتخلل لحيتك، وتمسح رأسك كله وبه تمسح ظاهر أذنيك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ولا تخالف ذلك إلى غيره».

فلما وصل الكتاب إلى علي تعجب مما رسم له فيه، ثم قال: مولاي أعلم بما قال

(٩٩١) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤ مجلس في ذكر إمامة أبي الحسن موسى بن جعفر

ومناقبه عليه السلام.

وأنا ممتثل أمره. فكان يعمل في وضوئه على هذه، وسعى بعلي إلى هارون بالرفض، فقال: قد كثر القول عندي في رفضه، فامتنحه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه. فلما دخل وقت الصلاة وقف هارون وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو، فدعا بالماء وتوضأ على ما أمره الإمام عليه السلام، فلم يملك هارون نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه، ثم ناداه: كذاب يا علي من زعم أنك من الرافضة وصلحت حاله عنده.

وورد كتاب أبي الحسن عليه السلام: «ابتدئ من الآن يا علي بن يقطين وتوضأ كما أمرك الله - وذكر وصفه ثم قال - فقد زال ما كنت أخافه عليك والسلام» (٩٩٢).

الحرص على الشيعة

في ظروف عصيبة كهذه لم يهمل الإمام الكاظم عليه السلام الشيعة، وسعى جاهداً لتعليمهم وقضاء حوائجهم وتسهيل أمورهم.

يقول رجل من أهل الري: ولي علينا بعض كتّاب يحيى بن خالد، وكان عليّ بقايا يطالبني بها، وخفت من إلزامي إياها خروجاً عن نعمتي. وقيل لي: إنه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضي إليه وأمت به إليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أحب، فاجتمع رأيي على أني هربت إلى الله تعالى وحججت، ولقيت مولاي الصابر - يعني موسى بن جعفر عليه السلام - فشكوت حالي إليه فأصحبني مكتوباً نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أنّ الله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً، وهذا أخوك والسلام».

قال: فعدت من الحج إلى بلدي، ومضيت إلى الرجل ليلاً واستأذنت عليه وقلت: رسول الصابر عليه السلام. فخرج إليّ حافياً ماشياً ففتح لي بابه، وقبلني وضممني إليه،

(٩٩٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ فصل في إنبائه عليه السلام بالمغيبات.

وجعل يقبل عيني، ويكرر ذلك كلما سألني عن رؤيته عليه السلام، وكلما أخبرته بسلامته وصلاح أحواله استبشر وشكر الله تعالى، ثم أدخلني داره وصدرني في مجلسه وجلس بين يدي. فأخرجت إليه كتابه عليه السلام فقبله قائماً وقرأه، ثم استدعى بماله وثيابه فقامني ديناراً ديناراً ودرهماً درهماً وثنوباً ثوباً، وأعطاني قيمة ما لم يكن قسمته، وفي كل شيء من ذلك يقول: يا أخي هل سررتك؟.

فأقول: إي والله زدت على السرور.

ثم استدعى العمل فأسقط ما كان باسمي، وأعطاني براءة مما يوجبه عليّ عنه وودعته وانصرفت عنه. فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلا بأن أحج في قابل وأدعو له، وألقى الصابر عليه السلام واعرفه فعله. ففعلت ولقيت مولاي الصابر عليه السلام وجعلت أحدثه ووجهه يتهلل فرحاً. فقلت: يا مولاي هل سررتك ذلك؟.

فقال: «إي والله لقد سررتني وسر أمير المؤمنين عليه السلام، والله لقد سررتني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله لقد سررت الله تعالى» (٩٩٣).

علماً بأن الإمام الكاظم عليه السلام هو الذي لام صفوان الجمال على كرائه الجمال لهارون؛ لأنه يرجو حياة هارون حتى يرجع ويدفع الأجرة له.

وقد جوّز عليه السلام لعلي بن يقطين - وهو من أخص صحابته - الدخول في بلاط هارون لقضاء حوائج المواليين، ولما يستأذنه ابن يقطين في الاستقالة من حكومة هارون ينهيه ويقول له: «لا تفعل فإنّ لنا بك أنساً، وإخوانك بك عزاً، وعسى الله أن يجبر بك كسيراً، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه. يا علي، كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم، أضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثة: أضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلاّ قضيت حاجته وأكرمته، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً، ولا ينالك حد السيف أبداً، ولا يدخل الفقر إلى بيتك أبداً. يا علي، من سرّ

(٩٩٣) بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ١٧٤ ب ٧ ح ١٦، البحار: ج ٧١ ص ٣١٣ - ٣١٤ ب ٢٠ ضمن ح ٦٩.

مؤمناً فبالله بدأ وبالنبي ﷺ ثنى وبنا ثلث» (٩٩٤).

وبلغ به الأمر أنه لا يستقبل علي بن يقطين الذي قطع مشقة السفر وقصده؛ لكونه لم يستقبل إبراهيم الجمال ممن قصده في حاجة ما. يقول محمد بن علي الصوفي: استأذن إبراهيم الجمال على أبي الحسن علي بن يقطين الوزير فحجبه. فحج علي بن يقطين في تلك السنة، فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى بن جعفر عليه السلام فحجبه. فرآه ثاني يومه، فقال علي بن يقطين: يا سيدي ما ذنبي؟!.

فقال: «حجبتك؛ لأنك حجت أخاك إبراهيم الجمال، وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمال».

فقلت: سيدي ومولاي من لي بإبراهيم الجمال في هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة!.

فقال: «إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلمانك، واركب نجيباً» (٩٩٥) هناك مسرجاً. قال: فوافى البقيع وركب النجيب، ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفة. ففرع الباب وقال: أنا علي بن يقطين. فقال إبراهيم الجمال من داخل الدار: ما يعمل علي بن يقطين الوزير ببابي؟!.

فقال علي بن يقطين: يا هذا إن أمري عظيم وآلى عليه الإذن له. فلما دخل قال: يا إبراهيم، إن المولى عليه السلام أبى أن يقبلني أو تغفر لي. فقال: يغفر الله لك. فألى علي بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطاء خده، فامتنع إبراهيم من ذلك، فألى عليه ثانياً ففعل. فلم يزل إبراهيم يطاء خده وعلي بن يقطين يقول: اللهم اشهد. ثم انصرف وركب النجيب وأناخه من ليلته باب المولى موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة فأذن له

(٩٩٤) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٧٩ ب ٨٢ ح ٤٣.

(٩٩٥) أي الجمل المسن.

ودخل عليه فقبله^(٩٩٦).

وعد للموالين

تظافت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام على أنهم عليهم السلام يحضرون شيعتهم في الشدائد، ومنها وقت الاحتضار لما تبلغ الروح الترقوة، وهي أشد اللحظات على الإنسان. فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا، إلا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهم السلام فيروونه ويبشرونه، وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوؤه»^(٩٩٧).

وعن عبد الحميد بن عواض، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا بلغت نفس أحدكم هذه قيل له: أمّا ما كنت تحذر من همّ الدنيا وحزنها فقد أمنت منه، ويقال له: رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام أمّامك»^(٩٩٨).

وعن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال: «ما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقر به عينه إلا أن تبلغ نفسه هذا - وأوماً بيده إلى الوريد إلى أن قال - يراهما والله». قلت: من هما؟ قال: «ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام. يا بن عمبة، لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى تراهما»، ثم ذكر كلاماً يكلمانه به^(٩٩٩).

وقد وعد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بحضور جناز الشيعّة في أي بلد كانوا، في قضية العجوز الموالية شطيطة التي بعثت للإمام عليه السلام درهماً وشقّة خام من غزل يدها تساوي أربعة دراهم. فقبلها الإمام عليه السلام وأبلغها السلام كثيراً، وقال عليه السلام: «قل

^(٩٩٦) عيون المعجزات: ص ٩٠ - ٩١ تعاليم فيضيها الكاظم عليه السلام على ابن يقطين.

^(٩٩٧) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٥ ب ٦٨ ح ٣٦٩.

^(٩٩٨) الكافي: ج ٣ ص ١٣٤ باب ما يعاين المؤمن والكافر ح ١٠.

^(٩٩٩) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج ١ ص ٣١٨ ب ٦٨ ح ٣٧٧.

لها: قد جعلت شقتك في أكفاني، وبعثت إليك بهذه من أكفاننا من قطن قريتنا صريا^(١٠٠٠) قرية فاطمة عليها السلام، وبذر قطن كانت تزرعه بيدها الشريفة لأكفان ولدها، وغزل أختي حكيمة بنت أبي عبد الله عليه السلام وقصارة يده لكفنه، فاجعلها في كفك».

ثم إنه عليه السلام بعث إليها بأربعين درهماً، وأخبرها بأنها ستعيش تسع عشرة ليلة من وصول الكفن والدرهم إليها، وأمرها أن تنفق ستة عشر درهماً، وتدخر أربعة وعشرين كصدقة عنها، ووعد أنه يتولى الصلاة عليها.

يقول أبو علي: أقامت شطيطة تسعة عشر يوماً وماتت رحمها الله، فتزاحمت الشيعة على الصلاة عليها. فرأيت أبا الحسن عليه السلام على نحيب، فنزل عنه وأخذ بخطامه، ووقف يصلي عليها مع القوم، وحضر نزولها إلى قبرها، ونثر في قبرها من تراب قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فلما فرغ من أمرها ركب البعير وألوى برأسه نحو البرية، وقال: «عرّف أصحابك واقراءهم عني السلام، وقل لهم: إنني ومن جرى مجراي من أهل البيت لا بد لنا من حضور جنازتك في أي بلد كنتم، فاتقوا الله في أنفسكم وأحسنوا الأعمال لتعينونا على خلاصكم، وفك رقابكم من النار»^(١٠٠١).

في سجن هارون

لم يهدأ هارون العباسي بال والإمام موسى بن جعفر عليه السلام يمارس دوره الرباني في توعية الأمة وإرشاد العباد، وكان هارون يحمل الحقد ضد الإمام عليه السلام. فعمد إلى حيلة يستولي من خلالها على الإمام عليه السلام، فإنه لم يكن من السهل على هارون قتل الإمام عليه السلام من دون أن يمهد لذلك بجيل والأعيب شيطانية توصله إلى ذلك، لذا فقد أثار سجن الإمام عليه السلام أولاً، ومن ثم يدبر لقتله مكيدةً.

(١٠٠٠): صريا: موضع بقرب المدينة.

(١٠٠١): الثاقب في المناقب: ص ٤٣٩ - ٤٤٦ ف ٤ ح ٣٧٦.

فخطط هارون عبر يحيى البرمكي لكي يهيا بعض الناس ويغلق عليهم الأموال؛ لكي يتهموا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بأنه يخطط ضد الحكومة، ويجمع الأموال والرجال والسلاح للإطاحة بحكم هارون. فجاء البعض ووشى بالإمام عليه السلام عند هارون.

أما ما نسبوه إلى ابن أخ الإمام محمد بن إسماعيل من الوشاية وما أشبه فهو غير صحيح ومن مفتريات بني العباس.

خداع الناس

من سنن الحج الذهاب للمدينة المنورة وزيارة قبر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله امتثالاً لقوله صلى الله عليه وآله: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»^(١٠٠٢). لذا فإن قبر النبي صلى الله عليه وآله يعتبر مجمعاً للمسلمين يقصدونه من كل حذب وصوب.

بل كانت سيرة المسلمين إذا كان لديهم نبأ عظيم أو خطب جسيم أن يجتمعوا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله ويشيعوا الخبر، لذا جمع بشر بن حذلم المسلمين عند قبر النبي صلى الله عليه وآله لما أورد إخبارهم بشهادة الإمام الحسين عليه السلام ورجوع قافلة الأسارى إلى المدينة. من هنا عمد هارون العباسي إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله بحجة الاعتذار منه لعزمه على اعتقال وسجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ولكن في الليل حيث تخف الزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وآله ومن خلال إعداد خطة مدروسة ينقل فيها الإمام عليه السلام إلى بغداد.

ففي التاريخ لما صار الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على عادته إلى المسجد، أقام هارون إلى الليل فقصده قبر رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: يا رسول الله، إنني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر؛ فإنه يريد التشتيت بين أمتك وسفك دمائها!!

ثم أمر به فأخذ من المسجد وقد قطعوا عليه صلاته، فأدخل عليه فقيده،

(١٠٠٢) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ١٨١ ب ٢ ح ١١٧٩٦.

واستدعى قبتين فجعله في إحداهما على بغل، وجعل القبة الأخرى على بغل آخر، والقبتان مستورتان، ومع كل واحدة منهما خيل، فمضى بعضها مع إحدى القبتين على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة، وذلك ليعمى على الناس الأمر، وأمر من وكل على أبي الحسن أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور وكان على البصرة حينئذ، فسلم إليه وحبس عنده سنة كاملة^(١٠٠٣).

ويظهر من ذلك مدى خشية هارون واضطرابه، فمن جانب يدعي أن الإمام عليه السلام يريد تشتيت الأمة وسفك الدماء، ومن جانب آخر يقبض عليه خفية ويرسله عن طريق البصرة مغطى، فهو يعرف جيداً أن الأمة لن تقبل هذا العذر الواهي لاعتقال الإمام عليه السلام. فقصد قبر النبي ﷺ ليلاً حيث يقل الزوار واصطنع هذه الأعدار الواهية وقاد الإمام عليه السلام خفية ليلاً كي لا تثور المدينة ضده وتضطرب الأمور عليه.

غريب السجون

قضى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أكثر من عشر سنوات في سجون هارون، يُنقل فيها من سجن إلى سجن، ومن تلك السجون:

١. سجن عيسى بن جعفر:

وهو حفيد المنصور الدوانيقي، وقد بقي الإمام الكاظم عليه السلام في سجنه سنة كاملة إلى أن كتب عيسى إلى هارون جاء فيه: (قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه المدة، فما وجدته يفتقر عن العبادة، ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا علي ولا ذكرنا في دعائه بسوء، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة، فإن أنت أنفذت إلي من

(١٠٠٣) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢١٩ فصل في ذكر وفاته عليه السلام.

يتسلّمه منّي وإلا خلّيت سبيله فإنني متحرّج من حبسه) (١٠٠٤).

٢. سجن الفضل بن ربيع:

لما استلم هارون كتاب عيسى بن جعفر وجّه من يتسلّم الإمام عليه السلام منه ويسير به إلى بغداد، فسلمه عليه السلام إلى الفضل بن ربيع، وبقي الإمام عليه السلام في سجنه مدة طويلة حتى طلب هارون منه أن يتخلّص من الإمام ويقتله فأبى.

٣. سجن الفضل بن يحيى:

ثم بعث هارون إلى الفضل بن ربيع أن يسلم الإمام عليه السلام إلى الفضل بن يحيى، وأمره بالتضييق عليه وجعله في بعض حجر داره وجعل الرصد عليه.

وبعد فترة لما رأى الفضل ما عليه الإمام عليه السلام من الانشغال بالعبادة وسّع عليه وأكرمه، فبلغ ذلك هارون وهو بالرقّة فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى عليه السلام فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامتثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد.

فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى فوجده على ما بلغ هارون، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك، فأوصل الكتابين إليهما.

فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل على العباس فدعا العباس بالسياط وعقابين، فوجه بذلك إليه السندي، فأمر بالفضل فجرد ثم ضربه مائة سوط.

وخرج متغيّر اللون بخلاف ما دخل، فذهبت قوته فجعل يسلم على الناس يميناً

(١٠٠٤) الإرشاد: ج ٢ ص ٢٤٠ باب ذكر السبب في وفاته وطرف من الخبر في ذلك.

وشمالاً. وكتب مسرور بالخبر إلى هارون، فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك، وجلس الرشيد مجلساً حافلاً وقال: أيها الناس، إنَّ الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه فالعنوه. فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار بلعنه^(١٠٠٥).

٤. سجن السندي بن شاهك:

كان السندي بن شاهك من أشد الناس بغضاً للإمام الكاظم عليه السلام، وقد بالغ في تعذيب الإمام وأذيته، وقد ورد في زيارة الإمام الكاظم عليه السلام:

«وصل على موسى بن جعفر... المعذب في قعر السجون، وظلم المطامير، ذي الساق المرضوض بملق القيود، والجنابة المنادى عليها بذل الاستخفاف، والوارد على جدّه المصطفى، وأبيه المرتضى، وأمّه سيدة النساء، يارث مغصوب وولاء مسلوب، ودم مطلوب وسم مشروب»^(١٠٠٦).

وفي بعض التواريخ أنّ هارون أمر السندي بن شاهك أن يجعل لموسى عليه السلام محبساً في داره ويجوله إليه، ويقيد بثلاثة قيود من ثلاثة أرتال حديد، ويلزمه إبقاءه ويطبق عليه، ويغلق الباب في وجهه إلاّ وقت الطعام ووضوء الصلاة^(١٠٠٧).
وقد شهد سجن السندي بن شاهك أمور عديدة منها:

جارية تهدي وتوب

أنفذ هارون العباسي إلى الإمام عليه السلام في السجن جارية خصيفة^(١٠٠٨) لها جمال ووضاءة؛ عسى أن يميل الإمام إليها. فقال الإمام عليه السلام للسجان: «قل لهارون: ﴿بَلْ أَنْتُمْ

^(١٠٠٥) مقاتل الطالبين: ص ٣٣٥ ذكر السبب في أخذه وحبسه.

^(١٠٠٦) مصباح الزائر: ص ٣٨٢.

^(١٠٠٧) انظر الهداية الكبرى: ص ٢٦٥ ب ٩.

^(١٠٠٨) الخفيف: كل لونيّين اجتماعاً، ولعل المراد أنها إشارة لجمال الجارية.

بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿١٠٠٩﴾، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها».

قال: فاستطار هارون غضباً وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك خدمناك، واترك الجارية عنده وانصرف.

قال: فمضى ورجع. ثم قام هارون عن مجلسه، وأنفذ الخادم إليه ليتفحص عن حالها، فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول: قدوس سبحانك سبحانك.

فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره، عليّ بها. فأُتِيَ بها وهي ترتعد شاخصة نحو السماء بصرها. فقال: ما شأنك؟!.

قالت: شأنِي الشَّانُ البديع، إني كنت عنده واقفة وهو قائم يصلي ليله ونهاره. فلما انصرف من صلاته بوجهه وهو يسبح الله ويقدهسه، قلت: يا سيدي هل لك حاجة أعطيكها؟.

قال: «وما حاجتي إليك».

قلت: إني أدخلت عليك لحوائجك.

قال: «فما بال هؤلاء!».

قالت: فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج، وعليها وصفاء ووصايف لم أر مثل وجوهم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر والأكاليل والدر والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل ومن كل الطعام. فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم فرأيت نفسي حيث كنت.

قال: فقال هارون: يا خبيثة، لعلك سجدت فتمت فرأيت هذا في منامك.

قالت: لا والله يا سيدي إلا قبل سجودي رأيت فسجدت من أجل ذلك.

فقال هارون: اقبض هذه الخبيثة إليك فلا يسمع هذا منها أحد.

(١٠٠٩) سورة النمل: ٣٦.

فأقبلت في الصلاة فإذا قيل لها في ذلك، قالت: هكذا رأيت العبد الصالح. فسئلت عن قولها قالت: إني لما عاينت من الأمر ناديتي الجوارى يا فلانة ابعدي عن العبد الصالح حتى ندخل عليه فنحن له دونك. فما زالت كذلك حتى ماتت، وذلك قبل موت موسى بأيام يسيرة^(١٠١٠).

طلب الإقرار بالإساءة!

دعا هارون يحيى بن خالد البرمكي، وسأله تدبيراً في شأن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. فقال: الذي أراه لك أن تمن عليه، وتصل رحمه، وتتظاهر بحبه والإحسان إليه.

فقال هارون: انطلق إليه وأطلق عنه الحديد وأبلغه عني السلام، وقل له: يقول لك ابن عمك أنه قد سبق مني فيك يمين أن لا أخليك حتى تقر لي بالإساءة وتسألني العفو عما سلف منك، وليس عليك في إقرارك عار ولا في مسألتك إياي منقصة، وهذا يحيى وهو ثقتي ووزيرى فله بقدر ما أخرج من يميني وانصرف راشداً.

فقال عليه السلام: «يا أبا علي، أنا ميت وإنما بقي من أجلي أسبوع، اكنم موتي وأتيني يوم الجمعة وصل أنت وأوليائي عليّ فراخى، وانظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة وعاد إلى العراق لا يراك ولا تراه، واحتل لنفسك فأني رأيت في نجمك ونجم ولدك ونجمه أنه يأتي عليكم فاحذروه - ثم قال له - يا أبا علي، أبلغه عني: يقول موسى بن جعفر: رسولي يأتيك يوم الجمعة ويخبرك بما يرى، وستعلم غداً إذا جايتك بين يدي الله من الظالم والمتعدي على صاحبه».

فلما أخبره بجوابه قال له هارون: إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا، فلما كان يوم الجمعة توفي عليه السلام^(١٠١١) مسموماً شهيداً بسم بعثه هارون إليه.

(١٠١٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ فصل في خرق العادات له عليه السلام.

(١٠١١) الغيبة: ص ٢٥ - ٢٦ الكلام على الواقعة.

دار يخسر فيها المبطلون

روي أن السندي بن شاهك قال: وافى خادم من قبل هارون إلى أبي الحسن عليه السلام وهو محبوس عندي، فدخلت معه وقد كان قال له: تعرّف خبره. فوقف الخادم، فقال: «ما لك؟».

قال: بعثني الخليفة لأعرّفه خبرك.

فقال عليه السلام: «قل له: يا هارون، ما من يوم ضراء انقضى عني إلا انقضى عنك من السراء مثله، حتى نجتمع أنا وأنت في دار يخسر فيها المبطلون»^(١٠١٢).

استشهاد الإمام عليه السلام

لم يقنع هارون بسجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والتضييق عليه وتعذيبه حتى فكر في قتله، فأرسل إلى السندي بن شاهك أن يقتل الإمام عليه السلام بسم يجعله في الرطب. وفي الخبر أن السندي بن شاهك بعد أن دسّ السم في الرطب وأجبر الإمام عليه السلام على الأكل منه، فأكل الإمام عليه السلام عشر رطبات. قال له السندي: تزداد؟.

فقال عليه السلام له: «حسبك قد بلغت ما تحتاج إليه فيما أمرت به».

ثم إن السندي أحضر القضاة والعدول قبل وفاة الإمام عليه السلام بأيام وأخرجه إليهم، وقال: إنّ الناس يقولون: إنّ أبا الحسن موسى في ضنك وضر، وها هو ذا لا علة به ولا مرض ولا ضرر.

فالتفت الإمام عليه السلام إلى الحضور فقال لهم: اشهدوا علي أنني مقتول بالسم منذ ثلاثة أيام، اشهدوا أنني صحيح الظاهر ولكني مسموم، وسأحمر في آخر هذا اليوم حمرة، فمضى عليه السلام كما قال في آخر اليوم الثالث في سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة، وافتضح هارون وجلالته، بقتل الإمام عليه السلام^(١٠١٣).

(١٠١٢) الدرر النظيم: ص ٦٥٤ فصل في ذكر أخبار موسى عليه السلام.

(١٠١٣) انظر عيون المعجزات: ص ٩٥.

هكذا توفي الإمام عليه السلام مظلوماً مسموماً شهيداً، وقام بتجهيزه وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه الإمام الرضا (صلوات الله عليه).

قال النوبختي: ويقال في رواية: إنه عليه السلام دفن بقيوده وأنه أوصى بذلك^(١٠١٤)، وفي الخبر أنه عليه السلام كان مقيداً في سجن السندي بثلاثين رطلاً من الحديد.

وروي أنّ بعض المخلصين من الإمامية جاء والناس مجتمعون وكذلك بعض أنصار هارون وهم يقولون: مات بغير قتل. فقال: أنا أستخبر منه بماذا مات. فقالوا: إنه ميّت فكيف يخبرك!.

فدنا من الإمام عليه السلام وقال: يا بن رسول الله، أنت صادق وأبوك صادق، فأخبرنا أ مضيت موتاً أم قتلاً؟.

فنطق عليه السلام وقال: «قتلاً، قتلاً، قتلاً»^(١٠١٥).

التشيع المهيّب

عندما استشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على يد هارون وبتنفيذ من السندي بن شاهك، حمل على نعش ونودي عليه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه. ولما أتى به مجلس الشرطة أقام أربعة نفر فنادوا: أ لا من أراد أن يرى الخبيث بن الخبيث فليخرج.

عند ذلك لم يتحمل الناس هذه الظلامة، فخاف هارون من الثورة ضده، فأمر سليمان بن أبي جعفر - وهو من جلاوزة هارون - أن يتدارك الوضع، ويقوم باحترام جثمان الإمام عليه السلام.

فقال سليمان لغلمانه: خذوا جثمان الإمام عليه السلام من أيديهم، فإن مانعوكم

(١٠١٤) مذاهب الفرق: ص ٤١٧.

(١٠١٥) إثبات الهداة: ج ٥ ص ٥١٧.

فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد. فنزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم، وضربوهم وخرقوا عليهم من سوادهم، ووضعوه في مفرق أربعة طرق وأقام المنادي ينادى: أ لا ومن أراد أن يرى الطيب بن الطيب موسى بن جعفر عليه السلام فليخرج. وحضر الخلق وُعُسلَّ وحُنطَ بحنوط فاخر، وكفنَّ بكفن فيه حبره استعملت بألفين وخمس مائه دينار عليها القرآن كله، واحتفى ومشى في جنازته متسلباً^(١٠١٦) مشقوق الجيب إلى مقابر قريش إلى أن دُفن الإمام عليه السلام فيها^(١٠١٧).
وقد مر أن النبي قام بتجهيز الإمام عليه السلام وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه هو الإمام علي بن موسى الرضا (صلوات الله عليه).

أولاد الإمام عليه السلام

خلف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - حسب بعض الأقوال - سبعة وثلاثين ولداً ذكوراً وإناثاً، وهم:

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، إبراهيم، العباس، القاسم، إسماعيل، جعفر، هارون، الحسين، أحمد، محمد، حمزة، عبد الله، إسحاق، عبيد الله، زيد، الحسين، الفضل، سليمان، الحسن، فاطمة الكبرى، فاطمة الصغرى، رقية، حكيمة، أم أبيها، رقية الصغرى، أم جعفر، لبابة، زينب، خديجة، عليّة، آمنة، حسنة، بريهة، عباسية، أم سلمة، ميمونة، أم كلثوم.

وهذه إشارة إلى ترجمة بعضهم:

١. إبراهيم: وكان شجاعاً كريماً، روى الحديث عن آبائه عليهم السلام، وقد تقلد الإمرة على اليمن أيام المأمون العباسي من قبل زيد الشهيد الذي بايعه السرايا بالكوفة، ومضى إليها ففتحها وأقام بها مدة إلى أن قُتل أبو السرايا، فأخذ الإمام الرضا عليه السلام

^(١٠١٦) أي خلع ثياب الزينة ولبس أثواب المصيبة.

^(١٠١٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ ب ٨ ح ٥.

له الأمان من المأمون.

توفي رحمته الله مسموماً في بغداد سنة ٢١٣ هـ وقبره بمقابر قريش عند أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

٢. القاسم: وأمّه السيدة نجمة والدة الإمام الرضا عليه السلام والدة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وكان الإمام الكاظم عليه السلام يحبه حباً جماً، وقد فرّ من يثرب خائفاً إلى سوري^(١٠١٨) فمات مسموماً بها ودفن فيها، وذكر السيد ابن طاووس زيارة له في مصباح الزائرین.

٣. أحمد: المعروف بـ (شاه جراغ) في مدينة شيراز بإيران، وكانت أمّه أمّ ولد تدعى أمّ أحمد، وللإمام موسى بن جعفر عليه السلام علاقة وعناية خاصة بها. فلما توجه إلى بغداد أودعها موارد الإمامة، وقال لها: «كل من جاءك وطلب منك هذه الأمانة في أي وقت من الأوقات فاعلمي بأنني قد استشهدت وأنه هو الخليفة من بعدي، والإمام المفترض الطاعة عليك وعلى سائر الناس». وقد أمر عليه السلام الإمام الرضا عليه السلام بحفظ الدار.

ولما سمّه هارون جاءها الإمام الرضا عليه السلام وطالبها بالأمانة، فقالت له: لقد استشهد أبوك؟! فقال عليه السلام: «بلى». فشقت جيبها وردّت عليه الأمانة وبياعته بالإمامة^(١٠١٩).

وكان الناس يظنون أنّ الشاه أحمد هو الإمام من بعد أبيه فبايعوه، فأخذ منهم البيعة ثم صعد المنبر وخطبهم خطبة بليغة قال فيها: أيها الناس، كما أنكم جميعاً في

^(١٠١٨) سوري: كبشري، موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السريانيين، وهي قريبة من الوقف والحلّة المزديّة. راجع معجم البلدان: ج ٥ ص ١٦٨. وتعرف الآن بمدينة القاسم، وهي ناحية تابعة إلى قضاء الهاشمية من توابع محافظة الحلة (بابل)، فيها مرقد الشريف حيث يقصده الزوار من كل مكان للزيارة والدعاء بقضاء الحوائج.

^(١٠١٩) راجع بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ٣٠٧- ٣٠٨ ب ١٢ فيما يتعلق بأحوال أولاده عليه السلام.

بيعتي فإني في بيعة أخي علي بن موسى الرضا عليه السلام. اعلموا أنه الإمام والخليفة من بعد أبي وهو ولي الله، والفرض عليّ وعليكم من الله والرسول ﷺ طاعته بكل ما يأمرنا (١٠٢٠).

توفي مسموماً في شيراز أيام المأمون العباسي، وقبره معروف فيها ذكره ابن بطوطة فقال: فمنها مشهد أحمد بن موسى أخي الإمام الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو مشهد معظم عند أهل شيراز، يتبركون به، ويتوسلون إلى الله بفضل له (١٠٢١).

٤. الحسين: ويلقب بالسيد علاء الدين، وقد مدحه الإمام الجواد عليه السلام لما سئل: أي عمومتك أبرّ بك؟ فقال عليه السلام: «الحسين».

فقال الإمام الرضا عليه السلام: «صدق والله، هو والله أبرّهم به وأخيرهم». فكان موضع رضا أخيه الإمام الرضا عليه السلام (١٠٢٢). وقد روى عن أبيه الإمام الكاظم وأخيه الرضا وابن أخيه الجواد وعميه محمد بن جعفر وعلي بن جعفر ووالدته وأخته أم أحمد بنت موسى (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

استشهد بشيراز حيث طارده العباسيون وعثروا عليه مختفياً في بستان فقتلوه فيه وهو موضع مرقده اليوم في حي باغ قتلغ.

٥. زيد: وهو الخارج بالبصرة أيام الأمين والمأمون، ولما دخلها وغلب عليها، حاربه الحسن بن سهل فظفر به، وأرسله إلى مرو مقيداً، فأرسله المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام، ووهبه له ثم قتله بالسم.

قال أبو نصر البخاري: سأل الرضا عليه السلام في أمره. فعفا عنه المأمون ثم سقاه

(١٠٢٠) بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ٣٠٨ ب ١٢ فيما يتعلق بأحوال أولاده عليه السلام.

(١٠٢١) راجع مرائد المعارف: ج ٢ ص ٧٤.

(١٠٢٢) قرب الإسناد: ص ١٦٧ الجزء الثالث من قرب الإسناد عن الرضا عليه السلام.

السم وقتله، وقبره بمرو (١٠٢٣).

٦. إسماعيل: قال النجاشي: سكن مصر وولده بها، وله كتب يرويها عن أبيه عن آبائه عليهم السلام، منها: كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب الجنائز، كتاب الطلاق، كتاب النكاح، كتاب الحدود، كتاب الدعاء، كتاب السنن والآداب، كتاب الرؤيا، ومن أهم مصنفاته كتاب الجعفریات المعروف بالأشعشيات (١٠٢٤).

وقد أمره الإمام الجواد عليه السلام بالصلاة على صفوان بن يحيى الرواي الشهير، وهي تدل على عظم شأنه ومكانته.

٧. عبد الله: ويعرف بـ (العوكلاني) ويقال لولده: العوكلانية، وقد حدث عنه علي بن إبراهيم، وعده الشيخ الطوسي رحمته الله من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام (١٠٢٥).

٨. حمزة: وكان عالماً فاضلاً سافر مع الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان ثم استشهد في الري أيام المأمون، ومرقه في الري متصل برواق مرقد السيد عبد العظيم الحسيني. وكما في رواية النجاشي: كان عبد العظيم عليه السلام ورد الري هارباً من السلطان وسكن سرباً في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي، وكان يعبد الله في ذلك السرب ويصوم نهاره ويقوم ليله، وكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل قبره وبينهما الطريق ويقول: هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام (١٠٢٦).

٩. إسحاق: وبلقب بالأمين والأمير، وقد عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب

(١٠٢٣) سر السلسلة العلوية: ص ٣٧ أولاد الإمام أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

(١٠٢٤) رجال النجاشي: ص ٢٦ ترجمة رقم ٤٨ إسماعيل بن موسى بن جعفر.

(١٠٢٥) رجال الطوسي: ص ٣٣٩ و ٣٥٩ برقم ٥٠٤٣ و ٥٣١٥.

(١٠٢٦) رجال النجاشي: ص ٢٤٨ رقم ٦٥٣.

الإمام الرضا عليه السلام (١٠٢٧).

وقد روى عن أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وأخيه الإمام الرضا عليه السلام، وعمه علي بن جعفر عليه السلام.
توفي مسوماً بالمدينة سنة (٢٤٠) ودفن بها.

١٠. محمد: المعروف بالعباد ويكنى بأبي إبراهيم، وقد نقل الشيخ المفيد رحمته الله في حاله قائلاً:

أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى، قال: حدثني جدي، قال: حدثني هاشمية مولاة رقية بنت موسى، قالت: كان محمد بن موسى صاحب وضوء وصلاة، وكان ليله كله يتوضأ يصلي فنسمع سكب الماء والوضوء ثم يصلي ليلاً ثم يهدأ ساعة فيرقد، ويقوم فنسمع سكب الماء والوضوء ثم يصلي ثم يرقد سويعة ثم يقوم فنسمع سكب الماء والوضوء، ثم يصلي فلا يزال ليله كذلك حتى يصبح، وما رأته قط إلا ذكرت قول الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١٠٢٨)، (١٠٢٩).
وكان إبراهيم بن موسى سخيّاً شجاعاً كريماً، وتقلد الإمرة على اليمن في أيام المأمون.

ولا يخفى أن أولاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قد قتلهم المأمون العباسي أو غيره من العباسيين إما بالسم وإما بالسيف، وهكذا الكثير من ذراري الأئمة عليهم السلام.
أما أولاده عليهم السلام من الإناث، فمنهن السيدة الجليلة فاطمة المعصومة عليها السلام التي تشرفنا بشرف جوارها، وقد أشرنا إلى بعض أحوالها في كتاب (قم المقدسة رائدة الحضارة).

(١٠٢٧) رجال الشيخ الطوسي: ص ٣٥٢ برقم ٥٢١٩.

(١٠٢٨) سورة الذاريات: ١٧.

(١٠٢٩) راجع الإرشاد: ج ٢ ص ٢٤٥ باب عدد أولاده وطرف من أخبارهم.

ومن بناته أيضاً فاطمة الصغرى وقبرها في (بادكوبه) وسط مسجد قديم.
وهناك مرقدان منسوبان لها أحدهما في مدينة رشت بإيران والآخر في مدينة
أصفهان شيده فتحعلي شاه قاجار.

وربما تكون هذه المراقد لبعض حفدتها.

ومن بناته أيضاً السيدة حكيمة التي أمرها الإمام الرضا عليه السلام أن تحضر الخيزران
أمّ الإمام الجواد عليه السلام، تقول السيدة حكيمة: لما حضرت ولادة الخيزران أمّ أبي جعفر
عليه السلام دعاني الرضا عليه السلام فقال لي: «يا حكيمة احضري ولادتها وادخلي وإياها
والقابلة بيتاً. ووضع لنا مصباحاً وأغلق الباب علينا، فلما أخذها الطلق طفئ
المصباح وبين يديها طست فاغتمت بانطفاء المصباح. فبينما نحن كذلك إذ بدر أبو
جعفر عليه السلام في الطست وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتى أضاء
البيت فأبصرناه، فأخذته فوضعت في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء. فجاء الرضا
عليه السلام ففتح الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه فوضعه في المهد وقال لي: «يا حكيمة،
ألزمني مهده».

قالت: فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم نظر يمينه ويساره ثم
قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله». فقامت ذعرة فزعة فأتيت
أبا الحسن عليه السلام فقلت له: لقد سمعت من هذا الصبي عجباً! فقال: «وما ذلك؟». فآخبرته الخبر.
فقال: «يا حكيمة، ما ترون من عجائبه أكثر»^(١٠٣٠).

حكّام عصره عليه السلام

عاصر الإمام الكاظم عليه السلام أكثر من حاكم ظالم من طغاة بني العباس كان منهم:
❖ ١. المنصور الدوانيقي: وقد مضى بعض الكلام عنه.

(١٠٣٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٩٤ فصل في آياته عليه السلام.

❖ ٢. محمد المهدي بن المنصور: الذي تسلّم الخلافة بعد أبيه المنصور وتظاهر في بادئ الأمر بالصلاح حتى قيل: إنه أمر بردّ جميع الأموال التي صادرها أبوه المنصور إلى أصحابها، وكما عن المسعودي: أنّ مجموع الأموال التي غضبها المنصور من الناس ناهز الستمئة درهم وأربعة عشر مليون دينار فضلاً عمّا جبهه من الضرائب والخراج من المزارعين^(١٠٣١).

وكان المهدي كما وصفه الذهبي: كغيره من عموم الخلائف والملوك، له ما لهم وعليه ما عليهم، كان منهمكاً في اللذات واللهو والعبيد^(١٠٣٢)، وكان مغرماً بمجالسة الندماء، ولما حدّوره من ذلك، قال: إنما اللذة في مشاهدتهم^(١٠٣٣).

وقد بالغ المهدي في مضايقة الشيعة والبغض لأمر المؤمنين ﷺ حتى قيل: ولما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي المرزوي الوفاة أوصى إلى المهدي فكتب: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾^(١٠٣٤) الآية، ثم كتب والقاسم يشهد بذلك، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن علي بن أبي طالب وصي رسول الله ووارث الإمامة من بعده. فعرضت الوصية على المهدي بعد موته، فلما بلغ إلى هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها^(١٠٣٥).

وفي الخبر عن علي بن يقطين، قال: سألت المهدي أبا الحسن ﷺ عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عزّ وجل فإنّ الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها؟.

فقال له أبو الحسن ﷺ: «بل هي محرمة في كتاب الله عزّ وجل يا أمير».

(١٠٣١) مروج الذهب: ج ٣ ص ٣١٢.

(١٠٣٢) تاريخ الإسلام: ج ١٠ ص ٤٤٤ المهدي أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور.

(١٠٣٣) تاريخ الخلفاء: ص ٢٧٧ المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور المهدي.

(١٠٣٤) سورة آل عمران: ١٨.

(١٠٣٥) الكامل في التاريخ: ج ٦ ص ٨٤ ذكر بعض سيرته.

فقال له: في أيّ موضع هي محرمة في كتاب الله جل اسمه يا أبا الحسن؟.
فقال: «قول الله عزّ وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَإِلْتِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾» (١٠٣٦).

فأمّا قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها
الفواجر للفواحش في الجاهلية، وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا بَطَّنَ﴾ يعني ما نكح من
الآباء؛ لأنّ الناس كانوا قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا كان للرجل زوجة ومات عنها
تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه فحرّم الله عزّ وجلّ ذلك.

وأمّا الإثم فإنها الخمرة بعينها، وقد قال الله عزّ وجلّ وفي موضع آخر:
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (١٠٣٧). فأمّا الإثم في
كتاب الله فهي الخمرة والميسر ﴿وَإِثْمُهَا أَكْبَرُ﴾ كما قال الله تعالى.

قال: فقال المهدي: يا علي بن يقطين، هذه والله فتوى هاشمية. قال: قلت له:
صدقت والله يا أمير الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت. قال: فو الله
ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي (١٠٣٨).

وهو الذي حبس الإمام الكاظم ﷺ وهمّ بقتله، فدعا حميد بن قحطبة نصف
الليل وقال: إنّ إخلاص أبيك وأخيك فينا أظهر من الشمس، وحالك عندي موقوف.
فقال: أفديك بالمال والنفس. فقال: هذا لسائر الناس.

قال: أفديك بالروح والمال والأهل والولد. فلم يجبه المهدي.

فقال: أفديك بالمال والنفس والأهل والولد والدين.

فقال: لله درك. فعاهده على ذلك، وأمره أن يقتل الإمام الكاظم ﷺ في السحرة

(١٠٣٦) سورة الأعراف: ٣٣.

(١٠٣٧) سورة البقرة: ٢١٩.

(١٠٣٨) الكافي: ج ٦ ص ٤٠٦ باب تحريم الخمر في الكتاب ح ١.

بغته. فنام فرأى في منامه الإمام علياً عليه السلام يشير إليه ويقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(١٠٣٩)، فانتبه مذعوراً ونهى حميداً عما أمره، وأكرم الإمام الكاظم عليه السلام ووصله^(١٠٤٠).

❖ ٣. موسى الهادي: المعروف بالغلظة وقساوة القلب والظلم والجور، وقد تقلد الخلافة ولما يبلغ من العمر الخامسة والعشرين، وكان خليعاً طائشاً يتناول المسكر ويجمع المغنين وعلى رأسهم إبراهيم الموصلي الذي كان مغرماً بغنائه ويدعوه إلى قصر الخلافة ويستمتع لغنائه ساعات طويلة ويغلق عليه الأموال الطائلة بحيث إنه أغلق عليه في أحد الأيام مائة وخمسين ألف دينار، حتى أن ابن إبراهيم قال: لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضة^(١٠٤١).

وذاث يوم غنى إبراهيم بأغنيات أطربته بشدة، فطلب منه أن يغنيها ثانية، وأمر في نهاية المجلس أحد خدمه أن يقود إبراهيم إلى خزانة بيت المال ليأخذ ما يشاء منها، حتى لو أراد أن يأخذ كل ما فيها.

يقول إبراهيم: دخلت خزانة بيت المال وأخذت ثلاثين ألف دينار فقط^(١٠٤٢). وقد بالغ الهادي في الضغط على العلويين منذ بداية خلافته، ومنعهم من حقوقهم التي كانوا يتقاضونها من بيت المال، وأحدث الرعب والخوف بينهم من خلال مطاردته المستمرة لهم، وأمر باعتقالهم في جميع الأرجاء وإحضارهم إلى بغداد^(١٠٤٣).

(١٠٣٩) سورة محمد: ٢٢.

(١٠٤٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٠٠ فصل في خرق العادات له عليه السلام.

(١٠٤١) الأغاني: ج ٥ ص ١٦٣.

(١٠٤٢) الأغاني: ج ٥ ص ١٨٥.

(١٠٤٣) تاريخ يعقوبي: ج ٣ ص ١٤٢.

❖ ٤. هارون: الذي لقب نفسه بالرشيد، وهو لقب الإمام الكاظم عليه السلام، وكان هارون يتظاهر ببعض الدين والنسك لكي يخدع الناس، والحال أنه لم يكن يختلف عن بقية الحكام العباسيين في الانحراف والفسق والفجور، حتى قال ابن كثير عنه: كان في دار الرشيد من الجوارى والحظايا وخدمهن وخدم زوجته وأخواته أربعة آلاف جارية. وإنهن حضرن يوماً بين يديه، فغنته المطربات منهن فطرب جداً، وأمر بمال فنثر عليهن، وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم في ذلك اليوم^(١٠٤٤). وقيل: إنَّ له ثلاثمائة جارية كنَّ مختصات للغناء والرقص وفي إحدى المرات طرب بشدة، فأمر أن ينثروا ثلاثة ملايين درهم على رؤوس الحاضرين في المجلس، ولما طرب مرةً أخرى أمر أن يجعلوا المطرب الذي أطربه حاكماً على مصر!^(١٠٤٦).

وفي بعض مجالسه وكان إبراهيم الموصلي يغني له، فأخذ الطرب وقال: يا آدم أبا البشر، لو كنت ناظراً اليوم إلى مجلس طربنا ومن يحضره فيه لهجت شوقاً^(١٠٤٧). وقد اشترى هارون جارية بمائة ألف دينار، وأخرى بستة وثلاثين ألفاً غير أنه لم يحتفظ بالثانية إلا ليلة واحدة وأهداها في اليوم الثاني إلى أحد ندمائه^(١٠٤٨). وفي أحد الأيام خرج من قصر زبيدة زوجته ضاحكاً، فسُئل عن علة ذلك؟. فقال: كنت نائماً في قصر زبيدة فإذا بصوت السكك الذهبية يوقظني، وقالوا: لقد جيء بـ (٣٠٠) ألف سكة ذهبية خراج مصر.

فقال لي زبيدة: هب لي هذه الأموال، ففعلت وحينما هممت الخروج من

(١٠٤٤) البداية والنهاية: ج ١٠ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ وهذه ترجمته.

(١٠٤٥) تاريخ التمدن الإسلامي: ج ٥ ص ١٦٢.

(١٠٤٦) تاريخ التمدن الإسلامي: ج ٥ ص ١٧٣.

(١٠٤٧) الأغاني: ج ٥ ص ٢١٨.

(١٠٤٨) تاريخ التمدن الإسلامي: ج ٥ ص ١٦١.

القصر سمعت زبيدة تقول: ما أقل المال الذي وهبني إياه، فإني لم أجد خيراً من هارون قط (١٠٤٩).

واستأذنته أخته فاخته بنت المهدي وشقيقته في إتخاف جعفر ومهاداته، فأذن لها، وكانت قد استعدت له بلجوارى الرائعات، والقينات الفاتنات، فتهدى له كل جمعة بكرةً يفتضها، إلى ما يصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة، وأنواع الكسوة والطيب، كل ذلك بمعرفة الأمير ورأيه، فاستمرت بذلك زماناً، ومضت به أعواماً.

فلما كانت جمعة من الجمع، دخل جعفر القصر الذي استعدت به، ولم يرع جعفر إلا بفاختة ابنة المهدي في القصر، كأنها جارية من الجوارى اللاتي كن يهدين له، فأصاب منها لذته، وقضى منها حاجته، ولا علم له بذلك، فلما كان المساء، وهم بالانصراف، أعلمته بنفسها، وعرفته بأمرها، وأطلعته على شديد هواها، وإفراط محبتها له (١٠٥٠).

وقال علي بن سليمان النوفلي: غنى دحمان الأشقر الرشيد صوتاً فأطربه واستعاده مراراً. ثم قال له: احتكم. فقال: غالب والريان وهما ضيعتان بالمدينة غلتهما أربعون ألف دينار. فأمر له بهما. فقيل له: يا أمير إن هاتين الضيعتين من جلالتهما وعظم خطرهما لا يجب أن يسمح بمثلهما. فقال الرشيد: لا سبيل إلى استرداد ما أعطيت، ولكن احتالوا في شرائهما منه. فوافقوه على مائة ألف دينار فرضي بذلك وأخبروا الرشيد. فقال: ادفعوها إليه (١٠٥١).

وعن محمد بن إسماعيل بن صبيح، قال: قال الرشيد للفضل بن يحيى وهو بالرقعة: قد قدم إسماعيل بن صالح بن علي وهو صديقك وأريد أن أراه. فقال له: ويحك إن أخاه عبد الملك في حبسك وقد نهاه أن يجيئك. قال الرشيد: فإني أتعلل حتى يجيئني

(١٠٤٩) تاريخ التمدن الإسلامي: ج ٥ ص ١٦٢ - ١٦٣.

(١٠٥٠) الإمامة والسياسة: ج ٢ ص ١٧٢ اتصال فاختة أخت الرشيد بجعفر بن يحيى.

(١٠٥١) الوافي بالوفيات: ج ١٨ ص ١٠٢ ترجمة دحمان الأشقر المغني.

عائداً. فتعلّل فقال الفضل لإسماعيل: ألا تعود الأمير؟.

قال: بلى. فجاءه عائداً فأجلسه، ثم دعا بالغداء فأكل وأكل إسماعيل بين يديه. فقال له الرشيد: كأنني قد نشطت برؤيتك لشرب قدح. فشرب وسقاه، ثم أمر فأخرج جوار يغنين، وضربت ستارة وأمر بسقيه. فلما شرب أخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر إسماعيل، وجعل في عنق العود سبحة فيها عشر درات اشتراها بثلاثين ألف دينار، وقال: غن يا إسماعيل وكفر عن يمينك بثمان هذه السبحة. فاندفع يغني بشعر الوليد بن يزيد في عالية أخت عمر بن عبد العزيز^(١٠٥٢).

وبكفي في طغيانه وظلمه القصة التالية:

يقول عبيد الله البزاز النيسابوري - وكان مسناً -: كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيام. فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السفر لم أغيرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر.

فلما دخلت إليه رأيت في بيت يجري فيه الماء، فسلمت عليه وجلست، فأتي بطست وإبريق فغسل يديه، ثم أمرني فغسلت يدي. وأحضرت المائدة وذهب عني أنني صائم وأني في شهر رمضان، ثم ذكرت فأمسكت يدي. فقال لي حميد: ما لك لا تأكل؟!.

فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان، ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار. فقال: ما بي علة توجب الإفطار وإني لصحيح البدن. ثم دمعت عيناه وبكى.

فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير!؟.

(١٠٥٢) تاريخ مدينة دمشق: ج ٨ ص ٤١١ ترجمة رقم ٧٣١ إسماعيل بن صالح.

فقال: أنفذ إليَّ هارون وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب. فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتقد وسيفاً أخضر مسلولاً، وبين يديه خادم واقف. فلما قمت بين يديه رفع رأسه إليَّ فقال: كيف طاعتك لأمر المؤمنين؟.

فقلت: بالنفس والمال. فأطرق ثم أذن لي في الانصراف، فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليَّ وقال: أجب الأمير. فقلت في نفسي: إنا لله أخاف أن يكون قد عزم على قتلي، وإنه لما رأني استحيا مني. فعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إليَّ فقال: كيف طاعتك لأمر المؤمنين؟.

فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد. فتبسّم ضاحكاً، ثم أذن لي في الانصراف. فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد الرسول إليَّ فقال: أجب الأمير. فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إليَّ فقال: كيف طاعتك للأمير؟. فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين. فضحك ثم قال لي: خذ هذا السيف وامثل ما يأمرك به هذا الخادم.

قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه، وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه، فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة، ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والدوائب شيوخ وكهول وشبان مقيّدون. فقال لي: إنَّ الأمير يأمرك بقتل هؤلاء. وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، فجعل يخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر. ثم فتح باب بيت آخر، فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيّدون. فقال لي: إنَّ الأمير يأمرك بقتل هؤلاء. فجعل يخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتى أتيت على آخرهم، ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيّدون عليهم الشعور والدوائب. فقال لي: إنَّ الأمير يأمرك أن تقتل

هؤلاء أيضاً. فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر. فقال لي: تَبّاً لك يا ميشوم، أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله ﷺ، وقد قتلت من أولاده ستين نفساً، قد ولّدهم علي وفاطمة ؑ. فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني، فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورمى به في تلك البئر. فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله ﷺ فما ينفعني صومي وصلاتي، وأنا لا أشك أني مخلد في النار^(١٠٥٣).

من كلام الإمام موسى الكاظم عليه السلام

١. قال الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى»^(١٠٥٤).
٢. وقال عليه السلام: «من استوى يومه فهو مغبون، ومن كان آخر يومه خيراً فهو مغبوط، ومن كان آخر يومه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة»^(١٠٥٥).
٣. وقال عليه السلام لعلي بن يقطين: «كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان»^(١٠٥٦).
٤. وقال عليه السلام: «عونك للضعيف من أفضل الصدقة»^(١٠٥٧).
٥. وقال عليه السلام: «التودّد إلى الناس نصف العقل»^(١٠٥٨).

^(١٠٥٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٠٨ - ١١١ ب ٩ ح ١.

^(١٠٥٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٧ باب حق الجوار ح ٩.

^(١٠٥٥) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٩٤ ب ٩٥ ح ٢١٠٧٣.

^(١٠٥٦) تحف العقول: ص ٤١٠ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

^(١٠٥٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٢٦ ب ٢٥ ضمن ح ٣.

٦. وقال عليه السلام: «لو ظهرت الأجل افتضحت الآمال» (١٠٥٩).
٧. وقال عليه السلام: «المعروف غل لا يفكه إلا مكافأة أو شكر» (١٠٦٠).
٨. وقال عليه السلام: «ما تساب اثنان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل» (١٠٦١).
٩. وقال عليه السلام لهشام: «يا هشام، ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه» (١٠٦٢).
١٠. وقال عليه السلام: «اتق فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله» (١٠٦٣).
١١. وقال عليه السلام: «أحسن من الصدق قائله، وخير من الخير فاعله» (١٠٦٤).
١٢. وقال عليه السلام: «أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج» (١٠٦٥).
١٣. وقال عليه السلام: «إنّ لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً» (١٠٦٦).
١٤. وقال عليه السلام: «من دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ، كان كمن رمى بسهم بلا وتر» (١٠٦٧).
١٥. وقال عليه السلام: «فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد؛ لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته،

(١٠٥٨) الكافي: ج ٢ ص ٦٤٣ باب التحبب إلى الناس والتودد إليهم ح ٥.

(١٠٥٩) أعلام الدين: ص ٣٠٥ من كلام مولانا موسى بن جعفر عليه السلام.

(١٠٦٠) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٥٩ ب ٨ ح ١٤٢٩٠.

(١٠٦١) أعلام الدين: ص ٣٠٥ من كلام مولانا موسى بن جعفر عليه السلام.

(١٠٦٢) تحف العقول: ص ٣٩٦ وصيته عليه السلام لهشام وصفته للعقل.

(١٠٦٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٨ ب ٢٠ ح ١٥٥٨٠.

(١٠٦٤) أعلام الدين: ص ٢١٥ باب وصية النبي ﷺ لأبي ذر.

(١٠٦٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٢٦ ب ٢٥ ضمن ح ٤.

(١٠٦٦) بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ١٧٤ ب ٧ ح ١٦، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٣١٣ ب ٢٠ ضمن ح ٦٩.

(١٠٦٧) تحف العقول: ص ٤٠٣ ومن حكمه عليه السلام.

ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف عابد» (١٠٦٨).

١٦. وقال عليه السلام: «كثرة الهم يورث الهرم» (١٠٦٩).

١٧. وقال عليه السلام: «كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته، فتكون من الذين قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾» (١٠٧٠) (١٠٧١).

١٨. وقال عليه السلام: «كفى بالتجارب تأديباً، وبمر الأيام عظةً، وبأخلاق من عاشرت معرفةً، وبذكر الموت حاجزاً من الذنوب والمعاصي. والعجب كل العجب للمحتمين من الطعام والشراب مخافة الداء أن ينزل بهم! كيف لا يهتمون من الذنوب مخافة النار إذا اشتعلت في أبدانهم» (١٠٧٢).

١٩. وقال عليه السلام: «لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب؛ فإن قليل الذنوب تجتمع حتى تصير كثيراً. وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف» (١٠٧٣).

٢٠. وقال عليه السلام: «لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد صيام النوافل» (١٠٧٤).

٢١. وقال عليه السلام: «من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذر وأسرف زالت

(١٠٦٨) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٤٣ في أن اليتيم الحقيقي هو المنقطع عن الإمام عليه السلام ح ٢٢٢.

(١٠٦٩) تحف العقول: ص ٤٠٣ ومن حكمه عليه السلام.

(١٠٧٠) سورة النور: ١٩.

(١٠٧١) الكافي: ج ٨ ص ١٤٧ حديث محاسبة النفس ح ١٢٥.

(١٠٧٢) الأمالي للطوسي: ج ٢٠٣ المجلس السابع ح ٣٤٧.

(١٠٧٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣١٠ ب ٤٣ ح ٢٠٦٠٤.

(١٠٧٤) تحف العقول: ص ٤٠٣ ومن حكمه عليه السلام.

عنه النعمة» (١٠٧٥).

٢٢. وقال عليه السلام: «المؤمن مثل كفتي الميزان، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه؛ ليلقى الله عز وجل ولا خطيئة له» (١٠٧٦).

٢٣. وقال عليه السلام: «وجدت علم الناس في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك» (١٠٧٧).

٢٤. وقال عليه السلام: «وإياك والمزاح! فإنه يذهب بنور إيمانك، ويستخف مروءتك. وإياك والكسل والضجر! فإنهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة» (١٠٧٨).

٢٥. وقال عليه السلام - وقد سمع رجلاً يتمنى الموت -: «هل بينك وبين الله قرابة يحاميك لها؟». قال: لا. قال: «فهل لك حسنات تزيد على سيئاتك؟». قال: لا. قال: «فأنت إذن تتمنى هلاك الأبد» (١٠٧٩).

٢٦. وقال عليه السلام لبعض ولده: «يا بني، إياك أن يراك الله عز وجل في معصية نهاك عنها. وإياك أن يفقدك الله تعالى عند طاعة أمرك بها، وعليك بالجد ولا تخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته؛ فإنَّ الله عز وجل لا يعبد حق عبادته» (١٠٨٠).

٢٧. وقال عليه السلام عند قبر حضرته: «إنَّ شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإنَّ

(١٠٧٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٢٧ ب ٢٥ ضمن ح ٤.

(١٠٧٦) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ب ٦٥ ح ٢٣٩٧.

(١٠٧٧) الكافي: ج ١ ص ٥٠ باب النوادر ح ١١.

(١٠٧٨) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ومن ألقاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي يسبق إليها ح ٥٨٨٥.

(١٠٧٩) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١١٩ ب ٢٣ ح ١٥٩٢.

(١٠٨٠) من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ومن ألقاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي يسبق إليها ح ٥٨٨٥.

شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف من آخره» (١٠٨١).

٢٨. وقال عليه السلام: «من ضرب بيده على فخذه أو ضرب بيده الواحدة على الأخرى عند المصيبة فقد حبط أجره، والمصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر والاسترجاع عند الصدمة» (١٠٨٢).

٢٩. وقال عليه السلام: «من ولده الفقر أبطره الغنى» (١٠٨٣).

٣٠. وقال عليه السلام: «لو ظهرت الآجال افتضحت الآمال» (١٠٨٤).

(١٠٨١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٥ ب ٦٢ ح ٢٠٨٤٠.

(١٠٨٢) تحف العقول: ص ٤٠٣ ومن حكمه عليه السلام.

(١٠٨٣) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٥٧ ب ٢٣ ح ١٤٧٣٩.

(١٠٨٤) أعلام الدين: ص ٣٠٥ من كلام مولانا موسى بن جعفر عليه السلام.

المعصوم العاشر:
الإمام علي بن موسى الرضا

نسبه عليه السلام :

هو الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

والده عليه السلام :

الإمام موسى الكاظم عليه السلام .

والدته عليها السلام :

نجمة، وتدعى تُكتم أيضاً، وكنيتها: أم البنين.

يقول الشاعر لدى مدحه للإمام الرضا عليه السلام:

ألا أن خير الناس نفساً وولداً ورهطاً وأجدادا علي المعظم
أتتنا به للعلم والحلم ثامنا إماما يؤدي حجة الله تكتم^(١٠٨٥)
ونقل أن اسمها خيزران، وهي أم ولد من أهالي نوبة، وقد سمّاها الإمام الكاظم عليه السلام بالطاهرة^(١٠٨٦).

اشتراها الإمام الكاظم عليه السلام بأمر من الله عزوجل، ففي الخبر أنه عليه السلام قال لما ابتاعها - أي تكتم - جمع قوماً من أصحابه، ثم قال: «والله ما اشتريت هذه الأمة إلا بأمر الله ووحيه».

فسئل عن ذلك؟. فقال: «بيننا أنا نائم إذ أتاني جدي وأبي ومعهما شقة حرير فنسراها، فإذا قميص وفيه صورة هذه الجارية. فقال: يا موسى، ليكونن من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك. ثم أمراني إذا ولدته أن أسميه علياً، وقالوا لي: إن الله تعالى

(١٠٨٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٥ ب ٢ ح ٢.

(١٠٨٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٥ ب ٢ ح ٢.

يظهر به العدل والرأفة، طوبى لمن صدقه، وويل لمن عاداه وجحده وعانده» (١٠٨٧).

ولما اشترتها السيدة حميدة والدلة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام رأته في المنام رسول الله ﷺ وهو يقول لها: «يا حميدة، هي نجمة لابنك موسى عليه السلام؛ فإنه سيولد له منها خير أهل الأرض»، فوهبتها له (١٠٨٨).

ولادته عليه السلام:

ولد الإمام الرضا عليه السلام في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٨ هجرية.

كنيته عليه السلام:

أبو الحسن، وقد كناه بذلك أبوه الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام حيث كتب لعلي بن يقطين من الحبس: «إن فلاناً - أي الإمام الرضا عليه السلام - ابني سيد ولدي وقد نخلته كنيتي» (١٠٨٩).

ألقابه عليه السلام:

الرضا، والصابر، والزكي، والولي، وأشهر الرضا. عن أحمد بن أبي نصر البزنطي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام: إن قوماً من مخالفيكم يزعمون أن أباك (صلوات الله عليه) إنما سماه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده؟ فقال: «كذبوا والله وفجروا، بل الله تعالى سماه الرضا؛ لأنه كان عليه السلام رضى الله تعالى ذكره في سمائه، ورضى لرسوله ﷺ والأئمة بعده عليهم السلام في أرضه».

قال: فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضى الله تعالى ولرسوله ﷺ والأئمة بعده عليهم السلام؟!.

(١٠٨٧) دلائل الإمامة: ص ١٧٦ خبر أمه عليها السلام.

(١٠٨٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٦ - ١٧ ب ٢ ح ٣.

(١٠٨٩) الكافي: ج ١ ص ٣١٣ باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا عليه السلام ح ١٠.

فقال: «بلى».

فقلت له: فلم سمي أبك عليه السلام من بينهم الرضا؟.

قال: «لأنه رضي به المخالفون من أعدائه، كما رضي الموافقون من أوليائه ولم

يكن ذلك لأحد من آباءه عليه السلام، فلذلك سمي من بينهم الرضا عليه السلام» (١٠٩٠).

صفته عليه السلام :

قال بعض المؤرخين: إنه عليه السلام كان أسمر. وقال بعض: إنه كان أبيض.

وكان معتدل القامة، شبيهاً بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

شاعره عليه السلام :

دعبل الخزاعي، الشاعر المعروف صاحب التائية الشهيرة، ممن عصر الإمام الصادق والكاظم والرضا والحواد عليه السلام، اشتهر بولائه لأهل البيت والمعادة لمخالفهم حتى ذاع عنه أنه كان يقول: أنا أحمل خشيتي على كتفي منذ خمسين عاماً، لست أجد أحداً يصلبني عليها.

وعن أبي الصلت الهروي قال: دخل الخزاعي على علي بن موسى الرضا عليه السلام

بمرو. فقال: يا بن رسول الله، إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، وأحب أن تسمعها مني.

فقال له علي الرضا عليه السلام: «هات قل».

فأنشأ يقول:

فأجريت دمع العين بالعبرات
رسوم ديار أقفرت وعرات
ومهبط وحي مقفر العرصات
وبالبيت والتعريف والجمرات
وحمزة والسجاد ذي الثفئات

ذكرت محل الربيع من عرفات
وفل عرى صبري وهاجت صبابتي
مدارس آيات خلت من تلاوة
لآل رسول الله بالخيف من منى
ديار علي والحسين وجعفر

(١٠٩٠) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ب ١٧٢ ح ١.

ديار لعبد الله والفضل صنوه نجبي رسول الله في الخلوات
وهي قصيدة طويلة تربو على مائة وعشرين بيتاً.

يقول دعبل: لما أنشدت مولاي الرضا عليه السلام هذه القصيدة وانتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمت
بكى الإمام الرضا عليه السلام، ثم رفع رأسه إليّ وقال: «يا خزاغي، نطق روح القدس
على لسانك بهذين البيتين، أتدري من هذا الإمام الذي تقول؟».

فقلت: لا أدري، إلا أنني سمعت يا مولاي بخروج إمام منكم يملأ الأرض عدلاً.
فقال عليه السلام: «يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني، وبعده علي ابنه، وبعده علي ابنه
الحسن، وبعده الحسن ابنه الحجة القائم، المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره. ولو لم يبق
من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاً الأرض عدلاً كما
ملئت جوراً»^(١٠٩١).

ولما فرغ دعبل من إنشاد القصيدة نهض الإمام الرضا عليه السلام، وقال: «لا تبرح». فأنفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه. فردّها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت، وإنما
جئت للسلام عليه والتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإني لفي غنى، فإن رأى أن
يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ.

فأعطاه الإمام عليه السلام جبة خزّ عليه الصرة وقال للغلام: «قل له: خذها ولا تردها؛
فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها». فأخذها وأخذ الجبة^(١٠٩٢).

نقش خاتمه عليه السلام:

حسي الله، وقيل: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله.

ومثل ذلك يحمل على عدة خواتيم.

(١٠٩١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ب ٦٦ ح ٣٥.

(١٠٩٢) الغدير: ج ٢ ص ٣٦٠.

قالوا في الإمام عليّ عليه السلام

قال الحافظ الجويني: (مظهر خفيات الأسرار، ومبرز خبيات الأمور الكوامن، منبع المكارم والميامن، ومنبع الأعالي الخضارم والأيامن، منبع الجناب، رفيع القباب، وسيع الرحاب، هتون السحاب، عزيز الألفاف، غزير الأكناف، أمير الأشراف، قرّة عين آل ياسين وآل عبد مناف، السيد، الطاهر، المعصوم، والعارف بحقائق العلوم، والواقف على غوامض أسرار السر المكتوم، والمخبر بما هو آت وعمّا غبر ومضى، المرضي عند الله سبحانه برضاه عنه في جميع الأحوال، ولذا لقب بالرضا علي بن موسى، صلوات الله على محمد وآله، خصوصاً عليه، ما سح سحاب وهمى، وطلع نبات ونما) (١٠٩٣).

وقال الذهبي: (الإمام السيد أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي المدني، كان من العلم والدين والسؤدد بمكان... يقال: أفتى وهو شاب في أيام مالك) (١٠٩٤).

وقال الصفدي: (وهو أحد الأئمة الاثني عشر، كان سيد بني هاشم في زمانه، وكان المأمون يخضع له ويتغالى فيه، حتى إنه جعله ولي عهده من بعده، وكتب إلى الآفاق بذلك) (١٠٩٥).

وقال الياقيني: (فيها - أي سنة ٢٠٣ - توفي الإمام الجليل المعظم، سلالة السادة الأكارم، أبو الحسن علي بن موسى الكاظم، أحد الأئمة الاثني عشر، أولي المناقب، الذين انتسبت الإمامية إليهم، وقصروا بناء مذهبهم عليهم) (١٠٩٦).

وقال ابن الصباغ المالكي: (قال بعض الأئمة من أهل العلم: مناقب علي بن موسى الرضا عليه السلام من أجل المناقب، وأمداد فضائله وفواضله متوالية كتوالي الكتاب، وموالاته محمودة البوادي والعواقب، وعجائب أوصافه من غرائب العجائب، وسؤدده ونبله قد حل من الشرف في الذروة والمغرب، فلمواليه السعد

(١٠٩٣) فرائد السمطين: ج ٢ ص ١٨٧.

(١٠٩٤) سير أعلام النبلاء: ج ٩ ص ٣٨٧- ٣٨٨ ترجمة رقم ١٢٥ علي الرضا عليه السلام.

(١٠٩٥) الوافي بالوفيات: ج ٢٣ ص ١٥٤- ١٥٥ علي بن موسى عليه السلام.

(١٠٩٦) مرآة الجنان: ج ١ ص ٣٠٤.

الطالع، ولناويه النحس الغارب) (١٠٩٧).

وقال النسابة ابن عنبه: (علي بن موسى الكاظم ويكنى أبا الحسن، ولم يكن في الطالبيين في عصره مثله، بايع له المأمون بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، ثم توفي بطوس ودفن بها) (١٠٩٨).

من معاجزه عليه السلام

معاجز الإمام الرضا عليه السلام كثيرة، وهي تدل على كونه حجة الله على الأرض، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً، وأنه من الأئمة الاثني عشر الذين بشر بهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

قميص ودراهم

يقول الريان بن الصلت: لما أردت الخروج إلى العراق، وعزمت على توديع الرضا عليه السلام، فقلت في نفسي: إذا ودعته سألته قميصاً من ثياب جسده لأكفن به، ودراهم من ماله أصوغ بها لبناتي خواتيم.

فلما ودعته شغلني البكاء والأسف على فراقه عن مسألة ذلك، فلما خرجت من بين يديه صاح بي: «يا ريان، ارجع». فرجعت، فقال لي: «أما تحب أن أدفع إليك قميصاً من ثياب جسدي تكفن فيه إذا فنى أجلك؟. أ و ما تحب أن أدفع إليك دراهم تصوغ بها لبناتك خواتيم؟».

فقلت: يا سيدي، قد كان في نفسي أن أسألك ذلك فمنعني الغم بفراقك. فرفع عليه السلام الوسادة وأخرج قميصاً فدفعه إليّ، ورفع جانب المصلى فأخرج دراهم فدفعها إليّ وعددها فكانت ثلاثين درهماً (١٠٩٩).

أكرم ما رأيت

قال إبراهيم بن موسى: ألححت على أبي الحسن الرضا عليه السلام في شيء أطلبه منه وكان يعدني، فخرج ذات يوم يستقبل والي المدينة وكنت معه، فجاء إلى قرب قصر

(١٠٩٧) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج ٢ ص ١٠٢٣.

(١٠٩٨) عمدة الطالب: ص ١٩٨ عقب الإمام علي الرضا عليه السلام.

(١٠٩٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٢ دلالة أخرى ح ١٧.

فلان فنزل في موضع تحت شجرات ونزلت معه أنا وليس معنا ثالث. فقلت: جعلت فداك، هذا العيد قد أظننا، ولا والله ما أملك درهماً فيما سواه. فحك عليه السلام بسوطه الأرض حكاً شديداً، ثم ضرب بيده فتناول بيده سبيكة ذهب. فقال: «انتفع بها واكتم ما رأيت»^(١١٠).

لو زادك جدي لزدتك

عن أبي حبيب البناجي، أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد وافى البناج، ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاج كل سنة، وكأني مضيت إليه وسلّمت عليه ووقفت بين يديه، ووجدت عنده طبقاً من خوص^(١١١) نخل المدينة فيه تمر صيحاني، فكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني منه، فعدده فكان ثمانية عشرة تمرة، فتأولت أني أعيش بعدد كل تمرة سنة.

فلما كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يدي للزراعة حتى جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة ونزوله ذلك المسجد، ورأيت الناس يسعون إليه. فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي ﷺ، وتحت حصير مثل ما كان تحته، وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحاني. فسلمت عليه فردّ السلام عليّ واستدانني، فناولني قبضة من ذلك التمر، فعدده فإذا عدده مثل ذلك التمر الذي ناولني رسول الله ﷺ. فقلت له: زدني منه يا بن رسول الله ﷺ. فقال عليه السلام: «لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك»^(١١٢).

(١١٠) بصائر الدرجات: ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ب ٢ ح ٢.

(١١١) الخوص: ورق النخل.

(١١٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢١٠ دلالة أخرى ح ١٥.

مناقبيات

على غرار بقية الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين ملثوا العالم بفضائلهم ومناقبيهم كان الإمام الرضا عليه السلام، فهو من نفس البيت النبوي، ومن ذات السلالة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً.

علمه عليه السلام:

شهد عهد الإمام الرضا عليه السلام حركة علمية كبيرة؛ وذلك للحرية البسيطة التي أتيحت آنذاك للعلم والعلماء.

وكان المأمون - وهو عالم العباسيين - يتظاهر بمحبة العلم والعلماء، وكان يكثر السؤال من الإمام عليه السلام امتحاناً منه له؛ علّه يخرجه أو يغلظه في مسألة ما دون أن يصل إلى مرامه.

يقول إبراهيم بن العباس الصولي: (ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى عصره. وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب عنه، وكان جوابه كله وتمثله انتزاعات من القرآن المجيد) (١١٣). وقال رجاء بن أبي الضحاك - الذي بعثه المأمون لإشخاص الرضا عليه السلام - (كان لا ينزل بلداً إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم، ويحدثهم الكثير عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما وردت به على المأمون سأني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدته منه في ليله ونهاره وظهره وإقامته. فقال لي: يا ابن أبي الضحاك، هذا خير أهل الأرض وأعلمهم، فلا تخبر أحداً بما شاهدته منه) (١١٤).

(١١٣) أعيان الشيعة: ج ١ ص ١٠١ ما قدمه أهل البيت عليهم السلام للدين الإسلامي، أعيان الشيعة: ج ٢ ص ١٣ صفته في خلقه وحليته.

(١١٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٨٣ ب ٤٤ ح ٥.

وعن أبي الصلت الهروي، قال: (ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي. ولقد جمع المأمون في مجلس له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عليه السلام عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد إلا أقر له بالفضل، وأقر على نفسه بالقصور. ولقد سمعته عليه السلام يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا عيي الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم، وبعثوا إليّ المسائل فأجيب عنها)^(١١٥).

وعن محمد بن عيسى اليقطيني: (جمعت من مسائل أبي الحسن الرضا عليه السلام مما سئل عنه وأجاب فيه ثمانية عشر ألف مسألة أو خمسة عشر ألف مسألة)^(١١٦).
وحيث إنّ عهد الإمام عليه السلام كان مليئاً بالصراعات الفكرية والخلافات العقائدية، استدعى الوضع من الإمام عليه السلام أن يظهر علومه، ويتصدى لبيان الصواب من الخطأ في مجالات شتى منها:

❖ العقائد:

المعصوم عليه السلام هو الذي يحفظ عقائد الناس ويدفع الشبهات عنهم. يقول الهروي: (لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه ألقم حجراً. قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله، أ تقول بعصمة الأنبياء؟
قال: «نعم».

قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١١٧) إلى آخر ما

^(١١٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣١٦- ٣١٧ باب مولد الرضا عليه السلام من كتاب عيون أخباره.

^(١١٦) أعيان الشيعة: ج ١ ص ١٠١ ما قدمه أهل البيت للدين الإسلامي، أعيان الشيعة: ج ٢ ص ١٤ فضائله ومناقبه.

^(١١٧) سورة طه: ١٢١.

قال.

فأجابه عليه السلام عن جميع ذلك حتى بكى علي بن محمد ابن الجهم وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي هذا إلا بما ذكرته (١١٠٨).

وسأله الفضل بن سهل في مجلس المأمون فقال: يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟ فقال عليه السلام: «الله أعدل من أن يجبر ثم يعذب». قال: فمطلقون؟

قال عليه السلام: «الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه» (١١٠٩).

❖ التفسير:

الإمام الرضا عليه السلام وآباؤه الطاهرون عليهم السلام هم الذين نزل في بيوتهم القرآن، وهم العلماء بتفسيره وتأويله وبطونه وعلومه. وأخذ عليه السلام يبين التفسير الصحيح للقرآن البعيد عن المغالطات والشبهات.

عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١١١٠)؟

فقال: «إن الله تعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعنى أنهم عن ثواب ربهم محجوبون».

قال: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (١١١١)؟

فقال: «إن الله تعالى لا يوصف بالحيء والذهاب تعالى عن الانتقال، إنما يعنى بذلك وجاء أمر ربك والملك صفاً صفاً».

(١١٠٨) أمالي الصدوق: ص ٩٠ - ٩٣ المجلس العشرون ح ٣.

(١١٠٩) ج ٤٩ ص ١٧٢ ب ١٤ ضمن ح ٩.

(١١١٠) سورة المصطفين: ١٥.

(١١١١) سورة الفجر: ٢٢.

قال: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ (١١٢)؟.

قال: «يقول: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت».

أقول: أي هكذا أريد من نزولها.

قال: وسألته عن قوله تعالى: ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (١١٣)؟، وعن قوله: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (١١٤)؟، وعن قوله: ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ﴾ (١١٥)؟، وعن قوله: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (١١٦)؟.

فقال: «إن الله لا يسخر ولا يستهزئ ولا يكر ولا يخادع، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر الخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً» (١١٧).

❖ الإمامة:

في عهد الإمام الرضا عليه السلام كثر الحديث حول الإمامة، ونال هذا الموضوع أهمية خاصة لدى المسلمين، فبين الإمام عليه السلام المعارف الحقّة ما جعل الجميع يقر بأحقية أهل البيت عليهم السلام بالإمامة.

عن عبد العزيز بن مسلم، قال: (كنا مع الرضا عليه السلام بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا اختلاف الناس فيها. فدخلت

(١١٢) سورة البقرة: ٢١٠.

(١١٣) سورة التوبة: ٧٩.

(١١٤) سورة البقرة: ١٥.

(١١٥) سورة آل عمران: ٥٤.

(١١٦) سورة النساء: ١٤٢.

(١١٧) معاني الأخبار: ص ١٣ باب معاني ألفاظ وردت في الكتاب والسنة في التوحيد ح ٣.

على سيدي - يعني الرضا عليه السلام - فأعلمته خوض الناس فيه. فتبسّم ثم قال: «يا عبد العزيز، جهل القوم وخذعوا عن آرائهم. إنّ الله عزّ وجل لم يقبض نبيه عليه السلام حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء. بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً. فقال الله عزّ وجل: ﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١١٨)، وأنزل في حجة الوداع - وهي آخر عمره عليه السلام - ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١١٩). وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض عليه السلام حتى بيّن لأمته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ بينه. فمن زعم أن الله عزّ وجل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم! إنّ الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأنًا، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجل بها إبراهيم الخليل بعد النبوة، والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها، وأشار بها ذكره، فقال: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ف ﴿ قَالَ ﴾ الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(١٢٠)، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة. ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرية أهل الصفوة والطهارة، فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا

(١١٨) سورة الأنعام: ٣٨.

(١١٩) سورة المائدة: ٣.

(١٢٠) سورة البقرة: ١٢٤.

عَابِدِينَ ﴿١١٢١﴾. فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتى ورثها الله عزَّ وجلَّ النبي ﷺ، فقال جلَّ وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢٢). فكانت له خاصة، فقلدها ﷺ علياً ﷺ بأمر الله عزَّ وجلَّ على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله جلَّ وعلا وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ (١١٢٣)، فهي في ولد علي ﷺ خاصة إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبي بعد محمد ﷺ (١١٢٤).

٢. تواضعه ﷺ:

بلغ من تواضع الإمام ﷺ أنه كان يجالس الخدم ويأكلهم، ويأنس بهم ويؤنسهم. فعن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا ﷺ في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم. فقلت: جعلت فداك، لو عزلت هؤلاء مائة. فقال ﷺ: «مه، إنَّ الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزء بالأعمال» (١١٢٥).

وكان في نيسابور على باب دار الإمام ﷺ حمام، فدخل ﷺ الحمام يوماً، وتقدم إنسان رستاقى إلى الحمام ورأى علي بن موسى الرضا ﷺ، فظن أنه بعض خدام الحمام. فقال له: قم فاحمل إليَّ الماء. فقام علي بن موسى ﷺ وامتل جميع ما كان يأمره (١١٢٦).

(١١٢١) سورة الأنبياء: ٧٢ - ٧٣.

(١١٢٢) سورة آل عمران: ٦٨.

(١١٢٣) سورة الروم: ٥٦.

(١١٢٤) الكافي: ج ١ ص ١٩٨ - ٢٠٠ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح ١.

(١١٢٥) الكافي: ج ٨ ص ٢٣٠ حديث يأجوج ومأجوج ح ٢٩٦.

(١١٢٦) راجع شرح إحقاق الحق: ج ١٢ ص ٣٥٤ تواضعه ﷺ.

ودخل الإمام الرضا عليه السلام يوماً حماماً. فبينما هو في مكان من الحمام، إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال: صبّ على رأسي. فصبّ على رأسه، فدخل من عرفه فصاح: يا جندي هلكت وأهلك ^(١١٢٧)، أ تستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ!

فأقبل الجندي يقبل رجله ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك.

فقال: «إنها لمثوبة، وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه» ^(١١٢٨).

وحتى في اليوم الذي استشهد الإمام عليه السلام فيه لم يتخل عن مأكلة الخدم وتفقدّهم. فعن ياسر الخادم، قال: لما كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتل أبو الحسن عليه السلام، فدخلنا طوس وقد اشتدت به العلة، فبقينا بطوس أياماً، فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين.

فلما كان في آخر يومه الذي قبض فيه كان عليه السلام ضعيفاً في ذلك اليوم. فقال لي بعدما صلى الظهر: «يا ياسر، ما أكل الناس شيئاً.

فقلت: يا سيدي، من يأكل هيهنا مع ما أنت فيه.

فانصب عليه السلام ثم قال: «هاتوا المائدة». ولم يدع من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقّد واحداً واحداً، فلما أكلوا قال: «بعثوا إلى النساء بالطعام». فحمل الطعام إلى النساء، فلما فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف فوقعت الصيحة ^(١١٢٩).

٣. حلمه عليه السلام:

يكفي في حلم الإمام الرضا عليه السلام أنه تشفّع إلى المأمون في عيسى الجلودي، الذي تسبّب في سلب العلويات ولم يبق لهن سوى ثوباً واحداً. ففي التأريخ أنّ الجلودي عارض تنصيب الإمام عليه السلام كولي للعهد فحبسه المأمون، ثم استدعاه من السجن بعدما قتل اثنين قبله. فقال الإمام الرضا عليه السلام: «هب لي هذا الشيخ». فظن الجلودي

^(١١٢٧) أي أهلكتنا.

^(١١٢٨) الوافي بالوفيات: ج ٢٢ ص ١٥٦- ١٥٧ علي بن موسى عليه السلام.

^(١١٢٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٤١ ب ٦٢ ح ١.

أنه عليه السلام يريد الانتقام، فأقسم على المأمون أن لا يقبل قوله فيه.
فقال المأمون: والله لا أقبل قوله فيك، وأمر بقطع عنقه (١١٣٠).

٤. سخاؤه عليه السلام:

قال إبراهيم بن العباس - في وصف الإمام الرضا عليه السلام -: (وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السرِّ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقه) (١١٣١).

ويقول اليسع بن حمزة: (كنت في مجلس أبي الحسن الرضا عليه السلام أحدثه، وقد اجتمع إليه خلق كثير يسألونه عن الحلال والحرام، إذ دخل عليه رجل طوال آدم (١١٣٢) فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ﷺ، رجل من محبيك ومحبي آبائك وأجدادك عليهم السلام، مصدرى من الحج وقد افتقدت نفقتي، وما معي ما أبلغ مرحلة، فإن رأيت أن تنهضني إلى بلدي والله عليَّ نعمة، فإذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك، فليست موضع صدقة.

فقال عليه السلام له: «اجلس رحمك الله». وأقبل على الناس يحدثهم حتى تفرقوا وبقي هو وسليمان الجعفري وخيشمة وأنا، فقال: «أ تأذنون لي في الدخول؟».

فقال له سليمان: قدم الله أمرك. فقام عليه السلام فدخل الحجرة وبقي ساعة، ثم خرج وردَّ الباب وأخرج يده من أعلى الباب وقال: «أين الخراساني؟».

فقال: ها أنا ذا. فقال: «خذ هذه المائتي دينار، واستعن بها في مؤونتك ونفقتك وتبرك بها، ولا تصلق بها عني، واخرج فلا أراك ولا تراني». ثم خرج، فقال له سليمان: جُعلت فداك، لقد أجزلت ورحمت، فلماذا سترت وجهك عنه؟!.

فقال: «مخافة أن أرى ذلَّ السؤال في وجهه لقضائي حاجته، أما سمعت حديث

(١١٣٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ ب ٤٠ ح ٢٤.

(١١٣١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٩٠ ب ٢٠ ح ٢١٣.

(١١٣٢) الأدم: الأسمر.

رسول الله ﷺ: المستتر بالحسنة يعدل سبعين حجة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له. أما سمعت قول الأول (١١٣٣):

متى آتته يوماً لأطلب حاجة رجعت إلى أهلي ووجهي

وقفة مع الواقعة

بعد شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام انقلب ثلاثة من وكلائه المعروفين على أعقابهم وهم: علي بن أبي حمزة البطائي، وزيد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي. فطمعوا في الدنيا، ومالوا إلى حطامها، وقالوا بعدم شهادة الإمام الكاظم عليه السلام، وأنه باق على قيد الحياة، وهو الإمام القائم الذي سيظهر ويملاً الله به الأرض قسطاً وعدلاً.

وكانت لديهم أموالاً طائلة، فخشوا أن يفقدوها لو قالوا بإمامة الإمام الرضا عليه السلام، لذا ابتدعوا قضية الوقف، وإلى ذلك يشير يونس بن عبد الرحمن قائلاً: مات أبو إبراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته طمعاً في الأموال. كان عند زيد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار.

فلما رأيت ذلك وتبينت الحق، وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت، تكلمت ودعوت الناس إليه. فبعثنا إليّ وقالوا: ما يدعوك إلى هذا!

إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمننا لي عشرة آلاف دينار، وقالوا لي: كف. فأبيت وقلت لهما: إنا روينا عن الصادقين عليه السلام أنهم قالوا: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان». وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال، فناصرني وأضمرنا لي العداوة (١١٣٥).

(١١٣٣) المراد بهم القدماء الذين تقدم عهدهم.

(١١٣٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٣ - ٢٤ باب من أعطى بعد المسألة ٣.

(١١٣٥) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ب ١٧١ ح ١.

وقد طالبهم الإمام الرضا عليه السلام أن يسلموه ما لديهم، ولكن اثنان منهم ادعيا أنه لم يبق عندهما شيء من المال، بينما أنكر الأخير وفاة الإمام الكاظم عليه السلام، وادعى أنه الإمام القائم وسيظهر في يوم ما.

عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن بعض أصحابه، قال: مضى أبو إبراهيم عليه السلام وعند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار وخمس جوار، ومسكنه بمصر.

فبعث إليهم أبو الحسن الرضا عليه السلام: «أن احملوا ما قبلكم من المال، وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار، فإني وارثه وقائم مقامه، وقد اقتسمنا ميراثه، ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه قبلكم»، وكلام يشبه هذا.

فأما ابن أبي حمزة فإنه أنكره ولم يعترف بما عنده وكذلك زياد القندي، وأما عثمان بن عيسى فإنه كتب إليه: إن أباك (صلوات الله عليه) لم يمت وهو حي قائم، ومن ذكر أنه مات فهو مبطل، وأعمل على أنه قد مضى كما تقول فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأما الجوارى فقد أعتقهن وتزوجت بهن^(١١٣٦).

وكان موقف الإمام الرضا عليه السلام من الواقفية واضحاً، حيث ناشد زعماءهم بالرجوع إلى الحق، وإرجاع كل ما عندهم من الأموال وغيرها.

كما شدد عليه السلام في بيان انحراف هذه الفرقة ورؤسائها، فعن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على الرضا عليه السلام، فقال لي: «مات علي بن أبي حمزة؟».

قلت: نعم.

قال: «قد دخل النار».

قال: ففزعت من ذلك.

قال: «أما أنه سُئل عن الإمام بعد موسى أبي. فقال: لا أعرف إماماً بعده. فقيل:

(١١٣٦) الغيبة: ص ٦٥ الكلام على الواقفة.

لا، فضُربَ في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً» (١١٣٧).

وعن أحمد بن محمد، قال: وقف علي أبو الحسن عليه السلام في بني زريق. فقال لي - وهو رافع صوته -: «يا أحمد». قلت: لبيك. قال: «إنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جهد الناس في إطفاء نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمر المؤمنين عليهم السلام.

فلما توفي أبو الحسن عليه السلام جهد علي بن أبي حمزة في إطفاء نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره، وإنَّ أهل الحق إذا دخل فيهم داخل سورا به، وإذا خرج منهم خارج لم يجزعوا عليه، وذلك إنهم على يقين من أمرهم. وإنَّ أهل الباطل إذا دخل فيهم داخل سورا به، وإذا خرج منهم خارج جزعوا عليه، وذلك أنهم على شك من أمرهم. إنَّ الله جل جلاله يقول: ﴿فَمَسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (١١٣٨) (١١٣٩).

وعن محمد بن سنان، قال: ذُكر علي بن أبي حمزة عند الرضا عليه السلام فلعنه، ثم قال: «إنَّ علي بن أبي حمزة أراد أن لا يُعبد الله في سمانه وأرضه، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، ولو كره اللعين المشرك».

قلت: المشرك!

قال: «نعم والله وإن رغم أنفه، كذلك هو في كتاب الله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾» (١١٤٠)، وقد جرت فيه وفي أمثاله أنه أراد أن يطفى نور الله» (١١٤١).

وعن محمد بن عاصم، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «يا محمد بن عاصم، بلغني أنك تجالس الواقعة؟».

قلت: نعم - جعلت فداك - أجالسهم وأنا مخالف لهم.

(١١٣٧) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٧٤٢ ح ٨٣٣.

(١١٣٨) سورة الأنعام: ٩٨.

(١١٣٩) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٧٤٣ ح ٨٣٧.

(١١٤٠) سورة التوبة: ٣٢.

(١١٤١) الغيبة: ص ٧٠ الكلام على الواقعة.

قال: «لا تجالسهم! فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِنَّمُهُمْ﴾» (١١٤٢) (١١٤٣).

وكان عليه السلام يلعنهم في مجالسه كلما سأله عنهم سائل. يقول سليمان بن الجعفري: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بالمدينة، إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة فسأله عن الواقعة. فقال أبو الحسن عليه السلام: ﴿مَلْعُونِينَ أَيُّمَا تُقْفُوا أَخْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١١٤٤)، والله إن الله لا يبدلها حتى يقتلوا عن آخرهم» (١١٤٥).

ومن المواقف التي عرض فيها الإمام الرضا عليه السلام بالواقفة حديثه المشهور لما دخل نيشابور، وكان على بغلة شهباء في قبة مستورة. فاعترضه رواة الحديث وهم يقربون على العشرين ألف، بين صارخ وبك، و متمرغ بالتراب، ومقبل لحافر بغلته، كل منهم يقول: بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون المبارك، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك محمد صلى الله عليه وآله نذكرك به. فقال عليه السلام: «سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام، يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام، يقول: سمعت أبي محمد بن علي عليه السلام، يقول: سمعت أبي محمد بن علي عليه السلام، يقول: سمعت أبي محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام، يقول: سمعت الله عز وجل، يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي».

(١١٤٢) سورة النساء: ١٤٠.

(١١٤٣) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٧٥٧ - ٧٥٨ ح ٨٦٤.

(١١٤٤) سورة الأحزاب: ٦١ - ٦٢.

(١١٤٥) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٧٥٨ ح ٨٦٥.

قال: فلما مرت الراحلة نادانا: «بشروطها، وأنا من شروطها»^(١١٤٦).

الهجرة إلى خراسان

كانت سياسة الحكام العباسيين إزاء العلويين هو القمع والبطش والنيل منهم، والتضييق عليهم بشتى الوسائل؛ كي لا يطالبون بحقوقهم خاصة السلطة. وكان الأمر يتضح شيئاً فشيئاً للناس، ويعلمون بأن الخلافة حق لأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وكانت الثورات تتبع بعضها بعضاً من قبل الطالبين وغيرهم.

أما في عصر المأمون الذي اشتهر بالدهاء، فقد عمد إلى سياسة أخرى وهي سياسة امتصاص الغضب، وتكبير العلويين من خلال استدعاء الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، وإقحامه في السلطة بشكل صوري مما يوقع العلويين في الحرج.

وبالفعل فقد كتب المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان، فاعتل عليه أبو الحسن عليه السلام بعلل. فلم يزل المأمون يكاثبه في ذلك حتى علم أنه لا محيص له، وأنه لا يكف عنه، فخرج عليه السلام ولأبي جعفر الجواد عليه السلام سبع سنين. فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة والأهواز وفارس^(١١٤٧).

وقال الطبري: وجّه المأمون في سنة ٢٠٠ للهجرة إلى المدينة رجاء بن أبي الضحاك عم الفضل بن سهل، وفرناس الخادم لإشخاص علي بن موسى الرضا^(١١٤٨).

وعن محول السجستاني، قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة. فدخل المسجد ليودّع رسول الله ﷺ، فودّعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدمت إليه وسلمت عليه، فردّ السلام وهنأته. فقال: «ذرني فإني أخرج من جوار جلي ﷺ وأموت في غربة، وأدفن في

^(١١٤٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٣٥ ب ٣٧ ح ٤.

^(١١٤٧) الكافي: ج ١ ص ٤٨٨ - ٤٨٩ باب مولد أبي الحسن الرضا عليه السلام ح ٧.

^(١١٤٨) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ١٣٢ حوادث سنة مائتين.

جنب هارون». قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس، ودفن إلى جنب هارون. (١٤٩).

وعن الحسن بن علي الوشاء قال: قال لي الرضا عليه السلام: «إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة، جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً» (١٥٠).

وقد مرّ الإمام الرضا عليه السلام في مسيره إلى خراسان على المناطق التالية:

١. مكة المكرمة.

٢. القادسية.

٣. النجاج، وهي منطقة بين مكة والبصرة.

٤. البصرة.

٥. الأهواز.

٦. قنطرة اربق، وهي قرية برامهرمز.

٧. المفازة، وهي الفلاة التي لا ماء فيها.

٨. نيسابور، وقد روى الشيخ الصدوق رحمته الله: إن الإمام الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور نزل في محلة يقال لها: (الفرويني) فيها حمام - وهو الحمام المعروف اليوم بحمام الرضا عليه السلام - وكانت هناك عين قد قل مأوها، فأقام عليها من أخرج مأوها حتى توفر وكثر، وأخذ من خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي (١٥١) إلى هذه العين. فدخله الرضا عليه السلام واغتسل فيه، ثم خرج منه وصلى على ظهره، والناس يتناوبون ذلك الحوض ويعتسلون فيه ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلون على ظهره، ويدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم فتقضى لهم، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها

(١٤٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢١٧ دلالة أخرى ح ٢٦.

(١٥٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ دلالة أخرى ح ٢٨.

(١٥١) المراقي: جمع مرقاة وهي الدرجة.

الناس إلى يومنا هذا^(١١٥٢).

وعن الحاكم أبو عبد الله الحافظ، قال: لما دخل الرضا عليه السلام نيسابور ونزل محلة فوز - ناحية يعرفها الناس بالاسناد - في دار تعرف بدار بسنديده؛ وإنما سميت بسنديده لأن الرضا عليه السلام ارتضاه من بين الناس. فلما نزلها زرع في جانب من جوانب الدار لوزة، فنبتت وصارت شجرة فأثمرت في كل سنة، وكان أصحاب العلل يستشفون بلوز هذه الشجرة، وعوفي أعمى وصاحب قولنج وغير ذلك. فمضت الأيام على ذلك وييست، فجاء حمدان وقطع أغصانها، ثم جاء ابن حمدان يقال له: أبو عمرو، فقطع تلك الشجرة من وجه الأرض فذهب ماله كله. وكان له ابنان يقال لأحدهما: أبو القاسم والآخر أبو صادق، فأرادا عمارة تلك الدار وأنفقا عليها عشرين ألف درهم، فقلعا الباقي من أصل تلك الشجرة، فماتا في مدة سنة^(١١٥٣).

وعن ابن شهر آشوب: ولما نزل الرضا عليه السلام في نيسابور بمحلة فوزاً أمر ببناء حمام، وحفر قناة وصنعة حوض فوقه مصلى، فاغتسل من الحوض وصلى في المسجد، فصار ذلك سنة، فيقال: كرمابه رضا، وآب رضا، وحوض كاهلان.

والسبب في تسميته: أن رجلاً وضع همياناً على طاقه واغتسل منه، وقصد إلى مكة ناسياً. فلما انصرف من الحج أتى الحوض فرآه للغسل مشدوداً، فسأل الناس عن ذلك فقالوا: قد آوى فيه ثعبان ونام على طاقه. ففتحه الرجل ودخل في الحوض وأخرج هميانه، وهو يقول: هذا من معجز الإمام، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: أي كاهلان، لثلا يأخذوها، فسَمِّي الحوض بذلك كاهلان، وسميت الحلة (فوز)؛ لأنه فتح أولاً فصحفوها وقالوا: فوزاً.

وروي أنه عليه السلام أتته ظبية فلاذت فيه، قال ابن حماد^(١١٥٤):

(١١٥٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٦ ب ٣٧ ح ٤.

(١١٥٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٤٤ فصل في خرق العادات.

(١١٥٤) هو الشيخ الجليل الأديب أبو الحسن محمد المعروف بـ (ابن حماد)، من أفاضل الفيحاء ومشاهير

الذي لاذ به الظبيّة والقموم جاوس
من أبوه المرتضى يزكو ويعالو ويروس (١١٥٥)

٩. قرية الحمراء ويقال لها اليوم: ده سرخ. وقد صلى الإمام عليه السلام فيها الظهر، وظهرت منه فيها كرامة حيث حرك بيده الأرض فنبع منها ماء توضع به هو ومن معه، وأثره باق إلى اليوم.

١٠. رباط سعد.

١١. سناباذ، وهي قرية بطوس. وغيرها.

وعلى كل فقد استدعى المأمون الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان لعدة أمور:

١. كي يقصيه عن مقر الطالبين وهي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢. كي يكون تحت نظارته ورقابته.

٣. كي يقطع اتصال الناس والشيعة والعلويين به.

٤. كي يفرض عليه ولاية العهد التي إن قبلها يتلوث ويفقد عقيدة الناس به،

وإن رفضها يغتاله في دار الغربية.

٥. كي ينال شرعية بتسلّم الإمام عليه السلام ولاية عهده وقبوله إياها.

يقول المأمون نفسه في سر إصراره على قبول الإمام عليه السلام بولاية العهد: (قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا يدعو إلى نفسه، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا، وليعرف بالملك والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس بما ادعى في قليل ولا كثير، وأن هذا الأمر لنا من دونه، وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال أن يفتق علينا منه ما لا نسله، ويأتي علينا منه ما لا نطيعه.

والآن فإذا قد فعلنا به ما فعلنا، وأخطأنا في أمره بما أخطأنا، وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا، فليس يجوز التهاون في أمره، ولكننا نحتاج أن نضع منه

شعرائها، وكان معاصراً للخليعي الشاعر. نظم أغلب شعره في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وله أكثر من مائتي قصيدة في جبههم. توفي بحدود سنة (٩٠٠هـ) ودفن في الحلة، وقبره يزار وهو مجاور لقبر الخليعي.

(١١٥٥) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٣٤٨ فصل في خرق العادات.

قليلًا قليلاً حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، ثم ندبر فيه بما
يحسم عنا مواد بلائه) (١١٥٦).

(١١٥٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٧٠ ب ٤١ ح ١.

حقائق عن ولاية العهد

المأمون العباسي وضمن خطة مدروسة عرض ولاية العهد على الإمام عليه السلام أكثر من مرة، وفي كل مرة كان الإمام عليه السلام يرفض ويصر على عدم القبول إلى أن هدّده بالقتل فاضطر عليه السلام مكرهاً إلى القبول.

ومن الشواهد على ذلك ما يلي:

قال أبو الفرج... فأرسلهما - يعني الفضل والحسن ابني سهل - إلى علي بن موسى، فعرضاً ذلك - أي ولاية العهد - عليه فأبى. فلم يزلوا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه.. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلك وإلاّ فعلنا بك وصنعنا. وتهده ثم قال له أحدهما: والله، أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد!

ثم دعا به المأمون وتهده فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد. ثم قال له: إن عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك^(١١٥٧).

وفي بعض الأخبار أنّ الإمام عليه السلام قال للمأمون: «وإني لأعلم ما تريد».

فقال المأمون: وما أريد؟!.

قال: «الأمان على الصديق».

قال: لك الأمان.

قال: «تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهّد الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طعماً في الخلافة».

فغضب المأمون وقال له: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد آمنت سطوتي. فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك^(١١٥٨).

(١١٥٧) مقاتل الطالبين: ص ٣٧٥ ذكر الخبر في ذلك.

(١١٥٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٠ ب ٤٠ ح ٣.

وقال الإمام عليه السلام في دعاء له: «... وقد أكرهت واضطرت، كما أشرفت من عبد الله المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد»^(١١٥٩).

وقال عليه السلام في بيان السر لقبوله لولاية العهد: «قد علم الله كراحتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل - إلى أن قال - ودفعني الضرورة إلى قبول ذلك على إجبار وإكراه، بعد الإشراف على الهلاك»^(١١٦٠).

وقال في جواب أبي الصلت: «وأنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أجبرني على هذا الأمر وأكرهني عليه»^(١١٦١).

شروط قبول ولاية العهد

بعد أن هدّد المأمون الإمام الرضا عليه السلام وتوعده بالقتل إن لم يقبل ولاية العهد، اضطر الإمام عليه السلام أن يقبل ولاية العهد، ولكن بشروط تبين للجميع أن قبوله كان عن كره، وأن ولاية العهد أمر صوري. وقد تصرف الإمام عليه السلام بتصرف حكيم لا يعطي أي شرعية لمأمون، وما يفعله من الظلم والجور.

ففي الخبر أنّ المأمون لما أصر عليه بقبول ولاية العهد قال: «على شروط أسألها». قال المأمون له: سل ما شئت. فكتب الرضا عليه السلام: «إني داخل في ولاية العهد على أن لا أمر ولا أنهي، ولا أفتي ولا أفضي، ولا أولي ولا أعزل، ولا أغيّر شيئاً مما هو قائم، وتعفيني من ذلك كله». فأجاب المأمون إلى ذلك كله^(١١٦٢).

عدم صدق المأمون

كما يظهر من الشواهد التاريخية أنّ المأمون لم يكن صادقاً في عرضه للخلافة

(١١٥٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٩ ب ٣ ح ١.

(١١٦٠) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٣٩ ب ١٧٣ ح ٣.

(١١٦١) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٢٠٦ ب ٤٨ ح ٢٢٣٥٣.

(١١٦٢) الكافي: ج ١ ص ٤٨٩ باب مولد أبي الحسن الرضا عليه السلام ح ٧.

وولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام ، وذلك لعدة أمور:

١. إن المأمون قاتل أخه الأمين وانتزع منه الرئاسة والملك بالقوة بعد أن قتله ونصب رأسه على بوابة قصره، مما يدل على استماتته بالحكم والرئاسة، فكيف يقدمها بكل سهل ويسر للإمام الرضا عليه السلام وقد خاض الحروب لأجلها!

٢. لو كان يريد توليته الخلافة واقعاً وتسليمه الأمور حقيقة، لماذا قبل أن يكون الإمام الرضا عليه السلام كولي للعهد وبشكل صوري، لا يعزل ولا يأمر ولا ينهي ولا يتدخل في أي أمر من شؤون الحكومة؟!.

٣. ولماذا أمر بالإمام عليه السلام أن يأتي إلى خراسان ويترك مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فبإمكانه أن يكتب إليه وهو في المدينة بالخلافة وينتهي الأمر كله!.

٤. ولماذا أخذ يهدد الإمام عليه السلام بالقتل لو لم يقبل بولاية العهد!.

٥. ولماذا أخذ يجعل العيون والجواسيس على الإمام، ويمنع الشيعة من اللقاء به، وقام بسجن الإمام عليه السلام... وفي النهاية قتل الإمام عليه السلام بالسم!.

ثم إن الإمام الرضا عليه السلام طرح على المأمون العباسي سؤالاً لم يجبه عليه حيث قال عليه السلام له: «إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك، فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك. وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك» (١١٦٣).

وهكذا كان يعلم الإمام عليه السلام بمكر المأمون وخططه الشيطانية.

شهادة الإمام الرضا عليه السلام

أخبر الإمام الرضا عليه السلام أكثر من مرة عن مقتله مظلوماً مسموماً، وأنه سيدفن بدار غربة، وفي أرض خراسان، وبجنب هارون.

(١١٦٣) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٣٧ ب ١٧٣ ح ١.

عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إني سأقتل بالسم مظلوماً، وأقبر إلى جنب هارون، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي. فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة» (١١٦٤).

ومرّ عن محمول السجستاني، أنه قال: (لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة، فدخل المسجد ليودع رسول الله ﷺ، فودعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب. فتقدمت إليه وسلمت عليه، فرد السلام وهنأته. فقال: «ذرنني؛ فإني أخرج من جوار جدي عليه السلام، وأموت في غربة، وأدفن في جنب هارون». قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس، ودفن إلى جنب هارون) (١١٦٥).

وعن الحسن بن جهم، قال: (حضرت مجلس المأمون يوماً، عنده علي بن موسى الرضا عليه السلام، وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة - وذكر أسئلة القوم وسؤال المأمون عنه عليه السلام وجواباته وساق الكلام إلى أن قال - فلما قام الرضا عليه السلام تبعته، فانصرفت إلى منزله فدخلت عليه. وقلت له: يا ابن رسول الله، الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي الأمير ما حمّله على ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك!).

فقال عليه السلام: «يا ابن الجهم، لا يغرنك ما ألفتته عليه من إكرامي، والاستماع مني، فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي. أعرف بعهد معهود إليّ من آبائي عليهم السلام عن رسول الله ﷺ، فاكنتم عليّ هذا ما دمت حياً».

قال الحسن بن الجهم: فما حدثت بهذا الحديث إلى أن مضى الرضا عليه السلام بطوس مقتولاً بالسم (١١٦٦).

(١١٦٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ب ٥٢ ح ١.

(١١٦٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢١٧ دلالة أخرى ح ٢٦.

(١١٦٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ب ٤٦ ح ١.

وقال الإمام عليه السلام للمأمون لما عرض عليه ولاية العهد: «والله لقد حدثني أبي عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله ﷺ: إني أخرج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسم مظلوماً، تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون». فبكى المأمون ثم قال له: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأناحي؟!.

فقال الرضا عليه السلام: «أما إني لو أشاء أن أقول لقلت من يقتلني».

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك، ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنك زاهد في الدنيا.

فقال الرضا عليه السلام: «والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل»^(١١٦٧).

وبالفعل قام المأمون بسمّ الإمام عليه السلام، حيث ناوله بيده من ذلك العنب والرمان المسموم، فقتل الإمام عليه السلام مظلوماً شهيداً.

وكان قد أخبر الإمام عليه السلام هرثة بن أعين بتفاصيل القضية. يقول هرثة: كنت ليلة بين يدي المأمون حتى مضى من الليل أربع ساعات، ثم أذن لي في الانصراف فانصرفت. فلما مضى من الليل نصفه قرع قارع الباب، فأجابه بعض غلماني. فقال له: قل لهرثة: أجب سيدك. قال: فقمتم مسرعاً، وأخذت على أثوابي، وأسرعت إلى سيدي الرضا عليه السلام.

فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه، فإذا أنا بسيدي عليه السلام في صحن داره جالس. فقال لي: «يا هرثة». فقلت: لبيك يا مولاي. فقال لي: «اجلس». فجلست، فقال لي: «اسمع وعه - يا هرثة - هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى! ولحوقي بجدي عليه السلام وآبائي عليهم السلام، وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاغية على سمي في عنب ورمّان مفروك».

(١١٦٧) علل الشرائع: ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ب ١٧٣ ح ١.

فأمّا العنب فإنه يغمس السلك في السم ويجذبه بلخيظ بالعنب، وأمّا الرمان فإنه يطرح السم في كف بعض غلمانة ويفرك الرمان بيده ليتلطح حبة ذلك السم. وأنه سيدعوني في اليوم المقبل ويقرب إليّ الرمان والعنب، ويسألني أكلها فأكلها ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء...» (١١٦٨)، الحديث.

أولاده عليه السلام

ذهب البعض إلى أن أولاد الإمام الرضا عليه السلام: خمسة ذكور وبنت واحدة. وقال بعضهم: إن الذكور أربعة. وهم: محمد الجواد عليه السلام، والحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين. وأضاف بعض: القانع. أمّا الإناث فهي فاطمة، وقد نقل الشبلنجي في نور الأبصار كرامة لها.

(١١٦٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ب ٦٤ ح ١.

حكام عصره عليه السلام

عاصر الإمام الرضا عليه السلام ثلاثة من حكام بني العباس الظلمة، وهم:

١. هارون العباسي.

٢. محمد الأمين، وهو أصغر من المأمون بستة أشهر وأمه زبيدة. وقد جعله هارون ولياً لعهد، وأخذ البيعة من الناس له ومن بعده لأخيه المأمون. وكان الأمين يريد ولاية لابنه موسى الناطق، فعمد إلى خلع المأمون رغم مخالفة الوزراء له في هذا الرأي. وكذا فعل أخوه المأمون حيث عزل الأمين، وأرسل كل منهما جيشاً لمحاربة الآخر والقضاء عليه.

فدارت بين الجيشين معارك طاحنة راح ضحيتها كثير من الطرفين إلى أن قُتل الأمين، وبعث برأسه إلى المأمون في خراسان. فأمر بنصبه في صحن الدار على خشبة، ثم أمر جنوده بلعن أخيه وذلك قبل أن يغدق عليهم الهدايا. فكان يطلب من كل واحد منهم أن يلعن الرأس أولاً، إلى أن جاء أحدهم ولعن الرأس ولعن والديه وبالغ في سبهما، فأمر المأمون بإنزال الرأس عن الخشبة، فأنزله وعطروه وبعث به إلى بغداد ليدفن مع جثته.

وكان الأمين شديد الانشغال باللهو والطرب والمجون والفساد والإفساد، ولم يستمر حكمه أكثر من خمس سنين.

٣ - عبد الله المأمون، وكانت أمه جارية خراسانية تدعى مراجل، وقد ماتت أيام نفاسها به، وكانت زبيدة أم الأمين هي السبب في ولادة المأمون. فقد نقل الدميري أنّ المأمون مرّ يوماً على زبيدة أم الأمين، فرآها تحرك شفيتها بشيء لا يفهمه!

فقالت: لا والله يا أمير.

قال: فما الذي قلت؟

فألح عليها وقال: لا بدّ أن تقوليه.

قالت: قلت: قبّح الله الملاححة.

قال: وكيف ذلك؟

قالت: لأنني لعبت يوماً مع الأمير هارون بالشطرنج على الحكم والرضا فغلبنى،

فأمرني أن أتجرّد من أثوابي وأطوف القصر عريانة، فاستعفيته فلم يعفني. فتجرّدت من أثوابي وطففت القصر عريانة وأنا حقنة عليه.
ثم عاودنا اللعب فغلبته، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ ويطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فيه.

فاستعفاني من ذلك فلم أعفه.
فبذل إليّ خراج مصر والعراق فأبيت وقلت: والله لتفعلن ذلك.
فأبى فألححت عليه، وأخذت بيده وجئت به للمطبخ، فلم أر جارية أقبح ولا أقدر ولا أشوه من أمك مراجل.
فأمرته أن يطأها، فوطئها فعلقت منه بك. فكنت سبباً لقتل ولدي وسلبه ملكه.
فولّى المأمون وهو يقول: لعن الله الملاححة، أي التي ألحّ عليها حتى أخبرته بهذا الخبر^(١١٦٩).

- وقد ثار على المأمون العديد من العلويين منهم:
١. محمد بن جعفر الملقّب بالديباج، وقد ثار في مكة المكرمة.
 ٢. إبراهيم بن موسى بن جعفر، ثار في اليمن.
 ٣. محمد بن سليمان بن داود بن الحسن، ثار في المدينة.
 ٤. جعفر بن محمد بن زيد بن علي والحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي، ثارا في واسط.
 ٥. محمد بن إسماعيل بن محمد، ثار في المدائن.

(١١٦٩) حياة الحيوان: ج ١ ص ١١٠ خلافة محمد الأمين.

من كلام الإمام الرضا عليه السلام

١. قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله» (١١٧٠).
٢. وقال عليه السلام: «التوحد إلى الناس نصف العقل» (١١٧١).
٣. وقال عليه السلام: «السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكلوا من طعامه» (١١٧٢).
٤. وقال عليه السلام: «إنا أهل بيت نرى وعدنا علينا ديناً، كما صنع رسول الله ﷺ» (١١٧٣).
٥. وقال عليه السلام: «يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء: تسعة منها في اعتزال الناس وواحد في الصمت» (١١٧٤).
٦. وقال عليه السلام: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث: التفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا» (١١٧٥).
٧. وقال عليه السلام: «ليس لبخيل راحة، ولا لحسود لذة، ولا لملول وفاء، ولا لكذوب مروءة» (١١٧٦).
٨. وقال عليه السلام: «إن الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أخرى: أمر بالصلاة والزكاة،

(١١٧٠) تحف العقول: ص ٤٤٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١١٧١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٣٥ ب ٢٦ ضمن ح ١.

(١١٧٢) وسائل الشيعة: ج ٢١ ص ٥٤٦ ب ٢٢ ح ٢٧٨٢٨، وسائل الشيعة: ج ٢٤ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ب ١٦

ح ٣٠٥١٦.

(١١٧٣) تحف العقول: ص ٤٤٦ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١١٧٤) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٣٩ ب ٢٦ ضمن ح ١.

(١١٧٥) تحف العقول: ص ٤٤٦ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١١٧٦) تحف العقول: ص ٤٥٠ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

فمن صلى ولم يذكّر لم تقبل صلاته. وأمر بالشكر له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله. وأمر باتقاء الله وصلّة الرحم، فمن لم يصل رحمه لم يتق الله عزّ وجلّ» (١١٧٧).

٩. وقال عليه السلام: «إن الله يبغض القليل والقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال» (١١٧٨).

١٠. وقال عليه السلام: «إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، ونشاطاً وفتوراً. فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلّت وملّت. فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها» (١١٧٩).

١١. وقال عليه السلام: «الإيمان أربعة أركان: التوكل على الله عزّ وجلّ، والرضا بقضائه، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله» (١١٨٠).

١٢. وقال عليه السلام: «ثلاث من سنن المرسلين: العطر، وإحفاء الشعر، وكثرة الطروقة» (١١٨١).

١٣. وقال عليه السلام: «صِلْ رَحِمَكَ وَلَوْ بِشْرِبَةٍ مِنْ مَاءٍ، وَأَفْضَلُ مَا تَوَصَّلَ بِهِ الرَّحِمَ كَفِ الْأَذَى عَنْهَا. وَقَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾» (١١٨٢) (١١٨٣).

١٤. وقال عليه السلام: «إذا ذكرت الرجل وهو حاضر فكته، وإذا كان غائباً فسمه» (١١٨٤).

١٥. وقال عليه السلام: «اصحب السلطان بالخذر، والصديق بالتواضع، والعدو

(١١٧٧) وسائل الشيعة: ج ٩ ص ٢٥ ب ٣ ح ١١٤٢٩.

(١١٧٨) تحف العقول: ص ٤٤٣ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١١٧٩) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٥٥ ب ١٥ ح ٣٠٠٥.

(١١٨٠) قرب الإسناد: ص ١٥٥ الجزء الثالث من قرب الإسناد عن الرضا عليه السلام.

(١١٨١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ باب فضل التزويج ح ٤٣٤١.

(١١٨٢) سورة البقرة: ٢٦٤.

(١١٨٣) تحف العقول: ص ٤٤٥ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١١٨٤) تحف العقول: ص ٤٤٣ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

بالتحرز، والعامّة بالبشر» (١١٨٥).

١٦. وقال عليه السلام: «صاحب النعمة يجب عليه التوسعة عن عياله» (١١٨٦).

١٧. وقال عليه السلام: «الصمت باب من أبواب الحكمة. إنّ الصمت يكسب المحبة، إنه

دليل على كل خير» (١١٨٧).

١٨. وقال عليه السلام: «طوبى لمن شغل قلبه بشكر النعمة» (١١٨٨).

١٩. وقال عليه السلام: «عليكم بتقوى الله، والورع، والاجتهاد، وأداء الأمانة، وصدق

الحديث، وحسن الجوار، فهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله» (١١٨٩).

٢٠. وقال عليه السلام: «عليكم بسلاح الأنبياء صلى الله عليهم وآله. فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال:

«الدعاء» (١١٩٠).

٢١. وقال عليه السلام: «لا تمارين العلماء في فضوك، ولا تمارين السفهاء في جهلوا

عليك» (١١٩١).

٢٢. وقال عليه السلام: «لا يجتمع المال إلاّ بخصال خمس: ببخل شديد، وأمل طويل،

وحرص غالب، وقطيعة الرحم، وإيثار الدنيا على الآخرة» (١١٩٢).

٢٣. وقال عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من

ربه، وسنة من نبيه صلى الله عليه وآله، وسنة من وليه عليه السلام. فأما السنة من ربه فكتمان السر، وأما

السنة من نبيه صلى الله عليه وآله فمداراة الناس، وأما السنة من وليه عليه السلام فالصبر في البأساء

(١١٨٥) العدد القوية: ص ٢٩٩ نبذة من أحوال الإمام الرضا عليه السلام وكيفية شهادته.

(١١٨٦) الكافي: ج ٤ ص ١١ باب كفاية العيال والتوسع عليهم ح ٥.

(١١٨٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٣٥ ب ٢٦ ضمن ح ١.

(١١٨٨) العدد القوية: ص ٢٩٧ نبذة من أحوال الإمام الرضا عليه السلام وكيفية شهادته.

(١١٨٩) فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٥٦ ب ٩٥.

(١١٩٠) الكافي: ج ٢ ص ٤٦٨ باب أن الدعاء سلاح المؤمن ح ٥.

(١١٩١) الاختصاص: ص ٢٤٥ حديث في زيارة المؤمن لله.

(١١٩٢) وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٣٤ ب ٧ ح ٢١٩١١.

والضراء» (١١٩٣).

٢٤. وقال عليه السلام: «لم يخنك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن» (١١٩٤).

٢٥. وقال عليه السلام: «لو أن الناس قصرُوا في الطعام لاستقامت أبدانهم» (١١٩٥).

٢٦. وقال عليه السلام: «صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله» (١١٩٦).

٢٧. وقال عليه السلام: «ما التقت فئتان قط إلا نُصرَ أعظمهما عفوًا» (١١٩٧).

٢٨. وقال عليه السلام: «من جلس مجلساً يُحْيِي فيه أمرنا، لم يمِت قلبه يوم تموت

القلوب» (١١٩٨).

٢٩. وقال عليه السلام: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن،

ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، وصديق الجاهل في تعب، وأفضل

المال ما وُقِيَ به العرض، وأفضل العقل معرفة الإنسان نفسه» (١١٩٩).

٣٠. وقال عليه السلام: «من لقي فقيراً مسلماً فسَلَّم عليه خلاف سلامه على الغني لقي

الله عزَّ وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان» (١٢٠٠).

(١١٩٣) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٣٧ ب ١٠٤ ح ١٠١٣٨

(١١٩٤) تحف العقول: ص ٤٤٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١١٩٥) مستدرک الوسائل: ج ٢ ص ١٥٥ ب ٣٩ ح ١٦٨١.

(١١٩٦) تحف العقول: ص ٤٤٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١١٩٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٣٩ ب ٢٦ ضمن ح ١.

(١١٩٨) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٩٤ ب ٢٨ ح ٤٨.

(١١٩٩) العدد القوية: ص ٢٩٢ نبذة من أحوال الإمام الرضا عليه السلام وكيفية شهادته.

(١٢٠٠) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٦٤ ب ٣٦ ح ١٥٦٥٣.

المعصوم الحادي عشر:
الإمام محمد بن علي الجواد

نسبه عليه السلام :

هو الإمام محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

والدته عليها السلام :

أم ولد يقال لها: سبيكة النوبية، وقيل: المريسية. وهي قرية في مصر، وقد وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله بحيرة الإماء فقال: «بأبي ابن خيرة الإماء، ابن النوبية» (١٢٠١).

وقد أبلغها الإمام الكاظم عليه السلام سلامه. فقال ليزيد بن سليط عندما التقى به في طريق مكة وهم يريدون العمرة: «إني أؤخذ في هذه السنة والأمر هو إلى ابني علي، سمي علي وعلي. فأما علي الأول فعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأما الآخر فعلي بن الحسين عليه السلام، أعطي فهم الأول وحلمه ونصره وودّه ودينه ومحتته، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره. وليس له أن يتكلم إلاّ بعد موت هارون بأربع سنين».

ثم قال لي: «يا يزيد، وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك، وسيعلمك أنك قد لقيتني فأخبره عند ذلك أن الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله أم إبراهيم، فإن قدرت أن تبلغها منّي السلام فافعل ذلك» (١٢٠٢).

(١٢٠١) الكافي: ج ١ ص ٣٢٣ باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني عليه السلام ح ١٤.

(١٢٠٢) الكافي: ج ١ ص ٣١٥ باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا عليه السلام ح ١٤.

ولادته عليه السلام:

وُلد الإمام الجواد عليه السلام في العاشر من شهر رجب الأصب عام ١٩٥ هـ .

ألقابه عليه السلام:

الجواد، القانع، المرتضى، التقي، وأشهرها الجواد.

كنيته عليه السلام:

أبو جعفر، وهي كنية جده الإمام الباقر عليه السلام، وربما قيل له: أبو جعفر الثاني.

صفته عليه السلام:

أبيض معتدل القامة.

من شعره عليه السلام:

نسب للإمام الجواد بعض الأبيات، منها:

ماذا ضمنت من الخيرات يا طوس
شخص ثوى بسنا آباد مرموس
في رحمة الله مغمور ومغموس
حلم وعلم وتطهير وتقديس
وبالملائكة الأطهار محروس
فريعه أهل منكم ومأنوس
وظل أسد الثرى قد ضمها الخيس
ترجى مطالعها ما حنت العيس
فالحق في غيركم داج ومطموس

يا قبر طوس سقاك الله رحمته
طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها
شخص عزيز على الإسلام مصرعه
يا قبره أنت قبر قد تضمنه
فخرا بأنك مغبوط بجثته
في كل عصر لنا منكم إمام هدى
أمست نجوم سماء الدين آفلة
غابت ثمانية منكم وأربعة
حتى متى يزهر الحق المنير بكم

نقش خاتمه عليه السلام:

«نعمَ القادر الله»، و«من كثرت شهواته دامت حسراته».

وقيل: «المهيمن عضدي».

وقيل: «حسي الله حافظي»^(١٢٠٣).

ولا يبعد أن تكون له عدة خواتيم.

عن محمد بن عيسى، قال: سمعت الموفق يقول قدام أبي جعفر الثاني عليه السلام وأراني خاتماً في إصبعه فقال لي: أ تعرف هذا الخاتم؟. فقلت له: نعم أعرف نقشه، فأما صورته فلا. وكان خاتم فضة كله وحلقته وفصه فص مدور، وكان عليه مكتوباً: «حسي الله»، وفوقه هلال وأسفله وردة. فقلت له: خاتم من هذا؟. فقال: «خاتم أبي الحسن» عليه السلام. فقلت له: وكيف صار في يدك؟! قال: «لما حضرته الوفاة دفعه إليّ، ثم قال لي: لا تخرج من يدك إلا إلى علي ابني»^(١٢٠٤).

البشارة به عليه السلام:

لقد بشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المولود المبارك، فقال: «إن الله عزّ وجل ركب في صلبه - أي في صلب الإمام الرضا عليه السلام - نطفة مباركة طيبة زكية مرضية وسمّاها محمد بن علي، فهو شفيع شيعته، ووارث علم جدّه، له علامة بينة وحجة ظاهرة»^(١٢٠٥).

كما بشر به جدّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث قال ليزيد بن سليط الزبدي: «يا يزيد، وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته - أي الإمام الرضا عليه السلام - وستلقاه، فبشره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك»^(١٢٠٦).

وبشارة الإمام الرضا عليه السلام وذلك لما خاطب الحسين بن قياما الواسطي - وكان من رؤساء الواقفة - قائلاً: «إني أشهد والله أنه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني

(١٢٠٣) مكارم الأخلاق: ص ٩١ في نقوش الخواتيم.

(١٢٠٤) مكارم الأخلاق: ص ٩٢ في نقوش الخواتيم.

(١٢٠٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٦١ - ٦٢ ب ٦ ح ٢٩.

(١٢٠٦) الكافي: ج ١ ص ٣١٥ باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا عليه السلام ح ١٤.

الله ولدًا منِّي».

قال عبد الرحمان بن أبي نجران: فعدنا الشهر من الوقت الذي قال، فوهب الله له أبا جعفر عليه السلام في أقل من سنة (١٢٠٧).

قالوا فيه عليه السلام :

قال محمد بن طلحة الشافعي في حقه: (وهو وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر، رفيع الذكر) (١٢٠٨).

وقال السبط ابن الجوزي: (وكان عليه السلام على منهج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود) (١٢٠٩).

وقال ابن حجر الهيتمي: (أجلهم - أي أبناء الإمام الرضا عليه السلام - أبا محمد الجواد لكنه لم تطل حياته) (١٢١٠).

وقال ابن خلكان: (أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر... المعروف بالجواد أحد الأئمة الأثني عشر) (١٢١١).

وقال الشيخ محمود الشبخاني: (وكان محمد الجواد جليل القدر عظيم المنزلة... قالوا: إن كراماته ومكاشفاته كثيرة لا تحمله السدقات، ومن كمال علمه أنه غلب في طفوليته قاضي المأمون وهو يحيى بن أكثم) (١٢١٢).

(١٢٠٧) إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٣٢٣ ب ٧ ف ٣.

(١٢٠٨) مطالب السؤل: ص ٤٦٧ ب ٩ الإمام محمد القانع عليه السلام.

(١٢٠٩) تذكرة الخواص: ص ٣٢١.

(١٢١٠) الصواعق المحرقة: ص ١٢٣.

(١٢١١) وفيات الأعيان: ج ٤ ص ١٧٥ ترجمة رقم ٥٦١ محمد الجواد عليه السلام.

(١٢١٢) الصراط السوي: ص ٤٠٢.

مولود عظيم البركة

من الأمور التي امتحن الله بها الشيعة في عهد الإمام الرضا عليه السلام هي أن عمر الإمام عليه السلام جاوز الأربعين ولم يُرزق بمولود يعقبه في الإمامة، حتى أن الواقعة أخذوا يشنعون بذلك على الإمام عليه السلام. فعن عبد الرحمن بن أبي نجران وصفوان بن يحيى، قال: حدثنا الحسين بن قياما - وكان من رؤساء الواقعة - فسألنا أن نستأذن له على الرضا عليه السلام ففعلنا. فلما صار بين يديه، قال له: أنت إمام!

قال عليه السلام: «نعم».

قال: إني أشهد الله أنك لست بإمام. قال: فنكت عليه السلام في الأرض طويلاً منكس الرأس ثم رفع رأسه إليه، فقال له: «ما علمك أنني لست بإمام؟». قال له: إنا قد روينا عن أبي عبد الله عليه السلام أن الإمام لا يكون عقيماً، وأنت قد بلغت السن وليس لك ولد.

قال: فنكس رأسه أطول من المرة الأولى ثم رفع رأسه فقال: «إني أشهد الله أنه لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً مني». قال عبد الرحمن بن أبي نجران: فعدنا الشهور من الوقت الذي قال، فوهب له أبا جعفر عليه السلام في أقل من سنة (١٢١٣).

وبولد الإمام محمد الجواد عليه السلام دحضت شبهة الواقفية، والتي لم يسبقها مثلها في سائر الأئمة عليهم السلام ..

روى ابن أسباط، وعباد أبو إسماعيل: إنا لعند الرضا عليه السلام بمنى إذ جيء بأبي جعفر عليه السلام. قلنا: هذا المولود المبارك؟ قال عليه السلام: «نعم، هذا المولود المبارك الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه» (١٢١٤).

(١٢١٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠ دلالة أخرى ح ١٣.

(١٢١٤) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ٢٠ ب ٢ ضمن ح ٦.

وقال أبو يحيى الصنعاني: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكة وهو يقشر موزاً ويطعم أبا جعفر عليه السلام. فقلت له: جعلت فداك، هو المولود المبارك؟ قال عليه السلام: «نعم - يا يحيى - هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه» (١٢١٥).

حديث القافة

من الروايات الضعيفة والتي لا صحة لها حديث القافة، فإن فيه إشكالات عديدة سنداً ودلالة، وفيه تعريض لأولاد الأئمة عليهم السلام وبناتهم، وخاصة علي بن جعفر (رضوان الله تعالى عليه) المعروف بورعه وقداسته، والذي كان كبر سنّه وجلالته يبالغ في تقديس الإمام عليه السلام.

يقول الحسن بن موسى بن جعفر عليه السلام: كنت عند أبي جعفر - الجواد - عليه السلام بالمدينة، وعنده علي بن جعفر عليه السلام وأعرابي من أهل المدينة جالس. فقال لي الأعرابي: من هذا الفتى؟ وأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام. قلت: هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: يا سبحان الله! ورسول الله صلى الله عليه وآله قد مات منذ مائتي سنة، وكذا وكذا سنة وهذا حدث، كيف يكون؟!

قلت: هذا وصي علي بن موسى، وعلي وصي موسى بن جعفر، وموسى وصي جعفر بن محمد، وجعفر وصي محمد بن علي، ومحمد وصي علي بن الحسين، وعلي وصي الحسين، والحسين وصي الحسن، والحسن وصي علي بن أبي طالب، وعلي وصي رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين).

قال: ودنا الطبيب ليقطع له العرق، فقام علي بن جعفر عليه السلام. فقال: يا سيدي، يبدوني لتكون حدة الحديد بي قبلك.

(١٢١٥) الكافي: ج ٦ ص ٣٦٠ - ٣٦١ باب الموزح ٣.

قال: قلت: يهنتك، هذا عم أبيه.

قال: فقطع له العرق، ثم أراد أبو جعفر عليه السلام النهوض. فقام علي بن جعفر عليه السلام فسوّى له نعليه حتى لبسهما^(١٢١٦).

وعن محمد بن الحسن بن عمار، قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالساً بالمدينة، وكنت أقيمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه - يعني أبا الحسن عليه السلام - إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد مسجداً الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يده وعظّمه. فقال له أبو جعفر عليه السلام: «يا عم، اجلس رحمك الله». فقال: يا سيدي، كيف أجلس وأنت قائم!

فلما رجع علي بن جعفر عليه السلام إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه، ويقولون: أنت عم أبيه، وأنت تفعل به هذا الفعل!

فقال: اسكتوا، إذا كان الله عزّ وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى، ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله! نعوذ بالله ممّا تقولون! بل أنا له عبد^(١٢١٧).

وقال ابن عتبة: يروى أنّ أبا جعفر الأخير - وهو محمد بن علي بن موسى الكاظم عليه السلام - دخل على العريضي. فقام له قائماً وأجلسه في موضعه، ولم يتكلم حتى قام. فقال له أصحاب مجلسه: أ تفعل هذا مع أبي جعفر، وأنت عم أبيه! فضرب بيده على لحيته، وقال: إذا لم ير الله هذه الشيبة أهلاً للإمامة، أراها أنا أهلاً للنار^(١٢١٨).

(١٢١٦) رجال الكشي: ص ٤٢٩ - ٤٣٠ في علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن

أبي طالب عليه السلام ح ٨٠٤.

(١٢١٧) الكافي: ج ١ ص ٣٢٢ باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني عليه السلام ح ١٢.

(١٢١٨) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص ٢٤١ - ٢٤٢ علي العريضي.

ولقد ذكرنا في الفقه مجعولية كل ما نسب إلى أولاد المعصومين عليهم السلام مما لا يليق
بشأنهم، فإنَّ العادة الجارية أن المناوئين ينسبون إلى الشخص النسب المكذوبة، فإن لم
يتمكنوا منه نسبوها إلى ذويه. كما نشاهد ذلك منهم بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وعلي
والزهراء والحسين عليهم السلام وإلى سائر الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، فقد نسبوا إليهم
أشياء لا تليق حتى بالناس العاديين فضلاً عن العدول، وحسب فحوصنا لم نجد في
تلك الأخبار المنسوبة إلى أولادهم عليهم السلام خبراً واحداً صحيح السند.

من معاجزه عليه السلام

المعجزة بمعناها الشامل دليل صدق النبي والإمام عليه السلام. والمقصود بالمعنى الشامل هو القدرة التي منحها الله تعالى لوليه وحجته على الخلق في مختلف المجالات، وليس في مجال واحد فقط. وبعض من يدعي تلك المقامات كذباً وإن تمكن من خداع الناس في قضية فإنه لا يتمكن في سائر القضايا. وهذه المعاجز والكرامات من الأئمة عليهم السلام تشد أواصر المحبة بهم وتقوي المعتقدات بهم.

عباد مكرمون

عن أحمد بن محمد الحضرمي، قال: حج أبو جعفر - الجواد - عليه السلام، فلما نزل زباله فإذا هو بامرأة ضعيفة تبكي على بقرة مطروحة على قارعة الطريق. فسألها عن علة بكائها؟ فقامت المرأة إلى أبي جعفر عليه السلام وقالت: يا ابن رسول الله، إني امرأة ضعيفة لا أقدر على شيء، وكانت هذه البقرة كل مال أملكه. فقال لها أبو جعفر عليه السلام: «إن أحيها الله تبارك وتعالى لك فما تفعلين؟». قالت: يا ابن رسول الله، لأجدن الله شكراً. فصلى أبو جعفر ركعتين ودعا بدعوات ثم ركض برجله البقرة، فقامت البقرة وصاحت المرأة: عيسى بن مريم. فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا تقولي هذا، بل عباد مكرمون أو صيئة الأنبياء»^(١٢١٩).

النجاة من السجن

يقول علي بن خالد: كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أتى به من ناحية الشام مكبولاً. فقالوا: إنه تنبؤ حق.

(١٢١٩) الثاقب في المناقب: ص ٥٠٣ ب ١٢ ف ١ ح ٤٣١.

قال: فأتيت الباب واستأذنت البواب حتى وصلت إليه، فإذا رجل له فهم وعقل.
فقلت له: يا هذا ما قصتك؟.

قال: إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام، فبينما أنا ذات ليلة مقبل على الخراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يدي، فنظرت إليه فقال لي: قم. فقمتم معه فمشى بي قليلاً، فإذا أنا في مسجد الكوفة. فقال لي: تعرف هذا المسجد؟.

فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة.

قال: فصلى وصليت معه، ثم خرج وخرجت معه، ومشى بي قليلاً فإذا أنا بمكة، فطاف بالبيت فطفت معه، ثم خرج فمشى قليلاً فإذا أنا بالموضع الذي كنت أعبد الله فيه بالشام، وغاب الشخص عن عيني، فبقيت متعجباً متهولاً مما رأيت.
فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به، ودعاني فأجيبته ففعل كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي بالشام قلت له: سألتك بالذي أقدرك على ما رأيت منك إلا أخبرتني من أنت؟.

فأطرق طويلاً ثم نظر إليّ وقال: «أنا محمد بن علي بن موسى». وتراقى الخبر إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فبعث إليّ وكبلي في الحديد، وحملني إلى العراق وحبست كما ترى وادعى عليّ الحال. فقلت له: فارفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك؟.

فقال: أفعل. فكتبت عنه قصة شرحت أمره فيها، ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك. فوقع في ظهرها: قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى المدينة، ومنها إلى مكة ومنها إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا.

قال علي بن خالد: فغممني ذلك من أمره ورققت له، وانصرفت محزوناً عليه. فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه بالخال وأمره بالصبر والرضى، فوجدت الجنود وأصحاب الحرس وصاحب السجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون. فسألت

عن حالهم فقيل لي: المحمول من الشام المنتبئ افتقد البارحة فلا يدري أ خسفت به الأرض أم اختطفه الطير. وكان علي بن خالد زدياً فقال بالإمامة لما رأى ذلك وحسن اعتقاده^(١٢٢٠).

امتحان الشيعة

امتحان الشيعة في عهد الإمام الجواد عليه السلام بامتحان صعب جداً، ألا وهو تصدي الإمام عليه السلام للإمامة وهو صغير. فمن كلام للطبري الشيعي - أحد علماء القرن الرابع الهجري - قال:

ولما بلغ عمره - أي الإمام الجواد عليه السلام - ست سنين وشهور قتل المأمون أباه، وبقيت الطائفة في حيرة، واختلفت الكلمة بين الناس، واستصغروا سن أبي جعفر، وتحير الشيعة في سائر الأمصار^(١٢٢١).

وهذا ومن الواضح أنه ليس المعيار في النبوة والإمامة السن. قال عيسى بن مريم عليه السلام وهو في المهدي: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١٢٢٢).

عن صفوان بن يحيى، قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك عن الإمام بعدك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر وكنت تقول: «يهب الله لي غلاماً»، وقد وهب الله لك وأقر عيوننا ولا أرانا الله يومك، فإن كان كون فيل من؟.

فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك، وهو ابن ثلاث سنين؟! فقال عليه السلام: «وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين»^(١٢٢٣).

(١٢٢٠) الثاقب في المناقب: ص ٥١٠ - ٥١١ ب ١٢ ف ٥ ح ٤٣٦.

(١٢٢١) دلائل الإمامة: ص ٢٠٤ معرفة ولادة أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام.

(١٢٢٢) سورة مريم: ٣٠.

(١٢٢٣) الكافي: ج ١ ص ٣٢١ باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني عليه السلام ح ١٠، الكافي: ◀

وعن معمر بن خلاد، قال: سمعت الرضا عليه السلام وذكر شيئاً، فقال: «ما حاجتكم إلى ذلك! هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي وصيرته مكاني - وقال - إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القلّة بالقلّة» (١٢٢٤).

وعن علي بن أسباط، قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام قد خرج عليّ، فأحدت النظر إليه وإلى رأسه وإلى رجله؛ لأصف قامته لأصحابنا بمصر. فخرّ ساجداً فقال: «إنّ الله احتج في الإمامة مثل ما احتج في النبوة، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢٢٥)، وقال الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (١٢٢٦)، فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنة» (١٢٢٧).

▶ ج ١ ص ٣٨٣ باب حالات الأئمة عليهم السلام في السن ح ٢.

(١٢٢٤) الكافي: ج ١ ص ٣٢٠ باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني عليه السلام ح ٢.

(١٢٢٥) سورة مريم: ١٢.

(١٢٢٦) سورة الأحقاف: ١٥.

(١٢٢٧) بصائر الدرجات: ص ٢٣٨ ب ١٠ ح ١٠.

الهجرة إلى بغداد

بعد أن دس المأمون السم القَتال إلى الإمام الرضا عليه السلام نقم الناس عليه، وعلموا بأنه قاتل الإمام عليه السلام. فعمد المأمون كعادته إلى حيلة جديدة لعله يحسن من خلاها سمعته، فاستدعى الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد وذلك لـ:

١. تقييد حركة الإمام عليه السلام ووضعه تحت نظره.

٢. يزوجه ابنته، وبذلك يغطي جريمته النكراء بقتل الإمام الرضا عليه السلام ويبين للناس أنه نال فخر الانتساب لهذا البيت الطاهر، ومن خلال ابنته تصله أخبار الإمام كاملة.

٣. يظهر تقربه للإمام الجواد عليه السلام كما تقرب لأبيه من قبل، أنه لا يكن للإمام عليه السلام إلا الودّ والاحترام على عكس ما يتصوره الناس.

٤. يمتص غضب العلويين ويضع حداً لثوراتهم الساخطة ضد الظلم والطغيان.

فأجبر الإمام الجواد عليه السلام على المجيء إلى بغداد ومجاورة المأمون. ففي الخبر عن الحسين المكارى، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ببغداد وهو على ما كان من أمره، فقلت في نفسي: هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً وأنا أعرف مطعمه.

قال: فأطرق رأسه، ثم رفعه وقد اصفر لونه. فقال: «يا حسين، خبز الشعير وملح جريش في حرم جلدي رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليّ مما تراني فيه» ^(١٢٢٨).

الزواج من ابنة المأمون

بعد أيام من مجيء الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد، دعاه المأمون إلى القصر وعرض عليه الزواج بابنته أم الفضل، فسكت الإمام عليه السلام ..

ثم شاع الخبر بين العباسيين وشاعت الضجة بينهم، فخاطبوا المأمون بلسان

(١٢٢٨) مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٣٧٦ الحادي والخمسون علمه عليه السلام بما في النفس ح ٢٣٨.

الغضب، وهم لا يعلمون ما يضمره المأمون من خبث النية، فقالوا:

ننشدك الله يا أمير أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن تخرج به عنا أمراً قد ملكناه الله، وتنزع منا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، وأعد له إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره... إن هذا الصبي وإن راقك منه هديه؛ فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهل ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما بدا لك بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم! إني أعرف بهذا الفتى منكم، وأن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يبين لكن به ما وصفت لكم عن حاله.

فقالوا له: قد رضينا لك يا أمير ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بمحضرتك عن شيء من فقه الشريعة؛ فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامّة سديد رأى الأمير فيه. وإن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم. فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم - وهو يومئذ قاضي الزمان - على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك..

وبالفعل فقد عقد مجلس المناظرة وقال يحيى بن أكثم للمأمون: تأذن لي يا أمير أن أسأل أبا جعفر؟.

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك. فأقبل إليه يحيى بن أكثم، فقال: أ تَأْذَن لِي - جعلت فداك - في مسألة؟.

قال له أبو جعفر عليه السلام: «سل ما شئت».

قال يحيى: ما تقول - جعلت فداك - في محرم قتل صيداً؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «قتله في حلّ أو في حرم، علماً كان المحرم أو جاهلاً، عمداً كان أو خطأ، حرّاً كان أو عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدياً أم معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصراً على ما فعل أو نادماً، أ بالليل كان قتل صيده أم نهاراً، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بلحج كان محرماً؟. فتحيّر يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج، حتى عرف جماعة من أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن إلى ما كنتم تنكرونه، ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام (١٢٢٩).

معارف خالدة

أهل البيت عليهم السلام كانوا يستفيدون من الفرص المتاحة لترويج العلوم ونشر المعارف التي تنفع الناس في دنياهم وآخرتهم، وهكذا كان الإمام الجواد عليه السلام:

يقول زرقان صاحب ابن أبي داود أنه رجع ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك. فقال: وددت اليوم أني قد متّ منذ عشرين سنة. قال: قلت له: ولِمَ ذاك؟!.

قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام اليوم بين

(١٢٢٩) الإرشاد: ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٤ باب طرف من الأخبار عن مناقب أبي جعفر عليه السلام ودلائله ومعجزاته.

يدي الأمير. قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟!.

قال: إنَّ سارقاً أقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه.

فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟.

قال: فقلت: من الكرسوع^(١٢٣٠). قال: وما الحجّة في ذلك؟.

قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١٢٣١) واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟.

قال: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(١٢٣٢) في الغسل، دل ذلك على أن

حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟.

فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير.

قال: دعني ممّا تكلموا به، أي شيء عندك؟.

قال: أعفني عن هذا يا أمير.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: «أما إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول: إنهم أخطئوا السنة، فإن القطع يجب

أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف».

قال: وما الحجّة في ذلك؟.

قال: «قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين

(١٢٣٠) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر النائي عند الرسخ.

(١٢٣١) سورة النساء: ٤٣، سورة المائدة: ٦.

(١٢٣٢) سورة المائدة: ٦.

والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(١٢٣٣) يعني به هذه الأعضاء التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وما كان الله فلا يقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف^(١٢٣٤).

وقفه مع وضاعي الحديث

أهل البيت عليهم السلام كانوا يؤكدون على تدوين الأحاديث وضبطها والاهتمام بها وإخراج الموضوعات منها، لذا كان الأصحاب يعرضون كتبهم عليهم. كما عرض يونس بن عبد الرحمن على الإمام الرضا عليه السلام كتب جماعة من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، فأنكر الإمام منها أحاديث عديدة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام، وقال صلوات الله عليه: «إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام»^(١٢٣٥). وعن هشام بن الحكم، أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد (لعنه الله) يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة لعنه الله، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي عليه السلام»^(١٢٣٦). وفي عهد الإمام الجواد عليه السلام ومن خلال مناظراته العلمية مع قاضي القضاة

^(١٢٣٣) سورة الجن: ١٨.

^(١٢٣٤) وسائل الشيعة: ج ٢٨ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ب ٤ ح ٣٤٦٩٠.

^(١٢٣٥) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٤٨٩ - ٤٩٠ في المغيرة بن سعيد ح ٤٠١.

^(١٢٣٦) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٤٩١ في المغيرة بن سعيد ح ٤٠٢.

آنذاك يحيى بن أكثم وغيره، ردَّ الإمام عليه السلام تلك الأحاديث الموضوعة، وبين الحقائق للناس.

فلما زوّج المأمون ابنته أم الفضل أبا جعفر، كان في مجلس وعنده أبو جعفر عليه السلام ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي أنه: نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال: يا محمد، إن الله عزَّ وجل يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض فأني عنه راض؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع: قد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به. وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١٢٣٧)، فالله عزَّ وجل خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره، هذا مستحيل في العقول».

ثم قال يحيى بن أكثم: وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء؟.

فقال: «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزَّ وجل وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما». قال يحيى: وقد روي أيضاً أنهما سيذا كهول أهل الجنة، فما تقول فيه؟.

(١٢٣٧) سورة ق: ١٦.

فقال ﷺ: «وهذا الخبر محال أيضاً؛ لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله ﷺ في الحسن والحسين ﷺ بأنهما سيدي شباب أهل الجنة».

فقال يحيى بن أكثم: وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة؟.

فقال ﷺ: «وهذا أيضاً محال؛ لأن في الجنة ملائكة الله المقربين، وآدم ﷺ ومحمد ﷺ، وجميع الأنبياء والمرسلين، لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر».

فقال يحيى: وقد روي أن السكينة تنطق على لسان عمر؟.

فقال ﷺ: «إن أبا بكر وهو أفضل عندكم من عمر قال على رأس المنبر: إن لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملت فسدوني».

فقال يحيى: قد روي أن النبي ﷺ قال: لو لم أبعث لبعث عمر؟.

فقال ﷺ: «كتاب الله أصلق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(١٢٣٨) فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه! وكل الأنبياء ﷺ لم يشركوا بالله طرفة عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك! وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله. وقال رسول الله ﷺ: نبئت وآدم بين الروح والجسد».

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضاً أن النبي ﷺ قال: ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب؟.

فقال ﷺ: «وهذا محال أيضاً؛ لأنه لا يجوز أن يشك النبي ﷺ في نبوته. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١٢٣٩)، فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك

(١٢٣٨) سورة الأحزاب: ٧.

(١٢٣٩) سورة الحج: ٧٥.

به!»،

قال يحيى: روي أن النبي ﷺ قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر؟
فقال ﷺ: «وهذا محال أيضاً؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١٢٤٠)، فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون»^(١٢٤١).

شهادة الإمام الجواد ﷺ

عندما ظهر علم الإمام الجواد ﷺ في مختلف المسائل ولكل الناس، ومنه مسألة قطع السارق حقد ابن أبي داود عليه، ووشى بالإمام وحرّض المعتصم عليه. وكان المعتصم ينتظر فرصة في قتل أبي جعفر ﷺ، فأشار إلى ابنة المأمون أن تسمه؛ لعلمه بانحرافها عن الإمام الجواد ﷺ وشدة غيرتها عليه، لتفضيله أم الإمام الهادي ﷺ عليها، ولأنها لم ترزق منه الولد.

فأجابته إلى ذلك، وجعلت سماً في عنب رازقي ووضعت بين يديه ﷺ، فلما أكل منه جعلت تبكي. فقال ﷺ: «ما بكائك! والله ليضربنك الله بفقر لا ينجر، وبلاء لا ينسـتر». فماتت بعلة في اغمض المواضع من جوارحها صارت ناصوراً، فأنفقت مالها وجميع ملكها على تلك العلة^(١٢٤٢).

وهكذا توفي الإمام مسموماً شهيداً في آخر ذي القعدة عام ٢٢٠هـ، ودفن بجوار جده الإمام موسى الكاظم ﷺ في الكاظمية المقدسة.

(١٢٤٠) سورة الأنفال: ٣٣.

(١٢٤١) الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٤٩ احتجاج أبي جعفر محمد بن علي الثاني ﷺ.

(١٢٤٢) مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٤٠٦ التاسع والسبعون استجابة دعائه ﷺ ح ٢٤١٣.

أولاده عليه السلام

كان للإمام الجواد عليه السلام ولدان من الذكور وهما:

١. الإمام علي الهادي عليه السلام ، وسيأتي ذكره.
 ٢. وموسى المعروف بالمبرقع المكنى بأبي أحمد، وهو جد السادة الرضويين وأكثرهم يقطنون مدينة قم المقدسة.
- وكان موسى يضع برقعاً على وجهه لهيبته وجماله لذا لقب بالمبرقع، وكان الناس كافة يطيلون النظر إليه. سكن قم فترة من الزمن، ثم انتقل إلى كاشان، ثم عاد إلى قم إلى أن توفي في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٦هـ، فصلّى عليه أمير قم العباس بن عمرو الغنوي، ودفن في المقام المعروف باسمه اليوم بقم.

❖ أمّا بنات الإمام الجواد عليه السلام فهن:

١. حكيمة.
 ٢. وخديجة.
 ٣. وأمّ كلثوم.
- وكانت خديجة جليلة القدر. ففي الخبر عن أحمد بن إبراهيم، قال: دخلت على إبراهيم بن خديجة بنت محمد بن علي الرضا عليه السلام في سنة اثنتين وستين ومائتين بالمدينة، فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن أئمتها. فسَمّت من أئمت بهم.
- ثم قالت: فلان ابن الحسن بن علي. فقلت لها: جعلت فداك، تقولين معاينة أو خبراً؟.

قالت: عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمّه.

فقلت لها: وأين الولد؟.

قالت: مستور.

قلت: إلى من تفرع الشيعة؟.

قالت: إلى الجلة أم الحسن عليه السلام.

قلت: فمن اقتدى في وصيته إلى امرأة؟.

فقالت: اقتدى مجده الحسين بن علي عليه السلام أوصى لأخته زينب ابنة علي عليه السلام

في الظاهر، فكل ما يخرج من علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى عمته زينب عليها السلام ستراً على علي بن الحسين عليه السلام.

ثم قالت: إنكم قوم أصحاب أخبار، ما رويتم عن سابع سبعة ولد من الحسين بعد الخمسة من ولد أمير المؤمنين يقسم ميراثه وهو حي، فلماً نشأ صاحب الزمان عليه السلام نشأ منشأ آبائه عليهم السلام، وقام بأمر الله عز وجل سراً إلا عن ثقاته وثقات آبائه (١٢٤٣).

❖ أما السيدة حكيمة فهي التي حضرت ولادة إمام الزمان عليه السلام، وكانت من الصالحات العابدات إذ تمتاز بكثرة الفضائل، منها أن الإمام العسكري عليه السلام أودع إليها السيدة نرجس عليها السلام كي تعلمها معالم الدين.

وهي التي تروي حرز الإمام الجواد عليه السلام، وكان الإمام عليه السلام يدعو لها ويناديها بقوله: «يا بنت رسول الله». وقد توفيت في سامراء ودفنت إلى جوار العسكريين عليهم السلام، وقبرها في نفس الضريح المبارك في الروضة العسكرية الطاهرة.

(١٢٤٣) راجع الهداية الكبرى: ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ب ١٤.

حكام عصره عليه السلام

عاصر الإمام الجواد عليه السلام عددا من حكام الجور والظلمة:

١. المأمون العباسي، وهو الذي قتل الإمام الرضا عليه السلام.

٢. المعتصم العباسي:

وكان رجلاً ظلوماً شديداً البطش، ليس له حظٌّ من العلم والأدب. ففي أحد الأيام ورد عليه كتاب من بعض العمّال، وإلى جانبه وزيره حمد بن عمار بن شاذي البصري، فقرأ الوزير الكتاب وفيه ذكر الكلاء. فقال له المعتصم: ما الكلاء؟.

فقال: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب. فقال المعتصم: خليفة أمي ووزير عامي - ثم قال - أبصروا من الباب من الكتاب. فوجدوا محمد بن عبد الملك، فأدخلوه إليه. فقال له: ما الكلاء؟.

فقال: الكلاء العشب على الإطلاق، فإن كان رطباً فهو الخلاء، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات^(١٢٤٤).

ووصف المؤرخون المعتصم العباسي بأنه كان إذا غضب لا يبالي من قتل، ولا ما فعل^(١٢٤٥).

وكان المعتصم يميل إلى الأتراك؛ لأنّ والدته كانت تركية، لذا كان يشترهم من مواليتهم فاجتمع له منهم أربعة آلاف. ألبسهم أنواع الدباج، ووسمهم رتباً قيادية في الجيش، حتى أنّ نغرة العنصرية ثارت عند العسكريين العرب في الجيش، ودبت فيهم روح العصبية العمياء. فحاول عجيف أن يقلب الحكم على المعتصم ليولي العباس بن المأمون، ولكن هذه المحاولة أخفقت وقتله المعتصم^(١٢٤٦).

(١٢٤٤) وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٩٤ - ٩٥ ترجمة رقم ٦٩٦ الوزير ابن الزيات.

(١٢٤٥) تاريخ الطبري: ج ٧ ص ٣١٥ - ٣١٨ ذكر الخبر عن بعض أخلاق المعتصم وسيره.

(١٢٤٦) مروج الذهب: ج ٣ ص ٤٦٥.

من كلام الإمام الجواد عليه السلام

١. قال الإمام محمد الجواد عليه السلام: «عز المؤمن غناه عن الناس» (١٢٤٧).
٢. وقال عليه السلام: «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة» (١٢٤٨).
٣. وقال عليه السلام: «من أطاع هواه أعطى عدوه منه» (١٢٤٩).
٤. وقال عليه السلام: «من هجر المداراة قاربه المكروه» (١٢٥٠).
٥. وقال عليه السلام: «من لم يعرف الموارد أعيته المصادر» (١٢٥١).
٦. وقال عليه السلام: «راكب الشهوات لا تستقال له عشرة» (١٢٥٢).
٧. وقال عليه السلام: «إياك ومصاحبة الشرير! فإنه كالسيف المسلول، يحسن منظره ويقبح أثره» (١٢٥٣).
٨. وقال عليه السلام: «إذا نزل القضاء ضاق الفضاء» (١٢٥٤).
٩. وقال عليه السلام: «كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة» (١٢٥٥).
١٠. وقال عليه السلام: «نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر» (١٢٥٦).
١١. وقال عليه السلام: «لا يضرك سخط من رضاه الجور» (١٢٥٧).

-
- (١٢٤٧) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٩ ب ٤٩ ح ١٢.
- (١٢٤٨) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٦ وأما مناقبه عليه السلام.
- (١٢٤٩) أعلام الدين: ص ٣٠٩ من كلام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام.
- (١٢٥٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٤ ب ٢٧ ضمن ح ٤.
- (١٢٥١) أعلام الدين: ص ٣٠٩ من كلام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام.
- (١٢٥٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٤ ب ٢٧ ضمن ح ٤.
- (١٢٥٣) مستدرک الوسائل: ج ٨ ص ٣٥١ ب ٢٧ ح ٩٦٣٤، مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣١٢ ب ٣٦ ح ١٤١٧٣.
- (١٢٥٤) أعلام الدين: ص ٣٠٩ من كلام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام.
- (١٢٥٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٤ ب ٢٧ ضمن ح ٤.
- (١٢٥٦) أعلام الدين: ص ٣٠٩ من كلام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام.

١٢. وقال عليه السلام: «من لم يرض من أخيه بحسن النية، لم يرض منه بالعطية» (١٢٥٨).
١٣. وقال عليه السلام: «من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة وللعاقبة المتعبة» (١٢٥٩).
١٤. وقال عليه السلام: «لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه» (١٢٦٠).
١٥. وقال عليه السلام: «من استحسّن قبيحاً كان شريكاً فيه» (١٢٦١).
١٦. وقال عليه السلام: «من أمل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان» (١٢٦٢).
١٧. وقال عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء» (١٢٦٣).
١٨. وقال عليه السلام: «كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك» (١٢٦٤).
١٩. وقال عليه السلام: «اثنان عليان أبداً: صحيح محتم وعليل مخلط. موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر» (١٢٦٥).
٢٠. وقال عليه السلام: «الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسؤدد حق السؤدد

(١٢٥٧) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٣٨٠ ب ٨٢ ح ٤٥.

(١٢٥٨) أعلام الدين: ص ٣٠٩ من كلام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام.

(١٢٥٩) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٤ ب ٢٧ ضمن ح ٤.

(١٢٦٠) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٨ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٩ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦٢) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٥٠ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦٣) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٨ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦٤) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٩ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٥٠ وأما مناقبه عليه السلام.

- لمن اتقى الله ربه، والكريم كل الكريم من أكرم عن ذل النار وجهه»^(١٢٦٦).
٢١. وقال عليه السلام: «لا يفسدك الظن على صديق وقد أصلحك اليقين له»^(١٢٦٧).
٢٢. وقال عليه السلام: «استصلاح الأخيار بإكرامهم والأشرار بتأديبهم»^(١٢٦٨).
٢٣. وقال عليه السلام: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»^(١٢٦٩).
٢٤. وقال عليه السلام: «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»^(١٢٧٠).
٢٥. وقال عليه السلام: «لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسد قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم»^(١٢٧١).
٢٦. وقال عليه السلام: «من عتب من غير ارتياب، أعتب من غير استعتاب»^(١٢٧٢).
٢٧. وقال عليه السلام: «من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده»^(١٢٧٣).
٢٨. وقال عليه السلام: «لا تكن ولياً لله تعالى في العلانية، عدواً له في السر»^(١٢٧٤).
٢٩. وقال عليه السلام: «مقتل الرجل بين لحبيه، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير»^(١٢٧٥).

(١٢٦٦) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٥٠ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦٧) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٥٠ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦٨) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٥٠ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٦٩) تحف العقول: ص ٤٥٦ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني .

(١٢٧٠) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٩ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٧١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٥٠ وأما مناقبه عليه السلام.

(١٢٧٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٤ ب ٢٧ ضمن ح ٤.

(١٢٧٣) تحف العقول: ص ٤٥٦ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني .

(١٢٧٤) أعلام الدين: ص ٣٠٩ من كلام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام.

(١٢٧٥) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٩ وأما مناقبه عليه السلام.

٣٠. وقال ﷺ: «فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء. والخلق أشكال فكل يعمل على شاكلته، والناس إخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تحوز عداوة؛ وذلك قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٧٦) (١٢٧٧).

(١٢٧٦) سورة الزخرف: ٦٧.

(١٢٧٧) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٩ وأما مناقبه ﷺ.

المعصوم الثاني عشر:
الإمام علي بن محمد الهادي

نسبه عليه السلام :

هو علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام محمد الجواد عليه السلام.

والدته عليها السلام :

سمانة المغربية وكانت تعرف بالسيدة، وهي مبشرة من قبل المعصوم عليه السلام بالجنة، وكانت تصوم السنة كاملة، وتكنى بأُمّ الفضل ^(١٢٧٨).

وقد تولّى الإمام الجواد عليه السلام تربيتها وتهذيبها، بحيث بلغت من المرتبة أنّها لا يقربها شيطان مارد أي لا تأثير له عليها، ففي الخبر عن الإمام الهادي عليه السلام قال: «أمّي عارفة بحقّي وهي من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة» ^(١٢٧٩) بعين الله التي لا تنام، ولا تختلف عن أمهات الصديقين والصالحين ^(١٢٨٠).

كنيته عليه السلام :

أبو الحسن، ويُعرف بأبي الحسن الثالث.

ألقابه عليه السلام :

الهادي، والمتوكل، والناصح، والمتقي، والمرضى، والفقيه، والأمين، والطيب، وأشهرها الهادي والمتوكل، ولكنه عليه السلام كان يأمر أصحابه أن يعرضوا عن تلقيبه به

^(١٢٧٨) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ١١٤ ب ١ ضمن ح ٢.

^(١٢٧٩) أي محفوظة.

^(١٢٨٠) دلائل الإمامة: ص ٢١٦- ٢١٧ معرفة ولادة أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام.

لكونه آنذاك لقباً لجعفر المتوكل ابن المعتصم.

ولادته عليه السلام :

وُلد عليه السلام في منتصف ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين في ضاحية من ضواحي المدينة في موضع يقال له صربا.

صفته عليه السلام :

قالوا: إنه أسمر اللون، معتدل القامة، فيه نداوة، أبيض الوجه مشرباً حمرة، خفيف بروز الخدين، واسع العينين، أزج الحاجبين، بشوش الوجه، متبسماً، محبوب القلوب، مهيباً، لا يتملق عدواً إذا لقيه، شفته في ذكر الله، وإذا مشى لم يباعد في خطوة، يصعب تخطيه في مشيه.

قال صاحب جنات الخلود: (إن كنت مغموماً زال غمك بالنظر إليه عليه السلام).
وكان للإمام الهادي عليه السلام هيبة عظيمة، يقول محمد بن الحسن الأشتر العلوي: كنت مع أبي علي باب المتوكل وأنا صبي في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي وجعفري، ونحن وقوف إذ جاء أبو الحسن الهادي عليه السلام فترجّل الناس كلهم حتى دخل. فقال بعضهم لبعض: لِمَ نترجّل لهذا الغلام، وما هو بأكبرنا ولا بأشرفنا ولا بأسننا؟ والله لا ترجلنا له.

فقال أبو هاشم الجعفري: والله لترجلن له صغرة إذا رأيتموه. فما هو عليه السلام إلا أن أقبل وبصروا به حتى ترجل له الناس كلهم، فقال لهم أبو هاشم: أ لستم زعمتم أنكم لا تترجلون له!.

فقالوا له: والله ما ملكنا أنفسنا حتى تترجلنا ^(١٢٨١).

شاعره عليه السلام :

قيل: هو العوفي والديلمي.

(١٢٨١) الثاقب في المناقب: ص ٥٤٢ - ٥٤٣ ب ١٣ ف ٦ ح ٤٨٤.

من أشعاره عليه السلام:

نسب للإمام الهادي عليه السلام بعض الأشعار، منها قوله عليه السلام:

باتوا على قلل الجبال تحرسهم
واستنزلوا بعد عزم من معاقلهم
ناداهم صارخ من بعدما رحلوا
أين الوجوه التي كانت محجبة
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

بوابه عليه السلام:

عثمان بن سعيد.

نقش خاتمه عليه السلام:

الله ربي وهو عصمتي من خلقه.

قالوا في الإمام الهادي عليه السلام:

قال العلامة الإربلي صاحب كشف الغمة:

(شرف مولانا الهادي عليه السلام قد ضرب على المجرة قبابه، ومدّ على النجوم أطنابه،
ووصل بأسباب السماء أسبابه، فما تعد منقبة إلا وله نخيلتها، ولا تُذكر كريمة إلا وله
فضيلتها، ولا تورّد حسنة إلا وله تفصيلها وجملتها، ولا تستعظم حالة سنّية إلا
وتظهر عليه أدلتها. استحق ذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرد بخصائصه، ومجد
حكم فيه على طبعه الكريم، فحفظه من الشوب حفظة الراعي لقلائصه، فكانت
نفسه مهذبة، وأخلاقه مستعذبة، وسيرته عادلة، وخلاله فاضلة، ومباراه إلى العفة
واصلة، ورباع العرف بوجوده وجودة أهله جرى من الوقار والسكينة، والسكون
والطمأنينة، والعفة والنزاهة، والخمول في النباهة، والشفقة والرأفة، والحزم
والحصافة، والحنو على الأقارب والأباعد، والحدب على الولي والحاسد، على وتيرة
نبوية، وشنشنة علوية، ونفس قدسية، لا يقاربها أحد من الأنام ولا يدانيها، وطريقة لا

يشاركه فيها خلق ولا يطمع فيها^(١٢٨٢).

وقال الشبلنجي: (ومناقبه عليه السلام كثيرة. قال في الصواعق: كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه حليماً ومنحاً)^(١٢٨٣).

وقال الشيخاني: (وكان علي العسكري عليه السلام صاحب وقار وسكون، وهيبة وطمأنينة، وعفة ونزاهة، وكانت نفسه زكية، وهمته عليّة، وطريقته حسنة مرضية، رضي الله تعالى عنه وعن سلفه وخلفه).

^(١٢٨٢) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٩٩ الفصل الرابع في ذكر طرف من خصائصه عليه السلام وأخباره.
^(١٢٨٣) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: ص ١٦٤ فصل في ذكر مناقب سيدنا علي الهادي.

معاجز وكرامات

معاجز وكرامات الإمام الهادي عليه السلام كثيرة، منها:

الإخبار عن جمجمة مغمورة

عن المنتصر بن المتوكل، قال: زرع والدي الآس في بستان وأكثر منه، فلما استوى الآس كله وحسن، أمر الفراشين أن يفرشوا له على دكان في وسط البستان وأنا قائم على رأسه. فرفع رأسه إليّ وقال: يا رافضي، سل ربك الأسود عن هذا الأصل الأصفر ما له من بين ما بقي من هذا البستان قد اصفر؟ فإنك تزعم أنه يعلم الغيب.

فقلت: يا أمير، إنه ليس يعلم الغيب. فأصبحت وغدوت إلى أبي الحسن عليه السلام من الغد وأخبرته بالأمر. فقال: «يا بني، امض أنت واحفر الأصل الأصفر؛ فإنّ تحته جمجمة نحرة، واصفراره لبخارها ومنتها».

قال: ففعلت ذلك فوجدته كما قال عليه السلام، ثم قال لي: «يا بني، لا تخبرن أحداً بهذا الأمر إلا لمن يحدثك بمثله» (١٢٨٤).

مع المشعبد الهندي

عن زرارة حاجب المتوكل، أنه قال: وقع رجل مشعبد من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب بلعب لم ير مثله، وكان المتوكل لعباً، فأراد أن يخجل علي بن محمد بن الرضا عليه السلام. فقال لذلك الرجل: إن أنت أخجلته أعطيتك ألف دينار زكية. قال: تقدم بأن يخبز رقاق خفاف واجعلها على المائدة وأقعدني إلى جنبه. ففعل وأحضر علي بن محمد عليه السلام، وكانت له مسورة عن يساره كان عليها صورة أسد، وجلس اللاعب إلى جانب المسورة، فمد علي بن محمد عليه السلام يده إلى رقاقة فطيرها ذلك الرجل، ومد يده

(١٢٨٤) الثاقب في المناقب: ص ٥٣٨ ب ١٣ ف ٥ ح ٤٧٧.

إلى أخرى فطيرها فتضاحك الناس.

فضرب علي بن محمد عليه السلام يده على تلك الصورة التي في المسورة، وقال: «خذه». فوثبت تلك الصورة من المسورة فابتلعت الرجل، وعادت في المسورة كما كانت. فتحير الجميع ونهض علي بن محمد عليه السلام، فقال له المتوكل: سألتك إلا جلست ورددته. فقال: «والله لا ترى بعدها، أ تسلط أعداء الله على أولياء الله». وخرج من عنده فلم ير الرجل بعد ذلك ^(١٢٨٥).

الإطلاع على الضمائر

حدث جماعة من أهل أصفهان، منهم: أبو العباس أحمد بن النصر وأبو جعفر محمد بن علوية، قالوا: كان بأصفهان رجل يقال له: عبد الرحمان وكان شيعياً. قيل له: ما السبب الذي أوجب عليك به القول بإمامة علي النقي عليه السلام دون غيره من أهل الزمان؟.

قال: شاهدت ما أوجب ذلك عليّ؛ وذلك أنني كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسان وجراة، فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين إلى باب المتوكل متظلمين. فكنا بباب المتوكل يوماً إذ خرج الأمر بإحضار علي بن محمد بن الرضا عليه السلام، فقلت لبعض من حضر: من هذا الرجل الذي قد أمر بإحضاره؟.

ف قيل: هذا رجل علوي تقول الرافضة بإمامته، ثم قيل: ويقدر أن المتوكل يحضره للقتل. فقلت: لا أبرح من ههنا حتى أنظر إلى هذا الرجل أي رجل هو!.

قال: فأقبل ركباً على فرس، وقد قام الناس يمينا الطريق ويسرته صفيين ينظرون إليه، فلما رأته وقع حبه في قلبي، فجعلت أدعو له في نفسي بأن يدفع الله عنه شر المتوكل. فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابته لا ينظر يمينا ولا يسرة، وأنا دائم الدعاء له، فلما صار بإزائي أقبل إليّ بوجهه. وقال: «استجاب الله دعائك، وطول

(١٢٨٥) الثاقب في المناقب: ص ٥٥٥ - ٥٥٦ ب ١٣ ف ٦ ح ٤٩٧.

عمرك، وكثر مالك وولدك».

قال: فارتعدت من هيئته ووقعت بين أصحابي، فسألوني وهم يقولون: ما شأنك؟.

فقلت: خير، ولم أخبرهم بذلك.

فانصرفنا بعد ذلك إلى أصفهان، ففتح الله عليّ الخير بدعائه ووجوهاً من المال، حتى أنا اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى مالي خارج داري، ورزقت عشرة من الأولاد، وقد بلغت الآن من عمري نيفاً وسبعين سنة، وأنا أقول بإمامة هذا الذي علم ما في قلبي واستجاب الله دعاءه فيّ وليّ^(١٢٨٦).

(١٢٨٦) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٣٩٢- ٣٩٣ الباب الحادي عشر في معجزات الإمام علي بن محمد النقي عليه السلام.

مناقبات

ظهرت من الإمام الهادي عليه السلام العديد من المعالي والمناقب الرفيعة، ومنها:

إغاثة الملهوفين:

من عادة الناس أنهم في الشدائد يلوذون بأهل البيت عليهم السلام ويستنجدون بهم؛ ليخلصوهم مما هم فيهم من الشدائد والحن بإذن الله تعالى، وهذا ما كان في عهد الإمام الهادي عليه السلام، حيث كان كهف الوري وملاذ البرية في مختلف الأمور.

يقال: إنه كان قد خرج يوم من سر من رأى إلى قرية له لمهم عرض له. فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره فلم يجده، وقيل له: إنه ذهب إلى الموضع الفلاني. فقصدته إلى موضعه، فلما وصل إليه قال له: «ما حاجتك؟».

فقال له: أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ركبتني ديون فادحة أثقل ظهري حملها، ولم أر من أقصدته لقضائها سواك.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: «كم دينك؟».

فقال: نحو العشرة آلاف درهم.

فقال: «طب نفساً وقر عيناً، يُقضى دينك إن شاء الله تعالى». ثم أنزله فلما أصبح قال له: «يا أبا العراب، أريد منك حاجة لا تعصني فيها ولا تخالفني، والله الله فيما أمرك به وحاجتك تقضى إن شاء الله تعالى».

فقال الأعرابي: لا أخالفك في شيء مما تأمرني به. فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه ديناً عليه للأعرابي المذكور، وقال: «خذ هذا الخط معك، فإذا حضرت سر من رأى فتراني أجلس مجلساً عاماً، فإذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال إليّ بالخط وطالبي، وأغلظ عليّ في القول ولا عليك، والله الله أن تخالفني في شيء مما أوصيك به».

فلما وصل أبو الحسن عليه السلام إلى سر من رأى، جلس مجلساً عاماً وحضر عنده جماعة من وجوه الناس، وأصحاب المتوكل وأعيان البلد وغيرهم. فجاء ذلك الأعرابي وأخرج الخط وطالبه بالمبلغ المذكور وأغلظ عليه في الكلام، فجعل أبو الحسن عليه السلام يعتذر إليه ويطيب نفسه بالقول، ويعده بالخلاص عن قريب وكذلك الحاضرون، وطلب منه المهلة ثلاثة أيام. فلما انفك المجلس نقل ذلك الكلام إلى الخليفة المتوكل، فأمر لأبي الحسن عليه السلام على الفور بثلاثين ألف درهم. فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي، فقال له: «خذ هذا المال فاقض منه دينك، واستعن بالباقي على وقتك والقيام على عائلتك».

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله، والله في العشرة آلاف بلوغ مطلبي ونهاية إرربي وكفاية أمني كان يقصر عن ثلث هذا. فقال أبو الحسن عليه السلام: «والله لتأخذن ذلك جميعه، وهو رزقك الذي ساقه الله إليك، ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه». فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو ويقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(١٢٨٧).

وعن كافور الخادم، قال: كان في الموضع مجاور الإمام من أهل الصنائع صنوف من الناس، وكان الموضع كالقريبة، وكان يونس النقاش يتردد على الإمام الهادي عليه السلام ويخدمه. فجاءه يوماً يرعد فقال له: يا سيدي، أوصيك بأهلي خيراً. قال: «وما الخبر؟».

قال: عزمت على الرحيل.

قال: «ولمَ يا يونس؟»، وهو عليه السلام يتبسم.

قال: قال يونس: ابن بغا وجه إليّ بفصّ ليس له قيمة، أقبلت أنقشه فكسرتة بائنين وموعده غداً، وهو موسى بن بغا، إما ألف سوط أو القتل. قال عليه السلام: «امض إلى منزلك إلى غد فرج، فما يكون إلا خيراً».

(١٢٨٧) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج ٢ ص ١٠٦٦ - ١٠٦٧ ف ١٠.

فلما كان من الغد وافى بكرة يرعد، فقال: قد جاء الرسول يلتبس الفص.
قال: «امض إليه فما ترى إلا خيراً».

قال: وما أقول له يا سيدي؟.

قال: فتبسم ﷺ وقال: «امض إليه واسمع ما يخبرك به، فلن يكون إلا خيراً».
قال: فمضى وعاد يضحك.

قال: قال لي: يا سيدي الجواري اختصموا، فيمكنك أن تجعله فصين حتى
نغنيك؟.

فقال سيدنا الإمام ﷺ: «اللهم لك الحمد إذ جعلتنا ممن يحمذك حقاً، فأيش قلت
له؟».

قال: قلت: أمهلني حتى أتأمل أمره كيف أعمله.
فقال: «أصببت» (١٢٨٨).

٢. عبادة تبكي الطغاة:

يقال: إن بعضهم وشى بالإمام ﷺ عند المتوكل على أن في منزله أسلحة وأنه
يطلب الخلافة. فوجه إليه رجالاً هجموا عليه فدخلوا داره، فوجدوه ﷺ في بيته
وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه الشريف ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة
ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، وهو يترنم بآيات من القرآن في
الوعد والوعيد. فحملوه إليه على ألبسته المذكورة، فلما رآه عظمه وأجلسه إلى جنبه،
فكلمه فبكى المتوكل بكاءً طويلاً، ثم قال: يا أبا الحسن عليك دين؟.

قال ﷺ: «نعم أربعة آلاف دينار». فأمر المتوكل بدفعها إليه ثم رده إلى منزله
مكرماً (١٢٨٩).

(١٢٨٨) أمالي الطوسي: ص ٢٨٨- ٢٨٩ المجلس الحادي عشر ح ٥٥٩.

(١٢٨٩) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ٢١١- ٢١٢ ب ٤ ضمن ح ٢٥.

٣. علوم سماوية:

العلوم التي ظهرت من الإمام الهادي عليه السلام هي كثيرة وفي مختلف المجالات، ولكن من ظلم بني العباس وجورهم أنهم كانوا يجرمون الناس والأجيال من تلك العلوم، وسعوا في تلف التراث الشيعي حتى لم يصل منها إلا القليل، وفي هذا القليل الكثير من العلوم والمعارف.

ومنها ما أجاب به الإمام الهادي عليه السلام لأسئلة يحيى بن أكثم، في مجلس الواثق بحضور الفقهاء. فقال: من حلق رأس آدم حين حج؟

فلم يجر أحدهم بالجواب، فقال الواثق: أنا أحضر لكم من ينيئكم بالخبر. فبعث إلى الإمام عليه السلام فحضر. فقال: يا أبا الحسن، من حلق رأس آدم؟

فقال عليه السلام: «سألتك بالله يا أمير إلا عفيتني». قال: أقسمت عليك لتقولن؟ قال: «أما إذا أبيت فإن أبي حدثني، عن جدي، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمر جبرئيل أن ينزل بياقوتة من الجنة، فهبط بها فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه فحيث بلغ نورها صار حرماً»^(١٢٩٠).

❖ وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، قال: لما سم المتوكل نذر إن عوفي أن يتصلق بمال كثير. فلما عوفي سأل الفقهاء عن حد المال الكثير؟ فاختلّفوا عليه فقال بعضهم: مائة ألف، وقال بعضهم: عشرة آلاف. فقالوا فيه أقاويل مختلفة، فاشتبه عليه الأمر. فقال رجل من ندمائهم يقال له صفعان: أ لا تبعث إلى هذا الأسود فتسأل عنه؟

فقال له المتوكل: من تعني ويحك؟

فقال له: ابن الرضا.

فقال له: وهو يحسن من هذا شيئاً؟

(١٢٩٠) مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ٣٣٠ ب ٩ ح ١١٠٢٢.

فقال: إن أخرجك من هذا فلي عليك كذا وكذا وإلا فاضربني مائة مقرعة. فقال المتوكل: قد رضيت، يا جعفر بن محمود صر إليه وسله عن حد المال الكثير. فصار جعفر بن محمود إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام فسأله عن حد المال الكثير. فقال: «الكثير ثمانون». فقال له جعفر: يا سيدي، إنه يسألني عن العلة فيه. فقال له أبو الحسن عليه السلام: «إن الله عز وجل يقول: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾»^(١٢٩١)، فعددتنا تلك المواطن فكانت ثمانين»^(١٢٩٢).

٤. معارف إلهية:

بالرغم من أن ظروف الإمام الهادي عليه السلام كانت صعبة جداً، خاصة في عهد المتوكل الذي عرف بشدة بغضه للإمام عليه السلام ولشيعته، مع ذلك فقد وصلنا منه عليه السلام معارف رفيعة، منها: الزيارة الجامعة الكبيرة، وهي بحر من العلوم والمعارف والعقائد الحقة، تربي الإنسان على الإيمان، وتعلمه الحق، وتبين له كيف يزور أهل البيت عليهم السلام، وتعرفه مقاماتهم العظيمة، وتطلعه على مجموعة كبيرة من المعارف الإلهية التي قلما توجد في مكان آخر.

(١٢٩١) سورة التوبة: ٢٥.

(١٢٩٢) الكافي: ج ٧ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ باب النوادر ح ٢١.

الإمام الهادي عليه السلام والمجتمع

على نهج آبائه المعصومين عليه السلام سار الإمام الهادي عليه السلام مؤثراً صلاح المجتمع وهداية العباد على كل شيء، وقد كان له عليه السلام مواقف مهمة سجلها التاريخ، منها:

١. دحض إدعاءات الكاذبين:

بين الفترة والأخرى تثير الكذابة الأكاذيب والمفتريات؛ ليشككوا الناس في معتقداتهم، أو ليجذبوا الناس حولهم ويضحكوا على عقول البسطاء. وكان الأئمة الهداة عليه السلام عادة - وبحسب الظروف المتاحة - يكشفون كذب هؤلاء، ويوضحون للناس زيفهم وافتراءاتهم.

وفي عهد الإمام الهادي عليه السلام ادعت امرأة أنها زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام. يقول أبو هاشم الجعفري: ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدعي أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فقال لها المتوكل: أنت امرأة شابة، وقد مضى من وقت وفاة رسول الله ﷺ ما مضى من السنين.

فقالت: إن رسول الله ﷺ مسح على رأسي، وسأل الله أن يرد عليّ شبابي في كل أربعين سنة، ولم أظهر للناس إلى هذه الغاية، فلحقتني الحاجة فصرت إليهم. فدعا المتوكل كل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش فعرفهم حالها. فروى جماعة وفاة زينب بنت فاطمة عليها السلام في سنة كذا. فقال لها: ما تقولين في هذه الرواية؟.

فقالت: كذب وزور، فإن أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت.

فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟.

قالوا: لا.

قال المتوكل: أنا برئ من العباس إن لا أنزلها عما ادعت إلا بحجة تلزمها.

قالوا: فأحضر علي بن محمد ابن الرضا عليه السلام، فلعل عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا. فبعث إليه فحضر فأخبره بحبر المرأة. فقال: «كذبت؛ فإن زينب عليها السلام توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا».

قال: فإن هؤلاء قد رووا مثل هذه الرواية، وقد حلفت أن لا أنزلها عما ادعت إلا بحجة تلزمها.

قال: «ولا عليك فها هنا حجة تلزمها وتلزم غيرها».

قال: وما هي؟

قال: «لحوم ولد فاطمة محرمة على السباع، فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرها السباع».

فقال لها: ما تقولين؟

قالت: إنه يريد قتلي. قال: «فهنا جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام فأنزل من شئت منهم».

قال: فو الله لقد تغيرت وجوه الجميع.

فقال بعض المتعصبين: هو يحيل على غيره، لِمَ لا يكون هو؟

فمال المتوكل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع. فقال:

يا أبا الحسن، لِمَ لا يكون أنت ذلك؟

قال: «ذاك إليك». قال: فافعل!. قال: «أفعل إن شاء الله». فأتى بسلم وفتح عن

السباع وكانت ستة من الأسود. فنزل الإمام أبو الحسن عليه السلام إليها، فلما دخل وجلس

صارت الأسود إليه، ورمت بأنفسها بين يديه، ومدت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين

يديه، فجعل يمسح على رأس كل واحد منها بيده، ثم يشير له بيده إلى الاعتزال

فيعتزل ناحية، حتى اعتزلت كلها وقامت بإزائه.

فقال له الوزير: ما كان هذا صواباً، فبادر بإخراجه من هناك قبل أن ينتشر خبره.

فقال له: أبا الحسن، ما أردنا بك سوءً وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت، فأحب أن تصعد. فقام وصار إلى السلم وهي حوله تتمسح بشيابه. فلما وضع رجله على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع. فرجعت وصعد فقال: «كل من زعم أنه من ولد فاطمة عليها السلام فليجلس في ذلك المجلس».

فقال لها المتوكل: انزلي. قالت: الله، الله ادعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضر على ما قلت. فقال المتوكل: ألقوها إلى السباع. فبعثت والدته واستوهبتها منه وأحسن إليها ^(١٢٩٣).

٢. نشر العلوم:

شهد عصر الإمام الهادي عليه السلام ظهور العديد من الفرق الضالة كالجبرة والمفوضة والغلاة، وأثيرت الكثير من المباحث الجدلية، منها مسألة قدم القرآن الكريم المعروفة بمحنة القرآن، وهي معضلة أبتلي بها العامة ولم تؤثر على الشيعة. ففي رسالة كتبها الإمام الهادي عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد، قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا يفعل فهي الهلكة. نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق. والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون» ^(١٢٩٤).

كما كان الإمام عليه السلام يحذر المواليين من بدع الغلاة ويأمرهم باعتزالهم. ففي الخبر عن أحمد بن محمد بن عيسى كتب إليه عليه السلام ^(١٢٩٥) في قوم يتكلمون ويقرؤون أحاديث

^(١٢٩٣) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٤٠٤ - ٤٠٦ الباب الحادي عشر في معجزات الإمام علي بن محمد النقي عليه السلام.

^(١٢٩٤) أمالي الصدوق: ص ٥٤٦ المجلس الحادي والثمانون ح ١٤.

^(١٢٩٥) أي إلى الإمام الهادي عليه السلام.

وينسبونها إليك وإلى آباتك ﷺ فيها ما تشمئز منها القلوب، ولا يجوز لنا ردها إذ كانوا يروونها عن آباتك ولا قبولها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك، وهو رجل يقال له: علي ابن حسكة، وآخر يقال له: القاسم اليقطيني. ومن أقاويلهم أنهم يقولون: إن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١٢٩٦) معناها رجل لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تألوها وصيروها على الحد الذي ذكرت. فإن رأيت أن تبين لنا وتمن علينا بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم إلى الهلاك؟.

فكتب عليه السلام: «ليس هذا ديننا فاعتزله»^(١٢٩٧).

الإبعاد إلى سامراء

كان المتوكل العباسي المعروف ببغضه لأهل البيت ﷺ وخاصة للإمام علي الهادي عليه السلام يتصيد الظروف وينتظر الفرص كي يؤدي الإمام عليه السلام، فاستدعى الإمام عليه السلام إلى سامراء كي يكون تحت نظارته ومراقبته التامة.

وقد أمر المتوكل من قبل عامله على المدينة عبد الله بن محمد الذي كان يتولى الصلاة وأمور الحرب في المدينة بأن يؤدي الإمام عليه السلام، ثم كتب إلى يحيى بن هرثة بجلب الإمام عليه السلام إلى سامراء.

يقول يحيى: فلما صرت إليه ضج أهلها - أي أهل المدينة - وعجّوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله خوفاً على علي الهادي عليه السلام؛ لأنه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أنني لم أوامر فيه بكرهه، وأنه لا بأس عليه.

^(١٢٩٦) سورة العنكبوت: ٤٥.

^(١٢٩٧) اختيار معرفة الرجال: ج ٢ ص ٨٠٢ - ٨٠٣ في الغلات في وقت أبي محمد العسكري عليه السلام ح ٩٩٤.

ثم إنه عليه السلام خرج برفقة يحيى ومجموعة من الجند، ولما بلغوا بغداد خرج أهلها لاستقباله عند الجسر وهم يقولون: قدم ابن الرضا عليه السلام من المدينة. وقد أوصى أكثر من واحد يحيى بن هرثة بالإحسان إليه، وحذروه من السعي في قتله. فطمأنهم بسلامته ثم ساروا إلى سامراء، ولما وصلوها أراد المتوكل إيذاء الإمام عليه السلام، فمنعه من الدخول عليه في نفس اليوم، وأنزله في خان يعرف بخان الصعاليك، وبات الإمام عليه السلام فيه يومه وبعد ذلك أفردوا للإمام عليه السلام داراً نزل فيها بعض الأيام.

جواسيس على الإمام عليه السلام

جعل المتوكل عدداً من الجواسيس والعيون يترصدون أفعال الإمام عليه السلام ويتربون تحركاته ويرفعون إليه أخباره، وكان بعضهم يدلس في تقاريره، يقول إبراهيم بن محمد الطاهري:

مرض المتوكل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت. فلم يجسر أحد أن يمسه بجديده، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام مالاً جليلاً من مالها.

وقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل - يعني أبا الحسن عليه السلام - فسألته فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك. فقال: ابعثوا إليه. فمضى الرسول ورجع فقال: «خذوا كسب الغنم فديفوه بماء ورد، وضعوه على الخراج؛ فإنه نافع بإذن الله». فجعل من بحضرة المتوكل يهزأ من قوله، فقال لهم الفتح: وما يضر من تجربة ما قال، فو الله إنني لأرجو الصلاح به. فأحضر الكسب وديف بماء الورد ووضع على الخراج، فانفتح وخرج ما كان فيه. فبشرت أم المتوكل بعافيته، فحملت إلى أبي الحسن عليه السلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها، واستقل المتوكل من علته. فلما كان بعد أيام سعى البطحاني بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل، وقال: عنده سلاح وأموال. فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم ليلاً عليه، ويأخذ ما يجد عنده من الأموال والسلاح ويحمله إليه.

قال إبراهيم بن محمد: فقال لي سعيد الحجاب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام بالليل ومعني سلم، فصعدت منه إلى السطح، ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدر كيف أصل إلى الدار.

فناداني أبو الحسن عليه السلام من الدار: «يا سعيد، مكانك حتى يأتوك بشمعة». فلم ألبث أن أتوني بشمعة، فنزلت فوجدت عليه جبة صوف وقلنسوة منها، وسجاده على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة.

فقال عليه السلام لي: «دونك البيوت». فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً، ووجدت البدرية مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً معها. فقال لي أبو الحسن عليه السلام: «دونك المصلّى». فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس.

فأخذت ذلك وصرت إلى المتوكل، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرية بعث إليها فخرجت إليه، فسألها عن البدرية. فأخبرني بعض خدم الخاصة أنها قالت: كنت نذرت في علتك إن عوفيت أن أحمل إليه عليه السلام من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه، وهذا خاتمي على الكيس. وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار. فأمر أن يضم إلى البدرية بدرية أخرى، وقال لي: احمل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام، واردد عليه السيف والكيس بما فيه.

فحملت ذلك إليه واستحييت منه. فقلت له: يا سيدي، عز عليّ بدخول دارك بغير إذنك ولكني مأمور، فقال لي: ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٩٨) (١٢٩٩).

مؤامرات فاشلة

في أكثر من مرة أراد المتوكل عبر تحريض صوري من جواسيسه القضاء على

(١٢٩٨) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(١٢٩٩) الكافي: ج ١: ص ٤٩٩ - ٥٠٠ باب مولد أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام والرضوان ح ٤.

الإمام عليه السلام ولكن مؤامراتهم كانت تبوء بالفشل والخيبة، يقول المسعودي في مروجه: سعي إلى المتوكل بعلي بن محمد الجواد عليه السلام أن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنه عازم على الوثوب بالدولة. فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا داره ليلاً، فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصا، وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن.

فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة. وكان المتوكل جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه السلام عليه والكأس في يد المتوكل، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده. فقال: «والله ما يخامر لحمي ودمي قط». فقال: أنشدني شعراً. فقال عليه السلام: «إني قليل الرواية للشعر». فقال: لا بد. فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

باتوا على قتل الجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القل
واستنزلوا بعد عزم من معاقلهم وأسكنوا حضراً يا بنسماً نزلوا^(١٣٠٠)

(١٣٠٠) بنس المنزل: ينقل المهندس الحاج عبد الرزاق النصاروي - من أهالي المسيب والذي كان يعمل في شركة الفاو الهندسية التابعة لوزارة الداخلية والمشرفة على تنفيذ مشروع مجاري مدينة سامراء وبلد في محافظة صلاح الدين (تكريت) - عن كيفية تحول قبر المتوكل (لعنه الله) إلى مجمع للنجاسات، وصدق ما توقعه الإمام الهادي عليه السلام بحقه فعلاً.

فقال: في أواخر عام ١٩٨٩م قام النظام البائد بإحالة مجاري مدينة سامراء وبلد في محافظة صلاح الدين (تكريت) إلى شركة ماهون البريطانية؛ وذلك من أجل إعداد التصاميم والمخططات الهندسية اللازمة لهذا المشروع المهم، والذي كان بأمر وإشراف مباشر من قبل صدام (لعنه الله) نفسه.

وفعلاً قامت الشركة المذكورة بإعداد كافة التصاميم والمخططات الهندسية اللازمة لذلك، وتم تكليف إحدى الشركات الهندسية - والتي لا يحضرني اسمها الآن - بتنفيذ هذا المشروع.

وعليه فقد بوشر العمل بمجاري بلد أولاً، ولكن تم إيقافه بسبب غزو صدام للكويت عام ١٩٩٠م. وأما في سامراء فقد تم استملاك الأراضي التي سينفذ عليها المشروع لدائرة المجاري، لكن لم تتم المباشرة بالعمل.

ناداهم صارخ من بعد دفنهم
أين الوجوه التي كانت منعمة
أين الأساور والتيجان والحلل
من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود تقتتل

بعد عام ٢٠٠١م أمر صدام بضرورة استئناف العمل بهذا المشروع على أن ينجز بأسرع وقت ممكن، علماً بأنه خلال فترة التوقف ما بين عام ١٩٩٠ - ٢٠٠١م كانت البعثة الأثرية مستمرة بأعمال التنقيب في مدينة سامراء، كما أنها لم تكن تعلم بأن الأراضي الواقعة جنوب سامراء - والتي سينفذ عليها المشروع - قد تم استملاكها من قبل دائرة المجاري.

لذا تم تكليف شركة الفاو الهندسية التابعة لوزارة الداخلية - والتي كنت أعمل فيها - بالمباشرة بتنفيذ محطة المعالجة في هذه الأراضي المذكورة، ولكن عندما باشرت شركة الفاو بالعمل اعترضت دائرة الآثار وطالبت بإيقاف العمل؛ باعتبار أن هذه المنطقة أثرية فينبغي المحافظة عليها لأن فيها من جملة الآثار قبر المتوكل (لعنه الله).

وعليه فقد ذهب وفد من قبل دائرة الآثار لمقابلة المحافظ والتحدث معه بضرورة إيقاف العمل، علماً بأن المحافظ كان من أهل تكريت. وعندما قابلوه واستمع لحديثهم، قال لهم: صدام يريد مني إنجاز المشروع بأسرع وقت، قوموا عني ولا تحدثوا لي مشكلة مع صدام. فطردهم شر طردة.

وعليه فقد باشرت شركة الفاو بتنفيذ محطة المعالجة في هذه المنطقة، وقامت ببناء حوض الترسيب، وهو عبارة عن اسطوانة دائرية بقطر ٣٠م وارتفاع ٦م، أي بحجم ٤٢٣٩ متر مكعب، حيث تتم معالجة النجاسات في هذا الحوض المقام على قبر المتوكل (لعنه الله).

ومما يجدر ذكره أن الماويل أياذ العاني كان مستاءً جداً من هذا الأمر، فجاءني غاضباً وهو يقول: تاريخنا! رموزنا! قادتنا! كيف يصار بهم هذا!! هل تقبل بهذا؟!

فقلت له - ولم أكن أعلم بالموضوع -: ما الذي جرى؟.

فقال: قبر المتوكل أصبح تحت حوض الترسيب.

قلت: لقد صدقت نبوءة الإمام الهادي عليه السلام بحقه عندما خاطبه بقوله: باتوا على قلل... إلى آخر القصيدة.

وكنت وقتها مصاباً بوعكة وصحتي ليست على ما يرام، فشفيت مما أنا فيه وتحسنت صحتي وذهب مما كنت أشعر به من ألم؛ لما سمعت بهذا الخبر الذي أنبأ به الإمام الهادي عليه السلام قبل أكثر من ألف عام من وقوعه، علماً بأن هذا المشروع قد تم الفراغ منه وتنفيذه بالكامل وهو يعمل الآن في تلك المدينتين المذكورتين. والحمد لله رب العالمين. الناشر

قد طال ما أكلوا دهرا وقد شربوا وأصبحوا اليوم بعد الأكل قد أكلوا
قال: فبكى المتوكل حتى بلت لحيته دموع عينيه وبكى الحاضرون، ودفع إلى علي
عليه السلام أربعة آلاف دينار، ثم رده إلى منزله مكرماً^(١٣٠١).

المتوكل يهمل بقتل الإمام علي عليه السلام

عزم المتوكل أكثر من مرة على قتل الإمام علي الهادي عليه السلام وأعد العدة لذلك،
فمرة أمر أربعة من الأجلاف أن يتأهبوا لقتله عليه السلام، ولكن عناية السماء حالت دون
ذلك.

يقول فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب: كنا مع المعتز وكان أبي كاتبه، فدخلنا
الدار والمتوكل على سريريه قاعد. فسلم المعتز ووقف خلفه، وكان عهدي به إذا دخل
عليه رحب به وأمره بالعود، ونظرت إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة، ويقبل على
الفتح بن خاقان ويقول: هذا الذي تقول فيه ما تقول ويردد القول. والفتح مقبل عليه
يسكنه ويقول: مكذوب عليه يا أمير. وهو يتلظى ويشطط ويقول: والله لأقتلن هذا
المرائي الزنديق، وهو الذي يدعي الكذب ويطعن في دولتي - ثم قال - جئني بأربعة
من الخزر وأجلاف لا يفقهون.

فجاء بهم ودفع إليهم أربعة أسيف، وأمرهم أن يרטنوا بألسنتهم إذا دخل أبو
الحسن، وأن يقبلوا عليه بأسيفهم فيخبطوه ويقتلوه. وهو يقول: والله لأحرقنه بعد
القتل. وأنا منتصب قائم خلفه من وراء الستر، فما علمت إلا بأبي الحسن عليه السلام قد
دخل، وقد بادر الناس قدمه فقالوا: جاء. والتفت ورائي وهو غير مكترث ولا جازع،
فلما بصر به المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه وهو يسبقه فانكب عليه يقبل بين
عينيه، واحتمل يده بيده، وهو يقول: يا سيدي، يا ابن رسول الله، وبأخير خلق الله، يا

(١٣٠١) مروج الذهب: ج ٤ ص ١٠.

ابن عمي، يا مولاي، يا أبا الحسن... وأبو الحسن يقول: «أعينك بالله يا أمير من هذا». فقال: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت؟ قال: جاءني رسولك.

فقال المتوكل: كذب ابن الفاعلة، ارجع يا سيدي من حيث جئت. يا فتح، يا عبد الله، يا معتز، شيعوا سيدي وسيدكم.

فلما بصر به الخزر خروا سجداً مذعنين، فلما خرج دعاهم المتوكل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون، ثم قال لهم: لِمَ لا تفعلوا ما أمرتكم به؟! قالوا: لشدة هيئته، ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نناهم، فمنعنا ذلك عما أمرنا به، وامتألت قلوبنا رعباً من ذلك.

فقال المتوكل: هذا صاحبكم. وضحك في وجه الفتح، وضحك الفتح في وجهه وقال: الحمد لله الذي بيض وجهه وأنار حجته^(١٣٠٢).

فقال المتوكل: هذا صاحبكم. وضحك في وجه الفتح، وضحك الفتح في وجهه وقال: الحمد لله الذي بيض وجهه وأنار حجته^(١٣٠٢).

شهادة الإمام الهادي عليه السلام

توفي الإمام الهادي عليه السلام في الثالث من شهر رجب الأصعب سنة أربع وخمسين ومائتين مظلوماً مسموماً على يد المعتز أخي المعتمد.

قال المسعودي في إثبات الوصية: لما توفي عليه السلام اجتمع في داره جملة بني هاشم من الطالبين والعباسيين، واجتمع خلق كثير من الشيعة. ثم فتح من صدر الرواق باب وخرج خادم أسود، وخرج بعده أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب، وكان وجهه وجه أبيه لا يخطئ منه شيئاً^(١٣٠٣).

وكتب إليه أبو عون الأبرش في شق ثيابه. فقال: «يا أحمق، ما أنت وذاك! قد شق

(١٣٠٢) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٩ الباب الحادي عشر في معجزات الإمام علي بن محمد النقي عليه السلام.

(١٣٠٣) إثبات الوصية: ص ٢٠٥.

موسى على هارون عليه السلام - ثم قال بعد كلام - وإنك لا تموت حتى تكفر ويتغير عقلك. فما مات حتى حجبه ابنه عن الناس، وحبسوه في منزله في ذهاب العقل عما كان عليه ^(١٣٠٤).

ولما حملت جنازته عليه السلام سمعت جارية تقول: ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً. وقد دفنه الإمام العسكري عليه السلام في حجرة كان يتعبد فيها.

أولاد الإمام عليه السلام

خلف الإمام الهادي عليه السلام أربعة من الذكور وبنت واحدة، أما الذكور فهم:

١. الإمام الحسن العسكري عليه السلام.
 ٢. السيد محمد عليه السلام المعروف بسبع الدجيل.
 ٣. جعفر.
 ٤. حسين.
- وبنت واحدة تسمى عليّة.

السيد محمد عليه السلام

أما السيد محمد فهو من أم ولد تسمى سليل، وهو الولد الأكبر من أولاد الإمام الهادي عليه السلام ويكنى بأبي جعفر، وكان بعض الشيعة يتصورون أنه الإمام من بعد أبيه إلا أنه توفي في عهد أبيه.

ففي الخبر عن أبي هاشم الجعفري، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعدما مضى ابنه أبو جعفر، وإني لأفكر في نفسي وأقول: كأنهما محمد والحسن كموسى وإسماعيل ابني الإمام الصادق عليه السلام فإن قصتهما كقصتهما. فأقبل إليّ أبو الحسن قبل أن أنطق فقال عليه السلام: «نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر، وهو كما حدثتك

^(١٣٠٤) مدينة المعاجز: ج ٧ ص ٦٥٠ العشرون ومائة علمه عليه السلام بما يكون ح ٢٦٤٢.

نفسك ولو كره المبطون» (١٣٠٥).

وهذا دليل على علو مقام السيد محمد عليه السلام.

وقد قال علان الكلابي عنه: صحبت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وهو حدث السن، فما رأيت أوقر ولا أزكى ولا أجلّ منه، وكان قد خلفه أبو الحسن العسكري عليه السلام بالحجاز طفلاً وقدّم عليه مشتداً، فكان مع أخيه الإمام أبي محمد عليه السلام لا يفارقه (١٣٠٦).

توفي السيد محمد في أواخر جمادى الآخرة سنة ٢٥٢ هـ بضواحي مدينة بلد قبل شهادة أبيه بستين، وقبل شهادة الإمام العسكري عليه السلام بثمان سنوات، ولا يبعد أن تكون وفاته بسم دسه طغاة العباسيين.

ولما توفي السيد محمد عليه السلام حزن عليه الإمام الهادي عليه السلام وأخوه الإمام العسكري عليه السلام حزناً شديداً، وإلى ذلك يشير علي بن مهزيار قائلاً: حين توفي ولده - أي ولد الإمام الهادي عليه السلام - وقد بسط له في صحن الدار، وجيء له بكرسي وجلس عليه والناس حوله، والحسن العسكري عليه السلام مشقوق الجيب، قائم في ناحية يبيكي (١٣٠٧).

وقد شيّد الموالون على قبره مرقداً عظيماً يقصده الزائرون ويتوسلون به إلى الله عزّ وجل وهو من أبواب الحوائج وكراماته كثيرة معروفة.

جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام

وهو ثالث أخوته وكان من الصالحين، وقد اتهم بالكذب حتى عُرف عند البعض بجعفر الكذاب، وهذه من التهم التي أنيطت بأبناء الأئمة عليهم السلام، للتشويه بسمعة المعصومين عليهم السلام والخط من مقامهم، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض

(١٣٠٥) الكافي: ج ١ ص ٣٢٧ باب الإشارة والنص على أبي محمد عليه السلام ح ١٠.

(١٣٠٦) المجدي في أنساب الطالبين: ص ١٣١ - ١٣٢ الأخبار في معنى الخلف الصالح عليه السلام.

(١٣٠٧) الكافي: ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ باب الإشارة والنص على أبي محمد عليه السلام ح ٨.

كتبنا (١٣٠٨).

خلف جعفر أولاداً كثيراً، ومن أولاده: إسماعيل، وطاهر، ويحيى، وهارون، وعلي، وإدريس، ومحسن، وعيسى.

توفي وله خمس وأربعون سنة، وذلك في سنة إحدى وسبعين ومائتين، ودفن في دار أبيه بسامراء. ولا يبعد أن تكون وفاته بأثر سم دُسَّ إليه من حكام بني العباس.

الحسين بن الإمام الهادي عليه السلام

وكان معروفاً بالزهد، ويقال: إنَّ صوت الإمام المنتظر عليه السلام يشبه صوته، وكانت له علاقة شديدة بأخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، بحيث إنَّ الناس كانوا يعبرون عنهما بالسبطين تشبيهاً لهما بالحسين عليه السلام. قبره في سامراء إلى جنب أبيه وأخيه عليه السلام في نفس الضريح، ولا يبعد أن تكون وفاته بأثر السم من بني العباس.

حكام عصره عليه السلام

الحكام والطغاة الذين عاصروهم الإمام الهادي عليه السلام هم:

١. هارون بن محمد بن هارون، الملقَّب بالواثق.

٢. جعفر بن محمد بن هارون، الملقَّب بالمتوكل.

٣. محمد بن جعفر، الملقَّب بالمنتصر.

٤. أحمد بن محمد بن المعتصم، الملقَّب بالمستعين.

٥. محمد بن جعفر المتوكل، الملقَّب بالمعتز بالله.

هارون بن محمد الواثق

(١٣٠٨) راجع كتاب (من حياة الإمام العسكري عليه السلام)، و(من حياة الإمام الهادي عليه السلام) للإمام

المؤلف تتبعاً.

ولد من جارية رومية تسمى قراطيس، وكان كثير الأكل، يأمر بإحضار مختلف
المأكولات والمشروبات فيشتغل بهما. وكان خبيراً في الغناء، حتى قيل: إنه كان أعلم
الخلفاء بالغناء، وإن له أصواتاً وألحاناً عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب
العود^(١٣٠٩).

وكان شهوياً فاسداً، يقضي أكثر وقته مع الجواري، وكان يدخل البعض عليه
وهو مشغول بجاريته، ويقول: من يصبر عن مثل هذه؟.

ومع ذلك كان يخاطب طبيبه الخاص مخائيل ويقول: أبغني دواء للباه.
فيقول الطبيب: يا أمير بدنك فلا تهده!. فيقول: لا بد منه.

فوصف له الطبيب لحم السبع بطريقة خاصة، فأكلها على حرمتها، فابتلي بمرض
مات على أثره^(١٣١٠).

وكان مبذراً جداً من مال بيت المال، حتى رأى ذات مرة في النوم كأنه يسأل الله
الجنة وأنّ قائلاً يقول له: لا يهلك على الله إلا من قلبه مرت. فأصبح فسأل الجلساء
عن ذلك فلم يعرفوا معناه، فوجه إلى أبي محلم وأحضره فسأله عن الرؤيا والمرت.
فقال أبو محلم: المرت القفر الذي لا ينبت شيئاً، فالمعنى على هذا لا يهلك على الله
إلا من قلبه خال من الإيمان خلو المرت من النبات. فقال له الواثق: أريد شاهداً من
الشعر في المرت. فبادر بعض من حضر فأنشد بيتاً لبني أسد:

ومرت مروّاة يحار بها القطا ويصبح ذو علم بها وهو جاهل
فضحك أبو محلم وقال: والله لا أبرح حتى أنشدك. فأنشده للعرب مائة قافيه
معروفة لمائة شاعر معروف في كل بيت ذكر المرت، فأمر له الواثق بمائة ألف
دينار^(١٣١١).

^(١٣٠٩) انظر تاريخ الخلفاء: ص ٣٤٣ الواثق بالله هارون.

^(١٣١٠) انظر سير أعلام النبلاء: ج ١١ ص ٢٩٤.

^(١٣١١) الكنى والألقاب: ج ١ ص ١٥٤ أبو محلم اللغوي.

جعفر بن محمد المتوكل

وهو أخو الواثق وكان خبيث السريرة، شديد الحقد على أهل البيت عليهم السلام، وكان يكن للعلويين والشيعية أشد العدا، وقد أنزل بهم أشد العذاب والأذى، وقد قام بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام عدة مرات، وكان له وزراء مثله يكونون لأهل البيت عليهم السلام العدا والنصب، فمنعوا المواليين العطاء وألحقوا بهم أشد الإيذاء. فمن عماله محمد بن عبد الملك الزيات الذي صنع تنوراً من حديد ثبت فيه مسامير يجعل كل من يريد تعذيبه فيه بعد أن يسخن التنور بحطب الزيتون إلى أن يحمر، فقتل كثيراً من الشيعة بذلك.

وكانت المتوكل مشغولاً بالطرب واللهو الفساد والإفساد، وكان له جارية و غلام بلغا من الحسن غايته وهو شغوف بهما غاية الشغف، فوجدهما ذات يوم نائمين تحت إزار، فقتلهما وأحرق جسديهما وأخذ رمادهما وخلط به شيئاً من التراب وصنع منه كوزين للشراب، وكان يحضرهما في مجلس الشراب ويضع أحدهما على يمينه والآخر على شماله، فتارة يقبل كأس اليمين وأخرى يقبل كأس الشمال. وكان للمتوكل أربعة آلاف سرية وقد وطئهن جميعاً^(١٣١٢).

هذا وقد بلغت حالة العلويين والعلويات آنذاك أن خمسين علوية كنَّ إذا أردن الصلاة ليس هن سوى رداء واحداً.

وقد عزم المتوكل العباسي أن يطفأ نور أهل البيت عليهم السلام، ولكن ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١٣١٣)، وقد منع المتوكل زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام وزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وتعهد كل من

(١٣١٢) سير أعلام النبلاء: ج ١٢ ص ٤٠ المتوكل على الله.

(١٣١٣) سورة التوبة: ٣٢.

يقصدهما بالاعتقال والأذية والقتل.

وحاول أكثر من مرة إبادة قبر الإمام الحسين عليه السلام ومحوه من الوجود، فأمر بحرقه مرة وزراعته، وهدمه أخرى، وفي كل مرة تظهر المعاجز، ومرة أجرى الماء عليه فحار الماء، وكان قد جعل جواسيسه وأزلامه على الطرق والمنافذ الموصلة إلى كربلاء يسكون بكل من يأتي للزيارة.

وفي مقاتل الطالبين عن أحمد بن الجعد الوشاء، قال: إنَّ بعض المغنيات كانت تبعث بجواربها إلى المتوكل قبل الخلافة يغنين له إذا شرب، فلما وليها بعث إلى تلك المغنية فعرّف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواربها كان يألّفها. فقال لها: أين كنتم؟

قالت: خرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان. فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟

قالت: إلى قبر الحسين عليه السلام. فاستطير غضباً وأمر بمولاتها فحبست، واستصفي أملاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له: الديزج - وكان يهودياً فأسلم - إلى قبر الحسين عليه السلام وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراب كل ما حوله. فمضى ذلك وخرب ما حوله، وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب. فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكّل به مسالّح بين كل مسلّحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه ^(١٣١٤).

وكان المتوكل يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً عليه السلام وأهله عليهم السلام بأخذ المال والدم، وكان من جملة ندمائهم عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البدين خليفة المسلمين - يعني بذلك أمير المؤمنين عليه السلام - وهو يشرب ويضحك. ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر فأوماً إلى عبادة يتهدّده، فسكت خوفاً منه. فقال

(١٣١٤) مقاتل الطالبين: ص ٣٩٥- ٣٩٦ ذكر أيام المتوكل.

المتوكل: ما حالك؟. فقام وأخبره.

فقال المنتصر: يا أمير إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك، فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثال منه. فقال المتوكل للمغنين: غنّوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في (١٣١٥)
وذكر كلمات قيحة.

وفي إحدى الليالي وبينما كان المتوكل مشغولاً باللهو أمر المنتصر بعض الخواص من غلمانه أن يحملوا سيوفهم ويدخلوا عليه فقتلوه هو والفتح بن خاقان.

محمد بن جعفر المنتصر

قالوا: إنه غير سيرة أبيه في إيذاء العلويين والمواليين، فلم يؤذ زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام، كما أمر برد فلك إلى أهل البيت عليهم السلام، وعزل أخويه المعتز وإبراهيم من ولاية العهد التي اتخذها المتوكل لهم، ويذكر أن بني العباس لم يتحملوا ذلك فسدوا السم إليه في قرح الحجابة فمات منه سنة ثمان وأربعين ومائتين.

أحمد بن محمد المستعين

وقد حكم ثلاث سنوات وتسعة أشهر ثم خلع نفسه من الخلافة بضغوط من المعتز، وكان المستعين فاسداً شهوياً مسرفاً في أمر النساء، مولعاً في تبذير الأموال. وفي أواخر حكمه سكن بغداد برفقة وصيف وبغاء الصغير، مما جعل المعتز ابن المتوكل يستغل الفرصة ويجمع الموالى في سامراء إلى أن استولى على الحكم، وعندها جعل أخاه المؤيد ولياً لعهد.

وهكذا استولى المعتز على الأمور، ومال بعض قادة المستعين إلى المعتز فكتبوا إليه بأن يصلح، ثم إن المستعين خلع نفسه وانتقل إلى واسط. فاستدعاه المعتز إليه في سامراء ولكنه قبل أن يصلها كان سعيد الحاجب قد استعد لقتله بأمر من المعتز، فقتله ورمى بجثته على الطريق.

(١٣١٥) الكامل في التاريخ: ج ٧ ص ٥٥ ذكر ما فعله المتوكل بمشهد الحسين عليه السلام.

محمد بن جعفر المعتز بالله

بعد أن خلع المستعين نفسه من الحكم حل محلّه ابن عمه محمد بن جعفر الملقّب بالمعتز، وهو الذي أمر بقتل الإمام الهادي عليه السلام فُدس إليه السم، ولم يحكم المعتز سوى ثلاث سنوات وسبعة شهور حتى خلع نفسه، وبعد ستة أيام من تنحيه من الحكم قُتل.

وفي عهده تحرك بغاء الصغير من سامراء قاصداً الموصل، ولما بلغ جسر سامراء اغتاله بعض المغاربة وحملوا رأسه إلى بغداد ونصبوه فوق الجسر، وكان المعتز يخاف خوفاً شديداً من بغاء. وقد بلغ شدة خوفه أنه كان يجمع السلاح ليلاً ونهاراً ويقول: سأبقى على هذا الحال إلى يتبين لي أنّ رأسي من نصيب بغاء أم أنّ رأس بغاء من نصيبي.

ولما قتل بغاء لاحظ الأتراك أنّ المعتز لا ينفك عن تدبير الحيل والمكائد لقتل قاداتهم، وكان يخطط للتسلط على المغاربة والفراعنة، لذا فقد اتفقوا جميعاً على خلعه وقتله حيث جردوا قدميه وأوقفوه تحت الشمس الحارقة. فكان من شدة الحر يرفع قدماً ويضع أخرى، والقوم يكيلون له الضربات ويطلبون منه أن يخلع نفسه وهو يرفض، فبقي مدة على ذلك حتى اضطر أن يخلع نفسه.

ثم إنهم حبسوه في سرداب، ومنعوه من الأكل والشرب. وقيل: إنهم حقنوه بماء حار فمات، وقيل: إنهم أدخلوه حماماً ومنعوه الماء حتى أوشك على الهلاك، ثم سقوه ماءً ملحاً فشربه ومات.

وهكذا تنتهي ملذات الطغاة الفانية.

من كلام الإمام علي الهادي عليه السلام

١. قال الإمام علي الهادي عليه السلام: «إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور، فحرام أن تظن بأحد سوءً حتى يعلم ذلك منه. وإذا كان زمان الجور فيه أغلب من العدل، فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه» (١٣١٦).
٢. وقال عليه السلام: «اذكر مصرعك بين يدي أهلك، ولا طيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك» (١٣١٧).
٣. وقال عليه السلام: «اعلموا أن النفس أقبل شيء لما أعطيت، وأمنع شيء لما منعت» (١٣١٨).
٤. وقال عليه السلام: «إن الظالم الحالم يكاد أن يُعفى على ظلمه بجملة، وإن الحق السفية يكاد أن يطفئ نور حقه بسفاهه» (١٣١٩).
٥. وقال عليه السلام: «إن لله بقاعاً يجب أن يُدعى فيها فيستجيب لمن دعاه، والخير (١٣٢٠) منها» (١٣٢١).
٦. وقال عليه السلام: «إياك والحسد! فإنه يبين فيك ولا يعمل في عدوك» (١٣٢٢).
٧. وقال عليه السلام: «أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من على أقام الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشد الناس اجتهاداً من ترك الذنوب» (١٣٢٣).

(١٣١٦) أعلام الدين: ص ٣١٢ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(١٣١٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٠ ب ٢٨ ضمن ح ٤.

(١٣١٨) أعلام الدين: ص ٣١٢ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(١٣١٩) تحف العقول: ص ٤٨٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٢٠) أي الحائر الحسيني الشريف.

(١٣٢١) تحف العقول: ص ٤٨٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٢٢) أعلام الدين: ص ٣١١ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(١٣٢٣) تحف العقول: ص ٤٨٩ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

٨. وقال عليه السلام: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده وإن أبتلي خذله» (١٣٢٤).

٩. وقال عليه السلام: «الحسد ماحق الحسنت، والزهو جالب المقت، والعجب صارف عن طلب العلم، داع إلى الغمط» (١٣٢٥).

١٠. وقال عليه السلام: «الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة» (١٣٢٦).

١١. وقال عليه السلام: «الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك» (١٣٢٧).

١٢. وقال عليه السلام: «الدنيا سوق، ربح فيها قوم وخسر آخرون» (١٣٢٨).

١٣. وقال عليه السلام: «شر الرزية سوء الخلق» (١٣٢٩).

١٤. وقال عليه السلام: «الغضب على من تملك لؤم» (١٣٣٠).

٣٣. وقال عليه السلام: «الغناء قلة تمنيك والرضا بما يكفيك، والفقر شره النفس وشدة القنوط» (١٣٣١).

١٥. وقال عليه السلام: «ما استراح ذو الحرص» (١٣٣٢).

١٦. وقال عليه السلام: «المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه

(١٣٢٤) تحف العقول: ص ٤٨٨ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٢٥) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ١٩٩ ب ١٠٥ ضمن ح ٢٧.

(١٣٢٦) أعلام الدين: ص ٣١١ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(١٣٢٧) راجع مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٩١ ب ٢٦ ح ١٣٠٥٦. وفيه: عن الغلابي، قال:

سألت عن أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام عن الحلم؟. فقال: «هو أن تملك نفسك وتكظم

غيظك، ولا يكون ذلك إلا مع القدرة»

(١٣٢٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٦ ب ٢٨ ضمن ح ١.

(١٣٢٩) الدر النظيم: ص ٧٢٩ فصل في ذكر شيء من كلام الهادي عليه السلام.

(١٣٣٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٠ ب ٢٨ ضمن ح ٤.

(١٣٣١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٩ ب ٤٩ ضمن ح ١٢.

(١٣٣٢) مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٦١ ب ٦٤ ح ١٣٥١١.

- أن تكون فيه المغالبة، والمغالبة أسُّ أسباب القطيعة» (١٣٣٣).
١٧. وقال عليه السلام: «من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يُطاع، ومن أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فلييقن أن يحل به سخط المخلوقين» (١٣٣٤).
١٨. وقال عليه السلام: «من جمع لك وده ورأيه، فاجمع له طاعتك» (١٣٣٥).
١٩. وقال عليه السلام: «من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه» (١٣٣٦).
٢٠. وقال عليه السلام: «من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر» (١٣٣٧).
٢١. وقال عليه السلام: «من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره» (١٣٣٨).
٢٢. وقال عليه السلام: «الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال» (١٣٣٩).
٢٣. وقال عليه السلام: «أذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم» (١٣٤٠).
٢٤. وقال عليه السلام: «إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً» (١٣٤١).
٢٥. وقال عليه السلام: «إن الرجل ليكون قد بقي من أجله ثلاثون سنة فيكون وصولاً لقربته وصولاً لرحمه فيجعلها الله ثلاثة وثلاثين سنة، وإنه ليكون قد بقي من أجله

(١٣٣٣) أعلام الدين: ص ٣١١ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(١٣٣٤) تحف العقول: ص ٤٨٢ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٣٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٥ ب ٢٨ ضمن ح ١.

(١٣٣٦) أعلام الدين: ص ٣١١ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(١٣٣٧) تحف العقول: ص ٤٨٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٣٨) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٥ ب ٢٨ ضمن ح ١.

(١٣٣٩) أعلام الدين: ص ٣١١ من كلام الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام.

(١٣٤٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٠ ب ٢٨ ضمن ح ٤.

(١٣٤١) تحف العقول: ص ٤٨٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

- ثلاث وثلاثون سنة فيكون عاقاً لقرابته قاطعاً لرحمه فيجعلها الله ثلاث سنين»^(١٣٤٢).
٢٦. وقال عليه السلام: «الجهل والبخل أذم الأخلاق، والطمع سجية سيئة»^(١٣٤٣).
٢٧. وقال عليه السلام: «الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر؛ لأن النعم متاع، والشكر نعم وعقبي»^(١٣٤٤).
٢٨. وقال عليه السلام: «المقادير تريك ما لم يخطر ببالك»^(١٣٤٥).
٢٩. وقال عليه السلام: «مخالطة الأشرار تدل على شرار من يخالطهم»^(١٣٤٦).
٣٠. وقال عليه السلام: «من أمن مكر الله وأليم أخذه تكبر حتى يجل به قضاؤه ونافذ أمره»^(١٣٤٧).

^(١٣٤٢) (بجاء الأنوار: ج ٧١ ص ١٠٣ ب ٣ ح ٦٠).

^(١٣٤٣) (بجاء الأنوار: ج ٦٩ ص ١٩٩ ب ١٠٥ ضمن ح ٢٧).

^(١٣٤٤) (تحف العقول: ص ٤٨٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني).

^(١٣٤٥) (بجاء الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٦٩ ب ٢٨ ضمن ح ٤).

^(١٣٤٦) (مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٣٠٨ ب ٣٥ ح ١٤١٦٢).

^(١٣٤٧) (تحف العقول: ص ٤٨٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني).

المعصوم الثالث عشر:
الإمام الحسن بن علي
العسكري

نسبه عليه السلام :

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام.

والدته عليها السلام :

أم ولد يقال لها حديث، وقيل: سوسن.

وكانت من المؤمنات الصالحات، وكفى في فضلها أنها كانت مفزع الشيعة بعدة وفاة الإمام العسكري عليه السلام. فعن أحمد بن إبراهيم، قال: دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا - أخت أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام - في سنه اثنتين وستين ومائتين، فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها. فسمت لي من تأتم بهم - ثم قالت - والحجة ابن الحسن بن علي فسمته.

فقلت لها: جعلني الله فداك، معاينة أو خبراً؟

فقالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمه.

فقلت لها: فأين الولد؟

فقالت: مستور.

فقلت: إلى من تفزع الشيعة؟

فقالت لي: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام.

فقلت لها: أقتلي بمن وصيته إلى امرأة؟

فقالت: اقتداء بالحسين بن علي عليه السلام؛ فإن الحسين بن علي عليه السلام أوصى إلى

أخته زينب بنت علي عليه السلام في الظاهر، فكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من

علم ينسب إلى زينب عليها السلام سترأ على علي بن الحسين عليهما السلام - ثم قالت - إنكم قوم أصحاب أخبار، أما رويتم أن التاسع من ولد الحسين بن علي عليهما السلام يقسم ميراثه وهو في الحياة، (١٣٤٨).

ولادته عليه السلام :

ولد الإمام العسكري عليه السلام في العاشر من شهر ربيع الثاني سنة اثنين وثلاثين ومائتين من الهجرة النبوية المباركة.

كنيته عليه السلام :

أبو محمد.

ألقابه عليه السلام :

العسكري، والخالص، والسراج، والصامت، والهادي، والرفيق، والزكي، والنقي. وكان هو وأبوه وجده عليهم السلام كل منهم يعرف في زمانه بابن الرضا.

صفته عليه السلام :

بين السمرة والبياض على ما قيل، وقد وصفه أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فقال: كان رجلاً أسمر اللون، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حدث السن، له جلالة وهيئة حسنة (١٣٤٩).

شاعره عليه السلام :

قيل: إنه ابن الرومي (١٣٥٠).

(١٣٤٨) كمال الدين : ج ٢ ص ٥٠٧ ب ٤٥ ضمن ح ٣٦.

(١٣٤٩) راجع الكافي : ج ١ ص ٥٠٣ باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام ح ١.

(١٣٥٠) علي بن العباس بن جريح، أبو الحسن، مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر يعرف بابن الرومي. أحد الشعراء الكثيرين المجودين في الغزل، والمديح، والهجاء، والأوصاف. روى عنه غير واحد من أهل الأدب. راجع تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٢٣.

من أشعاره عليه السلام :

نسب للإمام العسكري عليه السلام أشعار منها:

أرى الدنيا تجهز بانطلاق
فلا الدنيا بباقية لحي
كأن الموت والحدثان فيها
فيا مغرور بالدنيا رويدا
مشمرة على قدم وساق
ولا حي على الدنيا بباقي
إلى نفس الفتى فرقا سباق
ومنها خذ لنفسك بالوساق

بوابه عليه السلام:

عثمان بن سعيد، وقيل: محمد بن نصير.

نقش خاتمه عليه السلام :

سبحان من له مقاليد السماوات والأرض.

إن الله شهيد.

الله وليي.

والظاهر أنها لخواتم عديدة.

قالوا في الإمام العسكري عليه السلام

بلغ مقام الإمام العسكري عليه السلام كآبائه الطاهرين عليه السلام بحيث إن ألد أعدائهم لا يستطيعون إنكار فضائلهم ومناقبتهم، بل أقر الجميع من المحبين والمخالفين بفضلهم وشهدوا بمقاماتهم الحميدة، منهم:

١. قال الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان لولده أحمد وهو يحدثه عن الإمام العسكري عليه السلام: (يا بني، لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس، ما استحقتها أحد من بني هاشم غير هذا، وإن هذا ليستحقها في فضله وعفافه، وهديه وصيانتته، وزهده

وعبادته، وجميل أخلاقه وصلاحه) (١٣٥١).

٢. قال ابن الراوندي في الإمام عليه السلام: (تعظمه الخاصة والعامّة... ويبجلونه ويقدرونه لفضله وعفائه وهديه وصيانتته وزهده وعبادته... كان جليلاً نبياً فاضلاً كريماً، يحتمل الأثقال ولا يتضعع للنوائب) (١٣٥٢).

٣. نقل ابن أبي الحديد قول من قال: (من الذي يعد من قريش أو من غيرهم ما يعده الطالبون عشرة في نسق، كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك، فمنهم خلفاء ومنهم مرشحون... وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من بيوت العجم) (١٣٥٣).

٤. قال الحضرمي الشافعي: (أبو محمد الحسن الخالص ابن علي العسكري، كان عظيم الشأن جليل المقدار، وقد زعمت الشيعة الرافضة أنه والد المهدي المنتظر) (١٣٥٤).

٥. قال سبط ابن الجوزي: (وكان عليه السلام عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جده، ومن جملة مسانيد حديث في الخمر عزيز ذكره جدي أبو الفرج في كتابه المسمى بتحريم الخمر ونقلته من خطه) (١٣٥٥).

(١٣٥١) الكافي: ج ١ ص ٥٠٤ باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ح ١.

(١٣٥٢) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٩٠١ - ٩٠٢ فصل.

(١٣٥٣) شرح نهج البلاغة: ج ١٥ ص ٢٧٨ ذكر الجواب عما فخرت به بنو أمية.

(١٣٥٤) شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ج ١ ص ٢٢٥ كان أفضل أهل زمانه.

(١٣٥٥) تذكرة الخواص: ص ٣٢٤.

من معاجزه عليه السلام

سبق أن ذكرنا أن المعاجز تكون في بعض الأحيان لإتمام الحجة وما أشبهه، وليس من سيرة أهل البيت عليهم السلام الدائمة الاعتماد على المعاجز والخوارق في هداية الناس أو إظهار أحقيتهم في دعواهم. نعم بعض الأحيان يقتضي الأمر أن يبينوا بأمر الله تعالى للناس كرامتهم على الله عزوجل ومقاماتهم الرفيعة، وذلك لظروف تستدعي ذلك.

وفي سيرة كل معصوم من الأئمة عليهم السلام هناك مجموعة معاجز تشد أواصر الحجة بهم وتقوي الاعتقاد بهم.

فمن الكرامات والمعاجز التي ظهرت من الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما يلي:

خذ واكتم

روى أبو هاشم أنه ركب أبو محمد عليه السلام يوماً إلى الصحراء فركبت معه، فبينما يسير قدامي وأنا خلفه، إذ عرض لي فكر في دين كان عليّ قد حان أجله. فجعلت أفكر في أي وجه قضاؤه، فالتفت عليه السلام إليّ وقال: «الله يقضيه». ثم انحنى على قربوس سرجه فخط بسوطه خطة في الأرض فقال: «يا أبا هاشم، انزل فخذ واكتم». فنزلت وإذا سبيكة ذهب، قال: فوضعتها في خفي وسرنا.

فعرض لي الفكر فقلت: إن كان فيها تمام الدين وإلاّ فاني أرضي صاحبه بها، ويجب أن ننظر في وجه نفقة الشتاء وما محتاج إليه فيه من كسوة وغيرها. فالتفت عليه السلام إليّ ثم انحنى ثانية فخط بسوطه مثل الأولى ثم قال: «انزل وخذ واكتم».

قال: فنزلت فإذا بسبيكة فجعلتها في الحف الآخر وسرنا يسيراً ثم انصرف عليه السلام إلى منزله وانصرفت إلى منزلي.

فجلست وحسبت ذلك الدين وعرفت مبلغه، ثم وزنت سبيكة الذهب فخرج بقسط ذلك الدين ما زادت ولا نقصت، ثم نظرت ما محتاج إليه لشتوتي من كل وجه فعرفت مبلغه الذي لم يكن بد منه على الاقتصاد بلا تقتير ولا إسراف ثم

وزنت سبيكة الفضة فخرجت على ما قدرته ما زادت ولا نقصت (١٣٥٦).

صلاة بين السباع

روي أنه سلّم أبو محمد - العسكري - عليه السلام إلى نحرير (١٣٥٧) وكان يضيق عليه ويؤذيه. فقالت له امرأته: اتق الله! فإنك لا تدري من في منزلك. وذكرت له صلاحه وعبادته وقالت: إني أخاف عليك منه. فقال: والله لأرminه بين السباع. ثم استأذن في ذلك فأذن له، فرمى به إليها فلم يشكوا في أكلها. فنظروا إلى الموضع فوجدوه عليه السلام قائماً يصلي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره (١٣٥٨).

مناقبات

مناقب الإمام العسكري عليه السلام كثيرة، وكانت هذه المناقب مدعاة لهداية الناس وعاملاً لكشف الحقائق وإظهار الحق وكشف زيف الباطل. وفي كثير من الأحيان كانت الحكومات الضالة تسلط الأضواء على شخصيات مصطنعة تخدم مصالحها لتشغل الناس عن الالتفات حول أهل البيت عليهم السلام، ولكن وجود مثل هذه المناقب كانت تحول دون تحقق أهدافهم وتوجه الناس إلى أئمة الهدى عليهم السلام.

ومن مناقب الإمام العسكري عليه السلام ومعالي أموره هي:

١. عبادة تحير العقول:

سار سليل النبوة الإمام العسكري عليه السلام على نهج آبائه الطاهرين عليهم السلام من الاهتمام بالعبادة والإكثار منها بأعلى درجات الإخلاص، رغم الظروف الحالكة وكثرة

(١٣٥٦) الثاقب في المناقب: ص ٢١٧ ب ٢ ف ١١ ح ١٩١.

(١٣٥٧) وهو من جلاوزة بني العباس.

(١٣٥٨) الإرشاد: ج ٢ ص ٣٣٤ - ٢٣٥ باب ذكر طرف من أخبار أبي محمد عليه السلام ومناقبه وآياته

ومعجزاته.

المشاغل، وكان عليه السلام مضرِباً للمثل في عبادته حتى صارت عبادته أكسيراً يغير أشر الخلق ويهديهم إلى الله تعالى.

علي بن عبد الغفار، قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف، ودخل صالح بن علي وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمد - العسكري - عليه السلام.

فقال لهم صالح: وما أصنع قد وكلت به رجلين من أشر من قدرت عليه، فقد صاروا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا ويداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمعوا ذلك انصرفوا خائبين (١٣٥٩).

٢. علوم سماوية:

الأئمة الأطهار عليهم السلام أعلم الناس، وقد أوتوا علم الأولين والآخرين، وهم مطلعون على الغيب بإذن الله، فما من معصوم من الأئمة الأطهار عليهم السلام إلا وكان يعلم بالخطايا والبلايا والمنايا، والشواهد على كثيرة، منها ما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام:

عن أبي هاشم، قال: سمعت أبا محمد - العسكري - عليه السلام يقول: «من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لم أؤخذ إلا بهذا». فقلت في نفسي: إن هذا هو الدقيق وقد ينبغي للرجل أن يتفقد من نفسه كل شيء. فأقبل عليّ فقال: «صدقت يا أبا هاشم أُلزم ما حدثتك نفسك؛ فإنَّ الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على الصفاء في الليلة الظلماء، ومن دبيب الذر على المسح الأسود» (١٣٦٠).

وعن أبي هاشم، قال: سمعت أبا محمد - العسكري - عليه السلام يقول: «إن في الجنة باباً يقال له: المعروف، ولا يدخله إلا أهل المعروف». فحمدت الله في نفسي وفرحت

(١٣٥٩) الكافي: ج ١ ص ٥١٢ باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ح ٢٣.

(١٣٦٠) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٣٩ فصل في آياته عليه السلام.

بما أتكلفه من حوائج الناس. فنظر إلى أبو محمد عليه السلام، قال: «نعم قدم على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك» (١٣٦١).

وعن أحمد بن محمد قال: كتبت إلى أبي محمد - العسكري - عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا، فقد بلغني أنه يتهددك ويقول: والله لأجلينهم عن جديد الأرض. فوقع أبو محمد عليه السلام بخطه: «ذاك أقصر لعمره، عدّ من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف ير به»، فكان كما قال عليه السلام (١٣٦٢).

من مناظراته عليه السلام

كانت للإمام العسكري عليه السلام أكثر من مناظرة يظهر منها علومه عليه السلام:
منها ما ورد عن أبي يعقوب وأبي الحسن أيضاً، أنهما قالوا: حضرنا عند الحسن بن علي أبي القائم عليه السلام. فقال له بعض أصحابه: جاءني رجل من إخواننا الشيعة قد امتحن بجهال العامة، يمتحنونه في الإمامة ويحلفونه، فكيف يصنع حتى يتخلص منهم. فقلت له: كيف يقولون؟

قال: يقولون: أ تقول أن فلاناً هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا بد لي أن أقول: (نعم)، وإلا أئخونني ضرباً. فإذا قلت: (نعم)، قالوا لي: قل: (والله). فقلت لهم: (نعم) وأريد به نعماً من الأنعام، الإبل والبقر والغنم.
قلت: فإذا قالوا: والله فقل ولّى أي ولّى تريد عن أمر كذا، فإنهم لا يميزون وقد سلمت.

فقال لي: فإن حقّقوا عليّ فقالوا قل: (والله) وبين الهاء.
فقلت: قل والله برفع الهاء، فإنه لا يكون يمينا إذا لم يخفض. فذهب ثم رجع إليّ فقال: عرضوا عليّ وحلفوني، فقلت كما لقتني.

(١٣٦١) الثاقب في المناقب: ص ٥٦٤ ب ١٤ ف ٢ ح ٥٠١.

(١٣٦٢) الكافي: ج ١ ص ٥١٠ باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ح ١٦.

فقال له الحسن عليه السلام: «أنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدال على الخير كفاعله. لقد كتب الله لصاحبك بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا وموالينا ومحبينا حسنة، وبعدد من ترك التقية منهم حسنة، أذناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك بإرشادك إياه مثل ما له» (١٣٦٣).

❖ قال أبو هاشم: سأله محمد بن صالح الأرمي عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٣٦٤)؟

فقال: «هل يمحوا إلا ما كان، وهل يثبت إلا ما لم يكن». فقلت في نفسي: هذا خلاف قول هشام بن الحكم: إنه لا يعلم بالشيء حتى يكون، فنظر إليّ فقال: «تعالى الجبار الحاكم العالم بالأشياء قبل كونها». قلت: أشهد أنك حجة الله (١٣٦٥).

❖ وقال أبو هاشم: كنت عند أبي محمد - العسكري - عليه السلام، فسألته عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١٣٦٦)؟

فقال عليه السلام: «كلهم من آل محمد عليه السلام، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات بإذن الله الإمام».

قال: فدمعت عيني وجعلت أفكر في نفسي عظم ما أعطى الله آل محمد عليه السلام، فنظر عليه السلام إليّ وقال: «الأمر أعظم مما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد عليه السلام، فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بجلهم، تُدعى يوم القيامة بهم إذا دُعي كل

(١٣٦٣) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٠ احتجاج أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام في أنواع شتى

من علوم الدين.

(١٣٦٤) سورة الرعد: ٣٩.

(١٣٦٥) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٦٨٧- ٦٨٨ فصل في أعلام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

(١٣٦٦) سورة فاطر: ٣٢.

أناس بإمامهم، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير» (١٣٦٧).

٣. التصدي للمنحرفين:

بالرغم أن الحكام في عهد الأئمة عليهم السلام كانوا يضيقون عليهم ويحولون دون ممارستهم دورهم المبارك، إلا أنهم عليهم السلام كانوا يؤدون دورهم كما أمرهم الله تعالى وبأحسن وجه، فلا يتركون الأمة سدى من غير توجيه، خاصة في الظروف الحرجة التي تكون الأمة فيها بحاجة إلى من يوجهها.

وفي عهد الإمام العسكري عليه السلام هناك أكثر من حادثة تكشف عن وقوفه إلى جنب الأمة، وتصديه لأهل الضلال رغم ظروفه الصعبة. ففي الخبر عن أبي القاسم الكوفي أنّ إسحاق الكندي - كان فيلسوف العراق في زمانه - أخذ في تأليف (تناقض القرآن)، وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله، وأن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

فقال له أبو محمد عليه السلام: «أ ما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن!».

فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره.

فقال له أبو محمد عليه السلام: «أ تؤدي إليه ما ألقيه إليك؟».

قال: نعم.

قال عليه السلام: «فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟».

فإنه سيقول لك إنه من الجائز؛ لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضحاً لغير معانيه».

فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة فقل له: أعد

(١٣٦٧) الثاقب في المناقب: ص ٥٦٦ ب ١٤ ف ٢ ح ٥٠٦.

عليّ. فأعاد عليه، فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر.

فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟.

فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.

فقال: كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين

لك هذا؟.

فقال: أمرني به أبو محمد - العسكري عليه السلام - .

فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت.

ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه ^(١٣٦٨).

❖ وعن علي بن الحسن بن سابور، قال: كان في زمن الحسن الأخير عليه السلام قحط، فخرجوا للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يمطر عليهم - قال - فخرج يوم الرابع بالجائليق مع النصارى فسقوا. فخرج المسلمون يوم الخامس فلم يمطروا، فشك الناس في دينهم.

فأخرج المتوكل الحسن عليه السلام من الحبس وقال: أدرك دين جدك يا أبا محمد.

فلما خرجت النصارى ورفع الراهب يده إلى السماء، قال أبو محمد عليه السلام لبعض

غلمانه: «خذ من يده اليمنى ما فيها»، فلما أخذه كان عظماً أسود.

ثم قال: «استسق الآن».

فاستسقى فلم يمطر وأصحت السماء، فسأل المتوكل عن العظم.

قال: «لعله أخذ من قبر نبي، ولا يكشف عظم نبي إلا ليمطر» ^(١٣٦٩).

٤ . حل مشاكل الرعية:

فمن عادة الناس في الشدائد والرزايا يلوذون إلى كهف الورى وسادة الأنام، الذين عودوهم بحل مشاكلهم، واللفظ بهم في الشدائد حتى صاروا مضرب المثل في ذلك.

وفي عهد الإمام العسكري عليه السلام كان الناس يطرقون بابيه في حوائجهم

^(١٣٦٨) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٢٤ فصل في المقدمات.

^(١٣٦٩) مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٤٢٥ فصل في المقدمات.

ومشاكلهم ويعودون بجوائح مقضية وهموم مكشوفة، حتى ألد أعدائه كالعباسيين فهم في الشدائد كانوا يتوسلون به عليه السلام.

نقل أبو هاشم قال: سأله الفهفكي ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل القوي سهمين؟! قال عليه السلام: «لأن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا عليها معقلة، إنما ذلك على الرجال».

فقلت في نفسي: قد كان قيل لي: إن ابن أبي العوجاء سأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه المسألة فأجابه بمثل هذا الجواب. فأقبل عليه السلام عليّ فقال: «نعم هذه مسألة ابن أبي العوجاء، والجواب منا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً، جرى لآخرنا ما جرى لأولنا، وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء، ولرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما» (١٣٧٠).

(١٣٧٠) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٦٨٥ فصل في أعلام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

أسير السجون

إن الإمام العسكري عليه السلام سجن أكثر من مرة وعلى يد أكثر من حاكم ظالم من بني العباس، فبعد شهادة أبيه الإمام الهادي عليه السلام سجن في بغداد على يد الحرس الأتراك، وما لبث مدة حتى أطلق سراحه وعاد إلى سامراء.

وسجن مرة أخرى في الكوفة بأمر من المعتز العباسي، وتسرب خبر سجنه إلى الناس، وكتبه أبو الهيثم بكتاب جاء فيه: بلغنا خبر أقلقنا... فكتب عليه السلام إليه: «بعد ثلاث يأتيكم الفرج»، فقتل المعتز في اليوم الثالث (١٣٧١).

وذات مرة حبس الإمام عليه السلام عند علي بن نارمش - وهو من أنصب الناس وأشدهم على آل أبي طالب - وقيل له: اعمل به وافعل. فما أقام عنده عليه السلام إلا يوماً حتى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظاماً، فخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً (١٣٧٢).

وسجن عليه السلام أيضاً هو وأبو هاشم الجعفري في حبس المهدي بن الواثق العباسي وإلى ذلك يشير أبو هاشم قائلاً: (كنت محبوساً مع أبي محمد عليه السلام في حبس المهدي بن الواثق... فلما أصبحنا شغب الأتراك على المهدي فقتلوه... وسلّمنا الله) (١٣٧٣).

وعن بعض المؤرخين: إن الإمام عليه السلام حبس في الحبس الذي في الجوسق عند صالح بن وصيف ومعه خمسة أو ستة، وذكروا أن صالحاً وكل به رجلين من أشر

(١٣٧١) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٤٥١ الباب الثاني عشر في معجزات الإمام الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

(١٣٧٢) الكافي: ج ١ ص ٥٠٨ باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ح ٨.

(١٣٧٣) الغيبة للطوسي: ص ٢٠٥ وأخبار المعمرين من العرب والعجم معروفة مذكورة في الكتب والتواريخ.

الناس، فصارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقال لهما صالح في ذلك؟! فقالوا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة (١٣٧٤).

وفي بعض التواريخ أن الإمام العسكري عليه السلام سجن في دار نحرير، في أيام ملك المعتمد، وكان نحرير يضيق عليه ويؤذيه (١٣٧٥)، كما أنه عليه السلام سجن مع عدة من الطالبين في سنة ٢٥٨هـ (١٣٧٦).

وفي بعض الأخبار: إن المعتمد العباسي حين حبس الإمام عليه السلام عند علي بن جرير بن حبس جعفرأ أخاه معه، وكان المعتمد يسأل علياً عن أخباره في كل وقت فيخبره أنه يصوم النهار، ويصلي الليل.

فسأله يوماً من الأيام عن خبره عليه السلام فأخبره بمثل ذلك. فقال له: امض الساعة إليه واقرئه مني السلام، وقل له: انصرف إلى منزلك مصاحباً. قال علي بن جرير: فجتت إلى باب الحبس فوجدت حماراً مسرجاً، فدخلت عليه عليه السلام فوجدته جالساً وقد لبس خفه وطيلسانه وشاشته، فلما رأني نهض، فأدبت إليه الرسالة فركب.

فلما استوى على الحمار وقف فقلت له: ما وقوفك يا سيدي؟

فقال لي: «حتى يجيء جعفر».

فقلت: إنما أمرني بإطلاقك دونه.

فقال لي: «ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعاً فإذا رجعت وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك».

(١٣٧٤) روضة الواعظين: ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ مجلس في ذكر إمامة أبي محمد الحسن بن علي

العسكري ومناقبه عليه السلام.

(١٣٧٥) الكافي: ج ١ ص ٥١٣ باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام ح ٢٦.

(١٣٧٦) إعلام الوري: ص ٣٧٣ ب ١٠ ف ٣.

فمضى وعاد، فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفرًا لك؛ لأنني حبسته بجنائته على نفسه وعليك، وما يتكلم به. وخلي سبيله فصار معه إلى داره^(١٣٧٧).
ولا يخفى أنه ذكرنا في بعض كتبنا أن جعفر هذا كان صالحاً، ولم يصح ما نسب إليه من مخالفته لأخيه الإمام العسكري عليه السلام، بل كان معتقداً بإمامته وإمامة الإمام المهدي عليه السلام.

وهكذا كان الإمام العسكري عليه السلام يسجن بين الفترة والأخرى على يد الظلام عليهم يمنعونهم من القيام بأعباء الإمامة، أو يتخلّى الناس عنه. ولكنهم لم يعرفوا أن إرادة الرب فوق كل شيء، حيث أبى الله تعالى إلا أن يتم نوره وجعل أفئدة الناس يوماً بعد الآخر تهوي إليهم، صلوات الله عليهم.

(١٣٧٧) بحار الأنوار: ج ٥٠ ص ٣١٤ ب ٤ ضمن ح ١١.

مكاتبات

بما أن الإمام العسكري عليه السلام قضى كثيراً من عمره الشريف في السجون، أو تحت مضايقات السلطات ومراقبتهم الطويلة، لذا لم يكن بإمكان كثير من الشيعة التشرف بمحضره والاستفادة منه مباشرة. وكان الإمام عليه السلام يتواصل مع بعض الشيعة من خلال المكاتبات، منها:

١. ما يرتبط بالعقائد: مثل ما ورد عن سهل بن زياد، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك.

فوقع عليه السلام بخطه: «سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، ويصور ما يشاء وليس بمصور، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتعالى عن أن يكون له شبيه، هو لا غيره ليس كمثله شيء، وهو السمع البصير» (١٣٧٨).

وسئل عليه السلام: هل رأى رسول الله ﷺ ربه؟.

فوقع عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب» (١٣٧٩).

٢. ما يرتبط بالمناقب: كما ورد عنه عليه السلام كتابه التالي:

«قد سعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونورنا سيع طبقات أعلام الفتوى بالهداية، فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعان العدى، وفينا السيف

(١٣٧٨) الكافي: ج ١ ص ١٠٣ باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى ح ١٠.

(١٣٧٩) الكافي: ج ١ ص ٩٥ باب في إبطال الرؤية ح ١.

والقلم في العاجل، ولواء الحمد والحوض في الآجل، وأسباطنا حلفاء الدين وخلفاء
النبيين ومصابيح الأمم ومفاتيح الكرم.

فالكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان
الصاقورة ذاق من حداقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية صاروا لنا
ردءً وصوناً، وعلى الظلمة إلباً وعوناً، وسينفجر لهم ينبوع الحيوان بعد لظى النيران
لتمام آل حم وطه والطواسين من السنين» (١٣٨٠).

٣. ما يرتبط بالدعاء: كتب عليه السلام إلى بعض مواليه: «ادع بهذا الدعاء: يا أسمع
السامعين، ويا أبصر المبصرين، ويا أنظر الناظرين، ويا أسرع الحاسين، ويا أرحم
الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صل على محمد وآل محمد، وأوسع لي في رزقي، ومدد
لي في عمري، وامن علي برحمتك، واجعلي ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل به
غيري».

قال أبو هاشم: فقلت في نفسي: اللهم اجعلي في حزبك وفي زمرك، فأقبل
علي أبو محمد عليه السلام، فقال: «أنت في حزبه وفي زمرة، إذ كنت بالله مؤمناً ولرسوله
مصدقاً وبأوليائه عارفاً ولهم تابعاً، فأبشر ثم أبشر» (١٣٨١).

٤. ما يرتبط بالوصايا العامة: كتب عليه السلام لعلي بن الحسين القمي رحمته الله يوصيه
فيها بانتظار الفرج، فقال عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة
للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن

(١٣٨٠) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ب ٥١ ح ٥١.

(١٣٨١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٤٢١ باب ذكر طرف من أخبار أبي محمد عليه السلام ومناقبه وآياته
ومعجزاته.

الخالفين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين. أما بعد: أوصيك يا شيخني ومعتمدي وفقهيهي أبا الحسن علي بن الحسين القمي - وفقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته - بتقوى الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ فإنه لا تُقبل الصلاة من مانع الزكاة. وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الإخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١٣٨٢)، واجتناب الفواحش كلها. وعليك بصلاة الليل؛ فإن النبي ﷺ أوصى علياً عليه السلام فقال: يا علي، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، ومن استخف بصلاة الليل فليس منا، فاعمل بوصيتي وأمر جميع شيعتي بما أمرتك به حتى يعملوا عليه. وعليك بالصبر وانتظار الفرج؛ فإن النبي ﷺ، قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي ﷺ أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فاصبر يا شيخني ومعتمدي أبا الحسن، وأمر جميع شيعتي بالصبر، ف﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٨٣)، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته، وحسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، (١٣٨٤).

(١٣٨٢) سورة النساء: ١١٤.

(١٣٨٣) سورة الأعراف: ١٢٨.

(١٣٨٤) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي عليه السلام: ص ٣١٩ - ٣٢٠ النور الثالث عشر، فصل في ذكر

شهادته عليه السلام

استشهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ للهجرة مسموماً على يد المعتمد العباسي، ولما ذاع صيت شهادته ضجة سامراء ضجة واحدة، وعطلت الأسواق، وركب بنو هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والمعدّلون وسائر الناس إلى جنازته، ولما جهّز عليه السلام بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل للصلاة فما كان منه إلا أن كشف عن وجهه وعرضه على بني هاشم والقواد والكتّاب والقضاة وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه (١٣٨٥)، ولكن هذه الخطة لم تخف على الناس وعرفوا بأن الإمام عليه السلام توفي مسموماً شهيداً. وقد صلى على جنازة الإمام عليه السلام ولده المهدي المنتظر عليه السلام في قصة مشهورة، فعرف الناس جميعاً أن الإمام المهدي عليه السلام قد وُلد وله من العمر خمس سنوات ثم لما هجم الأعداء لاعتقال الإمام عليه السلام غاب الإمام عليه السلام بأمر الله تعالى إلى يأذن له بالظهور.

بعض كلامه عليه السلام.

(١٣٨٥) أعيان الشيعة: ج ٢ ص ٤٣ كيفية وفاته.

أولاده عليه السلام

لم يخلف الإمام العسكري عليه السلام سوى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، وقد أخفى الله تعالى مولد الإمام الحجة عليه السلام وستر أمره، كما أخفى ولادة موسى عليه السلام، وذلك لصعوبة الظروف وجور السلطان الذي قد جعل بعض العيون في دار الإمام لتجسس حاله، وبعد استشهاد الإمام عليه السلام بعث السلطان من يفتش داره ويطلب أثر ولده، وجيء بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فأخبرت بعضهن عن احتمال حمل إحداهن، فأودعت في حجرة ووكل بها تحرير الخادم وأصحابه وبعض النساء.

حكام عصره عليه السلام

عاش الإمام العسكري عليه السلام عهد العديد من الحكام الظلمة وطغاة بني العباس، فعاش بقية ملك المعتز، ثم ملك المهدي، ثم ملك أحمد بن جعفر المتوكل المعروف بالمعتمد.

وقد قتل المهدي على يد الجنود الأتراك، لأنه لم يخضع لهم، وكان قد عزم على قتل الإمام العسكري عليه السلام فأهلكه الله تعالى.

وكان المعتمد العباسي مشغولاً باللذائذ والملاهي والمفاسد مما جعله شيئاً فشيئاً ينحى عن الإدارة ويبقى مجرد صورة للحاكم، بينما كان أخوه أحمد الموفق هو الذي يدير شؤون البلاد، وقد شهدت البلاد في أيام المعتمد فتناً لا تحصى، ولما توفي الموفق حل محله ابنه أحمد المعتضد الذي سار على نهج أبيه في الظلم والجور، وبقي المعتمد على ذلك حتى سم بالشراب.

من كلام الإمام العسكري عليه السلام

١. قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتهم» (١٣٨٦).
٢. وقال عليه السلام: «جعلت الخبائث في بيت و الكذب مفاتيحها» (١٣٨٧).
٣. وقال عليه السلام: «لا تمار فيذهب بهائك، ولا تمازح فيجتراً عليك» (١٣٨٨).
٤. وقال عليه السلام: «لا يعرف النعمة إلا الشاكر، ولا يشكر النعمة إلا العارف» (١٣٨٩).
٥. وقال عليه السلام: «من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم» (١٣٩٠).
٦. وقال عليه السلام: «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله» (١٣٩١).
٧. وقال عليه السلام: «إذا نشطت القلوب فأودعوها، وإذا نفرت فودعوها» (١٣٩٢).
٨. وقال عليه السلام: «ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك؛ فإن لكل يوم رزقاً جديداً. واعلم أن الإلحاح في المطالب يسلب البهاء، ويورث التعب والعناء، فاصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه، فما أقرب الصنيع من الملهوف، والأمن

(١٣٨٦) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٣٨٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

(١٣٨٨) تحف العقول: ص ٤٨٦ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٨٩) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٣٩٠) تحف العقول: ص ٤٨٦ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٩١) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ١٨٤ ب ٥ ح ١٢٦٩٠.

(١٣٩٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

من الهارب المخوف، فربما كانت الغير نوعاً من أدب الله، والحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك، وإنما تناولها في أوانها. واعلم أن المدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه، فثق بخيرته في جميع أمورك يصلح حالك، فلا تعجل بجوائجك قبل وقتها؛ فيضيق قلبك وصدرك، ويغشاك القنوط. واعلم أن للسخاء مقداراً فإن زاد عليه فهو سرف، وإن للحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو تهور. واحذر كل ذكي ساكن الطرف، ولو عقل أهل الدنيا خربت» (١٣٩٣).

٩. وقال عليه السلام: «من الذنوب التي لا تغفر ليتهاي لا أوأخذ إلا بهذا - ثم قال عليه السلام - الإشراف في الناس أخفى من ديب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة» (١٣٩٤).

١٠. وقال عليه السلام: «من الفواقير التي تقصم الظهر: جار إن رأى حسنة أطفالها، وإن رأى سيئة أفسأها» (١٣٩٥).

١١. وقال عليه السلام: «اللاحق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره» (١٣٩٦).

١٢. وقال عليه السلام: «خير إخوانك من نسي ذنبك و ذكر إحسانك إليه» (١٣٩٧).

١٣. وقال عليه السلام: «أورع الناس من وقف عند الشبهة، وأعبد الناس من أقام الفرائض، وأزهد الناس من ترك الحرام» (١٣٩٨).

١٤. وقال عليه السلام: «حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن» (١٣٩٩).

(١٣٩٣) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٣٩٤) تحف العقول: ص ٤٨٧ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٩٥) تحف العقول: ص ٤٨٧ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٩٦) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

(١٣٩٧) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٣٩٨) تحف العقول: ص ٤٨٩ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٣٩٩) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

١٥. وقال عليه السلام للمتوكل: «لا تطلب الصفا من كدرت عليه، ولا النصح من صرفت سوء ظنك إليه؛ فإنما قلب غيرك لك كقلبك له» (١٤٠٠).
١٦. وقال عليه السلام: «من كان الورع سجيته والكرم طبيعته والحلم خلته، كثر صديقه والثناء عليه، وانتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه» (١٤٠١).
١٧. وقال عليه السلام: «يسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها» (١٤٠٢).
١٨. وقال عليه السلام: «الجهل خصم والحلم حكم، ولم يعرف راحة القلب من لم يجرعه الحلم غصص الصبر والغیظ» (١٤٠٣).
١٩. وقال عليه السلام: «أضعف الأعداء كيذا من أظهر عداوته» (١٤٠٤).
٢٠. وقال عليه السلام: «من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي» (١٤٠٥).
٢١. وقال عليه السلام: «نائل الكريم يجيبك إليه ويقربك منه، ونائل اللئيم يباعدك منه ويغضك إليه» (١٤٠٦).

٢٢. وقال عليه السلام: «من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة» (١٤٠٧).

٢٣. وقال عليه السلام: «أولى الناس بالحبّة منهم من أملوه» (١٤٠٨).

(١٤٠٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٨٠ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

(١٤٠١) أعلام الدين: ص ٣١٤ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٤٠٢) تحف العقول: ص ٤٨٧ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٤٠٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

(١٤٠٤) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٤٠٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٨٠ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

(١٤٠٦) أعلام الدين: ص ٣١٤ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٤٠٧) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

٢٤. وقال عليه السلام: «حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار» (١٤٠٩).

٢٥. وقال عليه السلام: «السهر ألد للمنام، والجوع أزيد في طيب الطعام» (١٤١٠).

٢٦. وقال عليه السلام: «من الجهل الضحك من غير عجب» (١٤١١).

٢٧. وقال عليه السلام: «من التواضع السلام على كل من تمر به، والجلوس دون شرف المجلس» (١٤١٢).

٢٨. وقال عليه السلام: «المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره، ولا تدفع بالإمساك عنها» (١٤١٣).

٢٩. وقال عليه السلام: «من أنس بالله استوحش من الناس، وعلامة الأنس بالله الوحشة من الناس» (١٤١٤).

٣٠. وقال عليه السلام: «إن الوصول إلى الله عز وجل سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل» (١٤١٥).

(١٤٠٨) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٤٠٩) تحف العقول: ص ٤٨٧ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٤١٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

(١٤١١) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٢ ب ٢٩ ضمن ح ١.

(١٤١٢) تحف العقول: ص ٤٨٧ وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(١٤١٣) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٧٩ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

(١٤١٤) أعلام الدين: ص ٣١٣ من كلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام.

(١٤١٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٨٠ ب ٢٩ ضمن ح ٤.

المعصوم الرابع عشر:
الإمام المهدي
المنتظر

نسبه عليه السلام :

هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

والده عليه السلام :

الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

والدته عليها السلام :

هي السيدة نرجس عليها السلام وكانت أم ولد.

أبوها يشوعا بن القيصر الذي ينحدر من عيصو بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وأما من أحفاد شعون بن حمون الصفا وصي عيسى المسيح عليه السلام وأقرب حواريه إلى قلبه، ومن أحفاد نبي الله داود عليه السلام .

تاريخ ولادته عليه السلام :

في الخامس عشر من شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين.

صفته عليه السلام :

قال بعض المحدثين: إنه عليه السلام شاب مرفوع القامة، حسن الوجه والشعر، يسيل شعره على منكبيه، ألقى الأنف، أجلى الجبهة، أبيض مشرب حمرة، حنطي تشوبه صفرة من قيام الليل، متصل ما بين الحاجبين، نور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، على خده الأيمن خال كأنه نجم يتألأأ، مفلج الثنايا، أسود العينين أكحلهما، عريض المنكبين، أشبه الناس بمجده أمير المؤمنين عليه السلام في بطنه وساقه.

كنيته عليه السلام :

أبو القاسم.

ألقابه عليه السلام :

الحجة، والخلف الصالح، والقائم، والمنتظر، وصاحب الزمان.
وأشهرها: المهدي.

بوابه عليه السلام :

محمد بن عثمان.

من أشعاره عليه السلام :

نُسب إلى الإمام المهدي عليه السلام بعض الأشعار منها:

لا تراني اتخذت لا وعلاها	بعد بيت الأحزان بيت سرور
ونُسب إليه <small>عليه السلام</small> أيضاً:	
يقولون لي فضل عليا عليهما	فلست أقول التبر أعلى من الحصى
إذا أنا فضلت الإمام عليهما	أكن بالذي فضلته منتقصا
ألم تر أن السيف يزري بحده	مقالة هذا السيف أمضى من العصا

الإمام المهدي عليه السلام في القرآن

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة حول الإمام المهدي عليه السلام، منها:

١. قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ

الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١٤١٦).

قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عز وجل: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال: هو المهدي من عترة فاطمة (١٤١٧).

٢. قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ﴾ (١٤١٨)، ذكر ابن حجر فيها: قال مقاتل بن سليمان ومن شايعه من

المفسرين: إن هذه الآية نزلت في المهدي عليه السلام (١٤١٩).

٣. قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ

أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (١٤٢٠).

(١٤١٦) سورة التوبة: ٣٣، سورة الصف: ٩.

(١٤١٧) كشف الغمة: ج ٢ ص ٤٩٠ الباب الخامس والعشرون في الدلالة على كون المهدي حياً باقياً

مذ غيبته إلى الآن.

(١٤١٨) سورة الزخرف: ٦١.

(١٤١٩) الصواعق المحرقة: ص ١٦٢.

(١٤٢٠) سورة القصص: ٥.

الإمام المهدي عليه السلام في السنة

الأخبار في الإمام المهدي عليه السلام كثيرة لا تكاد تحصى، وهي واردة من الفريقين العامة والخاصة، ولو أردنا ذكرها جميعاً لخرج الأمر عن نطاق البحث فنقتصر على ذكر بعضها.

منها: ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد - وفي حديث آخر إلا ساعة واحدة - لطوّل الله ذلك اليوم أو تلك الساعة حتى يخرج رجل من ذريتي اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» (١٤٢١).

ومنها: ما ورد عن سائر المعصومين عليهم السلام..

روى الأصمغ بن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكراً ينكت في الأرض. فقلت: يا أمير المؤمنين، مالي أراك متفكراً تنكت في الأرض، أ رغبة منك فيها؟!!

فقال: «لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط، ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً» (١٤٢٢).

وعن عبد الله بن عمر، قال: سمعت الحسين بن علي عليهما السلام يقول: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، كذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول» (١٤٢٣).

(١٤٢١) غوالي اللثالي: ج ٤ ص ٩١ الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامله

ح ١٢٥.

(١٤٢٢) الكافي: ج ١ ص ٣٣٨ باب في الغيبة ح ٧.

(١٤٢٣) كمال الدين: ص ٣١٧ - ٣١٨ ب ٣٠ ح ٤.

الشبه بالأنبياء ﷺ

جمعت في الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) كثير من خصال الأنبياء وصفاتهم ﷺ وله شبه كبير بهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كونه ﷺ وريثاً وخليفة لهم، وقد ورد في الأخبار الشريفة تلك الصفات التي ورثها منهم:

١. عن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: «في صاحب هذا الأمر أربع سنن من أربعة أنبياء ﷺ: سنة من موسى ﷺ، وسنة من عيسى ﷺ، وسنة من يوسف ﷺ، وسنة من محمد ﷺ. فأما من موسى ﷺ: فخائف يترقب، وأما من يوسف ﷺ فالحبس، وأما من عيسى ﷺ فيقال: إنه مات ولم يت، وأما من محمد ﷺ فالسيف» (١٤٢٤).

٢. عن ضريس الكناسي، قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: «إنَّ صاحب هذا الأمر فيه سنة من يوسف ﷺ أبْن أمة، يصلح الله عزَّ وجلَّ أمره في ليلة واحدة» (١٤٢٥).
أقول: في بعض الروايات: (أمة سوداء) فيكون وجه الشبه في أصل كونها أمة، وليس في صفتها.

٣. عن سعيد بن جبير، قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين ﷺ يقول: «في القائم ﷺ منا سنن من الأنبياء: سنة من أبينا آدم، وسنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد (صلوات الله عليهم). فأما من آدم و نوح ﷺ فطول العمر، وأما من إبراهيم ﷺ فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى ﷺ فالخوف والغيبة، وأما من عيسى ﷺ باختلاف الناس فيه، وأما من أيوب ﷺ فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد ﷺ

(١٤٢٤) كمال الدين: ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ب ٣٢ ح ٦.

(١٤٢٥) كمال الدين: ص ٣٢٩ ب ٣٢ ح ١٢.

فالخروج بالسيف» (١٤٢٦).

٤. عن محمد بن مسلم الثقفي الطحان، قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد (صلى الله عليه وعليهم). فقال لي مبتدئاً: «يا محمد بن مسلم، إن في القائم من آل محمد عليه السلام شبيهاً من خمسة من الرسل: يونس بن متى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلوات الله عليهم).

فأما شبهه من يونس بن متى عليه السلام: فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن. وأما شبهه من يوسف بن يعقوب عليه السلام: فالغيبية من خاصته وعامته، واختفاؤه من إخوته، وإشكال أمره على أبيه يعقوب عليه السلام مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته.

وأما شبهه من موسى عليه السلام فخوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتعب شيعته من بعده مما لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره وأيده على عدوه.

وأما شبهه من عيسى عليه السلام: فاختلاف من اختلف فيه، حتى قالت طائفة منهم: ما وُلد، وقالت طائفة: مات، وقالت طائفة: قُتل وصلب.

وأما شبهه من جده المصطفى عليه السلام فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله وأعداء رسوله، والجارين والطواغيت، وأنه ينصر بالسيف والرعب، وأنه لا ترد له راية» (١٤٢٧).

(١٤٢٦) كمال الدين: ص ٣٢١ - ٣٢٢ ب ٣١ ح ٣.

(١٤٢٧) كمال الدين: ص ٣٢٧ ب ٣٢ ح ٧.

غيبية الإمام الحجة عليه السلام

أشار رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في أخبارهم الشريفة إلى طول غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وأن المؤمنين سيمتحنون بذلك، كما أشاروا إلى تلاطم الفتن بهم وشدة ما يجري عليهم من محن وصعاب جراء فقدهم إمام زمانهم عليه السلام:

فعن عبد الرحمن بن سليط، قال: قال الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «منا اثنا عشر مهدياً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون ويقال لهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١٤٢٨)، أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ»^(١٤٢٩).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان. إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم البارئ جل جلاله فيقول: عبادي وإمائي، أمنتكم بسري وصدقتكم بغيبتي، فأبشروا بحسن الثواب مني، فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي»^(١٤٣٠).

^(١٤٢٨) سورة يونس: ٤٨، سورة الأنبياء: ٣٨، سورة النمل: ٧١، سورة سبأ: ٢٩، سورة يس:

٤٨، سورة الملك: ٢٥.

^(١٤٢٩) كمال الدين: ص ٣١٧ ب ٣٠ ح ٣.

^(١٤٣٠) كمال الدين: ص ٣٣٠ ب ٣٢ ح ١٥.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه
 كالحارط للقتاد - ثم قال: هكذا بيده ^(١٤٣١) ثم قال - إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة
 فليتنق الله عبد وليتمسك بدينه» ^(١٤٣٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «لابد من فتنة صمّاء صيلم ^(١٤٣٣) يسقط فيها كل
 بطانة ووليعة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السماء
 وأهل الأرض، وكل حرى وحران، وكل حزين ولهفان - ثم قال عليه السلام - بأبي وأمي سمي
 جدي عليه السلام وشبيهي وشبيهه موسى بن عمران عليه السلام، عليه جيوب النور، يتوقد من
 شعاع ضياء القدس، يحزن لموته أهل الأرض والسماء، كم من حرى مؤمنة، وكم من
 مؤمن متأسف حران حزين عند فقدان الماء المعين، كأني بهم آيس ما كانوا قد نودوا
 نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب، يكون رحمة» ^(١٤٣٤).

أقسام الغيبة

لا يخفى أنَّ الحكمة الإلهية ولحفظ حياة الإمام المهدي عليه السلام أنه (عجل الله فرجه)
 لازم الاستتار منذ ولادته عليه السلام، فكان لا يعرف بولادته إلا بعض الخواص، ولم يتشرف
 بمحضره إلا بعضهم. وكانت الحكومة العباسية قد جعلت العيون في بيت الإمام
 الحسن العسكري عليه السلام، بل جعلت عيوناً من النساء على زوجات الإمام العسكري
عليه السلام وإمائه، حتى إذا شاهدن آثار الحمل على إحداهن يخبرن السلطات.

^(١٤٣١) أي أشار بيده، والحارط من يضرب بيده على أعلى الفصن ثم يدها إلى الأسفل ليسقط
 ورقه، والقتاد شجر له شوك.

^(١٤٣٢) الكافي: ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ باب في الغيبة ح ١.

^(١٤٣٣) الصيلم: الأمر الشديد والداهية، والفتنة الصماء هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في
 دهائها؛ لأن الأصم لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عما يفعله.

^(١٤٣٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٦ - ٧ ب ٣٠ ح ١٤.

لأن السلطات علموا بأن الإمام المهدي عليه السلام سيولد من الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو الذي يقضي على جميع الحكومات الظلمة، فكانوا يخافون منه وربما كان لأجل ذلك جلبوا الإمام الحسن العسكري وأباه الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء وأبقوهما في العسكر تحت المراقبة الشديدة. إن الطغاة كانوا يعلمون بأن الإمام المهدي عليه السلام هو الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً، ولا يبقى من الطغاة والمجرمين أحداً.

من هنا أراد الباري عزوجل أن يكون حمل الإمام عليه السلام وولادته خفياً عن الناس، كما في حمل وولادة موسى بن عمران عليه السلام ..

لذا يمكن القول إنَّ شروع الغيبة كانت منذ ولادته عليه السلام، كما ذهب إلى ذلك الشيخ المفيد رحمته الله وغيره.

نعم ظهر الإمام عليه السلام أمام الكل ثم غاب لما أرادوا القبض عليه، وذلك في الصلاة على جنازة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث وقف جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام ليصلي على جنازة أخيه الإمام، وإذا بالصبي خرج من وراء الستار وأخذ برداء عمه وقال: «يا عم تنح فأنا أولى بالصلاة على أبي».

عند ذلك عرف الجميع بأنه الإمام المهدي عليه السلام، وأنه قد وُلد، وله من العمر خمس سنوات. فأرسلت السلطات جيشاً لاعتقال الإمام عليه السلام، فدخل الإمام عليه السلام السرداب الشريف وغاب عن أعينهم، فلم يجدوه.

ومن حينه بدأت الغيبة الصغرى، على القول المشهور، فهي أول غيبة بعد ظهوره للجميع.

وفي تلك الفترة كان الشيعة يتصلون بالإمام عليه السلام عبر النواب الأربعة وهم:

١. أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الزيات

الأسدي:

من أولاد عمار بن ياسر، وكان من خيار أصحاب الأئمة عليهم السلام، كان بخدمة الإمام الهادي عليه السلام وعمره إحدى عشرة سنة، ثم انتقل إلى رفقة الإمام العسكري عليه السلام حتى شهادته، فعينه الإمام المهدي عليه السلام نائباً عنه.

وقد ورد في حقه أكثر من خبر يشيد بمقامه، منها ما ورد عن أحمد بن إسحاق أنه سأل أبا الحسن صاحب العسكري عليه السلام، وقال: من أعمال وعمن آخذ وقول من أقبل؟.

فقال له: «العمري ثقني، فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون» (١٤٣٥).

وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام - العسكري - عن مثل ذلك. فقال له: «العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان، وما قالا فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان» (١٤٣٦).

ودفن في الجانب الغربي ببغداد في شارع الميدان، وله مقام معروف يزار فيه (١٤٣٧).

(١٤٣٥) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٣٨ ب ١١ ح ٣٣٤١٩.

(١٤٣٦) الكافي: ج ١ ص ٣٣٠ باب في تسمية من رآه عليه السلام ح ١.

(١٤٣٧) ومرقده اليوم يقع في وسط بغداد بجانب الرصافة، قرب نهر دجلة بالجانب الغربي من سوق الميدان في المسجد المعروف بـ (مسجد الدرب).

يقول الشيخ الطوسي رحمته الله: رأيت قبره وكان بني في وجهه حائط وبه محراب المسجد، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيق مظلم، فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرة، وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة. ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وأبرز القبر إلى برا وعمل عليه صندوقاً

٢. أبو جعفر محمد بن عثمان العمري الأسدي

الزيّات:

الذي حل محل أبيه ونال شرف خدمة الإمام العسكري عليه السلام والإمام الحجة عليه السلام ما يقارب خمسين سنة، ويكفي في مقامه ما ورد فيه من الناحية المقدسة: «والابن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه ونصّر وجهه، يجري عندنا مجراه، ويسد مسدّه، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل، تولاه الله» (١٤٣٨).

وفي التوقيع الشريف: «وأما محمد بن عثمان العمري، رضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنه ثقتي وكتابه كتابي» (١٤٣٩).

دفن رحمته الله ببغداد قرب درب سلمان، وقبره معروف بزار ويتبرك به المسلمون، وهو معروف عند أهل بغداد بالشيخ الخلاني (١٤٤٠).

وهو تحت سقف يدخل إليه من أراده ويزوره، ويتبرك جيران المحلة بزيارته ويقولون: هو رجل صالح وربما قالوا: هو ابن دابة الحسين عليه السلام، ولا يعرفون حقيقة الحال فيه، وهو إلى يومنا هذا، وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة على ما هو عليه. (الغيبة للطوسي: ص ٣٥٨ ف ٦). وفي أيامنا هذه فقد كتب على واجهة بابه من سوق الميدان: هذا مسجد نائب الإمام عليه السلام عثمان بن سعيد العمري العسكري بتأريخ ١٣٤٨ هـ. علماً بأن على قبره قبة صغيرة وهناك علامة إرشادية إليه في وسط الشارع.

(١٤٣٨) الغيبة للطوسي: ص ٣٦٢ ذكر أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد والقول فيه.

(١٤٣٩) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٤٠ ب ١١ ح ٣٣٤٢٤.

(١٤٤٠) قال أبو نصر هبة الله: إن قبر أبي جعفر محمد بن عثمان عند والدته في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه، وهو الآن في وسط الصحراء (الغيبة للطوسي: ص ٣٦٦ ذكر أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد والقول فيه). ومرقده ثمنه شاخص اليوم وسط بغداد في منطقة الرصافة - ساحة الخلاني ويطل على شارع الجمهورية قرب باب الشرقي، وهو أحد المراكز الشيعية في بغداد، وله حرم مجلل إلى جانب جامع عامر بالمصلين، أمامه صحن واسع، وفيه مكتبة عامرة ذات كتب قيمة، تعرف بمكتبة الخلاني تأسست سنة ١٣٦٤ هـ بهمة العلامة

٣. أبو القاسم الحسين بن روح الوبختي،

صاحب كتاب التأييد، ويكفي في جلالته قدره ما يلي: نقل جماعة من بني

نوبخت:

إن أبا جعفر العمري لما اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة، منهم أبو علي بن همام وأبو عبد الله بن محمد الكاتب وأبو عبد الله الباقراني وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبي جعفر عليه السلام فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟.

فقال لهم: (هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت) (١٤٤١).

استغرقت نيابته ٢١ أو ٢٢ سنة، وقبره معروف ببغداد في سوق الشورجة (١٤٤٢).

٤. أبو الحسن علي بن محمد السمري:

وهو ممن أدرك صحبة الإمام العسكري عليه السلام، ثم تولى السفارة الخاصة عن الإمام

الجليل السيد محمد الحيدري ثالثه

وقد كتب على باب الجامع الذي يلي المرقد الشريف هذه الأبيات عند تجديده سنة ١٣٤٥ هـ:

معبد شرفه الله بقبـــــر سند فيه نائب المهدي محمد

شاده زيدان في جد ومال وأخوه القاسم الشهم المجدد

عمراه عمر الرحمن قصراً لهما في جنة الخلد مخلد

قد أتماه بناء أرخاه " معبد أسس في ذكر محمد " ١٣٤٩

(١٤٤١) الغيبة للطوسي: ص ٣٧١ - ٣٧٢ ذكر إقامة أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري أبا

القاسم الحسين بن روح (رضي الله عنهما) مقامه بعده بأمر الإمام (صلوات الله عليه).

(١٤٤٢) ومرقده اليوم مشهور ومعروف ببغداد في جانب الرصافة في سوق الشورجة التجاري في زقاق

غير نافذ، وفوق قبره شباك مجلل، يزدحم عليه الزائرون والمتعبدون، وتقام فيه الصلوات المفروضة جماعة.

المهدي عليه السلام بتنصيب من النائب السابق عليه.

ومن كراماته: إنه أخبر بموت والد الشيخ الصدوق عليه السلام في الري وهو في بغداد، فقال لجمع من المشايخ عنده: آجركم الله في علي بن الحسين فقد قبض في هذه الساعة. قالوا: فأثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر، فلما كان بعد سبعة عشر أو ثمانية عشر يوماً، ورد الخبر أنه قبض في تلك الساعة (١٤٤٣).

وهو آخر السفراء وبعده وقعت الغيبة التامة الكبرى.

وقبل وفاته بستة أيام ورد التوقيع التالي من الإمام المهدي عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة. فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» (١٤٤٤).

دفن عليه السلام ببغداد في المزار المعروف اليوم قرب قبر الشيخ الكليني عليه السلام على شاطئ دجلة عند الجسر العتيق (١٤٤٥).

(١٤٤٣) الغيبة للطوسي: ص ٣٩٦ ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمري بعد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (رضي الله عنه) وانقطاع الأعلام به وهم الأبواب.

(١٤٤٤) كشف الغمة: ج ٢ ص ٥٣٠ الفصل الأول في ذكر الدلالة على إثبات غيبته عليه السلام وصحة إمامته من جهة الأخبار.

(١٤٤٥) ومرقده لا يزال شامخاً للعيان جنب جامع كبير معروف باسم مسجد القبلائية واقع في سوق السراي - وكان معروفاً بسوق الهرج - ببغداد قرب نهر دجلة، قرب المستنصرية في الضفة اليسرى من نهر دجلة. وعلى المرقد صندوق خشبي فوقه ستارة، تظله قبة شامخة ومنارة المسجد، كما يشاهد قبره من السوق من شبايك ثلاثة، وله كتيبة نقشت بالقاشاني الأزرق كتب عليه اسمه ولقبه. وهو اليوم عامر ويزوره المسلمون خصوصاً وفود الشيعة الإمامية.

لماذا الغيبة؟

هناك أكثر من حكمة في غيبة الإمام المهدي عليه السلام، منها: إن الأعداء هجموا على الإمام عليه السلام وأرادوا قتله، وبالغيبة حفظ الله وليه. ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لابد للغلام من غيبة». فقيل له: ولم يا رسول الله؟! قال: «يخاف القتل» (١٤٤٦).

بالطبع خوفه عليه السلام خوف تحذّر لا جبن، وإلّا فهو أشجع الناس، ومن أهل بيت الشجاعة الذين شهد لهم التاريخ بالشجاعة والبطولة.

وقد قال شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله حول هذه الحكمة: ممّا يقطع على أنه سبب لغيبة الإمام عليه السلام هو خوفه على نفسه بالقتل بإخافة الظالمين إيّاه، ومنعهم إيّاه من التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه، فإذا حيل بينه وبين مراده، سقط فرض القيام بالإمامة، وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته، ولزم استتاره كما استتر النبي صلى الله عليه وآله تارة في الشعب، وأخرى في الغار، ولا وجه لذلك إلا الخوف من المضار الواصلة إليه (١٤٤٧).

❖ ومن حكم غيبته عليه السلام استقلاله من البيعة لأحد، ففي الحديث عن الإمام المجتبي عليه السلام: «أما علمتم أنه ما منّا أحد إلّا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلّا القائم الذي يصليّ روح الله عيسى خلفه، فإن الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويغيب شخصه؛ لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج» (١٤٤٨).

❖ علاوة على ذلك كي يمتحن الله الخلق بغيبته ويمحصهم، ويميز المؤمنين من غيرهم، وليخرج ما في الأصلاب من طيب وخبث، ومؤمن وكافر، ففي الحديث عن ابن أبي عمير، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين

(١٤٤٦) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٩٠ ب ٢٠ ح ١.

(١٤٤٧) الغيبة للطوسي: ص ٩٠ ف ١ الكلام على الواقعة.

(١٤٤٨) كمال الدين: ج ١ ص ٣١٦ ب ٢٩ ح ٢.

﴿سورة﴾ لم يقاتل فلاناً وفلاناً؟.

قال له: «لآية في كتاب الله عز وجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا

أَلِيًّا﴾ (١٤٤٩)».

قال: قلت: ما يعني بتزاييلهم؟.

قال: «ودائع المؤمنين في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم ﴿سورة﴾ لن يظهر أبداً

حتى تظهر ودائع الله عز وجل، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله

فقتلهم» (١٤٥٠).

(١٤٤٩) سورة الفتح: ٢٥.

(١٤٥٠) حلية الأبرار: ج ٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ب ٣٩ ح ٢.

وظيفتنا في عهد الغيبة

ما هي وظيفة الموالين في عهد الغيبة؟.

ذكرنا عدداً من الوظائف في بعض كتبنا^(١٤٥١): من انتظار الفرج، والدعاء لتعجيله، والثبات على الولاية، والحزن لغيبته عليه السلام، والدعاء له عليه السلام، ودفع الصدقة عنه..

ونشير هنا إلى قسم آخر، منها:

١. معرفة الحجة عليه السلام :

على الإنسان أولاً أن يعرف أمام زمانه، ويزداد معرفة يوماً بعد يوم، ثم يعرف الإمام عليه السلام للآخرين حتى يعتقدوا بولايته وإمامته. والمعرفة أمر تشكيكي ذو درجات يختلف فيها العباد. ففي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «اعرف إمامك، فإنك إذا عرفت لم يضررك تقدم هذا الأمر أو تأخر»^(١٤٥٢)، وقد فسرت المعرفة في الحديث بالاعتقاد بإمامته.

وفي حديث آخر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه، لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في الفسطاط»^(١٤٥٣).

لا للفلسفة والعرفان

ثم إن تحصيل المعرفة والمعارف لا يكون إلا من خلال أهل البيت عليهم السلام وترك

(١٤٥١) انظر كتاب (الإمام المهدي عليه السلام) للمؤلف تتمة.

(١٤٥٢) الكافي: ج ١ ص ٣٧١ باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر ح ١.

(١٤٥٣) الكافي: ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢ باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر ح ٥.

الطرق الأخرى التي لم ينزل الله بها من سلطان، فأهل البيت أدرى بما فيه.

ومَّا يؤسف له أن البعض يتبع متهافتات طويلة لا أول لها ولا آخر ويزعمها المعرفة الحقيقية، بل هي سراب يحسبه الظمآن ماءً دون أن يجده شيئاً.

وأهل البيت عليهم السلام قد نهوا عن الأخذ من غيرهم، ومن ذلك ما ورد عن يونس بن يعقوب أنه قال للإمام الصادق عليه السلام: «سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام؟» فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ويل لهم إن تركوا ما أقول، وذهبوا إلى ما يريدون» (١٤٥٤).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة» (١٤٥٥).

وعن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق، إلا خرج من عندنا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم، والصواب من علي عليه السلام» (١٤٥٦).

نقل في أحوال الميرزا مهدي الأصفهاني رحمته الله (١٤٥٧) الذي كان مشغلاً بتعلم

(١٤٥٤) الكافي: ج ١ ص ١٧١ باب الاضطرار إلى الحجّة ح ٤.

(١٤٥٥) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ٧٥ ب ٧ ح ٣٣٢٣٩.

(١٤٥٦) الفصول المهمة: ج ١ ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ب ١٠٠ ح ٥٤٤.

(١٤٥٧) وُلد رحمته الله سنة ١٣٠٣ هـ في أصفهان، وتلمذ على يد أبيه حجة الإسلام الحاج شيخ إسماعيل وغيره من علماء أصفهان حتى بلغ مرتبة جليّة في الفقه والأصول. هاجر بعدها إلى النجف الأشرف، فحضر درس السيد اليزدي صاحب العروة الوثقى، والعلامة الآخوند ملا كاظم الخراساني صاحب الكفاية في الأصول، ثم حضر درس العلامة المحقق الشيخ محمد حسين النائيني. ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره كان قد نال أعلى مراتب الاجتهاد، فأجازته العلامة النائيني وغيره أحسن الإجازات. وكان مشغلاً بتعلم الفلسفة وبلغ أعلى مراتبها ثم تبرأ منها ومن العرفان، فألقى كل ما كتبه منهما في النهر، وتوجه بكله إلى الكتاب الكريم وآثار العترة

الفلسفة، ولكن لم يطمئن قلبه بنيل الحقائق، فقصد أهل العرفان في كربلاء المقدسة وتلمذ على بعضهم، ومع ذلك لم تسكن نفسه.

لذا قال: وجدت كلتا الطائفتين كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فطويت عنهما كشحاً وتوجهت وتوسلت مجدداً مجدداً إلى مسجد السهلة في غير أوانه باكياً متضرعاً متخشعاً إلى صاحب العصر والزمان عليه السلام، فبان لي الحق وظهر لي أمر الله ببركة مولانا صاحب الزمان (صلوات الله عليه)، ووقع نظري في ورقة مكتوبة بخط جلي: «طلب المعارف من غيرنا، أو طلب الهداية من غيرنا، مساوق لإنكارنا»، وعلى ظهرها مكتوب: «أقامني الله وأنا الحجة ابن الحسن».

قال: فتبرأت من الفلسفة والعرفان، وألقيت ما كتبت منهما في الشط، ووجهت وجهي بكله إلى الكتاب الكريم وآثار العترة الطاهرة عليهم السلام، فوجدت العلم كله في كتاب الله العزيز وأخبار أهل بيت الرسالة عليهم السلام الذين جعلهم الله خزاناً لعلمه وتراجمه لوجهه ^(١٤٥٨).

٢. الانتظار الحقيقي:

الوظيفة الأخرى في عهد الغيبة، الانتظار.

فإن من علامات معرفة الإنسان لإمام الزمان عليه السلام هي انتظار ظهوره الشريف،

الطاهرة عليهم السلام فبلغ منهما ما أراد. بعد ذلك غادر العراق متوجهاً إلى إيران، فاختار مجاورة الإمام الرضا عليه السلام، وشرع في تدريس مطالب الفقه والأصول ومعارف القرآن في مدة قريبة من ثلاثين سنة وأفاض مطالب الأصول في ثلاث دورات. وكذلك أجاد فيما أفاد من الفقه ومعارف القرآن. كان تنته ساعياً مجدداً في نشر العلوم والمعارف، بحيث لم يكن له تعطيل في تمام السنة إلا أياماً قليلة لا تبلغ عشرة أيام. فاستفاد من محضره الشريف الأفاضل والأمثال حتى بلغ أكثرهم رتبة الاجتهاد في الفقه والأصول والمعارف الإلهية. توفي رحمته الله صباح يوم الخميس التاسع عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١٣٦٥هـ.

^(١٤٥٨) مستدرک سفینة البحار: ج ١٠ ص ١٠ - ١١.

والإحساس الحقيقي باللوعة والأسى لفراقه، وهذا ما يظهر في دعاء الندبة الشريف،
الذي يستحب قراءته في يوم الجمعة وسائر الأعياد المباركة، فالمنتظر الحقيقي يترقب
الظهور بفارغ الصبر، ولا يهنأ بعيد أبداً وإمامه عليه السلام غائب عن الأنظار.

وفي الدعاء:

«عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى، هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ
وَالْبُكَاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأَسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا؟ هَلْ قُذِيتَ عَيْنٌ فَسَاعَدْتَهَا عَيْنِي عَلَى
الْقَدَى؟ هَلْ إِلَيْكَ يَا بَنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتُلْقَى؟ هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمَنَا مِنْكَ بَعْدِهِ فَتَحْظَى؟»

مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنُرْوِي! مَتَى نَنْتَفِعُ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى!
مَتَى نُعَادِيكَ وَنُرَاوِحُكَ فَنُقِرَّ عَيْنًا! مَتَى تَرَانَا وَنَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِوَاءِ النَّصْرِ تُرَى! أَتَرَانَا
نَحْفُ بِكَ وَأَنْتِ تَوْؤُمُ الْمَلَأِ وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا! وَأَذَقْتَ أَعْدَانِكَ هَوَانًا وَعِقَابًا!
وَأَبْرَتِ الْعَتَاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَنَنْتِ أَصُولَ الظَّالِمِينَ، وَنَحْنُ
نَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (١٤٥٩).

ولنا في الإمام الصادق عليه السلام أسوة، وهو العالم بما سيكون في الغيبة وكأنه
يعايشها في عصره.

يقول سدير الصيرفي: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب
على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فرأيناه جالساً على التراب وعليه مسح
خيبري (١٤٦٠) مطوق بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات
الكبد الحري، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلى الدموج
محجريه وهو يقول:

(١٤٥٩) المزار: ص ٥٨٢ الدعاء للندبة.

(١٤٦٠) المسح بكسر الميم كساء من الشعر.

«سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيقك علي مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد، يفنى الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر^(١٤٦١) من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا، إلا مثل بعيني عن غواير^(١٤٦٢) أعظمها وأفضعها، وبواقعي أشدها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك».

قال سدير: فاستطارت عقولنا وهماً، وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل، والحادث الغائل^(١٤٦٣)، وظننا أنه سميت لمكروهة قارعة^(١٤٦٤)، أو حلت به من الدهر بائقة. فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك من أية حادثة تستنزف دمعك^(١٤٦٥) وتستمطر عبرتك؟! وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم؟!.

قال: فزفر^(١٤٦٦) الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه، واشتد عنها خوفه، وقال: «ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم - وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خص الله به محمداً عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام - وتأملت منه مولد غائبنا وغيبته، وإبطائه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله

(١٤٦١) يفتر: أي يخرج بضعف وفتور.

(١٤٦٢) الغواير: جمع غابر نقيض الماضي.

(١٤٦٣) أي الحدث المهلك.

(١٤٦٤) سميت لهم: أي هيأ لهم وجه الكلام والرأي.

(١٤٦٥) استنزف الدمع: استنزله واستخرجه.

(١٤٦٦) الزفر: الزفير، والفعل يزفر، وهو أن يملأ صدره غمماً ثم يزفر به، والشهيق مد النفس ثم

يزفر، أي: يرمي به ويخرجه من صدره. راجع كتاب العين: ج ٧ ص ٣٦٠ مادة زفر. وفي مجمع البحرين: ج ٣ ص ٣١٧ مادة زفر: وزفر زفيراً: أخرج نفسه بعد مدة أيام.

تقدس ذكره: «وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» (١٤٦٧) يعني الولاية، فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان» (١٤٦٨).

٣. الاستعداد للظهور:

لا يمكن أن يكون الإنسان منتظراً حقيقياً إلا إذا أعد نفسه وربطها بإمام الزمان عليه السلام لكي لا يضيع في زوبعة الفتن التي تجرف الناس في آخر الزمان، بالطبع هذا يحتاج إلى التوسل الدائم بأهل البيت عليهم السلام والعناية منهم.

٤. التعريف بالحجة عليه السلام:

معظم الناس اليوم في العالم إما لا يعرفون الإمام الحجة عليه السلام أو يعرفونه ولكن معرفة غير صحيحة، بأن سمعوا عنه من خلال أعدائه الذين شوهاوا صورته أمام العالم، حيث صوروه على أنه سفك للدماء، يجلب للبشرية الويلات، والحال أنه عليه السلام رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمة.

بالطبع يمكن تعريفه عليه السلام للعالم بمختلف السبل، ومنها الكتابة حوله سيرته العطرة ونهجه النير، وإلقاء المحاضرات، وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية، وتأسيس فضائيات باسمه الشريف، وغير ذلك من سبل المعرفة والتعريف به عجل الله فرجه.

(١٤٦٧) سورة الإسراء: ١٣.

(١٤٦٨) كمال الدين: ج ٢ ص ٣٥٢ - ٣٥٤ ب ٣٣ ح ٥٠.

من فوائد الإمام عليّ السلام

فوائد الإمام الحجة عليه السلام كثيرة للأنام لا تكاد تحصى أو تعدّ، لكن كثيراً من الناس لا يعرفون هذه الفوائد مع وضوحها، فهي كالشمس التي هي مصدر الإشعاع والدفء وكل خير، لكن لتوفر هذه النعم لا يلتفت الناس إليها عادة.

ففي الخبر عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عزوجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١٤٦٩). قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟!.

فقال ﷺ: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمي وكني حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان».

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟.

فقال ﷺ: «أي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجللتها سحب. يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علمه، فاكتمه إلا عن أهله» (١٤٧٠).

(١٤٦٩) سورة النساء: ٥٩.

(١٤٧٠) كمال الدين: ج ١ ص ٢٥٣ ب ٢٣ ح ٣.

ومن تلك الفوائد:

قبول الأعمال:

معرفة إمام الزمان عليه السلام شرط لقبول الأعمال، بل شرط الإيمان، فمن لم يعرف إمام زمانه كان كجاهليين.

وفي الحديث الشريف المروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «إن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. فقال: إن هذا حق، كما أن النهار حق، فقيل: يا بن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، فمن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية» (١٤٧١).

وفي الخبر عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: «أي البقاع أفضل؟».

فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

فقال لنا: «أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار، ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً» (١٤٧٢).

وفي الزيارة الجامعة: «وبمواالاتكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودة الواجبة» (١٤٧٣).

وفي دعاء الندبة: «واجعل صلاتنا به مقبولة» (١٤٧٤).

(١٤٧١) وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ٢٤٦ ب ٣٣ ح ٢١٤٧٥.

(١٤٧٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٤٥ باب ابتداء الكعبة وفضلها وفضل الحرم ح ٢٣١٣.

(١٤٧٣) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١٣٢ ب ٨ ح ٤.

(١٤٧٤) المزار: ص ٥٨٤ الدعاء للندبة.

ومن مجموع هذه الأخبار وغيرها يظهر أنّ الاعتقاد بالمعصومين عليهم السلام وولايتهم هو سر قبول الأعمال.

٢. هبوط البركات:

إن البركات الإلهية تهبط إلى الخلق ببركة المعصوم عليه السلام.
ففي زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «بكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث» (١٤٧٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وعبادتنا عبد الله، ولولا نحن ما عبد الله» (١٤٧٦).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «وبنا ينزل الله الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض» (١٤٧٧).

٣. دفع البلاء:

ما أكثر البلاء النازل، ولولا الحجة عليه السلام لساخت الأرض بأهلها، فإن أصل وجود الإمام عليه السلام مظهر للرحمة الربانية وموجب لدفع البلاء.
هذا مضافاً إلى دعاء الإمام عليه السلام لشيئته في كل يوم، ودعاؤه مستجاب قطعاً وهو يوجب رفع البلاء عنهم.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «لا تخلو الأرض من قائم مما ظاهر أو خاف، ولو خلت

(١٤٧٥) الكافي: ج ٤ ص ٥٧٦ - ٥٧٧ باب زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام ح ٢.

(١٤٧٦) الكافي: ج ١ ص ١٤٤ باب النوادر ح ٥.

(١٤٧٧) ينابيع المودة: ج ٣ ص ٣٦٠ ب ٨٩ ح ٣.

يوماً بغير حجة لمجت بأهلها كما يموج البحر بأهله» (١٤٧٨).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ونحن الذين بنا تنزل الرحمة، وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا والينا» (١٤٧٩).

وقال الإمام الحجة عليه السلام مخاطباً الشيخ المفيد رحمته الله: «كأنهم لا يعلمون أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاواء، واصطلمكم الأعداء» (١٤٨٠).

٤. قضاء الحوائج:

المعصوم عليه السلام سبيل ووسيلة إلى الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٤٨١).
وقال عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٤٨٢).
وكم هم الذين نالوا حوائجهم وحصلوا على مرادهم ببركة التوسل بإمام الزمان عليه السلام، ويشهد لذلك القصص الكثيرة التي لا يخلو منها زمان ما.

٥. استجابة الدعاء:

ورد في دعاء الندبة: «وامن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته، ودعاه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك، وفوزا عندك، واجعل صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة،

(١٤٧٨) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٣٥ ب ١ ح ٥٩.

(١٤٧٩) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٤٩ ح ١٩.

(١٤٨٠) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٩٧ ذكر طرف مما خرج أيضا عن صاحب الزمان عليه السلام من المسائل الفقهية وغيرها في التوقيعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم.

(١٤٨١) سورة المائدة: ٣٥.

(١٤٨٢) سورة المزمل: ١٩، سورة الإنسان: ٢٩.

ودعاءنا به مستجاباً^(١٤٨٣).

٦. شفاء المرضى:

ورد في الزيارة الرجبية: «فيكم يجبر المهيض، ويشفى المريض»^(١٤٨٤).
وما أكثر المرضى الذين نالوا شفاءهم ببركة الإمام الحجة عليه السلام وبإذن الله تعالى، بل إنه عليه السلام يعنيه مرض الموالين ويدعو لهم. ففي الخبر عن أبي ربيع الشامي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغني عن عمرو بن إسحاق حديث.
فقال: «اعرضه».

قال: دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فرآى صفرة في وجهه. قال: ما هذه الصفرة؟، فذكر وجعاً به. فقال له علي عليه السلام: إنا لنفرح لفرحكم، ونحزن لحزنكم، ونمرض لمرضكم، وندعو لكم، فتدعون فتؤمن. قال عمرو: قد عرفت ما قلت ولكن كيف ندعو فتؤمن؟. فقال عليه السلام: إنا سواء علينا البادي والحاضر. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «صلق عمرو»^(١٤٨٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ذكرنا أهل البيت شفاء من الوبعك والأسقام، ووسواس الريب، وحبنا رضى الربّ تبارك وتعالى»^(١٤٨٦).

٧. هداية العباد:

الإمام الحجة عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام سُبُل هداية العباد، وهذا المعنى ظاهر في دعاء الافتتاح لكل ليلة من شهر رمضان المبارك، حيث ورد عنه (عجل الله فرجه الشريف): «واهدنا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط

^(١٤٨٣) المزار: ص ٥٨٤ الدعاء للندبة.

^(١٤٨٤) مصباح المتعبد: ص ٨٢١ زيارة رواها ابن عياش.

^(١٤٨٥) بصائر الدرجات: ص ٢٦٠ ب ١٦ ح ٢.

^(١٤٨٦) المحاسن: ج ١ ص ٦٢ ب ٨٣ ح ١٠٧.

مستقيم» (١٤٨٧).

نقل الشيخ علي الرشتي رحمته الله فقال: سافرت من مدينة كربلاء المقدّسة إلى النجف الأشرف عن طريق (طويريج) فركبنا السفينة، وكان معنا جماعة مشغولين باللهو واللعب، بخلاف رجل منهم حيث كان يبدو عليه الوقار والهدوء، وكان لا يشاركهم إلا عند تناول الطعام وهم يستهزؤون به ويوجهون إليه الكلمات اللاذعة ويطعنون في مذهبه.

فسألته عن الجماعة وسبب ابتعاده عنهم وعدم مشكرته إياهم، فقال: هؤلاء أقربائي وهم من العامة وقد كنت مثلهم؛ لأنّ والدي من العامة إلا أنّ والدي شيعية، وقد منّ الله عزّ وجلّ عليّ بالتشيعّ ببركة الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام.

فسألته عن سبب هدايته وتشيعه؟.

فقال: اسمي (ياقوت) وعملي دهان في مدينة الحلة، وقد خرجت في بعض السنين إلى البراري خارج الحلة لشراء الدهن، فاشترت كمية من الدهن ورجعت مع الجماعة، فوصلنا ليلاً إلى منزل فبتنا فيه تلك الليلة، فلما انتبعت من النوم رأيت أنّ الجماعة قد رحلوا جميعاً، فخرجت في أثرهم فضلت وكان الطريق قفراً والأرض ذات سباع، فبقيت متحيراً خائفاً من السباع والعطش.

فأخذت أستغيث بالخلفاء فلم أنال منهم شيئاً، وكنت قد سمعت من والدي أنها قالت: إنّ لنا إماماً حياً يكنى (أبا صالح) يرشد الضال ويغيث الملهوف ويعين الضعيف، فعاهدت الله إن أعانني ذلك الإمام عليه السلام أن أعتنق مذهب التشيعّ. فناديت بتوجه: يا أبا صالح أدركني.

وإذا بي أرى رجلاً يمشي إلى جانبي وقد تعمّم بعمامة خضراء، فدلّني على الطريق، وأمرني باعتناق مذهب أمي، وقال: ستصل إلى قرية أهلها من الشيعة.

(١٤٨٧) مصباح المتهدد: ص ٥٨١ دعاء كل ليلة من شهر رمضان من أول الشهر إلى آخره.

فقلت له: ألا ترافقني إلى القرية؟.

فقال عليه السلام: قد استغاث بي ألف إنسان وأريد أن أغيثهم، ثم غاب عني، فمشيت قليلاً وإذا بي أصل إلى القرية وكانت تبعد عن المنزل الذي كنت فيه مسافة بعيدة، وقد وصلت الجماعة بعدي إلى القرية بيوم، ودخلت الحلة وذهبت إلى السيد مهدي القزويني وذكرت له قضيتي وتعلّمت منه معالم التشيع.

٨. إرشاد الضال:

يُنقل عن الأغا ضياء العراقي رحمته الله أنه قال: قصد أحد شيعة القطيف زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وفي الطريق نفذت أمواله وبقي حائراً، لا يستطيع الرجوع إلى وطنه ولا مواصلة الطريق، فتوسّل بإمام الزمان عليه السلام ليخلصه من هذه الحيرة. وبينما هو كذلك إذا بسيد نوراني جليل القدر يتعرّف عليه ويقدم له بعض الأموال لتوصله إلى سامراء، ومن ضمن الأمور التي قالها السيد له: راجع في سامراء وكيلنا الميرزا محمد حسن الشيرازي ليعطيك من أموالنا التي عنده لتزور جدّي علي بن موسى الرضا عليه السلام.

يقول القطيفي: تساءلت من السيد قائلاً: إذا سألني السيد الشيرازي عن صفاتك ماذا أجيبه؟.

فقال: قل له: العلامة هي أنك سافرت في الصيف برفقة الملا علي كني إلى حرم عمّي زينب عليها السلام وكان الحرم مزدحماً بالزوار والأوساخ قد تجمعت، فخلعت عباءتك وكنست بها الحرم الشريف، وكان الشيخ علي كني يحمل الأوساخ بيده إلى خارج الحرم، وكنت آنذاك حاضراً أشاهدكم. يقول القطيفي: لما التقيت بالميرزا الشيرازي ونقلت له القصة قام إجلالاً لي واحتضني وقبّل ما بين عيني وبارك لي هذا التوفيق. وأضاف القطيفي قائلاً: كما ذهبت إلى الملا علي كني ونقلت له القصة، فقام هو الآخر لي إجلالاً واحتضني وقبّل ما بين عيني إلا أنه كان حزيناً لأنّ الإمام عليه السلام لم يحيلني عليه.

٩. بيان الأحكام:

ويشهد لذلك قصة الشيخ المفيد رحمته الله لما أمر بدفن المرأة التي في بطنها الطفل. فاستدرك صاحب الأمر عليه السلام ذلك بإرسال شخص يبين الحكم الصحيح، وهو شق البطن وإخراج الطفل ثم دفن الأم. ومما يدل على بيان الأحكام في الجملة، ما ذكر في الإجماع التشرفي. ولا يخفى أن بيان الأحكام في الغيبة يكون في الجملة، لا كعصر الظهور.

١٠. إغاثة الملهوف:

لا شك أن المعصومين عليهم السلام هم ملاذ الخلق وملجأهم عند الشدائد، بهم يلوذ العباد لخلاصهم من الخن. ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام - في صفات الإمام المعصوم عليه السلام - قال: «مفرج العباد في الداهية الناد»^(١٤٨٨) أي الأمور العظيمة. وفي الدعاء عند نزول سرداب الغيبة: «اللهم صل على محمد واله الذين فرضت علينا طاعتهم، وعرفتنا بذلك منزلتهم، ففرج عنا بحقهم فرجاً عاجلاً كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك. يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، انصراني فإنكما ناصراني، واكفياني فإنكما كافياني، يا مولاي يا صاحب الزمان، الغوث الغوث الغوث، أدركني أدركني أدركني»^(١٤٨٩).

وهكذا يلوذ العباد بإمام الزمان عليه السلام ويستغيثون به في خلاصهم من الشدائد، ومن ذلك قصة أهل البحرين حيث خلّصهم الإمام عليه السلام من بطش السلطان الذي توعدهم بالقتل وأخذ الجزية، وهي قصة مفصلة مذكورة في كتاب البحار وغيره^(١٤٩٠).

^(١٤٨٨) الكافي: ج ١ ص ٢٠٠ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته ح ١.

^(١٤٨٩) المزار: ص ٥٩١ القول عند نزول السرداب.

^(١٤٩٠) راجع بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٧٨ - ١٨٠ ب ٢٤.

يقول العلامة المجلسي رحمته الله: ومنها ما أخبرني به بعض الأفاضل الكرام والثقات الأعلام، قال: أخبرني بعض من أثق به يرويه عن يثق به وبطريقه، أنه قال: لما كان بلدة البحرين تحت ولاية الأفرنج جعلوا واليها رجلاً من المسلمين؛ ليكون أدعى إلى تعمیرها وأصلح بحال أهلها، وكان هذا الوالي من النواصب وله وزير أشد نصباً منه، يظهر العداوة لأهل البحرين لحبهم لأهل البيت عليهم السلام، ويحتال في إهلاكهم وإضرارهم بكل حيلة.

فلما كان في بعض الأيام دخل الوزير على الوالي وببده رمانة فأعطاه الوالي، فإذا كان مكتوباً عليها: (لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله)!. فتأمل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمانة بحيث لا يحتمل عنده أن يكون من صناعة بشر، فتعجب من ذلك وقال للوزير: هذه آية بينة وحجة قوية على إبطال مذهب الرافضة، فما رأيك في أهل البحرين؟.

فقال له: أصلحك الله، إن هؤلاء جماعة متعصبون ينكرون البراهين، وينبغي لك أن تحضرهم وتريهم هذه الرمانة، فإن قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا كان لك الثواب الجزيل بذلك، وإن أبوا إلا المقام على ضلالتهم، فخيرهم بين ثلاث: إما أن يؤدوا الجزية وهم صاغرون، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البينة التي لا محيص لهم عنها، أو تقتل رجالهم، وتسبي نساءهم وأولادهم، وتأخذ بالغنيمة أموالهم.

فاستحسن الوالي رأيه وأرسل إلى العلماء والأفاضل الأخيار والنجباء والسادة الأبرار من أهل البحرين وأحضرهم، وأراهم الرمانة وأخبرهم بما رأى فيهم إن لم يأتوا بجواب شاف من القتل والأسر وأخذ الأموال أو أخذ الجزية على وجه الصغار كالكفار.

فتحيروا في أمرها ولم يقدرُوا على جواب، وتغيرت وجوههم وارتعدت فرائصهم.

فقال كبارهم: أمهلنا أيها الأمير ثلاثة أيام لعلنا نأتيك بجواب ترتضيه وإلا

فاحكم فينا ما شئت.

فأمهلهم فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيرين. فاجتمعوا في مجلس وأجالوا الرأي في ذلك، فاتفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهادهم عشرة، ففعلوا ثم اختاروا من العشرة ثلاثة.

فقالوا لأحدهم: اخرج الليلة إلى الصحراء واعبد الله فيها، واستغث بإمام زماننا عليه السلام وحجة الله علينا لعله يبين لك ما هو المخرج من هذه الداهية الدهماء.

فخرج وبات طول ليلته متعبداً خاشعاً داعياً باكياً يدعو الله، ويستغيث بالإمام عليه السلام حتى أصبح ولم ير شيئاً فأتاهم وأخبرهم. فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم، فرجع كصاحبه ولم يأتهم بخبر، فازداد قلقهم وجزعهم. فأحضروا الثالث وكان تقياً فاضلاً اسمه محمد بن عيسى، فخرج الليلة الثالثة حافياً حاسر الرأس إلى الصحراء، وكانت ليلة مظلمة، فدعا وبكى وتوسل إلى الله تعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين، وكشف هذه البلية عنهم، واستغاث بصاحب الزمان.

فلما كان آخر الليل إذا هو برجل يخاطبه، ويقول: «يا محمد بن عيسى، مالي أراك على هذه الحالة! ولماذا خرجت إلى هذه البرية؟!».

فقال له: أيها الرجل، دعني فإنني خرجت لأمر عظيم وخطب جسيم لا أذكره إلا لإمامي، ولا أشكوه إلا إلى من يقدر على كشفه عني.

فقال: «يا محمد بن عيسى، أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك».

فقال: إن كنت هو فأنت تعلم قصتي ولا تحتاج إلى أن أشرحها لك.

فقال له: «نعم خرجت لما دهمكم من أمر الرمانة، وما كتب عليها، وما أوعدكم

الأمير به».

قال: فلما سمعت ذلك توجهت إليه وقلت له: نعم - يا مولاي - قد تعلم ما

أصابنا، وأنت إمامنا وملاذنا، والقادر على كشفه عنا.

فقال (صلوات الله عليه): «يا محمد بن عيسى، إن الوزير - لعنه الله - في داره شجرة

رمان، فلما حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمانة، وجعلها نصفين وكتب في داخل كل نصف بعض تلك الكتابة، ثم وضعهما على الرمانة وشدهما عليها وهي صغيرة، فأثر فيها وصارت هكذا. فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له: جئتك بلجواب، ولكني لا أبدية إلا في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة، فقل للوالي: لا أجيبك إلا في تلك الغرفة، وسيأبى الوزير عن ذلك وأنت بالغ في ذلك، ولا ترض إلا بصعودها، فإذا صعد فاصعد معه ولا تتركه وحده يتقدم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوة فيها كيس أبيض، فانفض إليه وخذ فترى فيه تلك الطينة التي عملها هذه الحيلة، ثم ضعها أمام الوالي وضع الرمانة فيها لينكشف له جلية الحال.

وأيضاً يا محمد بن عيسى قل للوالي: إن لنا معجزة أخرى، وهي أن هذه الرمانة ليس فيها إلا الرماد والدخان، وإن أردت صحة ذلك فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه وحيته.

فلما سمع محمد بن عيسى ذلك من الإمام عليه السلام فرح فرحاً شديداً، وقبل بين يدي الإمام (صلوات الله عليه) وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور.

فلما أصبحوا مضوا إلى الوالي ففعل محمد بن عيسى كل ما أمره الإمام، وظهر كل ما أخبره، فالتفت الوالي إلى محمد بن عيسى وقال له: من أخبرك بهذا؟!.

فقال: إمام زماننا وحجة الله علينا.

فقال: «ومن إمامكم؟!».

فأخبره بالأئمة واحداً بعد واحد إلى أن انتهى صاحب الأمر (صلوات الله عليهم). فقال الوالي: مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الخليفة بعده بلا فصل أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ثم أقر بالأئمة إلى آخرهم عليهم السلام وحسن إيمانه، وأمر بقتل الوزير، واعتذر إلى أهل البحرين، وأحسن إليهم وأكرمهم.

قال: وهذه القصة مشهورة عند أهل البحرين، وقبر محمد بن عيسى عندهم معروف يزوره الناس.

١١ . سعة الرزق:

من بركات الإمام الحجة عليه السلام هي سعة الرزق، وهذا ما تفيدُه العبارة التالية من دعاء النذبة الشريف: «واجعل أرزاقنا به ميسوطة»^(١٤٩١).

بل إنَّ الله عزَّ وجلَّ يجري أرزاق العباد على يد المعصوم عليه السلام. فعن أبي حمزة، قال: كنت عند علي بن الحسين عليه السلام وعصافير على الحائط قبالة يصحن.
فقال عليه السلام: «يا با حمزة، أتدري ما يقلن؟».

قال: «يتحدثن أنَّ هن وقتاً يسألن فيه قوتهن. يا أبا حمزة، لا تنامن قبل طلوع الشمس فإني أكرها لك؛ إنَّ الله يقسم في ذلك الوقت أرزاق العباد، وعلى أيدينا يجريها»^(١٤٩٢).

١٢ . الدعاء للموالين:

لا شك أنَّ أهل البيت عليهم السلام يودون شيعتهم ومحبيهم، ويدعون لهم، ويستغفرون لهم. ففي الحديث أنَّ الإمام السجاد عليه السلام قال لأم فروة بنت القاسم: «إني لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم واللييلة ألف مرّة»^(١٤٩٣).

ومرَّ في حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنا لنفرح لفرحكم، ونحزن لحزنكم، ونمرض لمرضكم، وندعو لكم فتدعون فنؤمّن»^(١٤٩٤).

وفي دعاء النذبة نقول: «وامن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته ودعاه وخيره،

^(١٤٩١) المزار: ص ٥٨٤ الدعاء للنذبة.

^(١٤٩٢) بصائر الدرجات: ص ٣٤٣ ب ١٤ ح ٩.

^(١٤٩٣) الكافي: ج ١ ص ٤٧٢ باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ح ١.

^(١٤٩٤) بصائر الدرجات: ص ٢٦٠ ب ١٦ ح ٢.

ما ننال به سعة من رحمتك» (١٤٩٥).

وعن ابن طاووس رحمته الله، أنه سمع سحراً في السرداب عن صاحب الأمر عليه السلام أنه يقول: «اللهم إن شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا، وقد فعلوا ذنوباً كثيرة اتكالا على حينا وولايتنا، فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا، وما كان منها فيما بينهم فأصلح بينهم وقاص بها عن خمسنا، وأدخلهم الجنة، وزحزحهم عن النار، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك» (١٤٩٦).

(١٤٩٥) المزار: ص ٥٨٤ الدعاء للندبة.

(١٤٩٦) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٣٠٢ الحكاية الخامسة والخمسون.

من علائم الظهور

قبل التعرّض إلى علائم الظهور وما يتعلّق بذلك الزمان لا بأس أن نشير إلى أنّ المنتظر الحقيقي هو الذي يعيش وكأنه بمحضر الإمام عليه السلام في كل أموره، فهو يراقب في كل حركاته وسكناته رضا الإمام عليه السلام وسخطه، فيأتي بما يرضيه ويجتنب ما يسخطه، ويهيأ نفسه في كل لحظة للظهور والنصرة لبقية الله الأعظم (عجل الله فرجه الشريف).

أمّا علائم الظهور والتي كثر الحديث عنها في الآونة الأخيرة فهي على قسمين: العلائم الحتمية، وغير الحتمية، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٤٩٧)

١. العلائم الحتمية: وهي خمس علائم أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام في حديث له فقال: «خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني، والسفياي، والمناي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية» (١٤٩٨).

حقيقة الصيحة

الصيحة المذكورة تكون من جبرئيل عليه السلام يسمعا كل الناس كل حسب لغته ولسانه، ففي الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يسمعه كل قوم بألسنتهم» (١٤٩٩). وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من بالشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقداً إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه، فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإن الصوت الأول هو صوت جبرئيل - ثم قال عليه السلام - يكون الصوت في شهر رمضان، في ليلة الجمعة، ليلة ثلاث وعشرين، فلا تشكوا في ذلك، واسمعوا وأطيعوا، وفي آخر

(١٤٩٧) سورة الرعد: ٣٩.

(١٤٩٨) كمال الدين: ج ٢ ص ٦٤٩ ب ٥٧ ح ١.

(١٤٩٩) الغيبة للطوسي: ص ٤٣٥ ذكر طرف من العلامات الكائنة قبل خروجه عليه السلام.

النهار صوت الملعون إبليس ينادي: ألا إن فلاناً قُتلَ مظلوماً، ليشكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شك متحير قد هوى في النار» (١٥٠٠).

وعن الإمام علي عليه السلام، قال: «فيقول جبرئيل عليه السلام في صيحته: يا عباد الله، اسمعوا ما أقول: إن هذا مهدي آل محمد خارج من أرض مكة فأجيبوه» (١٥٠١).

حقيقة السفيناني

يظهر من الأخبار الشريفة أن السفيناني من أشد الناس قسوة، وهو أموي النسب، ذكر البعض أن اسمه عثمان بن عنبسة، من ولد أبي سفينان، يكثر هو وأتباعه قتل الناس ولا يدع محرماً إلا ارتكبه. ففي الخبر عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: «فبينما هم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليبس في فور ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة - يعني بغداد - فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس.

ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها. ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرئيل فيقول: يا جبرئيل، اذهب فأبدهم.

فيضربها برجله ضربة يحسف الله بهم عندها ولا يفلت منها إلا رجلان من جهينة، فلذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين» (١٥٠٢).

وفي بعض الأخبار: إن الإمام المهدي عليه السلام يتوجه برفقة جيشه إلى الشام لمواجهة السفيناني، ولما يلتقيان يدور بينهما حوار ينتهي إلى مبايعة السفيناني للإمام عليه السلام، ثم

(١٥٠٠) الغيبة للنعماني: ص ٢٥٤ ب ١٤ ح ١٣.

(١٥٠١) إلزام الناصب: ج ٢ ص ١٧٤.

(١٥٠٢) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ ب ٢٥ ضمن ح ١١.

يعود السفيناني إلى جيشه ويخبرهم بإسلامه فيقبحون رأيه، فينكث البيعة ويستعد من جديد لمحاربة الإمام المهدي عليه السلام ويقاتله، فيؤسر السفيناني ويقتل. والله العالم.

حقيقة اليماني

تفيد الأخبار أنّ اليماني يزامن خروجه مع خروج السفيناني في سنة واحدة، وهو يدعو إلى الحق ورايته راية هدى. فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وليس في الرايات أهلى من راية اليماني هي راية هدى؛ لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم.

وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإنّ رايته راية هدى، ولا يجل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل فهو من أهل النار؛ لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم» (١٥٠٣). وفي بعض الأخبار أنه يظهر من صنعاء وهو من ذرية زيد الشهيد عليه السلام.

حقيقة خسف البيداء

البيداء هي المفازة التي لا شيء فيها، والمراد بها أرض بين مكة والمدينة على ميل من ذي الحليفة نحو مكة، وقد نُهي عن الصلاة فيها؛ لأنها من الأماكن المغضوب عليها^(١٥٠٤). وتخسف هذه الأرض بجيش السفيناني وتبتلعهم جميعاً ماعداً رجلاً، أحدهما يبشّر الإمام المهدي عليه السلام بهلاك الظالمين، والآخر يخبر السفيناني بهلاك جيشه.

حقيقة قتل ذي النفس الزكية

ذو النفس الزكية اسمه محمد بن الحسن، يرسله الإمام المهدي عليه السلام إلى أهل مكة كداعية له و متمم للحجة، ولكنه يُقتل بين الركن والمقام بدون ذنب، وفي الخبر أنه ليس بين قتل ذي النفس الزكية وظهور الإمام المهدي عليه السلام سوى خمسة عشر يوماً^(١٥٠٥).

(١٥٠٣) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٢٣٢ ب ٢٥ ح ٩٦.

(١٥٠٤) راجع مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٨ مادة بيد.

(١٥٠٥) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٢٠٣ ب ٢٥ ح ٣٠.

من العلائم غير الحتمية

٢. الثاني من العلائم غير الحتمية: وهي كثيرة وردت في الروايات، منها:

❖ خروج السيد الحسيني: من خراسان برايات سود يقاتل أصحاب السفيناني فيهزموهم.

❖ كثرة الأمطار في جمادى الآخرة وعشرة أيام من شهر رجب.

❖ الموت الأحمر والموت الأبيض وذهاب ثلثي العالم.

❖ خسوف القمر لحمس بقين من شهر رمضان، وكسوف الشمس لحمس عشر مضي من شهر رمضان.

ملاحظة مهمة:

ثم لا يخفى أنه ليس من الصحيح تطبيق هذه الأسماء أو العلائم على نحو الجزم على بعض المصاديق الخارجية المحتملة، حتى وإن وجد بعض الشبه فيها، فلا يصح أن يقال: إن فلاناً هو اليماني، والآخر هو السفيناني، والثالث هو الحسيني، وإن هذا الموت هو الأحمر وذاك هو الأبيض وهكذا.. وقد ثبت طول التاريخ خطأ من جزم بتعيين المصاديق.

عهد الظهور

يعيش الناس اليوم في مآسي كبيرة، وآل أمرهم إلى الاضطهاد وغلبة الطغاة والظلمة، وذلك في مختلف أنحاء العالم ولمختلف الشعوب، والكل ينتظر يوم الخلاص، وظهور المخلص.

ولو عرف العالم ماذا ينتظره في عهد الظهور من وفور النعمة وكمال العقل، والأمن والعافية، وخيرات الدنيا بأجمعها، لسأم العيش في هذه الدنيا ولما شوقاً إلى ذلك الزمان الذي سيظهر فيه منجي البشرية.

❖ في عصرنا الراهن تضحج فيه البشرية من الظلم والجور، وتحن الشعوب إلى العدالة وتفتش عنها في كل مكان، ولكن لا تجد منها شيئاً يذكر. أمّا في عصر الظهور لما يحكم صاحب العصر والزمان عليه السلام تعم العدالة بمعناها الكامل في جميع البلاد، وتتنعم كل الشعوب بعدالة الحق وتهناً بنعيمها. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «المهدي، أجلى الجبهة، أقى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» (١٥٠٦).

فالعدالة بكل معانيها الشمولية تملأ الأرض في جميع أنحاءها.

❖ وكذلك بالنسبة إلى الأمن والأمان، فبينما اليوم تفتقد معظم الشعوب الأمن والأمان وتقضي عمرها في الاضطراب والخوف من الحروب والجور وما أشبه، تلك المخاطر الصعبة التي تهدد حياتها وتنغص عليها رغد العيش، فهي تتطلع إلى الأمن الحقيقي، الذي يحققه الإمام المهدي عليه السلام للبشرية جمعاء. فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له: «حتى تمشي المرأة بين العراق والشام، لا تضع قدميها إلا على النبات، وعلى رأسها زبيلها، لا يهيجها سبع ولا تخافه» (١٥٠٧).

(١٥٠٦) شرح الأخبار: ج ٣ ص ٣٧٩ صفة المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ح ١٢٥٣.

(١٥٠٧) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣١٦ ب ٢٧ ح ١١.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «وحتى يخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا ينهاها أحد» (١٥٠٨).

❖ وهكذا بالنسبة إلى الفقر والحرمان، فإن البشرية اليوم تعيش أقسى درجات الفقر، وتعاني ممرض الجوع والحرمان إلى غيرها من المشاكل التي تطل على العالم، ولكن في عهد الإمام المهدي عليه السلام: لا فقر ولا حرمان، بل العالم مليء بالانتعاش والغنى بحيث لا يبقى فقير ولا محتاج إلا واستغنى حتى تصبح الثروات لا قيمة لها!

وإلى ذلك يشير رسول الله ﷺ في حديث له قائلاً: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً».

فقال رجل: ما صحاحاً؟

قال ﷺ: «بالسوية بين الناس، ويملاً الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي يقول: من له في المال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول: ائت السدان - يعني الخازن - فقل له: إنَّ المهدي عليه السلام يأمرك أن تعطيني مالاً. فيقول له: أحث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم فيقول: كنت أجشع أمة محمد ﷺ نفساً أعجز عما وسعهم، فيرده ولا يقبل منه. فيقال له: إنا لנأخذ شيئاً مما أعطيناه» (١٥٠٩).

❖ وفي عهد إمام الزمان عليه السلام تنتشر المحبة والألفة والمودة بين الناس بعد أن يكونوا متخاصمين كل منهم يسعى جاهداً من أجل أذية أخيه أو نظيره في البشرية. ولا يخفى أن إيجاد الألفة بين القلوب يحتاج إلى عناية خاصة، وولاية تكوينية عامة،

(١٥٠٨) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٤٥ ب ٢٧ ح ٩١.

(١٥٠٩) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٩٢ ب ١.

وتطبيق للشريعة الغراء، بحيث يؤلف بين قلوب البشرية على اختلافها واختلاف مشاربها، وكثرة نزاعاتها الشديدة، وعداواتها المكونة.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «قلت: يا رسول الله، أمنا آل محمد المهدي أم من غيرنا؟».

فقال رسول الله ﷺ: لا بل منّا، يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون من الفتن كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخواناً، كما ألف بينهم بعد عداوة الشرك إخواناً في دينهم» (١٥١٠).

❖ ومن أهم الأمور التي يجلبها بقية الله الأعظم عليه السلام للبشرية هو إعادة عزة الإسلام والعقيدة بعد أن يتكالب الطغاة والمنافقون على محوه، فيعيد للإنسانية عزة الدين ويجعلها تلامس بنفسها عز الإسلام. فعن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويح هذه الأمة من ملوك جبابرة! كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم، فالؤمن التقي يصانعهم بلسانه، ويفرّ منهم بقلبه، فإذا أراد الله عزّ وجل أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كلّ جبار عنيد، وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها». فقال عليه السلام: «يا حذيفة، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام، لا يخلف وعده وهو سريع الحساب» (١٥١١).

❖ ناهيك أنّ في عهد إمام الزمان عليه السلام تتكامل العقول البشرية، وتنضج الألباب، ويصبح الناس حكماء فقهاء. يقول الإمام الباقر عليه السلام: «تؤتون الحكمة في زمانه - أي الإمام المهدي عليه السلام - حتى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة

(١٥١٠) شرح الأخبار: ج ٣ ص ٣٨٣ صفة المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ح ١٢٥٨.

(١٥١١) بحار الأنوار: ج ٥١ ص ٨٣ ب ١ الثامن والعشرون.

رسوله» (١٥١٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم» (١٥١٣).

وغير هذه الأمور من البركات التي يجلبها الإمام المهدي عليه السلام معه للبشرية، ولهذا فمن المفترض أن تدرك البشرية أنها تنتظر كل خير بانتظارها لإمام الزمان عليه السلام.

الفوز برضا الإمام عليه السلام

تظافت الأخبار على أنّ رضا الله عزّ وجل منوط برضا المعصومين عليهم السلام، وتجنّب سنخطهم، ومنها:

ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام، قال: «رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين» (١٥١٤).

وفي زيارة آل ياسين: «فلحق ما رضيتموه، والباطل ما أسخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه» (١٥١٥).

وفي الزيارة الجامعة: «يا ولي الله إنّ بيني وبين الله عزّ وجل ذنوباً لا يأتي عليها إلاّ رضاكم» (١٥١٦).

فيلزم على المسلم أن يأتي بما يرضي أهل البيت عليهم السلام، ويتجنّب ما يؤذيهم ويسخطهم، كي يفوز برضا الله عزّ وجل، خاصة إمام الزمان عليه السلام الذي تقبل

(١٥١٢) كتاب الغيبة للنعماني: ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ب ١٣ ح ٣٠.

(١٥١٣) كمال الدين: ج ٢ ص ٦٧٥ ب ٥٨ ح ٣١.

(١٥١٤) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٦٧ ب ٣٧.

(١٥١٥) المزار: ص ٥٧١ ق ٥ ب ٩.

(١٥١٦) المزار: ص ٥٣٤ ق ٥ ب ١.

الأعمال برضاه وترد بسخطه.

ولابد من تقصّي كل ما يجبه الإمام المهدي عليه السلام ويسعده فنأتي به، ومن ذلك:

١. إحياء شعائر الإمام الحسين عليه السلام بمختلف أنواعها: حيث يظهر من الأخبار شدة تعلق الإمام المهدي عليه السلام بجده الإمام الحسين عليه السلام ومن ذلك قوله عليه السلام:
«فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلا ندينك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب» (١٥١٧).

ومنه يظهر استحباب ذكر الإمام الحسين عليه السلام والبكاء عليه كل صباح ومساءً.
٢. الإكثار من الخير: ففي الأخبار أنّ أعمال العباد كافة تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كل خميس أو كل صباح، فإذا كانت أعمالهم حسنة تسرهم، أما لو كانت سيئة تسوؤهم.

وفي توقيع الإمام المهدي عليه السلام الشريف إلى الشيخ المفيد رحمته الله: «نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب النبي أرانه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم» (١٥١٨).

ولا شك أنّ من تكون أعماله خيراً وبراً فإنها تسر إمام الزمان عليه السلام، وهو يفرح بذلك ويرضى ويدعو له، وتشمله عنايته الخاصة وبيارك فيه.

٣. كثرة الدعاء لتعجيل الفرج، ففي التوقيع الشريف: «وأكثروا الدعاء بتعجيل

(١٥١٧) المزار: ص ٥٠١ زيارة أخرى في يوم عاشوراء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(١٥١٨) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٧٥ ب ٣١ ح ٧.

الفرج؛ فإنّ ذلك فرجكم» (١٥١٩).

بل الإلحاح في التوسل لتعجيل الفرج. ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلصهم من فرعون، فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة - ثم قال عليه السلام - هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنّا، إذا لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه» (١٥٢٠).

٤. إصلاح النفوس وتخليتها من الريب والضغائن، فإنها من مقدمات الفرج إن شاء الله. ففي الخبر عن الإمام المهدي عليه السلام قال: «لو أنّ أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمين بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا» (١٥٢١).

(١٥١٩) كمال الدين: ج ٢ ص ٤٨٥ ب ٤٥ ح ٤.

(١٥٢٠) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١١٨ ب ٣ ح ٥٠.

(١٥٢١) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٧٧ ب ٣١ ح ٨.

من كلمات الإمام المهدي عليه السلام

١. قال الإمام المهدي عليه السلام: «أنا المهدي، أنا قائم الزمان، أنا الذي أملاها عدلاً كما ملئت جوراً» (١٥٢٢).
٢. وقال عليه السلام: «أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه» (١٥٢٣).
٣. وقال عليه السلام: «إنَّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنّا» (١٥٢٤).
٤. وقال عليه السلام: «ليعلموا إنَّ الحق معنا وفينا، ولا يقول ذلك سوانا إلاَّ كذاب مفتر، ولا يدعيه غيرنا إلاَّ ضال غوي» (١٥٢٥).
٥. وقال عليه السلام: «نحن صنایع ربنا والخلق بعد صنایعنا» (١٥٢٦).
٦. وقال عليه السلام: «فاتقوا الله وسلّموا لنا، وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غطي عنكم، ولا تميلوا عن اليمين إلى الشمال» (١٥٢٧).
٧. وقال عليه السلام: «من ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا، وكانت لعنة الله عليه، لقوله

(١٥٢٢) إعلام الوری: ص ٤٥٠ الفصل الثاني في ذكر بعض ما روي من دلائله وبياناته.

(١٥٢٣) كشف الغمة: ج ٢ ص ٥٢٦ ب ٢ ف ٣.

(١٥٢٤) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٦٧ احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان (صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين).

(١٥٢٥) كمال الدين: ج ٢ ص ٥١١ توقيع من صاحب الزمان عليه السلام كان خرج إلى العمري وابنه (رضي الله عنهما) رواه سعد بن عبد الله ج ٤٢.

(١٥٢٦) الغيبة للطوسي: ص ٢٨٥ ف ٤.

(١٥٢٧) منتخب الأنوار المضيئة: ص ١٢٠ ف ٩.

عزَّ وجل: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٥٢٨) (١٥٢٩).

٨. وقال ﷺ: «كل من نبرأ منه فإنَّ الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأوليائه» (١٥٣٠).

٩. وقال ﷺ: «ليس بين الله عزَّ وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني» (١٥٣١).

١٠. وقال ﷺ: «من أكل من أموالنا شيئاً فإنما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً» (١٥٣٢).

١١. وقال ﷺ: «أما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع» (١٥٣٣).

١٢. وقال ﷺ: «لم يكن أحد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي» (١٥٣٤).

١٣. وقال ﷺ: «إنني أمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء» (١٥٣٥).

١٤. وقال ﷺ: «بي يدفع الله عزَّ وجل البلاء عن أهلي وشيعتي» (١٥٣٦).

(١٥٢٨) سورة هود: ١٨.

(١٥٢٩) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٨٢ ب ٣١ ح ١١.

(١٥٣٠) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٧٤ احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان (صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين).

(١٥٣١) الغيبة للطوسي: ص ٢٩٠ ف ٤.

(١٥٣٢) كمال الدين: ج ٢ ص ٥٢١ الدعاء في غيبة القائم ح ٤٩.

(١٥٣٣) إعلام الوري: ص ٤٥٢ ب ٣ ف ٣.

(١٥٣٤) الخرائج والجرائح: ج ٣ ص ١١١٥ فصل.

(١٥٣٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٣٨٠ ب ٣٠ ح ١.

(١٥٣٦) الغيبة للطوسي: ص ٢٤٦ ف ٢.

١٥. وقال عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله» (١٥٣٧).

١٦. وقال عليه السلام: «من ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر» (١٥٣٨).

١٧. وقال عليه السلام: «فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم» (١٥٣٩).

١٨. وقال عليه السلام: «فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً» (١٥٤٠).

١٩. وقال عليه السلام: «أما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقتون» (١٥٤١).

٢٠. وقال عليه السلام: «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بعتة فجأة حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة» (١٥٤٢).

٢١. وقال عليه السلام: «وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحق واطمحل الباطل» (١٥٤٣).

٢٢. وقال عليه السلام: «فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لما بلغ الشاهد منكم الغائب،

(١٥٣٧) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١٤٠ ب ١١ ح ٣٣٤٢٤.

(١٥٣٨) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٧٨ احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي صاحب الزمان (صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين).

(١٥٣٩) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٩٠٢ فصل.

(١٥٤٠) كشف الغمة: ج ٢ ص ٥٣٠ ب ٣ ف ١.

(١٥٤١) إعلام الوري: ص ٤٥٢ ب ٣ ف ٣.

(١٥٤٢) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٩٨ ذكر طرف مما خرج أيضاً عن صاحب الزمان عليه السلام من المسائل الفقهية وغيرها في التوقعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم.

(١٥٤٣) الغيبة للطوسي: ص ٢٨٩ ف ٤.

وأسألكم بحق الله وحق رسوله ﷺ وبحقي، فإن لي عليكم حق القربى من رسول الله إلا أعتنونا، ومنعتونا ممن يظلمنا» (١٥٤٤).

٢٣. وقال ﷺ: «اعتصموا بالتقية! من شب نار الجاهلية يحششها عصب أموية، تهول بها فرقة مهديّة، أنا زعيم بنجاة من لم يرم منها المواطن الخفية، وسلك في الطعن منها السبل الرضية» (١٥٤٥).

٢٤. وقال ﷺ: «إنّ الأرض لا تخلو من حجة، إمّا ظاهراً وإمّا مغموراً» (١٥٤٦).

٢٥. وقال ﷺ: «فما أرغم أنف الشيطان بشيء أفضل من الصلاة، فصلّها وأرغم الشيطان أنفه» (١٥٤٧).

٢٦. وقال ﷺ: «لا تتكلفوا علم ما قد كفيتم» (١٥٤٨).

٢٧. وقال ﷺ: «فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم» (١٥٤٩).

٢٨. وقال ﷺ: «قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه» (١٥٥٠).

٢٩. وقال ﷺ: «أنا بقية من آدم ﷺ، وذخيرة من نوح ﷺ، ومصطفى من

(١٥٤٤) الغيبة للنعماني: ص ٢٨١ ب ١٤ ح ٦٧.

(١٥٤٥) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٧٥ ب ٣١ ح ٧.

(١٥٤٦) كمال الدين: ج ٢ ص ٥١١ توقيع من صاحب الزمان ﷺ كان خرج إلى العمري وابنه (رضي الله عنهما) رواه سعد بن عبد الله ح ٤٢.

(١٥٤٧) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٤٩٨ باب قضاء صلاة الليل ح ١٤٢٧.

(١٥٤٨) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ١٨١ ب ٣١ ح ١٠.

(١٥٤٩) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٩٩ ذكر طرف مما خرج أيضاً عن صاحب الزمان ﷺ من المسائل الفقهية وغيرها في التوقعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم.

(١٥٥٠) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٦٧ ب ١٠ ح ٩.

إبراهيم عليه السلام، وصفوة من محمد عليه وآله (١٥٥١).

٣٠. وقال عليه السلام: «ومن بخل منهم بما أعاره الله من نعمته على من أمره بصلته،

فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته» (١٥٥٢).

* * *

هذا آخر ما أردنا بيانه في هذا الكتاب والله الموفق للصواب.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب

العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

(١٥٥١) الغيبة للنعماني: ص ٢٨١ ب ١٤ ح ٦٧.

(١٥٥٢) الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٩٩ ذكر طرف مما خرج أيضاً عن صاحب الزمان عليه السلام من المسائل

الفقهية وغيرها في التوقيعات على أيدي الأبواب الأربعة وغيرهم.

الفهرس

٤	المقدمة
١٩	الزواج بالسيدة خديجة <small>عليها السلام</small>
٢٩	الهجرة المباركة
٣١	حروب النبي <small>صلوات الله عليه وآله</small>
٣٣	من أخلاق النبي <small>صلوات الله عليه وآله</small>
٤٣	شهادة النبي <small>صلوات الله عليه وآله</small>
٤٤	من كلامه <small>صلوات الله عليه وآله</small>
٥٤	فاطمة <small>عليها السلام</small> عند الله عز وجل
٥٥	فاطمة <small>عليها السلام</small> عند النبي <small>صلوات الله عليه وآله</small>
٥٧	فاطمة <small>عليها السلام</small> عند أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
٥٨	من معاجزها <small>عليها السلام</small> :
٦١	خير أسوة
٦٣	عبادتها <small>عليها السلام</small> :
٦٧	إيثارها <small>عليها السلام</small> :
٧١	الزواج السماوي
٧٣	في بيت فاطمة <small>عليها السلام</small>
٧٩	فاطمة <small>عليها السلام</small> بعد النبي <small>صلوات الله عليه وآله</small>
٨٣	شهادتها <small>عليها السلام</small>
٨٤	من كلماتها <small>عليها السلام</small>

٩٨علاقة الإمام عليّ السلام برسول الله ﷺ
١٠٢خصائص أمير المؤمنين عليّ السلام
١٠٢خصال أمير المؤمنين عليّ السلام
١١٧صهر الرسول ﷺ
١١٩مهر الزهراء عليها السلام
١٢١خليفة الرسول ﷺ
١٢٢الإمام عليّ السلام يودع النبي ﷺ
١٢٤أمير المؤمنين عليّ السلام والخلافة
١٢٥عودة الحق إلى أهله
١٢٦من معالم حكومة الإمام عليّ السلام
١٣٣قضاء أمير المؤمنين عليّ السلام
١٣٥شهادة أمير المؤمنين عليّ السلام
١٣٥قبره الشريف
١٣٦أولاده عليّ السلام
١٤٠من كلام أمير المؤمنين عليّ السلام
١٤٩من معاجزه عليّ السلام
١٥١مناقبيات
١٥٣ظلمات
١٥٩دواعي الصلح وأسبابه
١٦٢افتراءات لا أصل لها
١٦٤شهادة الإمام الحسن عليّ السلام

- ١٦٦ تجهيز ودفن
- ١٦٧ أولاده عليه السلام
- ١٦٩..... حكام عصره عليه السلام
- ١٧١ من كلام الإمام الحسن عليه السلام
- ١٧٩..... علاقة النبي صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام
- ١٨٢..... مناقبيات
- ١٨٥ الإمام الحسين عليه السلام وأصحاب السقيفة
- ١٨٧ مع أمير المؤمنين عليه السلام
- ١٨٨ في عهد معاوية
- ١٩٥ على أعتاب النهضة الحسينية
- ١٩٦ الهجرة إلى مكة المكرمة
- ٢٠٤ قصة عاشوراء
- ٢٠٦..... من كلام الإمام الحسين عليه السلام
- ٢٢٠ مناقبيات
- ٢٢٣ دروس في النهج العبادي
- ٢٣٠ الإمام زين العابدين عليه السلام والمجتمع
- ٢٣٧ الإمام عليه السلام بعد واقعة عاشوراء
- ٢٣٩ ثورات في عصر الإمام عليه السلام
- ٢٤٤..... حكام عصر الإمام عليه السلام
- ٢٤٦ رسالة الحقوق
- ٢٤٩..... شهادة الإمام عليه السلام

- أولاد الإمام عليّ عليه السلام ٢٥٠
- من كلام الإمام السجاد عليه السلام ٢٥٢
- من معاجزه عليه السلام ٢٦٣
- مناقبيات ٢٦٦
- الحركة العلمية ٢٦٩
- ضرب الدراهم ٢٧٨
- مع طواغيت العصر ٢٨٣
- أولاده عليه السلام ٢٩٢
- من كلام الإمام الباقر عليه السلام ٢٩٢
- قالوا في الإمام عليّ عليه السلام ٣٠٢
- من معاجزه عليه السلام ٣٠٣
- مناقبيات ٣٠٧
- المناظرات: ٣١٤
- أيام المحنة ٣٢١
- حكام عصره ٣٣٣
- أولاد الإمام عليّ عليه السلام ٣٣٧
- من كلام الإمام الصادق عليه السلام ٣٤١
- قالوا في الإمام عليّ عليه السلام ٣٤٩
- من معاجزه عليه السلام ٣٥١
- مناقبيات ٣٥٤
- عصر التقية ٣٦٣

- الحرص على الشيعة ٣٦٥
- غريب السجون..... ٣٧١
- استشهاد الإمام عليّ عليه السلام ٣٧٦
- من كلام الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٣٩١
- من معاجزه عليه السلام ٤٠٣
- مناقبيات ٤٠٥
- شهادة الإمام الرضا عليه السلام ٤٢٤
- أولاده عليه السلام ٤٢٧
- حكام عصره عليه السلام ٤٢٨
- من كلام الإمام الرضا عليه السلام ٤٣٠
- من معاجزه عليه السلام ٤٤٤
- الهجرة إلى بغداد..... ٤٤٨
- شهادة الإمام الجواد عليه السلام ٤٥٥
- أولاده عليه السلام ٤٥٦
- حكام عصره عليه السلام ٤٥٨
- من كلام الإمام الجواد عليه السلام ٤٥٩
- معاجز وكرامات ٤٦٩
- مناقبيات ٤٧٢
- الإمام الهادي عليه السلام والمجتمع ٤٧٧
- الإبعاد إلى سامراء ٤٨٠
- المتوكل يهمل بقتل الإمام عليه السلام ٤٨٥

- ٤٨٧ أولاد الإمام عليّ عليه السلام
- ٤٨٩ أحكام عصره عليه السلام
- ٤٩٥ من كلام الإمام علي الهادي عليه السلام
- ٥٠٣ قالوا في الإمام العسكري عليه السلام
- ٥٠٥ من معاجزه عليه السلام
- ٥٠٦ مناقبيات
- ٥١٣ أسير السجون
- ٥١٦ مكاتبات
- ٥١٩ شهادته عليه السلام
- ٥٢٠ أولاده عليه السلام
- ٥٢٠ أحكام عصره عليه السلام
- ٥٢١ من كلام الإمام العسكري عليه السلام
- ٥٢٩ الإمام المهدي عليه السلام في القرآن
- ٥٣٠ الإمام المهدي عليه السلام في السنة
- ٥٣١ الشبه بالأنبياء عليهم السلام
- ٥٣٣ غيبة الإمام الحجة عليه السلام
- ٥٣٤ أقسام الغيبة
- ٥٤٠ لماذا الغيبة؟
- ٥٤٢ وظيفتنا في عهد الغيبة
- ٥٤٨ من فوائد الإمام عليه السلام
- ٥٦١ من علائم الظهور

- من العلام غير الحتمية..... ٥٦٤
- الفوز برضا الإمام عليّ عليه السلام..... ٥٦٨
- من كلمات الإمام المهدي عليه السلام..... ٥٧١
- الفهرس..... ٥٧٧